

رسائل مولانا جلال الدين الرومي

تحقيق توفيق هـ. سبحاني

ترجمها إلى العربية وقدم لها
أ.د. عيسى علي العاكوب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسائل

مولانا جلال الدين الرومي



رسائل مولانا جلال الدين الرومي / ترجمها إلى
العربية وقدم لها عيسى علي العاكوب؛ تحقيق
توفيق هـ . سبحاني . - دمشق: دار الفكر،
٢٠٠٨ . - ٥٦٨ ص ؛ ٢٤ سم.

١- ٢١٨,٩ روم ر ٢- العنوان ٣- الرومي
٤- العاكوب ٥- سبحاني

مكتبة الأسد

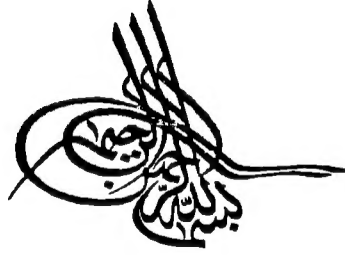
ألفه بالفارسية
جلال الدين الرومي

رسائل مولانا جلال الدين الرومي

تمقيق
توفيق هـ . سبحاني

ترجمه وقدم له
الدكتور عيسى علي العاكوب





مقدمة المترجم إلى العربية

الحمد لله الذي حمّده صَيِّدُ النِّعَمِ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على مَنْ اصطفاه مولاه لِيَبْلُغَ عنه مراده من أفراد الخلق والأُمَمِ، وعلى إخوانه في سلسلة النبوات والرسالات مَنْ حملوا عنوانَ الفضل والكرَمِ، ورضي ربِّي تعالى عن آلِه الطَّيِّبِينَ المباركين وعن صحابته الغرِّ الميامين الذين نصرّوه وأيدوا دعوته بالعزَمَاتِ والهِمَمِ.

أما بعد، فهذا هو الكتابُ الثالثُ من مجموعة أعمال مولانا جلال الدين الثرية التي كُتِبَتْ باللغة الفارسيّة أصلاً، ثم هيأَ لنا المولى سبحانه أن تُترجمها إلى العربيّة. إذ ترجمنا قَبْلَ هذه الرسائل عمليّ مولانا جلال الدين: فيه ما فيه، والمجالس السبعة، وصدرنا عن دار الفكر في دمشق. وإنّه بَشَّرَ هذه الترجمة لرسائل مولانا جلال الدين تكون أعماله الثرية كلّها قد وجدت سبيلها إلى مائدة الثقافة العربيّة.

والصّحيح أنّنا قد تحدّثنا عن سيرة حياة شاعر الصوفيّة الأكبر مولانا جلال الدين في مقدّماتٍ أعدناها لترجمات كُتِبَ آخرُ له، كما أنّنا ترجمنا - والحمد لله - كتاباً كاملاً

حول سيرة هذه الشخصية الفذة؛ إذ صدرت ترجمتنا العربية لسيرة حياة مولانا جلال الدين التي ألفها بالفارسية الأستاذ الإيراني القدير بديع الزمان فروزانفر، عن دار الفكر في دمشق عام ٢٠٠٦م، بعنوان: «من بُلُخ إلى قُوْنِة». ومن هنا لا نرانا في حاجة إلى إعادة الحديث عن شخصيته وسيرة حياته، خاصّة أنّه حدث احتفاء كبير بهذه الشخصية في عام ٢٠٠٧م، بعد أن أعلنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة Unesco ذلك العام مناسبة للاحتفاء بهذه الشخصية والتعريف بإنجازها الثقافي والفكري والروحي المتميز.

أما هذا الكتاب فهو مجموع من خمسين ومئة رسالة من رسائل مولانا الرومي أنشأها مولانا أو حرّرت بتكليف منه باللغة الفارسية، وهي اللغة الدارجة في أوساط المثقفين في قُوْنِة، عاصمة سلاجقة الروم في عصر مولانا جلال الدين (٦٠٤ - ٦٧٢هـ). وقد نُشرت هذه الرسائل في تركيا وفي إيران، قبل النشرة التي اعتمدناها في الترجمة، وهي بتحقيق الأستاذ توفيق سبحاني، وقد صدرت عن مركز نشر دانشگاهي، في طهران عام ١٩٩٢م.

وهذه الرسائل عبارة عن «مكاتيب» خاطب فيها مولانا رجال دولة من سلاطين ووزراء وولاة وقضاة وعَمال، أو رجال عِلْم معروفين جيّدًا في تاريخ سلاجقة الروم. ويجد القارئ في هذه الترجمة ما يأتي:

١- ثلاث مقدّمات أعدّها أساتذة أجلاء من تركيا وإيران: مقدّمة الأستاذ عبد الباقي غلبيناري، وهو أستاذ تركي معروف باهتمامه بمولانا جلال الدين وإبراز آثاره، وهذه المقدّمة في غاية الأهمية، وكان قد أعدّها بالتركية وجعلها مقدّمة لترجمته التركية

لرسائل مولانا ثم ترجمها الأستاذ توفيق سبحاني إلى الفارسيّة؛ ومقدمة الدكتور فريدون نافذ أوزلوق، وكان قد صدر بها رسائل مولانا التي نشرها في تركيا، وهي أيضًا مهمّة، وقد ترجمها الأستاذ توفيق سبحاني من التركيّة إلى الفارسيّة؛ ومقدمة المحقّق لرسائل مولانا الأستاذ توفيق سبحاني، وهي باللّغة الفارسيّة.

والصّحيح أنّ هذه المقدّمات الثلاث أضاءت كثيرًا من القضايا المتّصلة بمولانا وبرسائله؛ وما تنطوي عليه من معلومات وتبصّرات يدفعني إلى تقليل المادّة التي سأقدّمها في هذا التقديم.

٢- خمسين ومئة رسالة من رسائل مولانا. وستحدث فيما بعد عن شيء من موضوعاتها وأساليب تأليفها وطرائق التعبير المعتمدة فيها.

٣- تعريفات للأشخاص الذي جاء ذكرهم في تضايف الرّسائل، وقد أعدّها المحقّق الإيرانيّ للرسائل، الأستاذ توفيق سبحاني؛ وينطوي هذا القسم على سبع وأربعين ترجمة.

٤- توضيحات وتعليقات على الرّسائل، أعدّها المحقّق الإيرانيّ. وهي على قدر كبير من الأهمية في كشف بعض غوامض الرّسائل.

وقد حقّق المرحوم الأستاذ عبد الباقي گليناري في نسبة هذه الرّسائل إلى مولانا، وانتهى إلى القول إنّ باستثناء الرّسائل (٨، ٥٤، ٦٦) يمكن القطع بأنّ هذا المجموع من الرّسائل كتبه مولانا نفسه أو كلّف أحدًا بكتابته؛ أي إنّها صحيحة النسبة إليه.

ومعظم الرّسائل أرسله مولانا إلى أشخاص من ذوي الشأن يوصي فيها بشخص أو يطلب إنجاز أمر، أو يدلّ على شيء مرغوب. وفي مقدور المرء أن يستخلص هنا

جملة استنتاجات تلقي ضوءاً كبيراً على شخصية مولانا ذات الأبعاد المتباينة:

آ - تُظهر الرسائل البُعد الأخلاقي لشخصية مولانا جلال الدين؛ حتى إن المرء يستطيع أن يقول هنا وفقاً للتعبير القرآني: إِنَّ مولانا مصنوعٌ على عَيْنِ رَبِّهِ سبحانه، أو اصطنعه المولى لنفسه. فجمهرة رسائل مولانا يَبْذُل فيها الشيخ العظيم ماء وجهه ويستعمل كل ما أوتي من أدوات التأثير؛ لكي يحل مشاكل الناس البسطاء الذين قضى ربنا سبحانه أن يقعوا في ورطة أو يعرضهم الدهر بنابه. فنحن هنا أمام شخصية ممثلة تماماً لأخلاق النبوة التي لخصها البيان الإلهي في قول ربنا عن رسولنا الكريم ﷺ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. بدا مولانا جلال الدين في الرسائل يُنصف العاجزين من القادرين، ويقدم للتصوّف الإسلامي مثلاً حياً للصوفي الذي ينزل إلى دنيا الناس المساكين الذين لا حَوْلَ لهم ولا قُوَّة، فيتعرّف حاجاتهم ومطالبهم، ثمّ يقدّمها لمن بأيدهم الحلّ والعقد. ومن العسير تصوّر الجهد الذي يبذله مولانا في حلّ مشكلات الناس من دون تصفّح عدد من الرسائل.

ب - تُظهر الرسائل مبلغ الاحترام الذي يجليّه مولانا في الرسائل لكُبراء عصره ومُضره، أو لمن يمكن تسميتهم السُلطة الدنيوية. لكنّه في الوقت نفسه يبدو عزيز النفس رفيع القدر، على قدر كبير من العفاف والعَدْل. وههنا، على الحقيقة، شيء لافت للنظر تماماً، وهو أنّ مولانا كما يبدو من الرسائل لا يذهب إلى أحدٍ من المسؤولين، بل يبعث رسائله إليهم بطريق أحد الأشخاص. وبرغم إظهار اشتياقه إلى لقاء من يبعث إليه الرسالة وتوقه إلى رؤيته، تراه يتفادى في الأعم الأغلب الذهاب إليه.

ج - تُطلعنّا رسائل مولانا على البعد الروحي الإيمانّي الذي تتحلّى به شخصيته،

فالتذكير بعبودية الإنسان لربه، وحثية رجوعه إليه، وضرورة محاسبته نفسه لا تغيب عن عين المتأمل في رسائل هذا المبدع. وفي مقدور المرء أن يقول هنا بأسلوب مولانا نفسه: إِنَّ عَيْنَ رُوحِ مَوْلَانَا صَارَ قَرَأْنَا. فقد تخلّلت مطالب القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصالحين وأشعار الحكماء نسيج رسائله. وفي المستطاع القول إنَّ رسائل مولانا، على غرار أشعاره وآثاره الثرية، تقدّم لنا نموذجًا للأدب الإسلامي الرفيع، الذي يغذو الأرواحَ حكمةً متعاليةً وحسًّا دينيًّا رقيقًا يعزّز إنسانية الإنسان، ويفجّر فيه ينباع الفهم المتألق الذي يدرك به فعل الديان في الأكوان، فيتعرّف بذلك خالقه العظيم بآياته الماثلة في الأنفس والآفاق.

د - تُبرز الرسائل مولانا المربي لأجيال السلاطين والحاكمين والقضاة وقادة الجيش المجاهدين والتجار والصُّناع والوعاظ والمدرّسين والسيدات والدراویش. وكان ينمي في كلّ من يخاطبه الأخلاق العالية والمعاني السنية وأعمال الخير والصّلاح. ويحرص في الشّاء والتبجيل على أن تأتي الصفات مناسبةً تمامًا لطبيعة المخاطب، وكأنّه يدعو المخاطب إلى أن يتخلّق بما ينبغي أن يكون عليه من الأخلاق الرفيعة والسّجايا الحميدة. وعلى هذا النحو تكون الرسائل ضربًا موفّقًا ممّا سمّيناه في مناسبات أُخر: الأدب المؤدّب. هذا الأدب الذي كان للنساء نصيب طيّب منه؛ فهناك عدد من الرسائل الموجهة إلى سيّدات فضليات في شؤون مختلفة. وهو أمر يبرز المنزلة العلية التي تمثّلها المرأة في جملة اهتمامات مولانا.

هـ - يبدو مولانا في الرسائل، كما هي حاله في آثاره الأخرى، قارئًا ممتازًا لأدب الفرس والعرب. فقد أظهرته الرسائل شديد الولوع بآثار عدد من شعراء التصوف

الفارسيّ الكبار من مثل سنائي (ت ٥٣٥هـ)، وفريد الدين العطار (ت ٦٢٧هـ). وقد نهج مولانا نهجَ هذين الشاعرين، واستعمل مضموناتهم وأوزانهم وقوافيهم وأنواع رديفهم. وفي الرسائل خاصّة أكثر من الاستشهاد بأشعار سنائي، كما تطالعك في الرسائل آثارُ إفادته من شاهنامه الفردوسي وأشعار الشّهروزديّ ومقالات شيخه شمس الدّين التبريزي. ولم تكن هذه الثقافة الفارسية لتحجبه عن الثقافة العربيّة، فقد انطوت الرسائل على شواهد شعرية مستقاة من دواوين المتنبيّ والمعرّيّ والصاحب بن عباد، بل نجدّه يستشهد حتّى بأبيات لامرئ القيس وطرفة.

و- تُظهر الرسائل العالمَ النفسيّ لمولانا جلال الدين، وهو عالمٌ أظهرُ خاصّياته أن الفؤادَ فيه هو العيارُ والحاكمُ للعقل، وفق عبارة للعلامة إقبال. وقد سجّل الأستاذُ غليينارلي هذا الملحظَ حين قال: «يجسّد في رسائل مولانا الإخلاصُ المفرط، والهيجانُ العميق، والتحرّقُ الدّاخليّ، والبيانُ المقنع، والإيمانُ الرّاسخ، والقدرةُ المنطقيةُ الخارقة، (الأصل، ص ٢٣).

لا بدّ ابتداءً من الإشارة إلى أنّ الرسائل جميعًا ترمي إلى تحقيق قَصْدٍ عمليّ هو إنجاءُ المطلوب فيها مع تقديم الدّرس التربويّ الخُلقيّ الذي يهدف إلى تنمية الخلائق الجميلة في نفوس من تُوجّه إليهم. ويلفتُ انتباه المرء هنا كثيرًا أنّ مولانا جلال الدين يسلّط على المخاطب كلّ أدوات التأثير النفسيّ الوجدانيّ والعقليّ، فيثني على المخاطب منذ البدء بفيض من الألقاب التي أحسب أنّها تضع المخاطبَ في شبكةٍ نفسيّةٍ روحيةٍ عقلية تستنهض فيه كلّ عوامل الارتقاء الرّوحيّ والعقليّ الذي يجعله يَلدّ طعمَ العطاء، وفق عبارة الشّاعر العبّاسيّ بشار بن بُرد. فحتّى انتهاء المخاطب إلى سُلالة أو عِرْق أو

أسرة يستعمله مولانا لاستحياء النفوس التي مالت إلى منع الخير وحبس الفضل ولم يبق للنفع موضعٌ لديها، وفق مقولة أبي فراس الحمداني. ويعمد هنا كما يقول الأستاذ غلييناري «إلى جعل موضوع عنواناً، ثم يأتي بالأمثلة لذلك، ويرد ذلك بالآيات والأحاديث المناسبة والعبارات المطابقة للموضوع، ويدخل إلى الحكايات ويستعيد ذكريات الماضين، (الأصل، ٢٣). وكثيراً ما يستعمل الحجاج والنقاش لتأييد الفكرة التي يشاء إقناع المخاطب بها.

ويخال المتأمل أن القصد العملي الذي استهدفت الرسائل تحقيقه جعل مولانا يبعث الكلام في رسائله هكذا عفواً من دون قصد إلى محاكاة أساليب الرسائل في عصره، وهو عصر يبدو أن الترسل الديواني فيه التزم قوالب محدّدة ومسارات لا يُحد عنها. وقد لاحظ المرحوم عبد الباقي غلييناري هذا الأمر فقال في مقدمته للترجمة التركية لرسائل مولانا: «مثلاً كان مولانا متحرراً في فكره وحياته وحتى في شعره، كان في رسائله متحرراً أيضاً. فهو لا يلزم مخاطبه، أتباعاً لأسلوب زمانه، بالقواعد الجامدة للترسل في موضوع الخطاب، ويحدث المخاطب بالطريقة نفسها التي تظهر فيها المعاني من قلبه. وفي الرسائل، حتى في العناوين أيضاً، لا يتبع أعراف العصر» (الأصل، ص ٢٣).

لكن الرسائل أيضاً تظهر مولانا قارئاً ممتازاً للترسل العربي، مستفيداً مما فيه من طاقات أدائية تخاطب الحس الجمالي عند المخاطب من تقسيم وازدواج ومراعاة للفواصل. ولا غرابة في ذلك حين نتذكر أن الشيخ العظيم - كما يسمي العلامة إقبال مولانا جلال الدين - ابن برّ للثقافة العربية الإسلامية يسمع شيوخها ويقرأ متونها ويستظهر أساليب البيان في لغتها العربية. ومن الرسائل ما هو بلسان عربي مبين، كما

أنّ لمولانا أشعاراً بالعربية كثيرة، ومقدّماتُ ثلاثة أجزاء من المثنوي بالعربية أيضاً. وقد يُفيد هنا أن نجتزئ شيئاً مما جاء في مطلع الرسالة الثالثة عشرة ليكون هادياً إلى بعض ما قلنا: «سراجُ الذاكرين، تاجُ الشاكرين، رائضُ مطيّة النفس، فاسخُ صَفْقَةِ البَخْس، وارثُ الفلاح، سالِكُ نهج الصّلاح، المنيبُ إلى الله، المتوكّل على الله، خالعُ ثياب الدّنس، عامِرُ أركان خير الكنس....».

ويبقى أن يتساءل المرءُ هنا: هل هذه الرسائل هي كلّ ما أنشأه مولانا جلالُ الدّين وحرّره، أو حرّر له، من رسائل؟ لا يبدو أنّ الأمر كذلك. وقد انتبه الأستاذ غلبينارلي إلى هذه المسألة فقال: «هناك يقيناً رسائلٌ آخر أيضاً تدور حول أصحاب مولانا وأوضاعهم، وكذلك في إجابة أسئلة وجهت إليه، (الأصل، ٢٧). ويبدو أنّ رسائل كثيرة لمولانا قد وجدت سبيلها إلى الضياع، وأنّ ما لم تستطع عاديّاتُ الزمان أن تصل إليه هو ذلك المتّصل بأهل السّلطان وعمّال الدّيوان، كما لاحظ غلبينارلي في مقدّمته للترجمة التركية المثبتة ترجمتها العربية في مطلع هذا الكتاب.

أمّا ترجمتنا العربية هذه للرسائل فأقول إنّ التوفيق، والحمدُ لله، قد سائر ركبها منذ الحصول على هذه النّشرة المحقّقة؛ إذ تفضّلت الأختُ الفاضلة الدّكتورة ندى حسّون، مدرّسة الأدب الفارسيّ في جامعة دمشق، بأن سألت أحد أبنائنا الدّارسين للغة الفارسية في طهران أن يوافيني بنسخة من هذه النّشرة. وفعلاً أهداني الابنُ النّجيب الأستاذ محمّد عبد المجيد هذه النّسخة التي هي عمدي في الترجمة؛ فأحسن المولى إلى هذين الصّديقين.

تجلى التوفيق أيضاً فيما حباني ربّي سبحانه من صبرٍ وتحملٍ في مداورة هذا المتّن من

متون القرن السابع الهجري. ولست أدري إن كان من المفيد أن أذكر في هذا الشأن أن محبة مولانا الحبيب وآثاره كانت دائماً مدداً يرفدني بمزيد من الثبات والعزيمة والدأب. وأسأل المولى سبحانه أن تشمل هذه المحبة والموالاتة مني مولانا جلال الدين مقالته في الرسالة الأولى عندما أعلن سروره بأخبار إحسان السلطان عز الدين كيكاموس السلجوقي إلى أحد محبيه فقال: «والجهة الثانية الموجبة لسُروري بأخبار إحسان هذا الملك، أعلى الله دولته، أنني كنت أقول: الحمد لله الذي جعل لمحبي وموالي هذا الإقبال المتزايد وأوقعها في الموقع اللائق؛ لأنه من صفاء جوهر المحب أن تقع محبته على جوهر لطيف؛ لأن كل ما هو موجود في الثمانية عشر عالمًا محب وعاشق لشيء، وشرف كل عاشق بقدر شرف معشوقه. وكلما كان المعشوق لطيفًا وظريفًا وشريفًا الجواهر كان عاشقه عزيزًا:

ضروبُ الناسِ عشاقُ ضروبًا فأكرمهم أشفهم حبيبًا^١
وقد آذنت هذه المعاناة والمشقة الآن بوداع، بعد أن اكتملت الترجمة، وها أنا ذا أسطر الكلمات الأخيرة من هذا التقديم. وسيبقى لديّ هاجسٌ يقظ دائماً، هو أن خدمة أهل الصلاح الدالين على ربهم بأقوالهم وأعمالهم دينٌ في أعناق الأحرار من أهل كل زمان، هؤلاء الذين يدركون أن إصلاح الأرواح مقدمة لإصلاح الأشباح. وإنتي أستاذتي تماماً أن تُشر آثار هذا المبدع العظيم في صورة جيدة وإشاعتها بين أفراد الناس إحدى السبل للارتقاء بالأمّة ونهوض الجيل الذي يؤمن بعبودية الإنسان لمولاه،

ويستشعر ضرورة أن يُحسِّن في كلِّ ما يأتي، ويستنفر كلَّ ما أودع من طاقات الخلق والإبداع. وإذ ذاك يكون مجتمعنا المجتمع المرضي في السماء والأرض. وأختتم بها ختم به حضرة مولانا الرسالة الأولى من رسائله: «إنَّ كلَّ سطرٍ من هذه الرسالة [وهنا، الرسائل] نُكتةٌ تستدعي الشرح لكي لا يؤوِّلها من لا يرى إلَّا الظاهرَ بفهمه السقيم... وأسأل الله أن يُنزِّلها على خاطرٍ عاطِرٍ، وضميرٍ منيرٍ واضحٍ ومكشوفٍ. إنَّه وليُّ الإجابة ودعوةُ المخلصين مستجابة».

حسني يوسف عالمي رافايله
گرچه براخوان عبث بُد، زايده
أي:

كان حُسنُ يوسفَ مفيدًا للعالمِ كلّهُ

برغم أنَّه كان لدى إخوته عيبًا لا طائلَ من ورائه
وقبل أن أودّع القارئ الكريم أجد حقًا معلومًا عليَّ أن أشكر للصديقين
الكريمين محمد رشيد ومنتصر معمار جهودَهما في تنضيد الكتاب وإعداده للنشر
النهائي. وقد تجشَّها في ذلك معاناة كبيرة أسأل المولى سبحانه أن يجزل لهما ثوابَ تحمُّلها
ومكابدتها.

«والله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ».

حلب المحفوظة إن شاء الله، مساء الأربعاء ١٤ محرم الحرام / ١٤٢٩ هـ

٢٣ كانون الثاني / ٢٠٠٨ م

«وإني عبدُ الله»

عيسى بن علي بن عيسى العاكوب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم المحقق الإيراني الفاضل الأستاذ توفيق سبحاني

طُبعت رسائل مولانا جلال الدين الرومي (مع طبعة سنة ١٣١٥ حسب قول
المرحوم مُشار في فهرس الكتب المطبوعة) حتّى الآن أربع مرّات في إيران وتركيا، كما
طُبعت ترجمتها التركية مرّة واحدة في تركيا. وما خلا الترجمة التركية لهذه الرسائل، يمكن
عدّ الطبعات الأخرى على الحقيقة طبعة واحدة؛ ذلك لأنّ طبعة سنة ١٣٣٥، بعناية السيّد
يوسف جمشيدى پور والسيد غلامحسين أمين في طهران، مأخوذة عن طبعة المرحوم الدكتور
فريدون نافذ أوزلوق؛ وطبعة ١٣٦٣ في طهران، برغم أنّ تعريف الكتاب يذهب إلى
القول إنّها الطبعة الأولى، هي تمامًا طُبعت بطريقة الأُفسيت عن الطبعة التركية.

ومن يكونون قد اطلعوا على رسائل مولانا في كلّ من هذه الطبعات يعرفون
التصحيفات في هذه الطبعات، ويعلمون أنّه، بالإضافة إلى جدول التصحيفات ذي
السبع عشرة صفحة الذي أثبتته المرحوم نافذ أوزلوق في الصفحات ١٥١-١٦٧ من
الكتاب، وقعت في متن الكتاب أيضًا تصحيفات أخرى كثيرة جدًّا ندّ بعضها عن عين
مصحّحه ونشأ بعضها عن سوء القراءة، وقد جعلت هذه التصحيفات إدراك المعنى
أمرًا متعذرًا في أكثر المواضع. ولا شكّ في أنّ بعض التصحيفات المبرزة في جدول
تصحيفات طبعة السيدين جمشيدى پور- أمين قد أصلح، لكنّه من المؤسف أنّ تصحيفات
أخرى قد حلّت محلّها.

فمثلاً في الرسالة الأولى في الصفحة ٤ السطر الثالث من الآخر (في طبعة تركية والعلمية) نقرأ العبارة الآتية:

«صاح حضرة الحق بمُلك الدنيا [قائلاً]: تعرّ أمام الملك لكي يرى نقائص عدم وفائك واغسل عنك جيفة ورقتك بهاء المكروهات...»
التي أصلها استناداً إلى النسخة ٧٩ في قونية هكذا:

«صاح حضرة الحق بمُلك الدنيا [قائلاً]: تعرّ أمام الملك لكي يرى نقائص عدم وفائك واغسل عنك حَقَّك ورقك بهاء المكروهات..(*)».

أو: نقرأ في الرسالة الثانية في الصفحة ٥، السطر ٢١ - ٢٢، قوله:

«عجلوا بالصلاة قبل الموت» [٢]

التي هي في الأصل هكذا:

«عجلوا بالصلاة قبل الفوت».

أو: أن الرسالة الثانية والأربعين، التي جاءت في الصفحتين ٤٢ - ٤٣ وتنتهي في السطر الثالث من الصفحة ٤٣، والرسالة الثالثة والأربعين، التي كُتبت لمعين الدين پروانه والشمس فيها مسامحة نظام الدين، قد أُدمجتا في الطبعت الموجدرة.

وأحياناً جُعِلت مصاريعُ وأبياتٌ موجودةٌ في داخل المتن عباراتٍ منشورة.

ويمكن أن يُرى نموذجٌ لسوء القراءة مثلاً في الجملة الأخيرة من الرسالة السابعة

* جاء في المثل: «مَنْ حَفَّنَا أَوْ رَقَّنَا فليقتصدْ»، أي: مَنْ طاف بنا، واعتنى بأمرنا، وخدمنا، ومدحنا، فلا يَغْلُظْ. فالحقُّ الإحاطةُ بالعباية، والرَّفُّ الإحسانُ والإكرامُ [المترجم العربي].

والستين في النسخة «ق» :

«كتبه والده يعرف بلُحْن قوله» التي قرئت على هذا النحو: «كتبه والده يعرف بلُحْي قوله». ولم تأت هذه العبارة في طبعة الأفسيت التركية، لكنها موجودة في «الرسائل» طبعة ١٣٣٥ في طهران.

وإنّ هذا الضرب من الإشكالات حل كاتب هذه الأسطر على إعداد نسخة سليمة. ولهذا السبب فتش عن مخطوطات الكتاب وظفر بالنسخ الآتية:

١- المخطوطة رقم ١٠٥٥ في مكتبة نافذ باشا، الموجودة في سليمانية إستانبول. وقد عبّرنا عن هذه المخطوطة بالعلامة «ن» ١٩٠١ × ٢٥٠ / ١٢٠ × ١٩٠ ملم، ٨٣ ورقة، في كلّ صفحة ٢٧ سطرًا، ويبدو أنها من القرن الثامن الهجريّ.

٢- المخطوطة رقم ٤٢ في مكتبة جامعة إستانبول (علامتها الاختصارية «سا») ١٧٠ × ٢٤٢ / ١٢٠ × ١٨٣ ملم، ٥١ ورقة، في كلّ صفحة ٢٧ سطرًا، ورق ملوّن مُنَشَى، الجلد مقوّى، والطرف والحاشية من جلد الغنم القهويّ اللون، مجدول بالذهب والمسك، العناوين باللون الأحمر، ويبدو لنا أنها من القرن العاشر الهجريّ. لهذه المخطوطة مقدّمة قصيرة أثبتتها المرحوم عبد الباقي گلبيناري في مقدّمته لترجمة الرسائل.

٣- المخطوطة رقم ١٢٨٦ في المكتبة نفسها بعنوان «كتاب الترسّل للتوسّل إلى التفضّل» (العلامة الاختصارية لها «سج») ٢١٠ × ١٤٠ / ٨٠ × ١٤٥ ملم، بخط النسخ، ٧٣ ورقة، في كلّ صفحة ٢١ سطرًا، ورق أصفر مُنَشَى، الجلد من جلد الماعز المدبوغ القهوي، العناوين وعلامات الوقف بالأحمر، يبدو لنا أنها من القرن الثاني عشر الهجري، وقد عدّها بعضهم ممّا يتّمي إلى القرن الحادي عشر. وتتضمّن المخطوطة «سج»

أيضًا في البدء ثلاثة أسطر على سبيل المقدمة، ويحسن أن نذكر تلك المقدمة فيما يأتي:

«كتابُ التَّرسُّلِ للتَّوَسُّلِ إلى التَّفَضُّلِ من إنشاء مولانا سلطان الأولياء، قطب الواصلين، مرشد الكاملين، حجة الله على العالمين، كامل الحال والقال إلى يوم الدين، سيَّاح مالك الجبروت وسيَّاح بحار الملك والملكوت، فاتح مغاليق السلوك شارح حضـ [] ات الملوك، جلال الحق والدين، قُدِّس سرُّه». [٣]

٤- المخطوطة رقم ٧٠٣ في المكتبة نفسها (علامتها الاختصارية «سب»). بخط نستعليق لعبد الله البخاريّ، تاريخ التحرير ١٢٨٤هـ، ١٦٠ × ٢٤١ / ١٠٠ × ١٧٠ ملم، ١٤٧ ورقة، في كلّ صفحة ٢١ سطرًا، ورق أصفر منشئ، الجلد من جلد الماعز المدبوغ الأزرق المتأخّر، العناوين بالأحمر.

٥- المخطوطة رقم ٢٨ في المكتبة نفسها؛ بخط نستعليق جميل كتابة يوسف عزّت آقشهری، تاريخ التحرير ١٢٧٥هـ، ٢٠٠ × ٣٠٢ / ١٢٥ × ٢٠٥ ملم، ٩٩ ورقة، في كلّ صفحة ٢٧ سطرًا، ورق أصفر منشئ برّاق، الجلد من جلد الماعز المدبوغ الأخضر، رأس اللوحة مذهب، العناوين وخطوط التذهيب بالأحمر.

٦- المخطوطة رقم ٢١١٢ في مكتبة متحف قونية؛ ١٣ × ٢٣ / ٨ × ١٥.٣ سم، ١١٥ ورقة، في كلّ صفحة ٢١ سطرًا، مخطّط بالذهب، الجلد مقوّى بحاشية من جلد الغنم المدبوغ، ليس هناك تاريخ للكتابة، من القرن الثالث عشر الهجريّ. وهذه المخطوطة وقف لهدم چلبی.

٧- المخطوطة رقم ٧٩ في قونية (علامتها الاختصارية «ق»); وهذه المخطوطة هي الأساس لتحقيقنا. ونقلُ المشخّصاتِ الكاملة لهذه المخطوطة من المجلد الرابع

لفهرس مخطوطات مكتبة متحف مولانا في قونية، الذي كتبه المرحوم عبد الباقي
كلييناري ولم يطبع للأسف حتى الآن:

١٨ × ٢٥.٥ / ١٤ × ٢٢ سم، الجلد مقوى بحاشية من جلد الغنم المدبوغ،
ومحتاج إلى إصلاح، ١٧٧ ورقة. وهي مجموعة رسائلها كلها بخط كاتب واحد،
بأسلوب العصر السلجوقي، ورق كبير منشئ قليلاً بالأصفر، أكثر الصفحات فيها
٣٢ سطراً، وبعضها فيه ٣٣ سطراً وأحياناً أكثر. العناوين ورؤوس الفصول والآيات
والأحاديث والموضوعات المهمة باللون الأحمر. وقد دُون في الورقة الأولى تملك محمد
سعيد همدن چلبی. وفي الورقة نفسها أثبتت أيضاً ملكية چلبی زاده إسماعيل عاصم
(١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م) التي تشتمل على تاريخ ١١٥٢ هـ. وتحت خطه أيضاً ختم
بخط جميل جداً من نوع نستعليق يدل على العبارة الآتية: «هذه النسخة موقوفة للعبد
الآثم چلبی زاده إسماعيل عاصم».

وتوجد في المجموعة الرسائل الآتية:

١- جزء من معارف سلطان العلماء:

الابتداء: بسم الله الرحمن الرحيم. يقيني بالله يقيني. في تفسير سرّ بسم الله الرحمن

الرحيم. بسم الله دليل على أن المكوّن هو الله... (ب ١)

الانتهاء: متى وجدت لذتك لم تذهب النار والماء لذتك مثل إبراهيم وموسى

عليهم السلام، والله أعلم.

[٤] تشير كلمة «صح» في هامش الأوراق ٢، آ ٣، ب ٤، آ ٦، وصفحات كثيرة

أخر إلى أن هذه النسخة قوبلت بنسخة أخرى.

٢- فيه ما فيه، جلال الدين محمد (مولانا):

من ب ١٨ إلى آ ٦٢ :

الابتداء: بسم الله. يقيني بالله يقيني. قال النبي عليه السلام: شر العلماء من زار الأمراء...

الانتهاء: بين هذه الجملات من أجل مصلحة. والله أعلم.

وفي أكثر الصفحات تشير كلمة «صح» وتصحيحات إلى أنها قد قوبلت بنسخة قديمة أو صحيحة أخرى. وفي الورقة ب ٦٠، وفي هامش «فصل» ليس له رقم، كتب: «وجد بخط الشريف»، وفي حاشية «فصل» آ ٦١، كتب: «وجد بخط خليفته». ومن هذا يُعلم أن هذه الفصول نُسخَت عن خط شخص مولانا وحسام الدين چلبی. وبين ب ٢٢ و آ ٢٣ أضيفت إلى المجموعة أوراق ورُقها وكتابتها قديمة جدًا وتنطوي على خاصيات آثار العصر السلجوقي.

٣- رسائل، جلال الدين محمد (مولانا):

من ب ٦٢ إلى آ ٨٩:

الابتداء: بسم الله. البارئ تعالى عندما يشاء إحاطة العبد بالعناية واللطف والنصرة والسرور والسعادة...

الانتهاء: زاد الله دائماً أمداد التوفيق لكم ولحبيكم، آمين يا رب العالمين.

ويرى المرء في حواشي أوراق الرسائل أيضاً كلمة «صح».

٤ - المجالس السبعة، جلال الدين محمد (مولانا):

من ب ٨٩ إلى آ ١٠٧:

الابتداء: بِسْمِ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ صَانِعِ الْعَالَمِ بِغَيْرِ آلَةٍ، الْعَالَمِ بِكُلِّ خَطَرَةٍ...
الانتهاء: هِيَ رُوحُ الْمُؤْمِنِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِثْلَ السَّيْلِ نَحْوَ بَحْرِ الْوَحْدَةِ
[قائلاً] إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي، عَلَيْهِ تَوَكَّلِي، وَهُوَ حَسْبِي، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
تَمَّتِ الْمَجَالِسُ... إِنَّهُ كَرِيمٌ مَنَّانٌ.

(وقد جعلنا هذه النسخةَ أساسَ تحقيقنا للمجالس السبعة التي نُثِرَتْ أخيراً). [٥]
٥- بعض كلمات مولانا جلال الدين محمد:

من ب ١٠٧ إلى ب ١١٠:

الابتداء: مَنْ يَكُونُ فِي دَاخِلِهِ نَوْرُ الْعَنَاءِ كَيْفَ يَسُوِّدُهُ الشَّتْمُ وَسُوءُ الْمَقَالَةِ؟
الانتهاء: ذَلَّ مَنْ لَيْسَ ظَالِمٌ [كذا] يَعْضُدُهُ، وَضَلَّ مَنْ لَيْسَ عَالِمٌ يَرْشُدُهُ.
في الورقة ب ١٠٧، بعد عبارة «والله أعلم»، في مكان خالٍ تُرِكَ لكتابة كلمة واحدة، كُتِبَ قَوْلُهُ: «فَضَّلْ فِي الْعَدْلِ». وفي الورقة آ ١٠٨ تُرِكَ أَيْضًا مَكَانٌ كَلِمَةً وَاحِدَةً خَالِيًا، وَيُشْرَعُ بَعْدَ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ: «تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً». وفي الحاشية نجد هذه العبارة: «نُقِلَ مِنْ خَطِّهِ الشَّرِيفِ قَدَسَ اللَّهُ سَرَّهُ اللَّطِيفِ، وَكُتِبَ مِنْ هَهُنَا إِلَى خَمْسِ صَفَحَاتٍ»، وَمِنْ هُنَا وَبَعْدَ - كَمَا أُوضِحَ - نُسِخَ خَمْسُ صَفَحَاتٍ مِنْ خَطِّ مَوْلَانَا. وفي حاشية السطر التاسع أَيْضًا كُتِبَ: «مِنْ خَطِّهِ». وَمِنْ هَذِهِ الْكَتَابَاتِ يُعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَجْزَاءَ أَيْضًا نُقِلَتْ مِنْ خَطِّ مَوْلَانَا.

٦- معارف السيد برهان الدين محقق الترمذي:

من ب ١١٠ إلى ب ١٥٤.

الابتداء : بسم الله - من مقالات مفخر السادات ومنبع الكرامات، سيد المحققين برهان الحق والذين، قدسنا الله بصره المتين، قال الكفار كلهم إن لنا مالا وحسبا ونسبا وجالا وقدأ وقامة جميلة...

الانتهاء: وجد فثمل فقصر الكلام، والله أعلم.

وفي هذه الصفحات، نُقلت مطالب من كتب آخر أيضًا، غير المعارف. فمثلا في آ ١٣، في الجزء الأسفل من الحاشية كُتب: «هذا مجلس من معارف سلطان العلماء».

٧- من مقالات شمس الدين التبريزي:

من ب ١٥٥ إلى آ ١٧٧:

الابتداء: بسم الله - من بعض أسرار حضرة مولانا سلطان الفقراء... قلت لا بد من أن يزَل الإنسان في حياته زَلّة واحدة يكون في باقي عمره كله مستغفرا منها...

الانتهاء: لأن في صدري مئة مثقال.

فيعلم أن المجموعة، التي تنتهي بالجملة السابقة، قد انتهت، ولم يكتب اسم كاتبها أيضًا، لكنه يظهر من ختام المجالس السبعة أنها قد انتهت في سنة ٧٥٣ هجرية^(١). [٦]

١- بالإضافة إلى بيان مؤلفات مولانا من تأليف السيد محمد أوند

Mevlâna Bibliyografisi, Mehmet Onder, III, 1974

استُفيد في هذا القسم من فهرس المخطوطات الفارسية في المكتبات التركية، التي جمعها كاتب السطور على امتداد

سنين [المحقق الإيراني].

ولأنّ إعداد الصّور و «الميكروفيلمات» وإحضارها من البلدان الخارجية هذه الأيام غير ممكن بسهولة، بالإضافة إلى أنّ المحقّق في إطار المقابلة الشاملة، التي انتهت بامتلاك نسخة نافذ أوزلوق مع النسخ المختلفة، استنتج أنّه لا يوجد اختلاف كبير بين نُسخ الرسائل، كان لا بدّ من الظفر بأهمّ المخطوطات. وبعد الحصول على المخطوطات مباشرة وُضع ميكروفيلم المخطوطة رقم ٧٩ في متحف مولانا في قونية، الذي كان قد أُعِدَّ قبلُ ابتغاء تحقيق المجالس السبعة، في المصورة وأُخذت صورة واستُعِدَّ لنسخها. وفي إحدى الرّحلات أُعِدَّ ميكروفيلم لمخطوطة نافذ باشا وترجمة المرحوم عبد الباقي گليناري أيضًا. وبمقابلة ما نسخته بيدي عن المخطوطة ٧٩ في قونية، مع المخطوطة رقم ١٠٥٥ في نافذ باشا، تبين أنّ اختلاف المخطوطتين ضئيل جدًّا، لكنّ أخطاء القراءة والتداخلات كثيرة. وقد نُسخَت المخطوطة رقم ٢٨ في مكتبة جامعة إستانبول تمامًا عن مخطوطة نافذ باشا. حتّى إنّ الناسخ نقل حواشي تلك المخطوطة نفسها أيضًا. وكذلك فإنّ المخطوطة رقم ٧٠٣ في المكتبة نفسها نُسخَت عن المخطوطة الأخيرة. ومن هنا كان الرأْيُ أن تُقابل المخطوطة رقم ٧٩ في قونية بالمخطوطة رقم ١٠٥٥ في نافذ باشا؛ أمّا الاختلاف بين المخطوطتين فقد كان ضئيلاً إلى حدّ أنّه يمكن القول إنّهُ لا يحلّ معضلة ولا يُوضّح نكتة البتّة ويحمل المحقّق أحياناً على أن يفي بمطالب عمَل معلّم الإملاء.

ومن هنا سجّل المحقّق في بدء التحقيق، خلافاً لمراده، اختلاف المخطوطات في آخر الورقة وليس منفصلاً؛ لكي يجعل من يشاؤون قراءة كتابه المحقّق يشاركونه الرأْي في أن أصحّ مخطوطة معروفة حتّى الآن للرسائل هي يقيناً مخطوطة قونية.

لم يُبعد المحققُ مخطوطةً نافذ باشا عن نظره، لكنّه امتنع عن إيراد الحواشي التي يُسلم بأنها زائدة. ومن المؤسف أنّه نظرًا إلى ضياع المادّة من وسط الرسالة العشرين إلى أواسط الرسالة الثالثة والخمسين من نسخة قونية، كان لا بدّ من نقل هذا الضائع من مخطوطات نافذ باشا «ن» و «سا» و «سب» و «سج». وفي هذا العمل كانت ترجمة المرحوم عبد الباقي گلبيناري، التي هي حقًّا ترجمة صادقة ودقيقة، محلّ نظر على الدوام. وقد أمّذي العالمُ الجليل السيّد سعيدي سرجاني بصُورٍ للمخطوطات سا وسب وسج، بتفضّل تامّ. وأشكر له من صميم قلبي نفاذ بصره. [٧]

وفي تدوين الرسائل، ثبّت المحققُ بجانب رقم كلّ رسالةٍ عنوانًا استُخلص من متن الرسالة، وعلى هذا النحو عُرف اسمُ متسلّم كلّ رسالة. وقد حدّد أرقام السُور القرآنية الشريفة^(*) وأرقام الآيات الواردة في المتن داخل قوسين. العددُ الترتيبيّ الأيمن هو رقمُ السورة، والرّمُ الأيسر هو رقمُ الآية الشريفة. وفي خاتمة الكتاب أضاف فصلًا بعنوان «توضيحات» حدّد فيه ناظمي الأشعار قدر الإمكان، وبين الأحاديث التي استشهد بها وأبرز الأمثال. وفي الحالات التي لم يعرف فيها ناظم الشعر أو لم يتبين مصدر المثل والحديث، عَزَف عن ذكرها في التوضيحات. ولا شكّ أنّه تخلص من هذه النقيصة بتدوين فهرس كامل وأضاف معجمًا للغات^(**). وبالإضافة إلى ذلك أعدّ تعريفًا للشخصيات المذكورة في الرسائل بالاعتماد على الكتب التاريخية وكتب المناقب،

* استبدلنا نحن أسماء السور بأرقامها التي كان المحقق الإيراني قد أثبتّها [المترجم العربي].

** أثّرنا عدم إثبات هذا المعجم في ترجمتنا؛ لاعتقادنا عدم فائدته للقارئ العربي [المترجم العربي].

مثل مناقب العارفين لأحمد الأفلاكي، ورسالة فريدون بن أحمد سبهبسالار، ومسامرة الأخبار للآق سرايي، ومولانا جلال الدين لعبد الباقي غليينارلي (الترجمة الفارسية لكاتب السطور)، وقاموس الأعلام لشمس الدين سامي، وفهرس مخطوطات متحف مولانا في قونية، والصوفية الأوائل في الأدب التركي (بالتركية)، وبيان مؤلفات مولانا للسيد محمد أوند (مجلدان بالتركية)، ودائرة المعارف الإسلامية (بالتركية) خاصة المقدمة، والخواشي التي أعدها المرحوم عبد الباقي للرسائل. وبسبب إدراك أن مقدمتي المرحوم الدكتور فريدون نافذ أوزلوق والمرحوم عبد الباقي غليينارلي تنطويان على معلومات مفيدة في شأن مولانا جلال الدين والمولوية، أضاف المحقق ترجمتهما إلى الكتاب. وفي تضاعيف العمل استفاد من ترجمته لكتاب «المولوية بعد مولانا»، وهكذا اجتمعت الرسائل.

وعلى هذا النحو، يمكن تلخيص مزايا هذه الطبعة على النحو الآتي:

- ١- أنها جمعت على أساس أصح مخطوطة معروفة للرسائل.
- ٢- أنها تشتمل على ترجمة لكل من المقدمتين التركية والفارسية للرسائل المطبوعة في تركية؛
- ٣- أصبح المخاطبون بالرسائل في هذه الطبعة معروفين من خلال الاستفادة من تعليقات المرحوم عبد الباقي غليينارلي؛
- ٤- عُرِّفت الشخصيات التاريخية المتضمنة في الرسائل في هذه الطبعة، اعتماداً على مصادر المرحوم عبد الباقي وتعليقاته؛

٥- حُدِّدَ ناظمو الأشعار العربية والفارسية المستشهد بها في الرسائل على نحو أكمل كثيرًا مما جاء في التعليقات التركية؛ وفي هذا الصدد أمدّ الصديق العالم العزيز السيد الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني المحقق بتوضيحات دقيقة في شأن ناظمي الأشعار العربية، وأشار بحذف جزء من النسخ البديلة الزائدة، ولذلك أعدُّ شكره فرضًا عليّ.

٦- أُعِدَّ لها معجمٌ للمفردات الغريبة، [٨]

٧- تنطوي على توضيحات تغني طلاب العلم عن الرجوع إلى المصادر المختلفة أو تُطلعهم على مصادرَ مختلفة؛

٨ - ابتغاء سهولة المراجعة، أضيف إلى هذه الطبعة فهرسٌ للأشعار والآيات والأحاديث والأعلام.

في بعض المواضع من المقدمة والمتن والتوضيحات، استخدمت مختصرات نشرها كما يأتي مرتبةً ألفبائيًا:

آند: معجم آندراج، لمحمد بادشاه المتخلص^(*) بـ «شاد»، كتابفروشي خيام، طهران، ١٣٣٥.

اصطلاحات ديواني: الاصطلاحات الديوانية في المرحلة الغزنوية والسلجوقية، حسن انوري، طهران، طهوري، ١٣٥٥.

امثال وحكم: الأمثال والحكم، للعلامة علي أكبر دهخدا، طهران، اميركبير.

* يعني التخلص عند الفرس أن يعتمد الشاعر اسمًا شعريًا له، مثل رودكي ومُعزّي وسعدي وحافظ... [الترجم العربي].

الرائد، معجم لغوي عصري، جبران مسعود، جزآن، بيروت، ١٩٧٨ م.
 فرائد اللال: فرائد اللال في مجمع الأمثال، الشيخ إبراهيم الأحذب الطرابلسي
 الحنفي، جزآن، من دون تاريخ.
 فرهنگ نوادر لغات: کلیات شمس، الجزء ٧، تحقيق المرحوم بديع الزمان
 فروزانفر، طبعة جامعة طهران، ١٣٤٤، ص ١٨١ - ٤٦٨.
 قاموس تركي: قاموس تركي، شمس الدين سامي، مطبعة إقدام، إستانبول
 ١٣١٧.

ل: لغت نامه للمرحوم العلامة علي أكبر دهخدا.
 لسان: لسان العرب، ابن منظور، ١٣٦٣ هـ. ش / ١٤٠٥ هـ. ق.
 م: فرهنگ مرحوم محمد معين.
 مختار: مختار الصحاح، الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، إعداد
 محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦ م.
 مقدمة الأدب: مقدمة الأدب، الزنجشيري، بعناية سيد محمد كاظم إمام، نشر
 جامعة طهران، ثلاثة أجزاء، ١٣٤٣.
 منتهى: منتهى الأرب في لغة العرب، عبد الرحيم بن عبد الكريم صفى پوري،
 جزآن، طهران، سنائي.

منجد: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٦ م.
 كان الدافع إلى مجيء هذا الكتاب إضاءة زوايا حياة العالم الكبير، مولانا جلال
 الدين الرومي. ويؤمل المحقق أن ينال إعجاب الأشخاص الذين [٩] سيقروا به،

ويرجو أنه إذا وجد المدركون للرموز قائلًا للشعر أو رأوا خطأ فيه أن يُعلموا المحقق
بكل صورة يرونها صالحة.

وفي الختام يجد المحقق لزامًا عليه أن يشكر من أعماق قلبه الصديق العزيز جدًا
الفاضل الدقيق النظر جناب أحمد سميعي الذي تحمّل عبء قراءة هذا الكتاب قبل
تنفيذه، وكذلك السيدة آرميدخت جليل نيا التي جمعت أعلام الكتاب بدقة جديرة
بالتقدير.

هو الأول والآخر والظاهر والباطن

توفيق هـ . سبحاني

مقدمة المرحوم عبد الباقي غلبيناري لترجمة الرسائل الطبعة التركية

[١٠] إننا بالطبعة الجديدة لرسائل مولانا نضيف حلقةً أخرى إلى سلسلة آثار مولانا. وأوّل سؤال يمكن أن يتبادر إلى أذهان القراء هو: هل هذه الرسائل هي حقًا رسائل مولانا جلال الدين؟

وابتغاء الإجابة عن هذا السؤال صرنا أثناء التحقيق أكثر تدقيقًا في متن الرسائل. ومن جملة الرسائل، هناك ثلاث رسائل ليست لمولانا. وإحدى هذه الثلاث هي الرسالة الثامنة التي كُتبت إجابةً لرسالة مجد الدين أتابك، حيث يكتب الكاتب إلى مخاطبه قائلاً: «عندما أوصلتُ سلامَ ذلك المخدوم - لا زال مخدومًا - إلى حضرة مولانا - أدام الله ظله - استبشر استبشارًا عظيمًا، وهو يسلمُ عليكم ويدعو لكم... ويتنظر اللقاء والزيارة». وجاء في هذه الرسالة ثلاثة أبيات من غزليات مولانا، وقد أضيفت عبارة: «كما يقول». ويبدو واضحًا أنّ هذه الرسالة ليست لمولانا، ويبدو أنّها كُتبت بتكليف منه من جانب شخص آخر. كذلك لا تشبه طريقة كتابة هذه الرسالة أسلوب مولانا. وأوّل احتمال يتبادر إلى الذهن أنّ كاتبها هو سلطان ولد. وبرغم أنّه لم يكتب: أوصلتُ سلامكم إلى والدي، لا يمكن أن تكون هذه القضية مدعاةً للتشكيك في هذا الشأن. وإنّ الاحترام العميق والإجلال اللذين يظهرهما سلطان ولد لأبيه يمنعانه من إظهار مثل هذه الجملة. ويستفاد من هذه الرسالة أنّ لقب «خداوندگار» [أي مولانا] كان يُستخدم في حياة مولانا أيضًا.

الرسالة الأخرى هي الرسالة ذات الرقم ٥٤ التي كُتبت في إجابة مجد الدين.

ويتجلى من عبارات الرسالة أنها كُتبت بأمر مولانا. والظاهر أن الرسالة المذكورة كتبها سلطان ولد أيضًا.

الرسالة السادسة والستون^(١) أيضًا، التي كُتبت في التوصية بشخص اسمه بهاء الدين، لا يمكن [١١] أن تكون لمولانا؛ لأنه جاء في الرسالة عبارة: «بهاء الدين من أقرباء بيت مولانا». ولا يمكن أن يكون المقصودُ بهاء الدين سلطان ولد فإنه لا يُقال في شأنه «من أقرباء». وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن افتراض أن مجد الدين لم يكن يعرف سلطان ولد؛ ومن هنا لا داعي إلى أن يُضاف توصيف في شأن سلطان ولد.

وباستثناء هذه الرسائل الثلاث، لا يمكن أن نلقى مثل هذه القيود في الرسائل الأخر^(٢). ولذلك يمكن الحكم بأن بقية الرسائل كتبها مولانا نفسه أو كُتبت بأمر منه. ويمكن أن نيتين رأينا في شأن انتساب الرسائل إلى مولانا على النحو الآتي:

١- هناك اختلاف في عدد الرسائل بين المخطوطات الموجودة للرسائل، أمّا متون الرسائل الموجودة فليس بينها اختلاف.

٢- إحدى المخطوطات الموجودة تعود إلى مرحلة بين القرنين السابع والثامن الهجريين. الورق والخط وأسلوب الكتابة تنتمي إلى ذلك الوقت. وهذه المخطوطة لا يفصلها عن زمان حياة مولانا إلا فاصل ضئيل جدًا، أو أنها كُتبت في حياة مولانا.

١- هذه الرسالة باللغة العربية، وفي رسائل مولانا، الطبعة التركية، جاءت بالرقم ٦٤ وفي ص ٧١.

٢- في الرسالة الأولى يمكن العبارة الآتية أيضًا أن تُخذ دليلًا على أن مولانا كان يميل بعض الرسائل: «لا أستطيع المغالاة في هذا لأنّ تدفق هذا البحث يحظني ويحظف الرسالة والكاتب أيضًا».

ونظرًا إلى أن بعض الرسائل فيها مفقودٌ، يرجَّح الاحتمال الثاني. وهذه المخطوطة، لأنها موقوفة لمولويخانة بنى قاپو، نَظُنُّ أنها أخرجت من عتبة مولانا بعد نفي أبي بكر چلبى الأول إلى إستانبول (نفيه ووفاته ١٠٤٨هـ / ١٦٣٦م) ثمَّ جيء بها إلى إستانبول بهدف بيعها، ثم وقعت في صورة من الصُّور بيد أحد المولوية فجاء بها إلى مولويخانة بنى قاپو.

٣- المخطوطة رقم ٧٩ في متحف قونية، كاتبها أثبت مخطوطات سيّد برهان الدين محقق الترمذي ومولانا وحسام الدين چلبى، وحتى «مقالات» شمس التي رُئيت مكتوبةً في حياة شمس الدين التبريزي أدخل قسمًا منها في مجموعته التي جُمعت بين سني ٧٥٢ - ٧٥٥هـ / ٥١ - ١٣٥٤م. ولأنه في هذه المخطوطة أهمل ترقيم الرسائل وأضيفت في الحاشية المطالبُ المنسية، يبدو أن الرسائل نُسخَت عن أصل الرسائل أو عن نسخة مأخوذة عن الأصل.

وهذه الأمور دلائل على أن الرسائل المذكورة هي لمولانا جلال الدين. وأهمُّ دليل على انتساب الرسائل إلى مولانا هي الرسائل نفسها ومحتوى هذه الرسائل .

إن آثار مولانا بنيةً واحدة ومنظومةً واحدة. لم يُظهِر مولانا في أيٍّ من آثاره رأيًا [١٢] ينقضه في أثر آخر من آثاره. ويشير هذا إلى أن مولانا أخرج آثاره إلى الوجود ليس في مرحلة التكامل بل في دورة كمال حياته. ولعلَّ بعض أشعاره في الديوان الكبير لا ينطبق على هذه القاعدة، لكنَّ هذا الاستثناء لا يمكن أن يكسر القاعدة السابقة. ويمكن أن يظفر المرءُ بعُصارة كلام مولانا في كتابه «فيه ما فيه»، ويرى صورةً مفصلةً لذلك في «المثنوي»؛ ويمكن البحث عن خلاصة حكاية من حكايات المثنوي في هذا القول أو ذاك القول من أقواله، كما يمكن التفتيش عن أبيات ديوانه أو رباعياته

وتلميحاته وفكره في مثويته وكلهاته. حتى الأبيات والحكايات المروية في «معارف» والده أو في آثار شيخه سيد برهان الدين موجودة بكثرة في آثاره. وتُرى في آثاره أيضًا الأشعارُ والفكرُ المنسوبة إلى سنائي والعطّار، اللذين كان لمولانا ارتباطٌ كبير بهما. وقد انعكست في تصانيفه أيضًا الحكايات التي تضمنتها «مقالات» شمس وأشعار الشعراء العرب التي كانت محلّ اهتمام مولانا. وتقع «الرسائل» في هذا الإطار نفسه أيضًا. ونوضح هذا الزعم بعددٍ من الأمثلة:

يقول في الرسالة الثالثة: «لا يمكن تقديم النموذج بأكثر من حفنة من المخزن وبقية من الحديقة، إذ لا يمكن الإتيان بالمخزن والحديقة إلى السوق». وقد جاءت هذه الفكرة نفسها في «فيه ما فيه» في الفصل السابع أيضًا.

في الرسالة العاشرة يأتي حديثٌ عن نجم الدين بن حُرّم چاوش؛ وهذا الشخصُ يُذكر في «فيه ما فيه» أيضًا (الفصل السابع والعشرون، ص ٨١). وفي الرسالة نفسها يشير إلى احتراق المدينة في عهد الخليفة الثاني ويقول إنّ الخليفة قال: أطفئوا هذه النار بالصدقة. وقد جاء ذكرُ هذه الحادثة أيضًا في الجزء الأول من المثوي (مثوي، ميرخاني، ص ٩٧). كذلك في الرسالة التاسعة عشرة يتكلم على صورة الصلاة ويشير إلى ابتدائها وانتهائها، وقد جاءت هذه القضية أيضًا في الفصل الثالث من «فيه ما فيه» (ص ٩ - ١٠) وفي الفصل الثامن منه (ص ٢٦ - ٢٨) أيضًا.

كذلك، يمكن العثورُ على ذكر كثير من الحوادث المروية في «مناقب العارفين» للأفلاكي في الرسائل. من ذلك مثلاً أنّ الرسالة السادسة، التي كُتبت إلى سلطان ولد في شأن الاعتناء بزوجه فاطمة خاتون ابنة صلاح الدين، باستثناء جزء ضئيل من

بدايتها، وردت تمامًا في مناقب العارفين (ج ٢، ص ٧٣٢ - ٧٣٤). كذلك فإن الرسالة السادسة والخمسين التي كُتبت لإصلاح ذات البين [بين سلطان ولّد وزوجه] نُقلت في مناقب العارفين، وأضيف إليها أن جمال الدين قمري حمل الرسالة (نفسه ص ٧٣٤ - ٧٣٦).

ويبدو من الرسالة التاسعة والعشرين أن نظام الدين، صهر صلاح الدين، اختير لنيابة الطغراء. وقد وُصف في «مناقب العارفين» بأوصاف من قبيل «سلطان الكاتبين، أستاذ السلاطين، ابن البوّاب الثاني، مُقلّة بن مُقلّة» (نفسه، ٧٢٦). [١٣]

الرسالة الرابعة والأربعون^(١) كُتبت إلى علاء الدين چلبی و سلطان ولّد في التوصية بالاحترام لشرف الدين [لالاي السمرقندي].

الرسالة الثامنة والستون^(٢) كُتبت في شأن تفويض خانقاه نصرة الدين إلى شخص اسمه حميد الدين؛ ونقرأ في «مناقب العارفين» أن بناء هذا الخانقاه اكتمل في حياة شمس (ص ٦٤٨ - ٤٩).

الرسالة الخامسة والسبعون^(٣) كُتبت في شأن تفويض مشيخة خانقاه ضياء الدين الوزير و خانقاه آخر إلى حسام الدين چلبی. ويظهر من «مناقب العارفين» أن خانقاه

١ - الرسالة الثانية والأربعون في الطبعة التركية (أرقام الرسائل مرجعها إلى طبعات تركية وإيران - طبعة جمشيدى پور وأمين، والأفست ١٣٦٣).

٢ - الرسالة ٦٦.

٣ - الرسالة ٧٣.

ضياء الدين الوزير، بعد وفاة شيخ هذا الخانقاه، أُسْلِمَ إلى حسام الدين چلبی، وقد كان اسمُ ذلك الشيخ نفيسَ الدين السيواسي، حتى إن جماعة من ملازمي الخانقاه لم توافق على مشيخة حسام الدين (١، ص ٥٥٨؛ ٢، ٧٥٤-٧٥٨).

الرسالة السادسة والعشرون والمئة^(١) كُتِبَتْ في رعاية حال حسام الدين چلبی، الذي أصبح شيخَ خانقاه ضياء الدين الوزير، ويؤيد هذا المعنى أيضًا «مناقب العارفين».

الرسالة السادسة والسبعون^(٢) يطلب فيها [مولانا] من شيخ اسمه صدر الدين مشيخة خانقاه حُلَّتْ لأجل حسام الدين.

والمخاطبون بالرسائل رجالُ دولة مثل عزّ الدين كيكائوس الثاني، وعلم الدين قيصر، وملك السواحل بهاء الدين مستوفي، وأكمل الدين الطبيب، والنائب أمين الدين ميكائيل، وفخر الدين علي صاحب العطاء وبدر الدين گهرتاش، والقاضي عزّ الدين، والقاضي أكمل الدين، ومجد الدين الأتابك، ومُعِين الدين سليمان پروانه، ومهذب الدين الأمير، ونور الدين جاجا^(٣)، وتاج الدين معتزّ ... أو رجالُ علم يمكن تعرّف أحوالهم في تواريخ السلاجقة وكذلك في رسالة سبهاسالار ومناقب العارفين للأفلاكي. وحتى في ديوان سلطان ولد توجد مدائح لبعضهم (ديوان سلطان

١- الرسالة ١٢٤.

٢- الرسالة ٧٤.

٣- جاء اسمُ هذا الشخص في «فيه ما فيه»، بتحقيق المرحوم فروزانفر، في صورة «جيجه».

ولقد، طبعة تركية، ص ٩٥ - ٩٩)، وكذلك في «فيه ما فيه» يمكن العثور على أسمائهم (انظر في هذا الشأن: أعلام فيه ما فيه، ورسالة سبهسالار، ومناقب العارفين).

[١٤] وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ الرسائل مرتبطة ارتباطاً تامّاً بحياة مولانا وعصره. وتُقدّم لنا معلومات لم نكن نعلمها. من ذلك مثلاً أنّه في الرسالة السابعة يلقّب مولانا ابنه علاء الدّين بلقب «افتخار المدرّسين»، ويستدعيه إلى المدينة، ويطلب منه أن يعود ويرعى شؤون أهله وعياله وطلّابه، ويخبره بأنّ الكدورة التي كانت بينهما قد زالت. وبذلك ندرك أنّه كان لعلاء الدّين أيضاً منصبٌ تدريس، وفي الوقت نفسه تصحّ الرواية المتعلّقة بمخالفة علاء الدّين لشمس.

في الرسالة الثامنة بارك مولانا وهناً بعودة كُبراء الدولة وعظمائها من السّفر وأمل أن يكون هذا السّفر باعثاً لأمن المسلمين وأمانهم. وقد كان باعثُ هذا الكلام أنّ الكبراء أقدموا على هذا السّفر الشاقّ من أجل الحفاظ على أرواح المؤمنين كافّة وراحة الدراويش، وتحملوا مشاق منازل الطريق المتعبة ووطنوا أنفسهم على تحمّل شدة الغُرباء وخشونتهم. وفي الوقت نفسه دعا بأن يكون هذا السّفر سبباً لإظهار محبة المسلمين في قلوب الغُرباء. وقد كُتب في هذه الرسالة - التي قلنا من قبل إنّها ليست لمولانا - أنّ سلامَ المخاطب بالرسالة، الذي هو مجدّ الدّين، أبلغ إلى مولانا، وأنّه هو أيضاً يسلم ويدعو. ومعلوم أنّ مجدّ الدّين هو رفيقٌ لجماعةٍ ذهبت لاستقبال واحدٍ من ملوك المغول أو من أجل عمليٍّ آخر إلى المعسكر، أي مركز حكومة المغول. والمراد من «الغُرباء» في هذه الرسالة المغول.

الرسالة الرابعة والعشرون كُتبت إلى شخص عصفت ريحُ الغرور برأسه، وبيّنت

كم تحمّل كاتبُ الرّسالة بسببه من العناء والمشقة. وقد نُصِحَ فيها المخاطبُ ضمناً. في الرّسالة السّابعة والسّتين^(١) «خُوطب علاء الدّين مرّةً أخرى بلقب «محبوب الأوّابين»، وقُدِّمت له النصائح.

الرّسالة الثّالثة والعشرون كُتبت إلى القاضي بعد وفاة علاء الدّين في شأن تَرِكَته (انظر أيضاً: مناقب العارفين، ج ١ ص ٥٢٣؛ ج ٢، ص ٦٨٦ و ٧٦٦).

الرّسالة الحادية والثلاثون في شأن عمل ابن مولانا (أمير العالم) في أعمال الدولة. الرّسالة السّابعة والتسعون^(٢) في شأن فاقة أمير العالم وكثرة عياله وطلب العون الماليّ له (مناقب العارفين، ١ ص ١٩٩، ٢٥٤ - ٢٥٥، ٤٨١ - ٤٨٢، ٤٨٨ - ٤٨٩، ج ٢، ٧٥٢، ٧٨٩، ٨٢١).

[١٥] الرّسالة الثامنة عشرة والمئة^(٣) تبيّن أنّ أمير العالم چلبی قد اختلف مع حسام الدّين، وأوصي على نحو جدّي بالاستحواذ على قلبه.

الرّسالة الرابعة والخمسون^(٤)، برغم أنّها ليست لمولانا، تُطلعنّا على أنّ أمير العالم، خلافاً لظنّنا، لم يبق في خدمة الدولة إلى آخر حياته، بل إنّهُ في الآخر ترك عمَل الدّیوان وسلك طريق والده، فصار درویشاً وارندى خِرقة الصّوفية.

١- الرّسالة ٦٥.

٢- الرّسالة ٩٥.

٣- الرّسالة ١١٦.

٤- الرّسالة ٥٢.

الرسالة الخامسة عشرة موضوعها طلبُ العون المالي لحسام الدين چلبی في بناء حائط البستان الذي أنفق حسامُ الدين في ترميمه كلَّ أملاكه.

الرسالة السادسة والثمانون^(١) في طلب أداء دين [ورثة صلاح الدين] الذين كانوا اشتروا بستانًا ولم يفِ الأشخاص الذين وعدوه بالمساعدة بوعدهم. وبين الرسائل رسائلُ طلبت فيها المساعدة لصهر حسام الدين چلبی وصهر صلاح الدين زركوب. ويظهر من الرسالة الخامسة والخمسين^(٢) أنه كان في عصر مولانا أناسٌ كانوا ينوون في مراسم التعزية بالمتوفين وكانوا يجعلون هذا الأمر شغلهم الشاغل. وفي الرسالة السادسة والثلاثين يكتب [قائلًا] «إن جماعة أصحابنا، باستثناء نفر محدود قد وقعوا تحت المطالبة بالخراج، وطلب العفو المالي عنهم.

الرسالة الثانية والخمسون^(٣) شكوا فيها مولانا من أناسٍ يؤذون الدراويش. وفي هذه الرسالة استخدم مولانا لغةً قاسيةً جدًا، حتى إنه كتب يقول: «إذا ما رحلنا عن المدينة وتحملنا العناء لا نتركوننا، وإذا ما أقمنا فإن هذا النفر القليل من الدراويش لا ينقطعون عنا...»

ويظهر من الرسالة الثانية والثلاثين والمئة^(٤) أن مولانا عُيِّن في مشيخة الخانقاه،

١- الرسالة ٨٣.

٢- الرسالة ٥٣.

٣- الرسالة ٥٠.

٤- الرسالة ١٣٠.

وأن جماعة كتبت قائلة إن مولانا لا يحضر في ذلك المكان. ويكتب مولانا [قائلاً] إنني من الصباح إلى مساء أجلس في ذلك المكان، ويضيف إنني لا أهتم بالمال وبمنازل الدنيا مثل الشيوخ الآخرين، ولا أعمل من أجل الشؤون الدنيوية. وفي هذه الرسالة أيضًا استخدم لغة قاسية.

الرسالة السابعة والثمانون^(١) كُتبت في شأن إعفاء عدد من الدراويش من الضرائب، وطلب صدور أمر ملكي من أجل النظر عند اللزوم.

الرسالة التاسعة والثلاثون والمئة^(٢) كُتبت إلى سيّدة ذات ألقاب «فاطمة العصر، خديجة الدوّران، مريم الزمان». ونظنّ أنّ هذه هي السيّدة نفسها التي تُحدّث في الرسالة الثانية والثمانين^(٣) عن زاويتها، [١٦] إذ ذهبت جماعة إليها وأزعجت الدراويش ويطلب مولانا أن يُزال هذا الإزعاج. وهذه القضية مهمّة على الحقيقة، إذ تُدير سيّدة زاوية وتكون متوليّة أمر المشيخة فيها^(٤). الرسالة السادسة والستون^(٥) كُتبت أيضًا إلى سيّدة «انحدرت من سلالة رئيس الرؤساء ولها طبعُ الملوك». الرسالة

١- الرسالة ٨٥.

٢- الرسالة ١٣٧.

٣- الرسالة ٨٠.

٤- انظر: مولانا جلال الدين، مبحث «المرأة ومولانا» ص ٣٣٧-٣٤١، الترجمة الفارسية لكاتب هذه السطور، و

«المولوية بعد مولانا» فصل «متزلة المرأة في عقيدة مولانا»، ص ٢٧٨-٢٨١.

٥- الرسالة ٦٤.

الثامنة والعشرون بعد المئة^(١) كُتبت أيضًا للسؤال عن حال سيّدة مريضة.

يفهم من الرسالة الثمانين^(٢) أنّ الوالي قد أزعج أتباع حسام الدين چلبّي. وقد همّ حسام الدين مرّات كثيرة بأن يترك قونية. ويُحتمل أنّ هذه الواقعة قد نشأت بسبب زاوية ضياء الدين الوزير.

الرسالة الخامسة والتسعون^(٣) في شأن واحد من أتباع مولانا اسمه شمس الدين التاجر الذي طالبه أمير أكدشان سيواس بالضرائب وسلك في هذا الشأن طريق الإفراط. وفي هذه الرسالة أوصي بأن يُقلع الأخير عن ذلك.

الرسالة السابعة عشرة في شأن أن لا تُؤخذ الضرائب من شخص اسمه كمال الدين، وكان قد أفلس.

في الرسالة الثانية والأربعين يكتب مولانا [قائلًا] إنّ المغول يطلبون بغلاً وهو يريد أن يمنعهم من هذا العمل.

في الرسالة السادسة والعشرين يطلب إعفاء صهره شهاب الدين من الضرائب. الرسائل التاسعة والسبعون^(٤) والثلاثون والمئة^(٥) والحادية والثلاثون والمئة^(٦)

١- الرسالة ١٢٦.

٢- الرسالة ٧٨.

٣- الرسالة ٩٢.

٤- الرسالة ٧٧.

٥- الرسالة ١٢٨.

٦- الرسالة ١٢٩.

كُتبت إلى حسام الدين چلبی. وفي الرسالة الحادية والثلاثين والمئة خاصة تحدّث عن مرضه وعجزه. وهذه الرسالة من جهة الإخلاص والبلاغة والأسلوب البياني والنصاعة عديمة النظير.

في الرسالة الثامنة والخمسين^(١) التي كُتبت في التوصية بفرد من آل بيت الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم)، يطالعنا الاحترام العميق الذي كان مولانا يُكنّهُ للسادة. وفي حكاية من حكايات المثنوي أيضًا يلاحظُ هذا الاحترام القلبيّ (الجزء الثاني، ص ١٥٢).

وفي الرسائل يمكن أن نرى ذلك الاحترام العمليّ الذي يُبرزه مولانا للكبراء، وكذلك [١٧] عزّة نفسه ورفعته وفي الوقت نفسه حيائه وتواضعه الجَمّ. ومعلوم أنّه لا يستطيع أن يصدّ أحدًا، ومن ثمّ كان لديه إحساس عميق بالمحبة والشفقة إزاء البشر والبائسين وكان يسامح المقصّرين وذوي الزلّات، ويمكن القول باختصار إنّنا في الرسائل يمكن أن نرى مولانا بآتم خاصّياته وصفاته. ومن ذلك مثلاً أنّه في رسالة يكتبها إلى عزّ الدين كيكائوس الثاني يدعو نفسه أبا والمليك ابته، ابنٌ محتاجٌ إلى النصّح والإرشاد. ينصّحه ويطيّب نفسه على نحو أبويّ. وعند مولانا أنّ السلطنة الحقيقية هي السلطنة على القلوب. في الرسالة السادسة، التي كُتبت إلى سلطان ولّد في التوصية بزوجه، يكون الملك صلاح الدين زركوب، الذي هو سلطان القلوب. ونخال أنّ المقارنة بين هاتين الرسالتين ومطالعة الرسائل التي كُتبت إلى حسام الدين، توضّحان

وجهة نظرنا تمامًا. ونتبين من الرسالة الرابعة والعشرين أن لقاء الأمراء، في أي شأن من الشؤون، أمرٌ مزعجٌ لمولانا، كما يظهر من الرسالة الستين^(١) أنه لا يذكر رغباته الداخلية أيًا كانت.

نحن نعلم أن مولانا كان يقرأ آثارَ سنائي (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ - ٣١١م) والعطار (ت ٦١٨ هـ / ١٢٢٠ - ٢١م^(*)) باستمرار وكان يتحدث عنهما، وكان أصدقاء مولانا، قبل نظمته المثنوي، يقرؤون آثار سنائي (راجع: مناقب العارفين، قسم الأعلام، تحت اسمي سنائي والعطار).

يورد مولانا البيت الآتي لسنائي مع ذكر اسم سنائي في الجزء الأول من المثنوي (ص ١٠٨):

إنَّ كُلَّ قولٍ عاقلٍ عن التقدّم في الطريق يستوي فيه الكفرُ والإيمان،
وكلُّ صورة أوقعتك بعيدًا عن الحبيب يستوي فيها الحسنُ والقبح
(الديوان، ص ٤٨)

كذلك أورد البيتين الآتين في الجزء نفسه من المثنوي (ص ١١٦، البيتان ١٩٠٦ - ١٩٠٧):

لا بدّ للدّلال من وجهٍ كالوَرْد
فإذا لم يكن لديك مثلُ هذا الوجه فلا تلزمُ سوءَ الطبع

١- الرسالة ٥٨.

* هكذا جاء تاريخ وفاتها في الأصل؛ وهناك اختلاف كبير في هذا الشأن [المترجم العربي].

فقيحٌ أن يتدلَّ وجهٌ قبيحٌ

وصعبٌ أن تتألم عينٌ عمياء

(الديوان، ٦٢٢)

وقد ذُكر البيتان الآتيان للسَّنائي مع التصريح بأنهما للحكيم سَنائي في الجزء

الأول من المثنوي (ص ١٢٤):

[١٨] إنَّ في عالمِ الرُّوحِ سماواتٍ متحكِّمةٍ بسِماءِ الدُّنيا

وفي طريقِ الرُّوحِ منخفِضاتٍ ومرتفعاتٍ وجبالاً عاليةً ومحيطاتٍ

وبرغم أنَّ هذين البيتين على وزن «حديقة الحقيقة» لسَنائي، لم يأتيا في طبعة السيد

مدرّس رضوي. والبيتُ الأول من هذين البيتين ذُكر في «فيه ما فيه» أيضًا (ص

٢٢٣).

وقد جاء البيتُ الآتي لسَنائي في الجزء الخامس من المثنوي (ص ١٦٠):

ليس يَبْتَنا بيتًا بل هو إقليم،

وليس هَزُلْنَا هَزَلًا بل هو تعليم.

وفي المثنوي بيتان آخران ليسا على وزن المثنوي ولهما وزن «حديقة الحقيقة»

لسَنائي، لكننا لا نجدُهما في حديقة الحقيقة (المثنوي، طبعة علاء الدولة، الجزء

الخامس، ص ٥٤٣، والجزء السادس، ص ٥٧٦).

وقد أخذ مولانا بيتَ سَنائي الآتي من حديثه وجعله مطلعًا لِعَزَلِ (كَلَيَاتِ

شمس، ج ٢، ص ٢٤٧):

يصنعُ الصوفيَّةُ في لحظةٍ عيدين،

وتصنعُ العناكبُ من الذبابة قديداً

(الحديقة، ٣٦٩)

والغزلُ الآتي في المطلع

صار المعشوقُ جميلاً جعله الله كذلك إلى الأبد

وصار كفره كله إيماناً جعله الله كذلك إلى الأبد

(كليات شمس ١، ٥٥)

نظيرُ لغزلِ سنائي:

صار المعشوقُ جميلاً جعله الله كذلك إلى الأبد

وصار كفره كله إيماناً جعله الله كذلك إلى الأبد

(الديوان، ٨٣٨)

والتغييرُ الذي أدخله مولانا فيه هو فقط زيادةُ حرف واحد في آخر قافية الغزل.

ونضيفُ أن هذا البيت جاء في المجالس السبعة أيضاً وكذلك في «سندباد نامه» لمحمد

ابن علي ظهيري السمرقندي الذي أُلّف في القرن السادس الهجري / الثاني عشر

الميلاديّ (سندباد نامه، ص ١٩٧؛ مولانا جلال الدين، ص ٤٠٣).

[١٩] والغزلُ الآتي لمولانا:

تقدّم تقدّم، كم من قطع الطريق هذا؟

عندما تكون أنت أنا وأنا أنت، فلم أنت وأنا؟

(٢٤٣، ٦)

على وزن الغزل الآتي لسنائي:

وفي النهاية اخجل، كم من سوء الطبع هذا؟
عندما تكون أنت أنا وأنا أنت، لم أنا وأنت؟
(الديوان، ١٠٢٠)

غزلُ مولانا الذي مطلعُه:

مجلس طربٍ وشرابٍ ياقوتي وحنّ وفجور
الملك قلندر، والقلندر بريء منه
(٢٣٤، ٦)

نظيرٌ للغزل الآتي لسنائي:

عشقٌ وشرابٌ ودلالٌ وحنّ وفجور،
وكلُّ من نال نصيباً من ذلك غداً خلوا من الهموم.
وغزلُ مولانا ذو المطلع الآتي:
أيا من وصالك ماء الحياة
أنت تعلمُ تدبيرَ خلاصنا
(٧٤، ٦)

ناظرٌ إلى الغزل الآتي للسنائي:

يا من أنت العينُ والمصباحُ لذلك العالم،
ويا من أنت الحسناءُ والشمعُ للسماء
(الديوان، ١٠٣٧)

وغَزَلُ مولانا ذو المطلع:

قلْتُ للقلب: لماذا أنت هكذا؟

إلى متى تظلّ جليسا للعشق؟

يذكرُ بالغزل الآتي لسنائي:

[٢٠] أنت آفة للعقل والنفس والدين،

أنت محسودُ الجنّ والحُور العين.

(الديوان ١٠٣٩)

ويقول مولانا في غزل جميل:

قال أحدهم: مات السيّد سنائي

وموتُ سيّد كهذا ليس أمرا هينا

ليس هو قشةٌ طارت بالرياح

وليس هو ماءٌ جمده الصقيع

ليس هو مشطاً كسرته شعرةٌ

وليس هو حبةٌ خبأها التراب

(٢٥٨، ٢)

وهذا الغزل متأثرٌ بالقطعة الآتية لسنائي:

ماتَ سنائي وكأنه لم يمض

إنّ موتَ ذلك السيّد ليس أمرا يسيرا

عاد الروحُ العزيزُ إلى أبيه

وَأُسْلِمَ الْقَالِبُ التَّرَائِيَّ [الجد] إِلَى أُمِّهِ

رَجَعَ مِنْ مُلْكٍ إِلَى مُلْكٍ

فَعَاشَ الْآنَ مَنْ قُلْتَ إِنَّهُ مَاتَ

(الديوان، ١٠٥٩)

البيت الآتي للعطار مُثَبِّتٌ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمِثْنَوِيِّ (ص ٩٩):

أَيُّهَا الْغَافِلُ، إِنَّكَ صَاحِبُ نَفْسٍ حَسِيَّةٍ فَاشْرَبِ الدَّمَاءَ وَأَنْتَ تَتَمَرَّعُ فِي التَّرَابِ،

أَمَّا صَاحِبُ الْقَلْبِ فَلَوْ شَرَبَ السَّمَّ لَصَارَ هَذَا تَرْيَاقًا

(الديوان، ٢٢٤)

وَالْبَيْتُ الْآتِي لِلْعَطَّارِ:

إِنَّ الْخَمْرَةَ الَّتِي تَشْرِبُهَا حَرَامٌ

وَنَحْنُ لَا نَشْرَبُ إِلَّا خَمْرَةَ الْحَلَالِ

(الديوان، ٥١٨)

جاء في الجزء السادس من المِثْنَوِيِّ (ص ٣٠٩).

غَزَلَ مَوْلَانَا الَّذِي مَطْلَعُهُ:

[٢١] مَا الْعِشْقُ إِلَّا السَّعَادَةُ وَالْعِنَايَةُ

إِلَّا سُرُورُ الْقَلْبِ وَالْهُدَايَةُ

(٢٨٩، ١)

نَظِيرٌ لَغَزَلِ الْعَطَّارِ:

لَيْسَ كَلَامُ الْعِشْقِ سِوَى إِشَارَةٍ

الْعِشْقُ لَا تَقْيِدُهُ الْإِسْتِعَارَةُ

(الديوان، ١٥٢)

وقد أثبت مولانا البيت الآتي نفسه:

لم يدرس أبو حنيفة العشق،

وليس للشافعي رواية فيه^(١)

وفي مقدرونا أن نزيد في عدد هذه النماذج، لكننا نريد أن نبيّن أن مولانا سار في الطريق الذي سار فيه سنائي والعطّار، واستخدم مضموناتهم وأوزانهم وقوافيهم وأنواع رديفهم^(*). ونضيف أننا لم نُغفل القول إنّ مولانا لم يكتف بالإنّيان بالنظائر والأشياء. فليس هناك شاعرٌ فيلسوفٌ مفكّرٌ لا يستفيد من كلام الشعراء والفلاسفة والمفكرين الذين سبقوه وآرائهم وأشعارهم. والقدرةُ المبدعةُ والدافعُ المنظمُ وقابليةُ التلفيقِ لديه تمزج ذلك الكلام وتلك الآراء والفكرَ بالخاصية المضافة من عنده، وتصنع ذلك من جديد وترتبه ترتيباً جديداً وتمزجه بصفاته المميزة. ومن خلال الإلهام الذي يستمدّه من معطيات عصره يضيف إلى ذلك قدرته المبدعة، فيعطي الفكرَ وجهةً جديدة، ويستبدل بذلك كلاماً جديداً، ويتقدّم ويضيف إلى المجالات التي تأتي بعده مجالاتٍ أخرى، ويبادر إلى إظهارها... وأظنّ أنّ النبوغ هو هذا. حتّى الأديان، التي تستمدّ القوة من مصادر فوق الطبيعة، تستفيد من الأديان التي سبقتها ومن الأعراف المنظمة الأقدم عهداً، وتهتمّ بتوعية الناس بمحيطهم وعصرهم وتربيتهم، ونضيف إلى

١ - عبد المرحوم فروزانفر هذا البيت لسنائي؛ ولاحظ أنّ هذا المضمون عنه جاء في ديوان العطّار.

* مصطلح فارسي يُراد به كلمة تتكرّر في أواخر الأبيات [الترجم العربي].

ذلك أشياء أُخِر. مثلها في العهد الجديد جاء قولُ عيسى (عليه السلام): «ما جئتُ لإبطال الشرائع السابقة، بل جئتُ لأتمّها» (متّى، الباب الخامس، ١٧ - ١٨). وذكر هذا الحديثُ على لسان الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم) «إنها جئتُ لأتمم مكارم الأخلاق» (الجامع الصغير، ١، ٨٦).

[٢٢] قرأ مولانا كلّ أشعار الشعراء الذين سبقوه وأنعم النظرَ في آثار المفكرين. وأذاب براعتهم في البلاغة في بُوتقة براعته وجعلَ فكرهم أساساً لفكره الخلاق. وكان له نصيبٌ من الصّوفية الذين سبقوه ممن أدرك أنّ لهم مَثَرَبه، وأذاب مدركاتهم في مدركاته. وليس في وسعنا أن نجد لدى أيّ شاعر وأيّ صوفيّ المهارة التي يعبرُ بها مولانا عن نفسه لغويّاً، والقابلية التي يمتلكها في إنشاء الموضوعات بصور مختلفة من البيان، والبصيرة التي لديه، والقدرة على الإبداع والتفكير الإنسانيّ. التنظيم الذي أعطاه للتصوّف لا يمكن أن يُلَمَس عند أيّ صوفيّ آخر (انظر: مولانا جلال الدين، مبحث «التصوّف في نظر مولانا»، ص ٢٧٣ والفصل الرابع، ص ٣٩٩ وما بعد). ونذكّر هنا بأن البيت الآتي، برغم أنّه حديثٌ كلّ مجلسٍ ومحفلٍ، ليس لمولانا:

كان العطارُ الرّوحَ والسّنائي عينية

وجئنا نحن على أثر السّنائي والعطار

هذا البيتُ في ديوان سلطان ولد على النحو الآتي:

كان العطارُ الرّوحَ والسّنائي عيني القلب،

وأتيّا قِبلةً للسّنائي والعطار

(طبعة تركية، ص ٢٧٧، ب ٥٧٠٠)

وبرغم الاحترام الذي يكتنه مولانا لسنائي والعطار، كان يقول: «إن السيد سنائي وحضرة فريد الدين العطار كانا من كبراء الدين البارزين، لكنهما تكلمتا في الأعم الأغلب على الفراق، أما نحن فكان كلاً منا كله على الوصال» (مناقب العارفين، ١، ٢٢٠) وعلى هذا النحو قاس نفسه بهما وأوضح قيمة نوعي الكلام.

كان مرادنا من مقارنة أشعار مولانا بأشعار سنائي والعطار أن نبين أن مولانا في رسائله أيضاً، على غرار مثنوية ودبوانه، استعمل أشعار سنائي والعطار وفقاً لتناسب المقال واقتضاء الحال استعمالاً وافراً، وكان علينا أن نُعَدَّ مجالاً لهذا الكلام.

وقد أدخلت أبياتاً من «حديقة الحقيقة» للسنائي في الرسائل: الثانية، والثالثة، والخامسة، والتاسعة عشرة، والحادية والعشرين، والرابعة والعشرين (في موضعين)، والثلاثين، والثالثة والخمسين، والحادية والسبعين، والسادسة والثمانين، والثالثة بعد المئة، والثانية والثلاثين بعد المئة.

وفي الرسائل: الثلاثين، والثامنة والثلاثين، والثانية والأربعين (في موضعين)، والتاسعة والثمانين، والحادية والتسعين، والثالثة بعد المئة، والثامنة عشرة بعد المئة، والرابعة والعشرين بعد المئة، والسادسة والثلاثين بعد المئة، والسابعة والثلاثين بعد المئة، يمكن أن نجد أبياتاً [٢٣] من ديوان سنائي. وفي الرسالة السابعة والثلاثين أيضاً بيتٌ أُخِذَ من العطار. ونرى أن نسيج الرسائل أيضاً، مثل فيه ما فيه الذي جاء تدويناً لخطبه والمثنوي الذي هو أثر تعليمي، متفق مع نسيج ديوان [شمس تبريز] الذي ألف أكثره من غزليات مرتجلة وأشعار نُظمت حسب المناسبات.

ولم يستفد مولانا في الرسائل من أشعار سنائي والعطار فقط، بل اختزنت حافظة

هذا العالم الكبير أشعارًا كثيرة من الأدب العربي والأدب الفارسي مع كل جمالياتها. وهو عند اللزوم يستدعيها في خاطره، فيكتبها ويمليها. ويقول الأفلاكي خاصة إن مولانا كان متعلقًا بالمتنبي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٩م) (٢/ ٦٢٣). وقد أثبت في الرسائل: الأولى، والسادسة (في موضعين)، والثانية عشرة، والسابعة والأربعين، أبيات لهذا الشاعر العربي. وذكر في الرسالة الثانية عشرة بيتًا للشيخ شهاب الدين الشهروردي المقتول (٥٨٧هـ / ١١٩١م) الذي كان محل محبة وثناء لدى شمس (انظر: مولانا جلال الدين، ص ١٠١). وذكر في الرسالة الأربعين بيتًا لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م)، وفي الرسالة الخامسة بيتًا لطرفة (ت ٥٥٠م)، وفي الرسالة الخامسة والخمسين بيتًا للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م). وفي الرسالة الحادية والعشرين بعد المئة نقلت كلمة من بيت لامرئ القيس (ت ٥٦٦م)؛ وفي الرسالة الواحدة بعد المئة بيت ذكر في مقالات شمس؛ وفي الرسالة الثانية والعشرين بعد المئة أخذ بيتان من الشاهنامة.

وعلاوة على هذه الأمور جميعًا، فإن طريقة التعبير في الرسائل شبيهة تمامًا بطريقة التعبير في «فيه ما فيه». وما خلا بدايات الرسائل، فإن لغة الرسائل هي تمامًا لغة التخاطب والفارسية الدارجة بين الناس. ويعمد مولانا في الرسائل، مثلما هي الحال في مقالاته، إلى جعل موضوع عنوانًا أيضًا ثم يأتي بالأمثلة لذلك ويرد ذلك بالآيات والأحاديث المناسبة والكلمات المطابقة للموضوع، ويدخل إلى الحكايات ويستعيد ذكريات الماضين. وعلى غرار خطبه يُجسّد في رسائله أيضًا الإخلاص المفرط والهيجان العميق والتحرّق الداخلي والبيان المقنع والإيمان الراسخ والقدرة المنطقية الخارقة.

ومثلما كان مولانا متحرّراً في فكره وحياته وحتى في شعره، كان في رسائله متحرّراً أيضاً. لا يلزم مخاطبَه، اتّباعاً لأسلوب زمانه، بالقواعد الجامدة للترّسل في موضوع الخطاب. يحدث المخاطب بالطريقة نفسها التي تظهر فيها المعاني من قلبه. وفي الرسائل، حتى في العناوين أيضاً، لا يتّبع أعراف العصر.

[٢٤] كيف وصلنا إلى هذه النتيجة؟

لدينا عددٌ من كُتب الترسّل في ذلك العصر. أحدها كتابٌ «غُنيَةُ الكاتب ومُنيَةُ الطالب» لحسن بن عبد المؤمن الخوئي^(١). ولأنّ هذا الكتاب قد كُتب في الشهر الثاني [كذا] الهجريّ من القرن الثامن (١٣٠٩م) يُعدّ من كتب القرن الثالث عشر الميلاديّ. ويكتب المؤلّف [قائلاً] إنّ الرّسائل في خطاب الملوك لا بدّ أن يُكتب فيها: «فلان الدّنيا والدين»، وفي خطاب الوزراء والكبراء: «فلان الدولة والدين»، وفي خطاب رؤساء الدين: «فلان الملة والدين» وفي خطاب المشايخ: «فلان الحقّ والدين» (B ٧٣). وجاءت في هذا الكتاب عناوين أخر أيضاً (B ٧٣).

١ - في مكتبة فاتح، المضمومة إلى المكتبة السليمانية في إستانبول، برقم ٥٤٠٦. ضمن مجموعة أبعادها ١٦x١٢، جلد غنم. بخط النسخ في العصر السلجوقي، بأبعاد داخلية ١٢.٥x٩. تعدد سطورها مختلف. ضمن المجموعة: نصيحة الملوك للغزالي من (b١ إلى a ٥٨)، وقواعد الرسائل وفرائد الفضائل لحسن عبد المؤمن، ٥٩ a - ٧١ b، ورسالة غنية الكاتب ومنية الطالب للمؤلّف نفسه ٧٢ a - ٩٨ b. وبرغم أنّه ذُكر في آخر نصيحة الملوك تاريخ الفراغ من الكتابة، إذ دُوّن الكتاب في أوائل صفر من سنة ٧٠٩ هـ لم يُذكر اسمُ الكاتب. وأضيف في نهاية كتاب الغنية أيضاً أنّه استُسخ في أواخر ربيع الأوّل من سنة ٧٠٩ هـ في قلعة زلفرا. وقد طُبِع هذا الكتابُ بعناية السيد الدكتور صادق عدنان ارزي في جمعية تاريخ التّرك.

ورسالة «قواعد الرسائل وفرائد الفضائل» لحسن بن عبد المؤمن ناقصة. ولم يبق من القسم الثاني الذي عنوانه «المقاطع» سوى ورقة أو ورقتين، وتستمر الرسالة من a ٥٩ إلى b v١ (حُذف في الترجمة عدد من الأسطر).

لطريقة الكتابة في هذه الرسائل أسلوب آخر. ولا تشبه رسائل مولانا النهاج الموجودة في هذه الرسائل. كذلك لم يكن مولانا متبعا لأي قيد في الأسماء المختومة بـ «الدين» التي راجت في مرحلة السلاجقة. كان يكتب «مجد الدولة والدين» و «أكمل الحق والدين» و «معين الدولة والدين» و «علم الدولة والدين» و «جلال الدولة والدين» و «معين الحق والدين» ... وليس لديه أي تفكير بهذه القيود.

وفي شأن الملك كان يستعمل ألقاب «ناصر الخيرات، فريد العالم، نادرة الزمان ... السلطان سليل السلاطين، الأمن والرحمة للبلاد والعباد، المتوكل على الله، المخصوص بفضل الله، قبلة الإقبال، كعبة الآمال، خلاصة الوجود، فخر آل داود» (الرسالة الثامنة والثلاثون)، وهناك نماذج آخر لم تترجم.

وجربا على العادة استعملت كلمات تركية كانت مستعملة في رسائل ذلك الزمان في رسائل مولانا من مثل «اغزلو الغ قتلغ بلكا دلكا اينانج = اوغورلو اولوغ قوتلو بلنه ديلنه اينانج (سعيد عظيم مقدس، صاحب لسان [٢٥] ونفس خاص به) (الرسالة العشرون)، الغ قتلغ (الرسالة السادسة والعشرون)، بلكا دلكا اينانج (الرسالة الحادية والثلاثون)، قتلغ الغ (الرسالة السادسة والستون)، الغ قتلغ الپ (الرسالة السادسة والتسعون)، الغ قتلغ دلكا بلكا الپ (الرسالة الحادية بعد المئة)، الغ ال (الرسالة الخامسة والعشرون بعد المئة)، وكلمات من هذا القبيل.

وبصرف النظر عن الكتب التي أثبتناها من الناحية التاريخية، لدينا كتاب آخر ألف في سنة ٧٦٧ هجرية / ١٣٦٦م في مدينة تبريز شُرحت فيه أساليب الترسل الشرقي. واسمُ هذا الكتاب «دستورُ الكاتب في تعيين المراتب» وقد ألفه محمد بن هندوشاه المشهور بشمس المنشئ النخجواني من أجل الشيخ أويس بهادر خان (٧٥٦ - ٧٧٦هـ / ١٣٥٦ - ١٣٧٤م). وقد أثبت في هذا الكتاب قواعدُ أحدثُ في موضوع ترسل تلك المرحلة والمراحل التي سبقتها، برغم ارتباط هذه القواعد على الأكثر بالبلاد التي كُتب فيها الكتاب. ويُحفظ في مكتبة كوبرلي في إستانبول تحت الرقم ١٢٤١ بنسخةٍ من هذا الكتاب كُتبت في سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥ - ٩٦م. وقد جاء في هذا الكتاب الألقاب التي ينبغي أن تُستخدم في الرسائل التي تُكتب إلى سيّدات السلطنة (a٢٢)، والوزراء (a٨١ - b٨٢)، وقاضي القضاة (a٨٤ - b٨٥)، والقضاة (a٨٥ - b)، وإلى نواب السلطنة (a٨٦). كذلك شُرحت طريقة الدّعاء في الرّسائل. أمّا في رسائل مولانا فلا نصادف شيئاً من أمثال هذه الألقاب.

ونرى أنّ مولانا في الرّسائل وفي عناوين الرّسائل لا يراعي قواعدَ تشريفات الترسل وضرورات كتابة الرّسائل. وفي الرّسائل خاصّة لا توجد كلماتٌ من مثل «بنده زمين عبوديت مى بوسد واز فضل ... = يقبل المولى أرضَ العبوديّة ومن الفضل ...» (قواعد الرّسائل، ص ٧٩).

وإذ يهتم مولانا بأخلاقٍ مخاطبه واعتقاده وعلاقاته الإنسانية الأساسية وعمل الخير الذي يصدر عنه وحالاته النفسيّة، يقدّم له في مطالع الرّسائل، عدا أسماء المقامات والدرجات، كلّ كلمةٍ تناسب تشخيص هذه الأمور، يختارها ويكتب

الوصفَ الحقيقيَ لمخاطبه.

بعض من الرسائل إجابات لرسائل أرسلت إليه. ومن بينها واحدة ليست رسالة تقريباً. بل هي في جملتها عباراتٌ ممتزجة بالتوصيف. وليس في هذه الرسالة مخاطبٌ أيضاً. والظاهر أنها مسودةٌ كُتبت على الصورة نفسها (الثالثة عشرة). واحدة أخرى في إجابة واحد من العظماء كان قد طلب بيانَ أركان السلوك وشروطه في سطرين أو ثلاثة. ويكتب مولانا [قائلاً]: إنَّ أحوال الظاهر كُتبت في ثلاثة أسطر ليس لأي سطر منها نهاية [٢٦] واضحة، سطرٌ لأحوال الماضي، وسترٌ لأحوال الحاضر، وسترٌ لأحوال المستقبل، هذا برغم أنَّك تقرأ كل سطرٍ فلا تصل إلى نهاية، فكيف نطلب جمع أحوال الباطن في ثلاثة أسطر؟ (الرسالة الخمسون)^(١).

ويوجد بين رسائل مولانا، الذي يقول الشعر بلغة الخطابة ويكتب بلغة الشعر، رسالة واحدة فقط كُتبت إلى عارف اسمه خواجه جهان [سيد العالم]، وهو رجلٌ صاحب اقتدار، بثر مُسَجَّع. وفي الوقت الذي تنطوي فيه هذه الرسالة على جملٍ قصار كُتبت باستخدام السجع، واعتماد السجع في كتابة هذه الرسالة وسط جملة رسائل مولانا يجعل المرء يتصور أنَّ هذا الشخص المسمى خواجه جهان كان شخصاً متعلقاً بالتسجيع وبكتابة السجع، وقد شاء مولانا أن يخاطب هذا الشخص الذي يحبه بلغته هو. ويمكن القول على جهة التقريب إنَّ رسائل مولانا الأخر جميعاً، كُتبت إما في الإيضاء بشخص، وإما في طلب إنجاز أمر، وإما من أجل الدلالة على أمر مرغوب،

وقد أرسل معظمها أيضًا من خلال أشخاص.

ويذكر الأفلاكي أن مولانا في الأمور الضرورية كان يكتب الرسالة ويرسلها:

- يكتب رسالة إلى پروانه يشفع فيها لشخص قتل شخصًا. فيكتب پروانه في الإجابة قائلاً إن هذه القضية لا تمانل القضايا الأخرى، إن هذه الحكاية حكاية دم. فيقول مولانا في إجابة الشخص الذي أتى برسالة پروانه: مهما يكن، فإنه يُقال عن الدّم إنّه ابنُ عزرائيل. فيُعجب پروانه بهذه العبارة ويقنع الخصوم بالدية ويُطلق سراح الجاني (١، ١٥٥).

- يحكي شمس الدين ولد مدرس أنه تحدث في قونية واقعة عظيمة فيأتي أهل قونية إلى سلطان ولد ويستغيثون طالين أن يكتب مولانا رسالة إلى پروانه ويتوسط لهم عنده، فيحدث سلطان ولد مولانا بما جرى، فيرسل مولانا رسالة إلى پروانه، فيمسك پروانه بالرسالة ويقبلها ويقرؤها، وينفذ مراد أهل قونية (١، ٢١٧).

- يأتي أحد المدينين إلى مولانا ويطلب منه أن يكتب رسالة إلى پروانه ويسأله إنا أن لا يأخذ منه جزءًا من دينه، وإنا أن يعطيه مهلة. فيكتب مولانا [٢٧] رسالة ويُسلمها إلى ذلك الشخص. يقرأ پروانه الرسالة فيقول: هذا العمل من اختصاص الديوان. فيرجع ذلك المدين إلى مولانا ويحكي له مقولة پروانه. فيكتب مولانا: إن الديوان في قبضة سليمان، وليس سليمان في قبضة الديوان، ويرسل تلك الرسالة إلى پروانه. وعندما يقرأ پروانه (سليمان پروانه) الرسالة يشطب ديوان الحكومة لدى المدين (١، ٢١٧-٢١٨).

- يقول صلاح الدين ملطي إنه عندما صرّت مريدًا لمولانا رأيت أنه كان في كلّ

يوم يكتب ما مقداره عشر رسائل إلى اثنتي عشرة رسالة إلى السيد پروانه وآخرين ويعالج ألم المساكين وأرباب الحاجات، ولم تخطى أية رسالة منها (١، ٣٥٥).

- يروي جلال الدين بن سبهسالار عن ابن أحد الأمراء قوله إنه في يوم من الأيام أرسلني مولانا بصحبة عدد من الأشخاص إلى قيصرية لمقابلة پروانه. قلت: إذا سألتني عن شيء فيماذا أجيبه؟ فقال: أنت هناك الزم الصمت، فما يمكن قوله نقوله نحن. وبالفعل حصل ذلك، كل ما طلب من پروانه نُفِّذَ (١، ٤٠٣ - ٤٠٤).

- الرسالة التي كُتبت إلى سلطان ولد لتطيب خاطر زوجته (الرسالة السادسة)، والرسالة الأخرى التي حملها جمال الدين قمري في شأن الصلح بين هذين الزوجين (السادسة والخمسون)، والرسالة التي كُتبت في شأن مرض صلاح الدين، كما قلنا قبل أيضًا، مذكورة في كتاب مناقب العارفين (٢، ٧٢٩ - ٧٣٠).

- وبالإضافة إلى ذلك فإن الأفلاكي انتزع الرسائل الأربع المنظومة التي كتبها مولانا إلى شمس وذكرت في الديوان الكبير [ديوان شمس تبريز لمولانا جلال الدين] أيضًا من «كتابات الأصحاب» ونقلها إلى كتابه (٢، ٧٠١ - ٧٠٣)؛ كذلك ذكرت الرسالة الرابعة في رسالة سبهسالار (ص ١٧٤).

ويذهب ظننا إلى أن رسائل مولانا غير محصورة بهذه الرسائل؛ ذلك لأن هذه الرسائل جميعًا تقريبًا حُررت من أجل تنفيذ أمر أو تحقيق رغبة. ويتبين فيها جميعًا عقائد التصوف والفكر الصوفي ونظرة مولانا إلى العالم، على نحو جلي. لكنه هناك يقينًا رسائل آخر أيضًا تدور حول أحوال أصحاب مولانا وأوضاعهم وكذلك في إجابة أسئلة وُجِّهت إليه. وبالإضافة إلى ذلك فإن قسمًا من الرسائل الموجودة هو في إجابة

الرسائل التي أرسلت إلى مولانا؛ وهناك رسائل أخر أيضًا لا بدّ من أن يكون مولانا قد أرسلها. لكنّه للأسف ليست هذه الرسائل بين أيدينا ولا تلك الرسائل الأخرى. وقد بقيت الرسائل الموجودة أيضًا لأنّها ضمن الأمور المرتبطة في جزء منها بالديوان أو البلاط. ثمّ جاء محبّو مولانا، وعلى نحو مؤكّد حسامُ الدين چلبی وسُلطان ولّد، فاستنسخوها من المَسودّات [٢٨] وأعطوها شكّل كتاب، بل وضعوا لها اسمًا.

اثنان من الرسائل فيهما إمضاء وقد أشرنا إليهما في الحاشية. وليس لأيّ من الرسائل تاريخ. ومن هنا لا نرى إمكانية لأن تُرتّب هذه الرسائل ترتيبًا تاريخيًا. ربما يكون ممكّنًا ترتيبُ الرسائل التي تنطوي على أحداث تاريخيّة؛ أمّا ترتيبُ الرسائل الأخرى التي كُتبت في أمور متفرّقة، فغيرُ ممكن. ونزيد على ذلك أنّه لا يوجد في الرسائل ترتيبُ قائمٌ على التقارب. وقد سعى من جمعوا هذه الرسائل إلى أن يضعوا الرسائل التي تنطوي على تناسب في الموضوع أو يكمل بعضها بعضًا، بعضها إلى جانب بعض. فمثلاً في الرسالة الأولى حديثٌ عن نجم الدين بن خرّم؛ وفي الرسالة العاشرة أيضًا جاء حديثٌ عن أحوال نجم الدين بن خرّم چاوش. وفي الرسالة الثامنة حديثٌ عن سفر الأعزّة والعليّة وعودتهم؛ وفي الرسالة الحادية عشرة أيضًا حديثٌ عن الأمر نفسه. وفي الرسالة السادسة عشرة جاء العنوانُ في شكر أبناء سيف الدين. الرسالةان الثلاثون والمئة والحادية والثلاثون والمئة اللتان كُتبتا إلى حسام الدين جاءتا متعاقبتين. الرسالة الحادية والسبعون في شأن وراثة أخت شخص اسمه فخر الدين؛ والرسالة الثالثة والسبعون أيضًا كُتبت في إرجاع حقّ فخر الدين. الرسائل المرسلّة إلى پروانه والرسائل التي حرّرت في شأن نجم الدين تتمتع بنوع من الترتيب والنظام.

طُبِعَ مَتْنُ رسائل مولانا في مطبعة الثبات^(١) بعناية الدكتور فريدون نافذ أوزلوق، في سنة ١٩٣٧م / ١٣٥٦هـ. ومن المؤسف أنَّ هذه الطبعة حافلة بالتصحيف. وقد ظُنَّ أنَّ الرسالة التي تبدأ بعد الرسالة الثانية والأربعين هي عَيْنُ الرسالة التي سبقتها (ص ٤٧ إذ بُدِئَتْ من السطر الثالث رسالةً أخرى). وقد تكرر الخطأ نفسه في الرسالة الثامنة والأربعين. جاءت نهايةُ الرسالة المشار إليها بالرسالة [٢٩] العاشرة بعد المئة في مكان واحد مع بداية الرسالة التي أعقبها (ص ١١٦). الرسالة التي عُرِضَتْ برقم ١٤٤ هي من كتاب الأفلاكي؛ لكنَّ هذه الرسالة، التي لم يأتِ مطلعُها في كتاب الأفلاكي، هي الرسالة السادسة (ص ١١-١٢). وهكذا، فإنَّه في هذه الطبعة يكون عددُ الرسائل الموجودة المنسوبة إلى مولانا خمساً وأربعين ومئة رسالة، بالإضافة إلى

١- في هذا الكتاب من اليسار إلى اليمين جاءت مقدِّمة من أربع صفحات لولد چليبي إيزبوداق، وهناك مقدِّمة من سبع وعشرين صفحة عنوانها «رسائل مولانا وقيمتها فيما يتصل بتاريخ سلاجقة الروم». ومن اليمين إلى اليسار هناك مقدِّمة من ثلاث صفحات ونصف لولد چليبي، ومقدِّمة من نصف صفحة للمرحوم أحمد رمزي الذي تولى أمر تحقيق الرسائل، بالفارسية، وتقرِّب من صفحتين للمرحوم حسين دانش، وتقديم النسخة رقم ٤٢ في مكتبة جامعة إستانبول (ص ١)، والرسائل (ص ٣-١٤٨)، وملحق (رسالة ضمن مناقب العارفين، ص ١٤٩)، ورسالة لسلطان العلماء (من مناقب العارفين للأفلاكي، ص ١٥٠)، وكتاب الإجازة الذي أرسله برهان الدِّين چليبي بن الأمير العادل أكبر چليبي بن أولو عارف چليبي بن سلطان ولَّد من إدريه إلى حاجي إبراهيم بن أخي أحمد بن أخي محمود في بلدة نكيده (ص ١٥٠). وكتاب الإجازة هذا مأخوذ من النسخة رقم ١٢٢ من كتب نوربانو الموجودة في مكتبة سليم آغا وقد كُتِبَتْ بخطِّ پير محمد بن حاجي يعقوب بن موسى النكيدي في سنة ٨٧٩ هجرية وتُسَمَّى «الرسوم الرسائل». ثمَّ هناك جدول للخطأ والصواب (ص ١٥١-١٦٧)، وفهرس للأعلام (ص ١٦٧-١٧٣)، وملحق (١٧٣-١٧٤).

الرسالة المنسوبة إلى سلطان العلماء وكتاب الإجازة الذي أعطي لبرهان الدین چلبی، باحتساب رسالة لاحقة.

وقد درس المرحوم شرف الدین یالت قایا، في مقال بعنوان «تحليل ونقد»، هذا الكتاب ولخص محتوى الرسائل بإيجاز شديد. لكن شرف الدین قیل تعداد الرسائل الذي تضمنه الكتاب. وبتعبير أدق، لم يقابل الرسائل على نسخة خطية. ومن هذه الناحية لا تتضمن المعلومات المتوافرة آية فائدة. ونضيف أن شرف الدین یالت قایا قد أضاف إلى هذا الكتاب جدولاً للخطأ والصواب في خمس صفحات حيث لم ترد تلك الأخطاء في الجدول المؤلف من سبع عشرة صفحة الذي تضمنه الكتاب (مجموعة تركيات، ج ٦، إستانبول، ١٩٣٦ - ٣٩م، ص ٣٢٣ - ٣٤٥).

وقد طبعت رسائل مولانا في إيران عن نشرة فريدون نافذ أوزلوق^(١).

في مقدمة الكتاب حديث عن حياة مولانا، لكن هذه المادة ليست بذات قيمة علمية. حتى إنه في هذه المقدمة ظن أن الشعر الذي يبدأ بالمطلع:
جلسنا اليوم مثل مجان الحانات،

ليس لدينا اليوم سر الزهد والمناجاة

ويتخلص ناظمه بـ «ولّد»، هو لمولانا^(٢).

١- مکتوبات مولانا جلال الدین رومی، عن طبعة إستانبول مع مقدمة وحواش وتعليقات، بعناية يوسف جمشیدی پور- غلامحسین أمين، بنگاه مطبوعات عطایی، طهران ١٣٣٥ هـ / ١٩٦٥ م، في ٣٠٤ ص.

٢- جاء هذا الغزل في دیوان سلطان ولّد (ص ٣٠١).

وقد قيل في المقدمة إنه بسبب عدم ظهور نسخة صحيحة أخرى في أوروپة وتركية، اعتمدت نسخة أوزلوق أساسًا، ولذلك فإن الأخطاء الموجودة في نشرة أوزلوق تكرر مرة أخرى. والشيء الجديد في هذا الكتاب أنه أعد تحقيق في شأن الأشخاص الذين كتبت إليهم الرسائل، لكن المحققين لم يحالفهما التوفيق أيضًا في هذا العمل^(١).

[٣٣] وسأحدث^(٢) قليلًا عن الكيفية التي هيأت فيها الرسائل وطريقة عملي أيضًا:

إذا كان هناك اختلاف في النسخ الموجودة أشرنا إلى ذلك في الحاشية. شرحنا الرسائل العربية. عندما لم نكن قد استفدنا من النسخ الموجودة جميعًا لم نر حاجة إلى العلامات الاختصارية؛ رمزنا إلى نسخة نافذ باشا بحرف «ن»؛ واخترنا لنسخة مكتبة إستانبول العلامة «استا. ن»؛ ولأنه كان في المكتبة المذكورة عدد من النسخ، أضفنا رقم الكتاب من أجل التمييز بينها. وترجمنا المتن إلى التركية محافظين على المحتوى الدقيق للأصل. على أن الشيء الذي صعب علينا العمل وأتعبنا أكثر إنما هو معرفة المخاطبين بالرسائل. ومثلما قلنا قبل أيضًا، هذا العمل تواصل في الرسائل طبعة طهران، ولكن لم

١ - صوّرت رسائل مولانا في سنة ١٣٦٣ في طهران بالأفسيه عن نسخة أوزلوق مرة أخرى، ونشرتها مؤسسة انتشارات علمي. والآفت للنظر أنه في التعريف بالكتاب قيل إنها الطبعة الأولى [توفيق سبحاني].

* نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أننا أغفلنا قبل هذا الموضع ترجمة ثلاث صفحات ونصف من مقدمة المرحوم عبد الباقي گليناري يتحدث فيها عن مخطوطات رسائل مولانا، ولم نر حاجة إلى ترجمتها إلى العربية [المترجم العربي].

يحالفه التوفيق. ونحن أكثر من أي شيء آخر قمنا به، واصلنا هذا العمل. وفي هذا المجال خاصة، وصل إلينا متن «مناقب العارفين» الذي أعده السيد تحسين يازجي بانتباه عميق. وقد واصلنا هذا العمل ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ووجدنا في جسمنا القدرة على ذلك. وقد زدنا ذلك على الكتاب في باب آخر وفق الترتيب الألفبائي. ووضعنا رقم الرسالة إلى جانب اسم الشخص المسمى المحدد. ولا بد من أن نضيف ما يأتي:

في رسائل مولانا أسماء المخاطبين بالرسائل معلومة، ما خلا بعضاً منها. والاختلاف القائم في شأن المخاطب بالرسالة محصورٌ بعدد من الرسائل. وفي رسالة واحدة أو اثنتين ذكر اسم المخاطب هكذا «فلان الدين»، ولم يُثبت له اسم صريح. ومهما يكن الأمر، فربما لم يُذكر اسم المخاطب في المسودة، فكتب الناسخ «فلان الدين» ومضى. لكننا نظن أنه في الرسالة السبعين أبقى المخاطب خفياً عن قصد؛ ذلك لأن المخاطب بها يقرعه مولانا تقريباً شديداً ونُقِّصَح أعماله. [٣٤] وهكذا عدّ ذكر اسمه مخالفاً للأدب.

على أن الشيء الذي عزّ علينا أكثر من معرفة الأشخاص والوصول إلى سير حياتهم، كان معرفة قائل الأشعار العربية والفارسية الموجودة في الرسائل. وابتغاء إظهار الأبيات التي جاءت في قالب المثنوي وعلى وزن حديقة الحقيقة [لسنائي]، فتشنا الحديقة كرات كثيرة من أولها إلى آخرها. وقد تصفّحنا الديوان الكبير [لمولانا جلال الدين] ودواوين سنائي والعطار مرّات عديدة. وفي تحديد ناظمي الأشعار العربية ساعدنا أيضاً الأستاذ أحمد آتش. ومن أجل ذلك أشكره وأشكر أيضاً تحسين يازجي

الذي أعدّ متن مناقب العارفين.

إنّ العونَ الأعظمَ لنا هو عِشْقُ مولانا. فأظنّ آتناً، والحمدُ لله، بدفع هذا العشق ربّنا هذا الأثرَ الموفق. وقد أثبتنا الأبياتَ التي لم نهتد إلى قائلِها في قسمٍ مستقل. فإذا ما عرف القراءُ اسمَ القاتلِ أنبتوه بجانب البيت؛ وإذا ما أعلمونا بذلك أيضاً، فلهم مزيدُ الامتنان. وإذا ما نهّأت الفرصةُ سدّدنا خللَنا في الطبعة الثانية بذكر أسمائهم. ولدينا الرّغبة في أن نضع متونَ آثارِ مولانا جميعاً على نحو علميّ بين أيدي الجميع، وليس الرّسائل فقط. ولكن ليس هناك ناشِرٌ يضحّي من أجل هذا العمل. ونرجو من أعماق القلب من وزارة المعارف أو من أيّة مؤسسة أخرى أن تتعهد هذا العمل القوميّ والإنسانيّ بعناية الرّوح والقلب.

والآن بعِشْقِ مولانا تُقدّم رسائلُ مولانا أيضاً إلى أحبّاء مولانا، وأحبّاء العِلْم، وأربابِ العرفان والمؤرّخين. وإذا ما قلنا إنّ العملَ أنجز بيد مولانا، فهذا القولُ ليس دليلاً على وجودنا، بل يبيّنُ فناءنا وتلاشنا في حضرة مولانا، فليُنظر القراءُ بعين الإغضاء.

خادمُ خُدام مولانا

عبد الباقي گلینارلی

إستانبول، ٩ صفر ١٣٨٢هـ

١١ / ٧ / ١٩٦٢م

ترجمة مقدمة المرحوم الدكتور فريدون نافذ أوزلوق للرسائل

مولانا ورسائله وأهميتها من وجهة نظر تاريخ السلاجقة^(١)

[٣٥] نريد أن تكون رسائل مولانا غير المعروفة هي هدية العام الجديد لعالم العرفان. ويقول البروفسور محمد فؤاد، أستاذ تاريخ الأدب التركي، في عام ١٩١٨ - ١٩١٩م، في الصفحة ٢٥٨ من الكتاب الذي نُشر على نفقة الحكومة بعنوان: «أوائل الصوفية في الأدب التركي»: «إنه إذا كان لمولانا كتاب اسمه «فيه ما فيه» كان قد أهدها إلى معين الدين برونه وله أيضًا أقوال وكلمات أخرى، فإتينا لم نكن مستعدين لأن نبحت عن ذلك».

ويتضح جليًا من كلام الأستاذ فؤاد، الذي هو من الأساتذة ذوي الاقتدار في مسائل تاريخ الآداب الشرقية، أنه في سنة ١٩١٩م لم يكن عالمًا بأثري مولانا المهمين (المجالس السبعة والرسائل).

وبدأ المستشرقون أيضًا بدراسة المصادر الشرقية دارسة دقيقة على نطاق واسع. وفي دائرة المعارف الإسلامية، التي ألّفها جماعة من المستشرقين الكبار، مقالة عن مولانا سطحية تمامًا.

كان أحفاد مولانا ومحبّوه منذ القديم يعرفون هذه الكتب. وإذا لم نجانب

١- لم نترجم جزءًا من هذه المقدمة رأينا أنه مكرّر وزائد فيها يتصل بالقراء المتحدّثين بالفارسية [توفيق سبّحاني].

الصواب فإنتي قد تحدّثت عن هذا الأثر لأول مرّة في صحيفة «إقدام»، تحت عنوان «الأطباء المولوية = Mevlevi tabibleri».

إنّ التدقيق في تاريخ السلاجقة مهمٌ، والوثائق المتعلقة بهذه السلسلة قليلة. وفضلاً عن الكتب التاريخية المعروفة المتصلة بالسلاجقة، هناك إمكانية للحصول على معلومات قيّمة في شأن هذه السلسلة في مؤلّفات المولوية.

طُبِعَ كتابُ «المناقب» لسبّهسالار في گانبور في الهند عام ١٩٠١م / ١٣١٩هـ بعناية أسعد دده، مُنْشِدُ المثنوي، من أهل سولانيك، ولقيت ترجمته التركية في بلادنا وفي أوروية [٣٦] استقبالاً حسناً.

لكنّ سبّهسالار يتحدّث عن مناقب مولانا، والميلُ إلى التصوف غالبٌ عليه. وإنّه من المسلّم به أنّ الكلام المتداول في عصر مولانا والجاري على لسانه شخصياً لا بدّ أنّه قيّمٌ جدّاً وذو أهميّة فائقة طبعاً.

وبرغم أنّ هذه الخاصية تُرى أيضاً في آثار مولانا المطبوعة كالمثنوي والديوان والرباعيات، لا يمكن من وجهة تاريخيّة لأيّ منها أن يعادل الكتاب الذي تقدّمه لكم. ففي كتب مولانا المطبوعة والمتوافرة يمكن أن نجد إمّا الحكايات والعقائد الخلقية وإمّا الأشعار الجليلة القدر التي أُنشِدت تحت وطأة المحبة الإلهية.

أما الرسائل فليست كذلك. فإنّ فيها مطالب انبعثت من ضرورة حاجات الناس المختلفة.

هذه الرسائل المئة والأربع والأربعون، والثلاث الملحقه بها، مفعمة بالمعلومات التي يمكن أن توضح كثيراً من الاحتمالات. لغتها الأدبية جميلة، وهي تماماً اللغة التي

كانت متداولة بين الطبقات المثقفة في الأناضول.

تقدم لنا هذه الرسائل الكثير من ألقاب الكُبراء. وههنا قضية نريد لفت انتباه القراء إليها: عندما يشاء مولانا أن يخاطب سلاطين السلاجقة كان يسميهم دائماً «فخر آل داود»، ولا يقول «آل سلجوق»؛ ينسبهم إلى الجد المؤسس للسلاجقة. وفي عصر مولانا كانت عبارة «آل داود» علمًا على السلاجقة، مثل آل عثمان، وآل قرامان، وآل رمضان، وآل قرميان. حتى إن مولانا في إحدى رسائله يكتب الآية ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ويستعمل ههنا توريةً ظريفة.

وإذا ما درسنا الرسائل دراسة دقيقة، ظفرنا ببعض الحقائق المهمة والمعلومات الجديدة. ففي الرسالة التاسعة والعشرين مثلاً وفي شأن الشيخ صلاح الدين رزكوب القونوي نجد هذه العبارة: «سيد المشايخ، أبو يزيد الوقت، جُنيد الزمان، خضر القدم، مسيح الأنفاس، نور يعشي به في الناس، صلاح الحق والدين، الابن الحبيب للسيد برهان الدين المحقق وخليفته المستقل»؛ في حين أن سهسالار يسكت في هذا الباب، والأفلاكيُّ برغم ذكره أن سيد برهان الدين كان يقول: «أعطيْتُ حالي لحضرة مولانا جلال الدين لأن له أحوالاً وافرة، وأعطيْتُ حالي لحضرة الشيخ صلاح الدين لأنه لا قال له»، ينصرف عن القضية.

هذه المعلومات على قدر كبير من القيمة في إيضاح تاريخ المولوية وانتشار الطرق في آسية الصغرى [٣٧].

كذلك فإن من بين هذه الرسائل تُعدّ الرسالة الحادية والتسعون (الثالثة والتسعون في هذه النشرة) ذات أهمية خاصة.

في هذه الرسالة يكتب خطابًا إلى أكمل الدين الطيب، من أطباء دولة السلاجقة، يقول له فيه: «تُفتح سريعًا مدرسة الأمير الأجل فخر الدين أرسلاندغمش ... ويُنقل إليها الصدرُ الكبير شمسُ الدين المارديني...؛ لأنَّ جماعةً من أبنائنا، الذين يحصلون على رواتب في مدرسة قرطاي...، يخافون من أن يأتي مدرّس غريبٌ ويتعرّض لهم... بعد صدر الدين تتحوّل مدرسة قرطاي إلى ... أفصح الدين».

وقد أشرنا في المناقب الموجود في مقدّمة «المجالس السبعة» إلى أن مولانا أقام في مدرسة قرطاي الصغرى. وهذه الرسالة وثيقة تؤيّد رأينا.

كذلك فإنّ الرسالة الرابعة والعشرين بعد المئة (وهي السادسة والعشرون بعد المئة في هذه النشرة) ذاتُ أهميّة خاصّة. في ذلك العصر، كان في قونية خانقاه معروف بـ «خانقاه ضياء الدين» لا أعرف أنا مكانه، ولعلّ أحدًا لا يعرف مكانه؛ ووفقًا للأفلاكيّ فإنّ شيخ ذلك الخانقاه كان من خصوم المولوية. فيتوقّى الشيخ، ويُعيّن حسام الدين چلبی شيخًا لذلك الخانقاه. وفي مناقب العارفين للأفلاكيّ، رُويت حكاية في شأن خانقاه ضياء الدين أثبتتها هنا كما هي لأهميتها:

كذلك روى الصديقُ العزيزُ مقبولُ الأولياء السيّد نفيسُ الدين السيّواسيّ رحمه الله أنّه في عصر مولانا كان هناك شيخ، كان شيخًا كبيرًا ومتوليًا لخانقاهين؛ وقضى القضاء أن مات ذلك الدرويشُ فرأى حضرةُ الأمير الكبير تاج الدين معتزّ أن المصلحة تقتضي أن يكتب خانقاهُ ضياء الدين الوزير باسم چلبی حسام الدين وأن يؤخّذ الأمر من السلطان؛ وبعد أن صدر الأمر السلطانيّ عقد الأميرُ تاج الدين اجتماعًا عظيمًا وحدثت جلسةٌ لا نظير لها، وأعلن في حضور مولانا أنّ خانقاه ضياء الدين الوزير

أسند إلى حضرة چلبی [حسام الدين]؛ فنهض حضرة مولانا والأحبة جميعاً وانطلقوا؛ فقال نفيس الدين: حملتُ سجادة چلبی على كتفي، وإن حضرة مولانا أخذها مني ووضعها على كتفه المبارك. وعندما دخلوا الخانقاه أمر بأن تُبسط السجادة على صدر صُفّة. كان أخي^(*) أحمد، الذي هو من جملة جبابرة ذلك الزمان وعنوان تجّان السّجن، حاضراً في هذا الاجتماع. ومن قرط حقه وتعضبه وحسده الحليّ لم يشأ أن يغدو چلبی شيخاً في ذلك الخانقاه، فنهض سريعاً وطوى السجادة وأوعز لأحدهم أن يقول: إنّنا في هذا الوقت لا نقبله شيخاً. فاحتاج الناس سريعاً، وأمسك الأخيون المهمّون، المنتسبون إلى أسر آباء وأجداد أخي تُرك وأخي بشاره وأجدادهم مثل أخي قيصر وأخي چوبان وأخي محمد سيدواري وغيرهم، بالسيوف والسكاكين، وأراد الأمراء المريدون [لمولانا] قتل المجرّان الشياطين [٣٨]. فهاجت الفتن، وكثير من الدراويش المتألمين بتأثير الموقف ردّدوا الأثر: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»، وبحكم «الفتنة أشد من القتل» قامت قيامتهم، ولم ينس مولانا بينت شفة. وبعدئذ قال: لماذا يكفر هؤلاء المقبوحون بنعمة الحق ويففلون عن شكر النعمة التي لا نقمة فيها ويبغون ويظفون جهلاً وتهوراً وغروراً وتكبّراً ويخربون بيوت أرواحهم بأيديهم فوق رؤوسهم مصداقاً لقول الحق: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحشر: ٢] ويظهرون الوقاحة. واليقين أنّ هذا التعصّب لن يتقدّم وسيتخلف أمرهم ويدوسهم الزمان،

* كان تعبير أخي فلان شائعاً في ذلك العصر والمضّر دالاً على الواحد من الفتيان في جماعات الفتوة المعروفة آنئذ

وستكون طريقَتنا الإمامَ للطرق جميعًا. مثلما قال القائل:

إذا جاء عشقك آخِرًا فقد سبق الأولين

وكتب الحقُّ التوقيعَ لك: «الآخرون السابقون»

كما قال صلى الله عليه وسلم «نحن الآخرون السابقون والسابقون أولئك المقربون». وبعد ذلك قال: خطرت لي حكاية: رحل الفقيه أبو الليث السمرقندي، رحمه الله عليه، عن سمرقند مدةً، وانشغل بتحصيل علوم الدين لقريب من عشرين سنة، ثم جاور في بيت الله الحرام لعدة سنوات، وكان له محبّون كثيرون، وبتأثير نفسه المبارك انتشر تلاميذه النجباء في أطراف الدينا. وفي نهاية المطاف قصّد بصحبة جماعة المريدين والتلاميذ البارعين مدينةَ سَمَرْقَنْد لكي يزور مقابر آبائه وأجداده ويزور أصحابه وأقاربه ويظفر بأجر صلة الرّحم؛ وعندما وصلوا إلى أطراف مدينة سَمَرْقَنْد أمر بأن ينزلوا ساعةً ويجددوا الوضوء. قام الفقيه ومضى إلى شاطئ نهر ليتوضأ فرأى جماعة من النسوة يغسلن الثياب. وعلى نحو مفاجئ رأت عجوزُ الفقيه فعرفته فصاحت: ها قد عاد أبو لُوَيْثنا [تصغير لثنا] فأسرّغن وأخيرنَ القومَ بالأمر. فانطلق الفقيه إلى الأصحاب سريعًا وقال: ضعوا أحمالكم على أرحلكم سريعًا لكي نعود إلى دمشق، فليست سمرقندُ دارَ إقامة. فتحرّى الجميعُ وأخذوا بالسؤال عن سبب تعجيل الارتحال، فقال: هؤلاء القومُ ينظرون إلينا إلى الآن بعين أبي لُوَيْث ويزدروننا، ويستخفّوننا فيأثمون بسبب هذا النظر الجاهل؛ ذلك أن تعظيم العلماء والعارفين والشيخ من جُملَة الواجبات، وعزّتهم عزّة رسول الله، وعزّة رسول الله هي عزّة الحق تعالى، كما قال:

يا مَنْ كَانَ وجودُكَ من قطرةٍ من مَنِيّ حذارٍ أن تتكبرَ وتتعالى على العلماء
[٣٩] لآته هكذا قال الرسولُ المدني: «مَنْ أكرمَ عالمًا فقد أكرمَني»

ربّها كان والدُ الفقيه والدته يدعوانه في أيام الصّغر: بوليثك [بالفارسية بمعنى «أبو لويث» تصغير ليث، تحببًا] ويدلّله، ولم يكن لدى الغرباء الجهلة علْمٌ بيسرِ كاف الرّحة هذه [كاف التصغير بالفارسية] فتصوّروا لفظَ التصغير المعبرَ عنه بالكاف دلالةً على التحقير. ومثُل هذا النظر الإبليسيّ له ضررٌ عظيم، وإيذاءُ الأحبة والأصحاب بعيدٌ عن المروءة وغيرُ جائز في أيّ دين وملة. وهكذا صاح حضرةُ مولانا بسبب التأثير وخرج من الخانقاه حافيّ القدمين، إلى حدّ أنّ الأكابر والشيوخ جروا وراءه فلم يلحقوا به، وطردَ «أخي أحمد» الحقير ولم يقبل فيه شفاعَةُ الأكابر والأمراء، وردّ عليهم بالقول: إنّه ليس من جنسنا. ولم يقترب من هذا المسكين، فهلك ذلك السيّء الحظّ بهذا الخذلان، وصار أغلبُ شبّانه وصبياناه مطيعين ومريدين. فما كان إلّا أن أخبر مُحبّو أسرة مولانا سلطانَ الإسلام بتواقّحه فأراد أن يقتله، فلم يقبل حضرةُ مولانا بذلك، ولم يُسمح له بحضور مجامع الأكابر ومخافتهم الأخرى وردّد الجميعُ أمامَ سلوكه

الشبيه بسلوك السّامريّ: ﴿لَا يَسْكُنُ﴾ [طه: ٩٧]، وقالوا:

مادمتَ ترى الأنبياء الأعزاء بشرًا فاعلَمْ أنّ هذا النّظر هو ميراثُ إبليس فإذا لم تكن ابنًا لإبليس، أيّها العنيد فكيف وصل إليك ميراثُ هذا الكلْب؟ كذلك فإنّ أبناء أخي أحمد وأخي علي، الذين كانوا من الماكّرين في قُوّية، صاروا مريدين مخلصين تمامًا لحضرة سلطان ولّد ومن جملة المقبولين. وفي نهاية المطاف صار حضرةُ جلبي حسام الدّين شيخَ الكرام في خانقاه ضياء وفي خانقاه لا باستقلال تامّ،

وبلغ من الكمال والمكانة درجةً يغبطه عليها الملك المقرب والرسول المكرّم ويتمنيان
صُحبته ولقائه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا
شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِقُرْبِهِمْ وَمَقْعَدِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَمَا وَرَدَ فِي الْمُثَنَوِيِّ
المعنويّ في تقرير هذا:

أصبح مفعم القلب بإجلال الحقّ

إلى حدّ أنّ أهل الحقّ لا يجدون طريقًا إلى قلبه

لَا يَسْعَ فِينَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ وَالْمَلِكُ وَالرَّوْحُ أَيْضًا فاعقلوا

[٤٠] ومن بين الرسائل، تُعدّ الرسالة الثانية والثلاثون على قدر كبير من الأهمية

لأنها تعرض حقيقةً مهمة، إذ كتبها مولانا إلى سراج الدين الأزمويّ قاضي القضاة في
قونية بعد وفاة ابنه الأوسط علاء الدين محمد چلبی، في شأن تقسيم تركته على الأيتام.

نعلم أنّ مولانا تزوّج في قرمان (لارنده) من جوهر خاتون، ابنة شرف الدين
لالاي السمرقنديّ. فوُلد له منها أولًا سلطان ولّد ثمّ، بعد سنتين، علاء الدين چلبی.
وبعد مدّة انتقلت هذه السيّدة إلى الرفيق الأعلى.

وعندما كان علاء الدين رضيّعًا وافتقد أمّه تولّت جدّته كِرّاي بزرگ رعايته.
ويبدو من محتوى كتب المناقب أنّ هذا الصغير شبّ في تلك الدّيار.

ألزم مولانا أبناءه بتحصيل العلم، وابتغاء إكمال التحصيل أوفدَهم برُفقة جدّهم
شرف الدين إلى دمشق. وقد كُتبت الرسالة الثانية والسّتون (الرابعة والستون في هذا
الكتاب) في أمر إطاعة أبناء مولانا لكلام جدّهم.

جاء الشّابان بعد الفراغ من التحصيل إلى قونية. وبقي سلطان ولّد عند والده، أمّا

علاء الدين فعاد إلى بيت جدته وجده. وتؤيد الوقائع التي سنبينها بعد قليل رأينا هذا. جاء شمس الدين التبريزي إلى قونية أول مرة في ٢٦ جمادى الآخرة عام ٦٤٢هـ الموافق لـ ٢٩ تشرين الثاني عام ١٢٤٤م، ثم ذهب إلى الشام في ٢١ شوال عام ٦٤٣هـ الموافق لـ ١٤ آذار عام ١٢٤٦م.

ثم بعد إرسال الرسائل الملحة في طلب عودته وتضرع مولانا، جاء شمس مرة أخرى إلى قونية في غرة محرم عام ٦٤٤هـ / ١٩ أيار عام ١٢٤٦م، وتزوج من فتاة صغيرة اسمها «كيميا»، شبت في منزل مولانا، في غرة ربيع الأول ٦٤٤هـ / ١٩ تموز ١٢٤٦م.

يكتب سبهاسالار قائلاً: «إن حضرة مولانا شمس الدين - رضي الله عنه - بعد مدة طويلة، طلب يد فتاة اسمها «كيميا»، كانت قد ربّتها حرّم حضرة مولانا، لتكون زوجاً له. فلبى له مولانا جلال الدين مُلتَمَسَه بسعادة بالغة وقرنَ خطابه بالخطبة. ولأنّ الوقت كان شتاءً وقد ربّ مولانا جلال الدين في المنزل الشتوي في صُفّة خيمة لكي يُزفَ إليها حضرة مولانا شمس الدين، بنى في ذلك المنزل الشتوي حجرةً من أجل جلبه علاء الدين، الذي كان الأبَنَ الأوسط لمولانا جلال الدين، وكان في الحسن واللفظ والعلم والفضل محبوبَ العالم. وكلّما كان علاء الدين يأتي لتقبيل يدي والده ووالدته ويمرّ من صحن الصُفّة ويذهب إلى المنزل الشتوي تثير غيرة الحمى مولانا شمس الدين. حتى إنّه قال له عدّة مرات [٤١] على سبيل الشفقة والنصيحة: أي نور العين، برغم أنّك متحلّ بأداب الظاهر والباطن فلا بدّ بعد الآن من أن تحسب حساباً عند الدّخول إلى هذا المنزل» (طبعة طهران، ص ١٣٣).

ويحكى الأفلاكي أيضاً أنه يُقال إنّ زوجة مولانا شمس الدين كيميا خاتون كانت امرأة جميلة وعفيفة؛ إلا أنه في يوم من الأيام أخذتها النسوة من دون إذنه وبصحبة جدّة سلطان ولّد إلى حديقة للفرجة والنزهة. وعلى نحو مفاجئ جاء مولانا شمس الدين إلى المنزل فطلب زوجته فقيل له إنّ جدّة سلطان ولّد مع السيّدات أخذنها إلى النزهة. فاضطرب اضطراباً عظيماً وتألّم ألماً شديداً. وعندما جاءت كيميا خاتون إلى المنزل أصابها في الحال ألمٌ في الرقبة وصارت كقطعة الخشب الجافّة لا تستطيع الحركة وكانت تصرخ ألماً، ثم بعد ثلاثة أيام انتقلت إلى رحمة تعالى. وهكذا بعد انقضاء أسبوعها الأوّل مضى مولانا شمس الدين من جديد إلى دمشق في شهر شعبان سنة أربع وأربعين وست مئة «كانون الأوّل ١٢٤٦م» (مناقب العارفين، ج ٢، ٦٤١-٦٤٢).

وتتفق حكايتا الأفلاكي وبيان سببسالار فيما بينها.

وقد ترجم كلمان هوار، الذي نقل «مناقب العارفين» إلى الفرنسية، كلمة دردگردن [فارسية بمعنى ألم الرقبة] بـ *torticollis* [باللاتينية، وتعني بالعربية داء الصّعر، وهو داءٌ في الرقبة يتعذّر معه الالتفات]. وهذا خطأ من دون شك. فإنّ عبارة «وصارت كقطعة الخشب الجافّة لا تستطيع الحركة» التي أضيفت بعد «ألم الرقبة» وأشارت إلى موسم الشتاء تشير إشارة واضحة إلى أنّ هذا المرض كان منزّيت [بالفارسيّة أخذًا عن الفرنسيّة بمعنى التهاب الغشاء النّخاعي]. ولذلك فإنّ الألمان، باعتبار علامات المرض، سمّوه Genickstarre أي تيبّس الظّهر. وهذا المرض يتّخذ أحياناً حالة شبيهة بالبرق تكون قاتلة في أغلب الأحيان.

وإثر ذهاب شمس، للمرة الثانية، تأثر مولانا تأثراً شديداً وافتقد الراحة بسبب فراقه ونظم أشعاراً حزينة. وفي آخر الأمر أرسل ابنه الأكبر سلطان ولد بصحبة عدد من الأصحاب إلى الشام حاملين معهم مقداراً من النقود. وهكذا فإن سلطان ولد الذي ذهب إلى دمشق في شهر شوال، عاد إلى قونية في غرة محرم سنة ٦٤٥ هجرية الموافق للثامن من شهر أيار سنة ١٢٤٧م برفقة شمس، وقد استقبل شمس في بيته الأخير هذا إلى قونية استقبالا حاراً.

كانت هذه المرة الثالثة والأخيرة التي نزل فيها شمس إلى قونية. بقي شمس هذه المرة في قونية حتى شهر رجب سنة ٦٤٥ هـ / تشرين الثاني ١٢٤٧م أي لمدة سبعة أشهر. فاجتمع أولئك الذين لا يحبون شمساً، ولا يقدرّون على تحمّله، لدى علاء الدين چلبى وتأمروا على هذا العارف الكبير. وغير معلوم ما إذا كانوا قد قتلوه أو هدّوه بالموت فسلّك الطريق إلى مدينة أخرى. ولم تُوضّح هذه القضية إلى الآن^(١). [٤٢] والخلاصة أنّ موت شمس أيضاً مثل حياته محاطٌ بغلالة من المجهولات.

ويقيم سبها سالار كتاباته ونظراته بالبيت الآتي:

يتحدّث الدرويش عمّا رآه

ويتحدّث العامي عمّا سمعه.

وحتى سلطان ولد، الذي كان شاهداً لهذه الحوادث عن كثب، سكّث عن هذه

١- أكثر معلومات هذه المقدمة يحتلّ النقاش، ولا بدّ لمحبّي التحقيق والواقعية من الرجوع إلى الكتب والمقالات التي أنشئت حول مولانا جلال الدين [المحقّق الفارسي].

الواقعة المهمة والقابلة للتدقيق. ونصيبنا أيضًا السكوت.

أما علاء الدين چلبی، الذي كان يدرس مع أخيه في دمشق، فبأي عمل كان متشغلًا؟ - يقول ولد چلبی إيزبوداق في كتاب له مطبوع، عنوانه «مناقب مولانا مختصرة»، إنه كان حاجبًا في البلاط. لكنّه لم يذكر مصدرًا لما كتبه.

وفي حال كون الرسالة السابعة من رسائل مولانا خطابًا إلى علاء الدين چلبی في غالب الظنّ، تبيّن بعض الأمور:

١- في السطور الأولى من الرسالة، يُتحدّث عن العفو. والوالد، الذي تأذى قلبه من ولده لأنّه تدخل في ضياع شمس، يعفو عنه.

٢- يطلب منه أن يترك البستان ويأتي إلى المدينة. وقد أخبرنا قبل، اعتمادًا على كلام الأفلاكيّ، أن علاء الدين چلبی أقام في بستان.

٣- في السطر الأول من الرسالة يكتب قائلًا: «ابني العزيز قرة العيون، افتخار المدرّسين»، ويضيف إنّ التلاميذ وطلاب العلم في انتظاره. وإذا كان الرباعيّ الذي نظمه سلطان ولد في وفاة علاء الدين - الذي سنقله في السطور التالية كما هو - وعنوان «هذه تربة الصّدر المرحوم» مكتوبين على حجر مزاره على نحو واضح، يغدو معلومًا أنّ علاء الدين كان مدرّسًا، شأنه في ذلك شأن جدّه ووالده وأخيه.

يسمّي الأفلاكيّ في كتابه «مناقب العارفين» علاء الدين چلبی بـ «علاء الدين قير شهريّ»؛ ولم نعرف سبب ذلك. ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ علاء الدين أقام مدّة في مدينة «قير شهر»، أو أنّ زوجه كانت من تلك المدينة، أو أنّ أولاده سكنوا تلك المدينة.

حكاية رواها الأفلاكيّ: في أحد الأيام فقد سلطان ولد بضعة دنائير. فتش في

كلّ مكان، فلم يجدها. وفي النهاية وجدَ الدنانير بين كتب أخيه علاء الدين القير شهري. فأخذ سلطانٌ ولَد يوتخه. فقال مولانا: يا بهاء الدين، أليس «على» حرف جرّ؟ - فإذا لم يجرّ فماذا يفعل؟ (١، ص ٤٤٨). فأصلح مولانا بين الأخوين بهذه الطريقة ببيان علمي.

[٤٣] كان علاء الدين عندما نهض لمخاصمة شمس صغيراً. ولعلّه كان في سنّ العشرين. وقد عاش بعد غياب شمس أيضاً خمس عشرة سنة. وفي الآخر أصيب بمرض. وإذا ما صحّت أعراض مرضه فإنّه يمكن تشخيص مرضه. حدّث له «حمّي مُحَرّقة وعلةٌ عجيبة» وتُوفي بهذه العلة. ويذكر الأفلاكيّ أنّ مولانا بسبب تأثره لم يحضر مراسم دفنه، ومضى إلى ناحية البساتين (٢، ٦٨٦).

ولعلّ مرضه كان الحمّي السوداء أو التيفوئيد أو الملاريا. وقد دُفن علاء الدين چلبى بقرب ضريح جدّه. وكتب على قبره المطليّ بالخصّ هذه الكتابة (التي ندونها هنا كما هي محافظين على ترتيب الأسطر):
الله الباقي - هذه تربة

الصدر المرحوم علاء الدين محمد بن شيخ المشايخ
سلطان العلماء والعارفين جلال الحقّ والدين محمد
ابن محمد بن الحسن البلخي أفاض الله بركاته
على المسلمين وخصّص ولده بمزيد كلّ عناية

أواخر شوال سنة ستين وست مئة ٦٦٠ = تشرين أول ١٢٦١م

وقد نظّم سلطانٌ ولَد في شأن أخيه هاتين الرباعيتين ورثاه:

في مصيبة علاء ضرب القمرُ خيمةً سوداء،
 ونثرت الشمسُ والفلكُ الترابَ على رأسيهما،
 وقد سمعتُ دائماً بأنّ «على» كانت نجراً،
 فانظر إلى هذه الدنيا الدنية التي جرّت «علاء»!
 وله قدّس الله سرّهم:
 كان علاءُ الدّين فريداً في الفضل والعِلْم،
 كان قلبه بصيراً بعالم الأرواح،
 فاختطف موجُ الأجلِ ترابه من الساحل
 لأنّه منذُ الأزل كان جوهراً من ذلك البحر!
 في ذلك العهد، كان المدرّسون يسمّون «الصُّدور الكبار». وتشيرُ كلمةُ «الصُّدر»
 في كتابة مزاره وكذلك فرادته في الفضل والعِلْم إلى أنّ علاء الدّين كانت له منزلةٌ من
 الوجهة العلمية.

وإلى جانب قبر علاء الدّين چلبی قبرٌ مطليّ بالخصّ هكذا كتابته^(١):

[٤٤] تربةُ الأمير شمس الدّين يحيى بن

محمّد شاه برادر مادری با اولاد

مولانا قدّس الله سرّه العزيز

١ - حصلت أخطاء في قراءة هذه الكتابة على القبر، وثبت هنا الصورة الصحيحة والنهائية التي قرأها المرحوم عبد الباقي كلياناري [المحقّق الفارسي].

في تاريخ السابع من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وست مئة.

والأمير شمس الدين هذا هو زوج الشريفة عابدة خاتون، ابنة سلطان ولد. وكان في حياته معارضا لحضرة مولانا شمس الدين. الاسم المؤنس الأبدي له هو «شمس» وهذه مصادفة عجيبة. ويوجد إلى جانب قبر چلبی الأنيس قبر أكبر، كتابته مفقودة. وقد سُجِّل هذا المزار في كتاب الأفلاكيّ أيضًا باسم «مقام شمس»^(١).

وقد استعمل مولانا جلال الدين في رسالة كتبها إلى سراج الدين في شأن ابنه الشاب لغة ممزوجة بالتودد والتعجب. ولنلق من جديد نظرة إلى حكاية الأفلاكيّ:

روى فخر الدين المعلم أنه في أحد الأيام جاء حضرة مولانا لزيارة تربة والده، مولانا الكبير بهاء ولد. وبعد أن صلى وناجاه وأمضى ساعة جميلة في النظر إلى تربته، طلب مني دواءً وقلماً، وعندما أتته بهما نهض وجاء إلى قبر ولده چلبی علاء الدين وكتب بيتاً على ذلك القبر المطلي بالخص، وذلك البيت هو:

إن كَانَ لا يرجوك إلّا محسِنٌ فيمن يلوذ ويستجير المجرِمُ
وفي الحال رَقَّ وقال: رأيتُ في عالم الغيب أن مولاي شمس الدين التبريزي صالح علاء الدين وعفا عنه وتشفع له حتى غدا من المرحومين (١، ٥٢٣).

[٤٥] في آخر رحلة لي إلى قونية دَقَقْتُ النَّظَرَ في قبر علاء الدين چلبی. ومن المؤسف أن مرور ٧٠٠ سنة قد محَا هذا البيت من قبره. وقد كان من عادة مولانا أن

١ - يُرجع إلى كتاب مولانا جلال الدين ص ١٤٥ - ١٤٨ وإلى حواشي هذه الصفحات. وفي هذا الكتاب عالج المرحوم عبد الباقي هذه المسائل على نحو دقيق [المحقق الفارسي].

يكتب بقلم عريض على الباب والجدران بعض الأمور. ويُستفاد من ذلك أنه كان صاحب خط جميل.

ونجد مولانا في الرسالة التي يكتبها إلى سراج الدين يطلب منه أن يقسم إرث علاء الدين چلبی بين ورثائه، وهذه إشارة إلى أنه كان لدى چلبی عدد من الأولاد. والحق أن الأفلاكي يصرّح بأنّه في زمان اولو عارف چلبی كان واحد من أبناء علاء الدين على قيد الحياة.

ومن المؤسف اليوم أن معرفة أبناء علاء الدين چلبی في الأناضول أمر غير ممكن. فيها مضى كان أستاذنا أحمد توفيق بیگ يقول لنا شفاهًا إنه في مدرسة الصّاحبية الواقعة في آق شهر قونية اشتغل أبناؤه بالتدريس، لكنني لم أستطع أن أحقق في هذا الأمر. وقد فتشت في قسم من مقبرة قير شهر لكنني لم أعثر على شيء. ويحترق قلبي من أجل المسكين علاء الدين. غفر الله له.

الرسائل ذوات الأرقام ١٤، ٩١، ١٢٠ (١٤، ٩٣، ١٢٢ في المتن الحالي) خطاب موجّه إلى رئيس أطباء الدولة السلجوقية. ويمكن أن يُعرف من هذه الرسائل الألقاب التي استخدمت في خطاب الأطباء.

يوجد في قونية مسجدٌ باسم الحكيم أكمل الدين يحمل عنوان «حكيم بیگ»، ويوجد في داخله قبر الحكيم، وعندما كنّا صغارًا كان محراب ذلك المسجد وسجاف بابّه مزینين بفسيفساء العصر السلجوقي. أمّا في الوقت الحاضر فقد خرب ذلك كلّهُ.

وقد أعددت رسالة في شأن الحكيم أكمل الدين، اعتمادًا على مصادر المولويين ومصادر أخرى، وسأنشرها.

جاء إمضاء مولانا في الرسالة ذات الرقم ٦٥ على هذا النحو: «كتبه والده يعرف بلخي لولده»^(١) وفي الرسالة ٧٨ على هذا النحو: «المفتخر بدعائه محمد بن محمد الحسين البلخي».

ومن بين الرسائل، لم يُذكر اسمُ الأمير المخاطب بالرسالة ذات الرقم ٩٢ (٩٤ في المتن الحاضر). [٤٦] لم يذكر سوى «أمير أكديشان». كلمة «إكديش» تُقال اسمًا للجواد المخصي. ويعبر عن هذا العمل بـ «الإخصاء». وفي الزمان القديم كان يُقال للغلمان السود الذين كانوا في دور الحرير وكانوا مخصيين: «آغا».

وتبعًا لذلك كان يُقال للواحد من هؤلاء الأفراد في زمان السلاجقة: «إكديش»، وكان «أمير الإكديشان»، [والإكديشان جمع إكديش] أيضًا كان مقامًا ومنصبًا، مثلما كان أمير الإصطبل وأمير الآخور وقاپوچي باشي مقاماتٍ ومناصبَ أيضًا.

عنوان الأصل الأول من القسم الأول من كتاب «رسوم الرسائل، نجوم الفضائل»، هكذا: «في معرفة ترتيب ألقاب المناصب»، ثم بعد عشرين خطابًا، في خطاب مخدرات السلاطين، خطاب الملوك، خطاب السلاطين، يأتي إلى الطبقة الثانية: خطاب أمير الإكديشان، خطاب الناظر، خطاب المشرف، خطاب الوالي، خطاب النائب.

أما الألقاب التي تُستعمل في شأن «أمير الإكديشان» فهي على هذا النحو: «المجلس الشريف للأمير الموقر الممكن المختار المجتبى، مجد الأعيان والمشاهير، زين الأمراء والأماجد، جامع المحامد، فلان الدين، شمس الإسلام، صفّي الحضرة، عزيز الملوك

١- أساء المحقق المحترم قراءة هذا الإمضاء. وقد أثبتنا في متن الكتاب الصورة الصحيحة له [المحقق الفارسي].

والسلاطين، أُلغِ اينام (عظيم الأنام) الخاص، أمير الأكادشة، أدام الله شرفه». وفي ترجمة معجم «برهان قاطع» يكتب قائلًا: «الإكْدِش» تُقال للتطفتين من الحيوان والإنسان مطلقًا، وتُقال للإنسان الذي وُلد من امتزاج نُطفتين. ومثل الطفل الذي يأتي إلى الوجود من نطفة هندية ونطفة تركية. وتُقال للجواد الذي أبوه من جنسٍ وأمه من جنسٍ آخر، وهو ما يقال له بالعربية «المجنس».

(حاشية أحمد رمزي آق يورك)

في «مناقب العارفين» للأفلاكيّ جاء حديثٌ حول «أمير إكْدِشان» في مدينة سيواس:

«حكى سلطان ولد قائلًا إنه في يوم من الأيام كنّا جالسين عند باب مدرسة الأصحاب الكرام، فرأينا عارقًا [اسم شخص] يسحب عظامَ رأس بقرة بخيط. فسألْتُ: يا أمير عارف، ما هذا الذي تفعله؟ فقال: هذا رأسُ أمير اركردي، الذي كان من نواب السُلطان وبنى مدرسةً في سيواس، وكان رجلًا ذا مالٍ وفضوليًّا وغير مطيع بطبعه، وكان مُنكرًا للأسرتنا، وبعد ثلاثة أيام قُتِل ... (ج ٢، ص ٨٣٥).

وقد قرأ كلمان هوار [مترجمُ مناقب العارفين إلى الفرنسية] هذه الكلمة [اركردي] هكذا Orcoud، فهل كان هذا بسبب أنها جاءت في المتن في صورة «إكْدِش»؟ كذلك فإنّ النسخة التي لديّ كتبها مشوشة. لكنّ محتوى الرسالة متناسبٌ مع هذا الاسم. [٤٧].

الرسائل ومناقب العارفين للأفلاكيّ:

بالإضافة إلى الرسالتين ٥٦ و ١١٦، اللّتين طُبعتا، ورد في مناقب العارفين

حديثٌ عن الرسائل من موضع إلى آخر. والحكايات التي نقلها الأفلاكيّ هذا شرّحها:
 ١- يُروى أنّه في أحد الأيام أرسل حضرة مولانا رسالةً إلى جناب پروانه يشفع
 فيها لشخص كان قد سفك دَمَ إنسان وكان هذا الشخصُ مختفياً في منزل صديق له.
 فكتب پروانه في جواب هذه الرسالة: إنّ هذه القضية لا تُشبه القضايا الأخرى، الحكايةُ
 حكايةٌ دَم. فقال حضرة مولانا في الجواب: مهما يكن فإنّه يقال للدّم ابنُ عزرائيل. فإذا
 لم يسفك دَمًا ولم يقتل أحدًا، فماذا يفعل؟ فسّر پروانه سرورًا عظيمًا وأمر بتركه وأصلح
 بين المتخاصمين، ودفع الدية (ج ١، ص ١٥٥).

٢- كذلك روى چلبی شمس الدين ولّد مدرّس، رحمه الله، أنّه في أحد الأيام
 حدثت في مدينة قونية واقعةٌ هائلة؛ فجاء أهل قونية جميعًا إلى جناب مولانا لكي يكتب
 لهم رسالةً عنايةً واهتمامًا إلى جناب مُعين الدين پروانه ويشفع لهم لديه، واتّخذوا حضرة
 سلطان ولّد شفيعًا لهم. وعند عَرَض الأمر على حضرة مولانا، أرسل رسالةً في طلب
 الشفاعة. وعندما قرأ جناب پروانه الرسالة وقبلها، قال إنّ هذا الأمر مرتبطٌ بـ «وَلّد
 صدور»^(*)، ولا بدّ من أن يحضر أيضًا. وفي إجابة رسالة پروانه أمر أيضًا بأن يكتب: إنّ
 مقصود الدراويش هو أن يكون هناك وجهٌ واحد، وهذا المعنى له مثله وجه. وعندما
 وصلت الرسالة وضعها على عينيه، وعفا عن أهل المدينة، وفي تلك الواقعة رضوا بأن
 يدفعوا عشرة آلاف دينار ويتخلّصوا من هذه الغُصّة، وهكذا برسالة فقط خلّص

* كلمة «صدرو» استعملت هنا بطريق التورية؛ فهي من ناحية اسمٌ علّم لشخص، ومن ناحية أخرى تعني في
 الفارسية: «مئة وجه» [المترجم العربي].

الحلق من البلاء (١، ص ٢١٧).

٣- كذلك يُروى أنَّ عاملًا من محبِّي حضرة مولانا تضرَّر كثيرًا في وفاء المال فاستدان ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار ولم يكن لديه القدرة على أدائها. فنهض وجاء إلى حضرة مولانا مع عياله ووقع على قدَميه المباركتين سائلًا إيَّاه أن يكتب له رسالة عناية وشفاعة في هذا الأمر لدى حضرة پروانه وأن يحتسب ذلك عند الله سبحانه، لعلَّ پروانه يعفيه من دفع جزء من المال أو يعطيه مهلةً. وفي الحال أرسل مولانا رسالة يشفع له فيها لدى پروانه. فقال پروانه إنَّ هذه القضية مرتبطةً بالديوان. وفي جوابه أيضًا أمر بأن يُكتب: حاشَ حاشَ، إنَّ الديوان تحت حُكم سُليمان وليس سليمان تحت حكم الديوان، وكان اسمُ پروانه «سليمان»، فتأثَّر پروانه وقَبِلَ الرِّسالة وبرأ ذمَّةَ العامل من ذلك الدِّين (ج ١، ص ٢١٧-٢١٨).

٤- كذلك قال جنابُ ملك الأدباء مولانا صلاح الدِّين المَلطِّي، رحمه الله، إنني عندما أصبحتُ مريدًا لحضرة مولانا كنتُ أرى آتِه في كلِّ يوم يرسلُ إلى جناب پروانه وغيره عشرَ رسائل إلى اثنتي عشرة رسالة وصار كالذَّواء للمساكين وأهل الحاجات ولم تخطئ آية واحدة منها» (المصدر نفسه، ص ٣٥٥).

[٤٨] ٥- كذلك حكى قدوةُ الأصحاب چلبی جلال الدِّين، المعروف بابن اسفہسالار، رحمه الله، وقد كان من العارفين الأصحاب وابنَ أمير المدينة، آتِه في أحد الأيام أرسلني حضرة مولانا مع عدد من الأصحاب إلى قَيْصَرِيَّة لمقابلة پروانه. وأملی مولانا رسالة كتبها چلبی حسام الدِّين وضَمَّنَ الرِّسالة أقوالاً نُظمت فيها دُرر المعاني. وعندما ربطتُ الرِّسالة المباركة بعمامتي خفَضْتُ رأسي وقَبَلْتُ قدَمي مولانا المباركتين

وقلت: إذا ما سُئِلْتُ عن الرسالة فماذا أقول؟ - فقال: عندما تفتح فاك هناك نقول نحن ما هو جديرٌ بالقول. وعندما وصلتُ إلى جناب السلطان والأمراء وأبلغتهم سلامَ مولانا، وقف الجميعُ على رؤوس أقدامهم وعظّموا الموقفَ تعظيمًا فائقًا (قبل هذا أيضًا في مجلس مولانا في قُونية وقف المريدون على أقدامهم عندما سُلمت رسالةٌ چلبی أفندي ثم بعد تقبيل الرسالة جلسوا. وكان هذا الرّسمُ مستعملًا في بلاد الشرق. والأدبُ والتربيةُ غير مرتبطين بالزمان والمكان، لكنّه بتغير الأيام تغيرت هذه العاداتُ أيضًا. نافذ أوزلوق) ووقف پروانه وقرأ الرسالة باستحسان شديد وكان يُظهر آيات الإعجاب عند كلّ مقطع، وأجاب مطلوبنا وسألنا عن عظمة مولانا: ماذا يفعل وكيف حاله، فقلتُ كثيرًا من الحقائق والدقائق حتى أُغمي عليّ. فأخذ پروانه والأمراء ييكون ويتحسّرون لبُعدهم عن هذه الحضرة. وفي الآخر سألني پروانه قائلاً: إنك قد شرفتنا مرّات عديدة، لكنني لم أرك مثل هذه المرة ممتلئًا بالمعارف والمعاني. فأعذنا الحكاية من جديد. فخفض الجميعُ رؤوسهم وأظهروا الاستحسان وأرسلوا كثيرًا من الهدايا والإنعامات (ج ١، ٤٠٣ - ٤٠٤).

وهكذا فإنكم إذا ما قرأتم هذه الرسائل الأربع والأربعين والمئة فستدركون مباشرة العظمة التي انطوت عليها الألقاب، والصداقة في أردية البيان، والقدرة على أداء الأفكار. ويبدو مولانا خاصّةً في الرسائل التي كتبها لأولاده أكثرَ عمقًا وصمیميةً وذكاءً.

وجليّ أنّ رسائله الخاصّة هي انعكاسُ لعالمه الداخلي الذي تعبّر عنه بـ «الضمير». ويبدو مولانا في رسائله غايةً في التواضع وتُبل الطبع. وغير ممكن أبدًا لشخص رُبّي في

أسرة من عظماء خراسان أن يكتب إلا بهذه الطريقة.

وفي داخل الرسائل ألقاب لافتة للنظر من قبيل: اوغورلو، ألوغ، قتلوغ، إلكا، بلكا، دلكا، صاحب. والكلمات التي كان مولانا يقرؤها ويكتبها هي الكلمات نفسها (الينه، وبلينه وديلينه = مالك ليده ووسطه ولسانه) التي نستخدمها نحن اليوم أيضًا. والظاهر أن هذه الكلمات الثلاث تُعدّ منسوبةً إلى البكتاشية. وفي عصر مولانا كان جناب حاجي بكتاش شابًا ومن المسلم به أن مراعاة هذه الكلمات الثلاث من جانب أي إنسان أصل لا بد منه. ومن دون هذه الأمور الثلاثة لا يكمل الإنسان.

[٤٩] كان آباؤنا في آسية الوسطى يستعملون هذه الكلمات الثلاث. ولدى

مولانا والمولوية يمكن أن نجد العُرف الموجود في خراسان وآداب آبائنا ورسومهم.

استعملت في الرسائل ألقاب وأسماء كثيرة، مثل سوباشي، والي بيك ... وفي كثير من رسائل مولانا لم يُصرَّح باسم المخاطب، لكنّه يمكن تخمين ذلك من خلال السياق. لا تنطوي أي من الرسائل على تاريخ محدد. وهذه الرسائل طبعًا، كما جرت العادة، تُقرّر من جانب مولانا ويدون على الظرف عنوان المرسل إليه ثم ترسل. ثم بعد ذلك استُنسخت هذه الرسائل من الأصل وُجمعت. بل إنّه في بعض الرسائل ترك مكان حامل الرسالة خاليًا أيضًا واكتفي بكتابة «حامل التحية فلان».

أحد الأشخاص الذين توجد في الرسائل توصية باسمهم شهاب الدين، صهر مولانا. نظام الدين خطاط، زوج هدية خاتون ابنة الشيخ صلاح الدين زركوب، أي عدليل سلطان ولد، ذكرت في شأن زواجه حكاية في كتاب «مناقب العارفين» للأفلاكي مصحوبة بغزل جميل لمولانا جلال الدين.

وسنوضح مستعينين بمناقب العارفين للأفلاكيّ وكتب التاريخ المتعلقة بالسلاجقة والنقوش، بعض الأسماء التي تضمنتها الرسائل. وقد رأينا أن الأنسب في هذا المجال أن يتعهد المهمة الأساسية شخص لديه معلومات أكثر جدية عن تاريخ السلاجقة. ونضيف إلى ذلك أمراً آخر أيضاً وهو أن توضع هذه المعلومات النظرية العامة في متناول القراء.

بين الكتب الموقوفة لخانقاه الشيخ صدر الدين القونوي في قونية، الموجودة الآن في متحف قونية، يُحتفظ بكتاب «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لأبي السعادات مبارك بن محمد بن عبد الكريم، الذي اشتغل الشيخ صدر الدين بتدريسه. ففي المجلد الحادي عشر، الجزء ٢ والجزء ٣، وفي الصفحات الأولى من الكتاب، كُتبت الأمور الآتية:

١- سَمِعَ هذه المجلدة من أولها إلى آخرها، على مولانا وسيدنا وشيخنا الإمام العالم الراسخ الوارث الكامل

٢- إمام أئمة العلماء الراسخين وارث الأنبياء والمرسلين صدر الملة والدين أبي المعالي محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي أدام الله ظله،

٣- المولى ملك الأمراء مربّي الملوك والوزراء جامع فضيلتي العلم والعمل، حسيب العصر، حسن الدهر، معين أهل الدنيا والدين، وركن الإسلام والمسلمين،

٤- سُليمان بن علي بن محمد، زاد سعادته وتوفيته، ونصر به حزب الحق وفريقه، وسَمِعَ معه أيضاً المولى ملك الصدور

[٥٠] ٥- والفضلاء مجد الدولة والدين، ذخّر الإسلام والمسلمين، عضد الملوك

- والسلاطين، أبو المحامد محمد بن الحسن؛ والمولى ملك الصدور
- ٦- والأماثل، محرر الفضائل، جلال الدولة والدين، عون الإسلام والمسلمين، أبو الشفاء محمود بن أمير الحاج؛ والمولى الإمام العالم
- ٧- سيد الدولة، رضي الله، يوسف بن إسماعيل؛ والشيخ الكبير الفاضل تاج الدين أبو العباس أحمد بن إسكندر الأردبيلي،
- ٨- والإمام الحافظ الفاضل كمال الدين أحمد بن يوسف؛ والأمير نظام الدين أوحّد بن الأمير الكبير شرف الدين مسعود بن الخطير.
- ٩- وسَمِعَ مع الجماعة المذكورة أيضًا سيف الدين عليشيري بن يعقوب أيضًا مع فوات [كذا]، وكان السماع يقرّه المولى الإمام
- ١٠- العالم سيد الفضلاء ملك الصدور شرف الدين محمد بن علي الموصلي ابن أخي الشيخ الإمام العالم العلامة قدوة
- ١١- المحذّثين مجدّ الله والدين أبي السّعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم، رحمة الله عليه.
- وقد زيد في أواخر الجزء نفسه بالخط نفسه القول:
- ١- سَمِعَ جميع هذه المجلّدة من أولها إلى آخرها على مولانا وسيدنا الشيخ الإمام العالم العامل الراسخ
- ٢- الكامل قدوة أكابر المحققين، إمام أئمة العلماء الراسخين، صدر الله والدين، أبي المعالي محمد بن إسحاق
- ٣- بن محمد بن يوسف بن علي، أدام الله ظلّه وأعاد على المسلمين بركته، المولى

الشيخ الإمام العالم الفاضل

٤- سيّد العلماء، قدوة الفضلاء، محيي السنّة، ناصر الشريعة، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن

٥- عبد القادر الرازي، مدّ الله حياته؛ والمولى الإمام العالم العامل الفاضل تقي الدين أحمد بن الأسعد السنجاريّ

٦- أدام الله بركته؛ والمولى الإمام العالم العامل الفاضل رضي الدين يوسف بن إسماعيل بن إبراهيم التلعفريّ كانت بركته

٧- والمولى الإمام الفاضل نجم الدين يعقوب بن يوسف القرآغاجي؛ والمولى الإمام الفقيه العالم

[٥١] ٨- شمس الدين محمد بن عمر القونويّ؛ والمولى الإمام العالم الفاضل الحافظ شهاب الدين أبو بكر بن محمد، الهذانيّ أبوه

٩- والمولى الإمام العالم الفاضل جمال الدين محمد بن علي بن نصر الأصفهانيّ أبوه؛ والمولى الإمام العالم الحافظ

١٠- زين الدين محمد بن مسعود القونويّ؛ والفقيه الفاضل العالم معين الدين؛ والمولى الإمام العالم زين الدين خالد بن أبي خالد الحمراويّ؛ والمولى الإمام

١١- الحافظ شرف الدين إسحاق بن عليّ القونويّ؛ والمولى الإمام الفاضل كمال الدين عليّ بن عبد العزيز بن محمد القونويّ،

١٢- ولده أيضًا عبد الغفار بن عليّ المذكور؛ والمولى الإمام الحافظ الحاج محيي الدين محمد بن الحاج محمود القونويّ،

١٣- والمولى الإمام الحافظ أمين الدين عبد الله الصوفي؛ والمولى الفقيه الإمام شمس الدين محمد بن يعقوب السيواسي؛

١٤- والمولى الإمام الفاضل ركن الدين مسعود بن محمد القنوي؛ والموالي: الفقيه زين الدين قلمشاه بن حبشي، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف،

١٥- والمولى الإمام الفاضل خادم الشيخ المسمع أدام الله ظلّه نجم عمر بن الأسعد بن عمر كانت بركته.

١٦- بقراءة كاتب الطبقة أضعف خلق الله آصف بن عبد الله، عفا الله عنه، ووقفه لقراياني الكتاب رسول الله^(ص).

توضيح في شأن الأسماء:

٤٣- مُعِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا والدين هو مُعِينُ الدِّينِ سليمان پروانه، الذي كان في زمان غياث الدين كبخسرو الثالث من بين الوزراء المنتقذين والمقبولي القول جداً. وكان من الذين يكتنون المودة والاحترام للاتبين لمولانا.

ويشبهه الأستاذ أحمد رمزي بخالد أفندي، وهو من وزراء عهد السلطان محمود الثاني. وقد جاء شرح أحوال خالد أفندي، الذي كان من المحييين جداً لمولانا، في تاريخ شافي زاده وتاريخ جودت.

٥- مجد الدين هو زوج «عين الحياة»، بنت مُعِينِ الدِّينِ پروانه. كنيته أبو المحامد،

* في هذين السطرين عدد من الكلمات نحسب أنه وقع في نقلها تصحيف ولم ننتد نحن لقراءتها الصحيحة، فاثبتناها كما وجدناها في هذه المقتمة [المترجم العربي].

واسمُه محمَّد، واسمُ أبيه حسن، ومُشتهر بـ «أتابك». وقد ذُكر مرارًا في كتاب الأفلاكيّ.

[٥٢] جلالُ الدّين هو محمَّد مستوفي. كنيته أبو الثناء وكان أبوه أميرَ الحاجّ. فهل توجد علاقةٌ بين أميرِ الحاجّ الذي ذُكر في الرّسالة الحادية والثمانين وأميرِ الحاجّ هذا؟

٨- الأميرُ نظامُ الدّين أوحد هو ابنُ شرف الدّين مسعود بن خطير. ومسعودُ بن خطير له عينُ ماء في مقابل مسجد علاء الدّين في نكيدِه، حيث نُصِب فوقها نقش. وفي كتاب دليل خليل أدهم طُبِع صورةُ المسجد وعين الماء وتصوير للنقش. وأصلُ النقوش موجود عندنا.

٩- سيف الدّين عليشير بن يعقوب هو والدُ الأمير محمَّد، أميرِ حكومة آل، گرميان في كوتاهية. ومُعادلُ عليشير في الأناضول «أرسلان علي».

١٠ - شرفُ الدّين الموصليّ ربّما يكون شرف الدّين الذي هو أحدُ المعارضين لمولانا، وقد بصرَه في الشام وتوفي هناك.

١١ - مجدُ الدّين لعلّه حفيدُ مؤلّف «جامع الأصول» (٦٠٦ هـ).

أسماءُ الصفحة الأخيرة:

٤- زينُ الدّين الرّازي - الذي نصادف اسمَه في «مناقب العارفين» أيضًا - أحدُ الأشخاص الذي كانوا يحترمون مولانا جلال الدّين.

١٤- القاضي زينُ الدّين قلمشاه بن حبشي (في مناقب العارفين، ج ٢، ص ٩٨٨ نجد اسمَ تاج الدّين قلمشاه).

وفي رحلة ابن بطوطة، في فصل قونية، جاء القول: «صار القاضي قلمشاه في

زاوية أخيه مهان^(١)، وتبعًا لذلك فإن أسرة قلمشاه، المشتهرين بابن حبشي، من أسر أرباب العلم في قونية.

وفي الوقت الحاضر توجد في قونية محلة اسمها «عَلَمْشاه» يبدو أن اسمها الصحيح ينبغي أن يكون «قلمشاه».

وكنا قد ادعينا ادعاءً قطعياً أن مولانا جلال الدين لم يتلمذ على الشيخ صدر الدين، وكون اسم مولانا لم يُذكر بين الأسماء التي تضمنتها هذه الأجزاء والأجزاء الأخر يجعل رأينا أكثر ثباتاً ورسوخاً.

[٥٣] إن مجموعة الأحد عشر مجلداً من الحديث النبوي، التي كان الشيخ صدر الدين مشغولاً بتدريسها، جديرةً بالتحقيق والنشر، نظرًا إلى أسماء الأمراء والعلماء في العصر السلجوقي، التي أثبتت في أواخر صفحات الجزء الأول منها. ونكتفي في هذه المرة بهذا لكي نُطلع عليه أهل العلم.

وثبت هنا مريئة أبي بكر الطبيب القانوني لما لها من أهمية. ويشاركنا أيضًا هذا المنشئ العظيم في مُصابه من خلال رثائه (بضعة أسطر إيضاحية لشعر لا يمكن وصفه).

نُظمت هذه المريئة عمومًا في شأن أمراء الروم الذين انقضت أيام دولتهم في أشهر سنة ست وسبعين وست مئة (٦٧٦هـ):

١ - في ترجمة السيد الدكتور موحد جاء الكلام هكذا تمامًا «نزلنا في قونية في خانقاه قاضي اسمه ابن قلمشاه، وهو من جماعة الفتوة. وهو خانقاه كبير وفيه عدد كبير من المريدين...» (الترجمة الفارسية لرحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ٣٢٤).

سألتُ عن زمانٍ نقولُ فيه عن أمراء الروم هؤلاء
 أين صاروا وماذا رأوا من هذه الدنيا؟
 تركتهم السَّنةُ الماضية في غاية الشهرة
 واليومَ لم يبقَ منهم اسمٌ ولا رسمٌ
 تقول أين أصبح پروانه المعظم
 أين تلك العظمةُ كلّها وتلك الأبهة والقدرة؟
 أين تلك الفروسية وركوب الخيل
 أين أولئك الأمراءُ يَعدونَ وراءه وأمامه؟
 أين كلُّ تلك الإمارة وذلك الحُكم وذلك الوقار
 أين كلُّ تلك الخزائن وتلك الكنوز التي لا تُحَدُّ؟
 أين مهابته التي أشاعت الأمنَ في ديار الروم
 حتّى إنَّ الذئب بسببها أغلق فاه عن لحم الحمل؟
 أين عودةُ الجيش والأبهة والعتاد
 أين كلُّ تلك الفصاحة وتلك الألفاظ والكلمات؟
 الأمراء الذين كانوا يصطفون عند باب عرشه بإخلاصٍ
 لم يظهر منهم أحدٌ في هذا الزمانِ!
 وحيثُ وُجد مفسدٌ ولصٌّ وسارق
 صاروا عاجزين من رُعب سيفه!
 ديارُ الروم التي حفلت بالخارجين والمارقين وأرباب الفتن

صارت من خوف سيفه كرياض الجنان [٥٤]

واليوم هذه الحبيبة بعد غيابه

صارت مثل جهنم ملأى بالحيات والعقارب

وذلك النائب الفريد الذي اختير أميراً

تقول كيف توارى عن الأنظار؟

أين كل تلك الرزاة وذلك الحكم والثبات

أين كل تلك العظمة وكل تلك الثروة؟

أين تلك الأموال التي ظل يجمعها لسنوات

أين حلقة الغلمان والآهة والأسرة المالكة؟

المسكين خواجه يونس، تقول أين أصبح؟

وأين ذلك الرئيس الفريد وذلك الأمير الشاب؟

أين كل تلك الكبرياء والعظمة والعز والدلال

وذلك التحكم في السواحل كالقضاء الجاري؟

والمسكين بهاء الدين الذي اختير شاعراً

كيف خرج من القضية على حين غرة؟

أين كل تلك الفصاحة والخط والكلام

أين كل تلك الكفاية والجاه والمكانة؟

وأين صارت تلك الطبول والأبواق والزرايات

أين ذلك التين المنقوش على الحرير المشجر؟

الابناني الصّاحبانِ لماذا انصرفا

فلا أثر لآتي منهما في هذا الدهر المتزع للأرواح؟

أين الحربُ واللّهو، أين الغلمانُ المشرقو الوجوه كالأفهار

أين تلك الألبسةُ الفاخرة، أين الكثر الملكيّ؟

وذلك الآخذُ للتاج غصبًا الذي كان كالأسد المصور

انقطع صوته عن تجّمع الأصحاب

أين عودةُ الجيش وتلك السوارب

أين كلبُ الصّيد والبازيّ والدّبّوس والسّنان؟

أين ابنُ الخطير شرف الدّين الذي

سمت رِفَعته وعلت منزلته القَرَقَدَيْن

وقد بلغ منزلةً من غاية علوها [٥٥]

ظنّ أن السّماوات السّبع تحتها

بگلر بگ [أمير أمراء] الزمان ومليك الروم

الأمراءُ أمامَ حضرته كالأطفال

أجاب بأنّ الجميع غدوا سُكاري شرابِ الأجل

ومن مجلس الحياة انزوا إلى المعتزل

حيثما كان مُرادُ الدّنيا قريبًا منهم

وحيثما آخر استعدادوا للعويل على المتاع

وعندما وُضِعَ هذا الأساسُ لأهل الدّنيا

لم يظفر أحدٌ بالخلود، طولَ الدهر
كان قبلهم الأمراءُ السعداءُ

والملوكُ ذوو الكبرياء والجيوش العظيمة
استولوا على الأرض ونفذوا الأمرَ

على الغنيِّ والمفلس وعلى الشيخ والشاب
لكن عندما فُتح عليهم شركُ الموت

انقلبوا جميعًا عن تلك العروش الملكية
فمع سَهْم الموت لا يكون أيُّ تُرس حاميًا

ومع سيف الموت يضُرُّ الجوشنُ والقفطان (*)
أردنا استنساخَ كتاب هذا الطبيب القونيويّ، وسنشره نشرًا مُحَقَّقة.

إنَّ مخطوطة الرسائل التي جعلناها أساسًا في هذه الطبعة، هي نسخة مولويخانة
بني قابو المحفوظة في مكتبة عبد الرحمن نافذ باشا، ناظر المالية. وفي الوقت الحاضر
توجد هذه المكتبة في السليمانية. رقم المخطوطة ١٠٥٥. ليس فيها اسم الكاتب وتاريخُ
الكتابة، ويبدو من خطِّها وورقها أنها مخطوطة قديمة. فيها ٨٢ ورقة، وفي كلِّ صفحة
٢٧ سطرًا. أبعادها ٢٥×١٧ سم. وقد كُتب على ظهرها: «مكتوبات حضرت مولانا
قُدس سرّه». وتُحفظ تحت الرقم ٢٠٧٠ في مكتبة دار الفنون في إستانبول أيضًا مخطوطة
بخط عِزّت، وهو أحدُ تلاميذ شيخ الإسلام حسن فهمي. وكانت هذه المخطوطة في

* رداء سابغ كان يُلبس عند الحرب [المترجم العربي].

وقت من الأوقات في تملك حسن حقّي باشا اشقودره اى، والى قونية، وهي ناقصة وكثيرة الأغلاط. وكانت هناك مخطوطة أخرى في مقام مولانا في قونية وهي محفوظة الآن برقم ٥٢ - ١١٠٢ في متحف مولانا. [٥٦] فيها ٣٥٢ ورقة وفي كل صفحة ٣٢ سطراً، وكُتبت بخط شكسته نستعليق وهي مجموعة ضخمة، محتوياتها على النحو الآتي:

- ١- معارف سلطان العلماء، بدايتها في الورقة ١.
 - ٢- كتاب فيه ما فيه لمولانا، بدايته في الورقة ٣٥.
 - ٣- رسالة السلطان عز الدين، بدايتها في الورقة ١٢٣. وهذا اسم هذه الرسالة. تضم ٥٥ ورقة أو ١٠٨ صفحة.
 - ٤- المجالس السبعة لمولانا، بدايتها في الورقة ١٤٤. وفي نهايتها تاريخ ربيع الآخر ٤٥٣ (والصحيح ٧٥٣).
 - ٥- مقالات السيد برهان الدين، بدايتها في الورقة ٢١٩.
 - ٦- أسرار شمس الدين التبريزي، بدايتها في الورقة ٣٠٩. تاريخ نهايتها ٧٥٤.
 - ٧- قسم من معارف سلطان العلماء، البداية في الورقة ٣٤٦.
- ليس في المخطوطة تذهيب. في سنة ١١٥٥هـ كانت في تملك جلبي زاده إسماعيل عاصم؛ وقد وقفها للجلبيين في قونية، وقد نُقش عليها هذا الختم بخط التعليق: «وقف هذه النسخة العبد الآثم جلبي زاده إسماعيل عاصم ١١٦٢هـ». واحتوت المخطوطة على خط محمد سعيد همد (١٢٢٢ - ١٢٧٥هـ)، وحاشية حفيده

عبد الحليم چلبی (١٢٩١ - ١٣٤٣هـ)، وتصحيحات محمد بهاء الدين ولد چلبی
لینزبواق.

اسمُ الكاتب مجهول، لكنّه يوجد في نهاية المجالس السبعة العبارات الآتية:
«تمت المجالس بحمد الله المحمود بكلّ مكان والمذكور بكلّ لسان يومَ الثلاثاء في
أوائل ربيع سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة؛ والصلاة على نبيّه محمد المرسل من عدن
عدنان وعلى صحابته الجوّاد الحسان الطاهرين من شوائب الحسبان، إنّه كريم مثان».
تاريخ ثانٍ في الورقة ٣٠٨ هكذا:

«أتمت اختيارات هذه اللطائف الغريبة والمعارف العجيبة في أواخر ذي الحجة
سنة أربع وخمسين وسبع مئة، من نسخة اختيرت من كتب صاحب الزمان جلال
الدين يوسف ترحالي أيده [الله] بنور عنايته، بعون الله وحسن معونته. والحمد لله ربّ
العالمين، والصلاة على نبيّه محمد وآله أجمعين. كذلك نُقلت من حواشي الكتب التي
كانت بخطّ مولانا المبارك قدّس الله سرّه العزيز على هذا الترتيب: تفسير، حديث،
معارف، لطائف وغير ذلك».

وكانَ هذه المجموعة من المخطوطات النادرة والمعلومات الممتعة قد استُمدّت في
زمان تحريرها، في أواخر ذي الحجة من سنة ٧٥٤هـ من نسخة محفوظة في مكتبة
جلال الدين يوسف ترحالي. أمّا المخطوطة التي كانت أساسًا لمخطوطة كتب جلال
الدين يوسف ترحالي فقد كانت طبعا مخطوطة [٥٧] مولانا. وعلى هذا النحو يشاءُ
الكاتبُ أن يبيّن أنّ هذه المجموعة قد أخذت عن أصحّ المصادر وأكثرها قبولاً.

وتتطابق نسختنا والنسخة الموجودة في متحف مولانا من الرسالة الأولى إلى

الرسالة العشرين تطابقاً تاماً. ثم بدءاً من الرسالة ٢١ إلى الرسالة ٥٢ تزدادُ نسختنا وتنقص نسخة متحف مولانا.

تنتهي نسختنا بالرسالة ١٣٧، أما في نسخة قونية فهناك ست رسائل أخرى أيضاً. وتبعاً لذلك، يكون مجموعُ الرسائل الموجودة في نسختنا، بإضافة هذه الرسائل الست، ١٤٣ رسالة، ومجموعُ الرسائل الموجودة في نسخة متحف مولانا ١١٢ رسالة. ومن هذه الوجهة، فإنَّ الرسالة ٥٢ في نسختنا هي الرسالة ٢١ في نسخة قونية. ومن جملة هذه الرسائل، وردت الرسالة ٥٤ في نسختنا والرسالة ٢٣ في نسخة قونية في كتاب الأفلاكيّ أيضاً. بل إنَّه قبلَ هذه الرسالة توجد رسالة أخرى هي التي كُتبت إلى سلطان ولَد التي جعلناها نحن الرسالة ١٤٤. الرسالة التي كتبها مولانا عند مرض الشيخ صلاح الدّين وكذلك الرسالة الأخرى التي كتبها سلطان العلماء إلى يقان تكين (جَد خوارزمشاه)، أوردناهما في الآخر مجارةً للمثل القائل «جرى الرّسمُ بأنْ يأتي الكُبراءُ إلى المجلس متأخرين».

ثم بعد ذلك، قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة قونية، وبيّنا جدول الخطأ والصواب واختلاف النسخ. وتشير علامة «نسخة» إلى نسخة قونية.

وقد أكملنا المقابلة مع نسخة قونية بمساعدة العالم العامل العزيز جدّاً ولي صبري، مثلما قابلنا معه مخطوطة المجالس السبعة التي نشرناها. قلّة امتثاني.

وأ تقدّم بالشكر إلى مديرية متحف قونية، التي وضعت تحت تصرّفنا المجموعة لأيام كثيرة. وقد تولّى صَفَّ أحرف الرسائل السيّد ماماس كولانكاس في مطبعة «الثبات»، التي يمتلكها السيّد باسكال بهاري. وقد أبدى صافُّ الحروف العجورُ هذا،

الذي كان من تلاميذ السيّد أحمد مدحت، تمكّنّا رائعا من ثقافتنا.

أقدم شكري غير المحدود إلى جناب السيّد أحمد رمزي آق يورك، أستاذنا في اللغة الفارسية، الذي أبدى دقّة وهمةً في تحقيق هذا الكتاب والكتب التي أتت بعده، ويفخر زمائنا بوجوده. وإنّ عشقه الذي لا يكلّ واهتمامه الذي يشوق الشبان وسعيه الدؤوب، تستحقّ كلّ صُور التقدير. وأقدم آيات شكري إلى حضرة ولد چلبي إيزبوداق، عمّي وأستاذي العزيز، الذي تمتّع في كلّ مجالٍ بتشويقه ومساعدته.

وفي نهاية الكلام، أخطبُ متوجّهاً إلى الغرب علماء اللّغات الشريّة في لندن. خاصّة العلماء [٥٨] الذين يديرون أوقافَ جب Gibb على خير ما يكون من الوجهة العلمية والوقفية بمهارة فائقة:

أرى واجبا عليّ خاصّة أن أشكر جناب رينولد ألين نيكلسون الذي حقّق ستّة أجزاء المشوي العظيم لمولانا بناءً على أقدم المخطوطات وطبعها وترجمها إلى الإنكليزية على نحو لا نظير له، فعرف الشرق للغرب.

وعلى هذا النحو يخطو رجال العلم أولى الخطوات في طريق تقريب الإنكليز إلى أمة التّرك. وطباعة المشوي التي بدأت سنة ١٩٢٥ م انتهت في سنة ١٩٣٣ م، ثم في سنة ١٩٣٦ م توصّلت الأمتان إلى اتّفاق أوسع في المجال السياسي.

ويتأكّد أنّ كتب مولانا هي الوسيلة لمثل هذا الأمر المقدّس والمبارك. وإنّ أنغامه الصارخة المتدفقة المتعالية تجذب القلوب إليه.

وإنّ أصغر محبّي مولانا العظيم حين يقدّم هذه الكتب المهمة التي لا يعرفها الناس، حين يرى أملّ سنيه الكثيرة متحقّقًا، يفرق في بحار السرور والحبور.

أحرّم الحديث مع الأناث

وعندما يأتي حديثك أطيل الكلام

كانون الثاني ١٩٣٧ م

ينى شهر - أنقرة

م. ف. نافذ أوزلوق

رسائلُ مولانا

الرسالة الأولى^(*)

[إلى السلطان عز الدين كيكاس في
شكره لاهتمامه بنجم الدين بن خرم]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

[٥٩] عندما يشاء البارئ تعالى أن يقيم ويديم العناية واللطف والنصرة والحظوة والسعادة على عبيد من عباده، يوقفه إلى الشكر، إلى حد أنه لو وصل إليه مئة مرة أمرٌ مرّ ومرة واحدة أمرٌ حلّو فإنه يعيد ذكر ذلك الأمر الحلو الوحيد مئة مرة بمئة عبارة في مئة مقام، ولا يذكر تلك الأمور المئة مرة واحدة، ما عدا مرارة فراق أصحاب الدين؛ ذلك لأنّ الحزن لفراق أصحاب الدين تسبيحٌ وقراءةٌ للقرآن وسنةٌ للأنبياء - صلوات الله عليهم - فإنّ أيوب عليه السلام برغم الآلام الكثيرة التي لا يطيق قلبٌ سماع عظمتها وشدة الابتلاء بها، لم يتوقف لسانه يوماً عن الشكر في تلك السنوات الثماني. وعندما حلّ به ألم فراق صاحب الدين، أي زوجه التي كانت شريكته في الألم وصفيته في الدين صاح: ﴿مَسَّيَ الْعُزْرُ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقدر صاحب الدين إنّما يعلمه رجل الدين؛ ومن شاء أن يتعلّم قدر أصحاب الدين ومتعة صُحبة أصحاب

* نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أنّ هناك توضيحات لكثير من الأحاديث الشريفة والأقوال الماثورة وأبيات الشعر العربية والفارسية التي تأتي في تضاعيف الرسائل، وهي موضوع القسم الثالث من هذا الكتاب فيما بعد [المترجم].

الدين فليتعلّم ذلك من الابن الأعزّ الأمير قائد الجيش العالم العادل المقبل نجم الدين راعي الدين المتقي لله الحليم الكريم، روح الأمراء، مقرب الملوك والسلاطين، المستغني عن الثناء لشهرته في الدين والصدق والصفاء واليقين.

ويعلم الله ويشهد أنّ هذا الابن العزيز مثلما كان في هذا السقر الطويل غريباً، هو غريب أيضاً في مدينته وبين أقبائه وخدمه وحشمه. ويعلم ربي أنني كنت مجباً لدولته من أعماق قلبي وروحي هكذا طبعاً وطوعاً وعشقاً، لله تعالى من دون علة، منذ بدء دولة هذا المزيّن للعالم الملك الصادق، النادر بين سلاطين الأولين والآخرين، بحر العدل والإحسان، مهدي الرحمة في آخر الزمان، عمت مناقبه فاستغنى عن الشرح والبيان، أخاف عليه من غيرة الرحمن، وإلا أثبت عليه ببعض ما يليق بإقباله وأقمت البرهان، خلّد الله سلطنته وجدّد دولته ما تجدد الجديدان، إنه المجيب المستعان.

وبرغم أنني لم أكن مُلَازماً للصورة، كنت مُلَازماً للمحبّة طالباً للدولة في تلك الحضرة، لأنّ الحضرات كلّها محتاجة دائماً وطالبة للعون ومتكفّفة لدى تلك الحضرة. وقد جاء إعلان المحبّة هذا وبيان الموالاة مأموراً به من جناب صدر الرّسالة صلى الله عليه وسلّم؛ فقد كان أحد الصحابة جالساً لدى حضرة الرّسول [٦٠] فمرّ واحد من كُبراء القوم من باب المسجد، فقال الصّحابي: يا رسول الله، أحبّ من أعماق قلبي هذا العزيز الذي مرّ. فقال الرّسول، عليه السّلام، اذهب وأعلّمه بذلك. وإذا ما كتبت عن الحكمة والسّر في هذه الإشارة طال الأمر.

وهناك مراد آخر وهو أنه كلما ترامي إلى سَمْعِي لطفٌ ورحمةٌ وسلطانٌ من الجنب المستطاب للملك العالم أعلى الله رأيته، كنتُ أَسْرَ من جهتين: أولاهما فَرَطُ المحبة والولاء لأنَّ المحبَّ لا يكون أبدًا مرتبطًا ومتعلِّقًا بكماله هو وحُسن سُمعته هو، بل يكون متعلِّقًا بكمال محبوبه وحُسن سُمعة محبوبه، وبذلك يكون مسرورًا. وهذه مسألة من دَرَس مدرسة العشق ولستُ بقادر على المغالاة في هذا لأنَّ تدقُّق هذا الحديث يختطفُني ويختطف الرِّسالة وكذلك الكاتب شيخ المشايخ حُسام الدين، أمين القلوب، أدام الله بركته، الذي لم يتوقَّف لحظةً في هذه المدَّة عن الدِّعاء والثناء.

والجهة الثانية الموجبة لسروري بأخبار إحسان هذا الملك، أعلى الله دولته، أنني كنتُ أقول: الحمدُ لله الذي جعل لمحبتِي ومواليي هذا الإقبال المتزايد وأوقعها في الموقع اللَّائق؛ لأنَّه من صفاء جوهر المحبِّ أن تقع محبَّتُه على جوهر لطيف؛ لأنَّ كلَّ ما هو موجودٌ في الثمانية عشر عالمًا محبٌّ وعاشقٌ لشيء، وشرفُ كلِّ عاشقٍ بقدر شرفٍ معشوقه. وكلَّما كان المعشوق لطيفًا وظريفًا وشريفًا الجواهر كان عاشقه عزيزًا. بيت:

ضروبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضروبًا فأكرمهم أشفهمُ حييا
إنَّ طائرَ النَّهارِ راجحٌ على طيرِ اللَّيْلِ، بقدر رجحان النورِ على الظلمة؛ ذلك لأنَّ طائرَ النَّهارِ عاشقٌ لِنورِ الشمسِ وطائرُ اللَّيْلِ عاشقٌ للظلمة. وفي شرح هذه المسألة أيضًا إطنابٌ عظيم، ولها تفاصيل كثيرة، شرحَ الله صُدُوركم وأيدكم

بروح منه. ومن جُملة ما تفاءلتُ به في ارتفاع نار إقبالِ ملكِ العالمِ وغَلَبَةِ سيفِ
 نفاذِ أمره - أنفذها اللهُ وأمضاها وأعلاها ما دامت الشمسُ وضحاها - أن شمسَ
 عنايته قد زادت على عبده، الابنِ العزيزِ روحِ الأمراءِ وأفضلهم، نجمِ الدِّين، لا
 زالَ نجمُهُ مستنيرًا من شمسِ دولة سلطاننا فضله اللهُ على السُّلاطينِ بالإقبالِ
 والكمالِ وحصولِ الآمالِ، وخصَّه في خيمة الحُكْمِ وأساسِ العرشِ وكذا في خيمة
 الحِلْمِ ورحمة القلبِ من جنبابه المبارك. وما شأنُ هذه، وجُملةُ الإشاراتِ والأفكارِ
 لدى ملكِ العالمِ الميمونِ والمباركِ والميسرِ هي إقبالُ أيضًا. ولأنَّ خاطره المبارك
 ناظرٌ دائمًا إلى الضعفاءِ والمظلومين، وعينه مُلْتَفَتَةٌ إلى ملتمسي العَدْلِ والمحتاجين،
 لا بدَّ أن يكونَ نظْرُ عناية ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ناظرًا إلى ناحية
 جاهه ودولته، وقد كان من الغيرةِ الإلهية والعناية أن كلَّ هذه المزعِجاتِ أصابت
 دولته في هذا الوقتِ لكي يزدادَ كلَّ لحظة رجوعُ قلبه المبارك عن جُملةِ السُّلاطينِ
 إلى حضرة سُلطانِ السُّلاطينِ، جلَّ وتعالى. [٦١] صاحِ حضرةُ الحقِّ بمُلْكِ الدُّنيا
 [قائلًا]: تعرَّ أمَامَ المَلِكِ لكي يرى عيوبَ عَدَمِ وفائِكَ واغسِلْ عنكَ حَفْلَكَ ورفَقَكَ بهاءِ
 المكروهاتِ لكي يرى الملوكُ الآخرونَ لونَ فَنائِكَ في آخرِ دولتهم ويخجلوا من
 تعشِّقِكَ والتعجُّبِ إليك. وهذا المَلِكُ يرى السَّعادةَ والدولةَ في الأولِ ويرتبطُ قلبه
 المباركُ ارتباطًا تامًّا بحضرتنا فيزيدُ مُلكاهُ على الآخرينِ ويُخَلِّدانِ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. وإنَّ كلَّ سطرٍ من هذه الرِّسالةِ نكتةٌ تستدعي
 الشَّرْحَ لكي لا يؤوِّها من لا يرى إلَّا الظَّاهِرَ بفهمه السَّقِيمِ؛ لكنني أخشى عَيْبَ

الإطالة، وأسأل الله أن يُنزّلها على خاطِرٍ عاطِرٍ وضميرٍ واضحٍ ومكشوفٍ. إنّه وليُّ الإجابة، ودعوةُ المخلصين مُستجابة.

الرسالة الثانية

[إلى مُعين الدين پروانه في شكر إحسانه

إلى صَدْر الدين]

المَلِكُ تعالى، جَلَّ جلالُهُ، الذي هو مالِكُ المُلْك، يَخْتَصُّ أَحَدَهُم بِمُلْكِ الدُّنْيَا، وَيَضَعُ تاجَ العِزَّةِ فوقَ رَأْسِهِ، وَيَجْلِسُهُ على عرشِ المَمْلَكَةِ، وَيَجْعَلُ البَقاعَ والأَصْفاقَ مَسْخَرَةً وَمَطِيعَةً لأَمْرِهِ وَرَهْنًا لِإِشارَتِهِ، وَيَجْعَلُ قُلُوبَ العُصاةِ طَوْعًا وَكَرْهًا، خاضِعَةً وَمُنْقَادَةً لَهُ، وَيَجْعَلُ الخِزائنَ والعِساكِرَ فِداءً لِمَراتَاتِهِ؛ لِكَي يَكْفِي بِلُطْفِ الخِزائنِ وَقَهْرِ العِساكِرِ مُوَالِي مُلْكِهِ، وَيَجْعَلُ صَدْرَ المنبرِ وَنَقْدَ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ بَرَسِمَ اسمِهِ وَألقابِهِ وَخُطْبَهُ وَسِكَّتِهِ. ثُمَّ فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ يَمحُو فِي كُلِّ لَيْلَةٍ هَذِهِ الرُّقُومَ العَجِيبَةَ الَّتِي نَقَشَهَا المِهندِسُ القَدِيمُ على لُوحِ التُّرابِ: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ [٦٢] [الإسراء: ١٢]. حَتَّى على حِينِ غِرَّةٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لَا يَبْقَى أَمِيرٌ وَلَا مَأْمُورٌ، وَلَا حَاكِمٌ وَلَا مَحْكُومٌ، وَلَا مَلِكٌ وَلَا مَمْلُوكٌ؛ لِكَي يُعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الخُطُوطَ مَحْكُومَةٌ لِيَدِ مِهندِسٍ؛ وَعِنْدَما لَا تَكُونُ هُنَاكَ آيَةٌ إِشارةً، تَمحُو بِلَيْلِ المَوْتِ كُلَّ شَيْءٍ، لِكَي يَغْدُو مَعْلُومًا لَدَى الجَمِيعِ أَنَّ غَوَاصَ المُلْكِ الزَّائِلِ هَذَا نَمُودَجٌّ وَأَصْطِرْلَابٌ لِلإِعلامِ بِالْمُلْكِ الثَّابِتِ وَالتَّاجِ وَالتَّخْتِ والعِسكرِ والمَخْزَنِ الثَّابِتَةِ. لِأَنَّ كُلَّ خَيَالٍ هُوَ نَمُودَجٌّ لِحَقِيقَةٍ،

وكلّ منام نموذجٌ لتعبير. وإن صرّفَ الهمةَ العاليةَ الملكيةَ النبويةَ لملكِ الأمراءِ
 پروانه المعظم، وشوقه إلى لقاءِ حضرة الدائم، واجتهاده وطلبه الرضى، وحبّه
 الفقراء، وتفكّره في العاقبة، واعتماده على وعود الحقّ تعالى، [هذه جميعاً] منامٌ
 تعبیره علو المرتبة وكمال العناية وحسنُ العاقبة لتلك الحضرة الفريدة، أدام الله
 علوه. وإن طيبَ خصاله شهادةً على كماله؛ وسعادةً التوفيق هذه، المعطاة له،
 جعلها الله بلا نهايةً وبلا انقطاع!

والألطافُ التي أمر بها في شأنِ ابنتنا الأعزّ صدر الدين عُلِمَتْ، وشُكِرَتْ؛
 ويؤمّل أن لا تقع في التأخير؛ لأنّه «في التأخيرِ آفاتٌ، و«الخيرُ لا يؤخّر»، «عجلوا
 بالصلاة قبل القوت». ويقول الثّوابُ من أين نعطي وكيف نفعل؟ - ونقول
 الحضرة:

أستاذك هو العشق، وعندما تصلُ إليه

هو نفسه سيقولُ لك بلسانِ الحال: هكذا افعلْ

إنَّ جَيْلَ نَفْسِهِ وَأَبْنائِهِ، الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاؤُهُ وَأَعْدَاءُ رُوحِهِ وَإِيمَانِهِ وَهُمْ مَانِعٌ
 وَحِجَابٌ لَهُ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ بِمَثَلِ طَرِيقَةٍ، وَحِيلَةٍ أَهْلِ الْحَقِّ وَعِبَادِ الْحَقِّ وَأَحْبَائِهِ
 الطَّيِّبِينَ، أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى مِنْ أَجْلِ الْامْتِحَانِ حَوَّلَهُمْ إِلَى أَنْاسٍ كَانُوا يَدْعُونَ مَحَبَّةَ الْحَقِّ
 وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتْلُونَ الْأَوْرَادَ حَتَّى قَالَ الْمُنَافِقُونَ ﴿أَنُطِيعُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْتَهُ﴾ ﴿٤٧﴾
 [يس: ٤٧] هَكَذَا اللَّهُ، الَّذِي يَدْعُونَ الْإِخْتِصَاصَ بِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ إِنْفَاقَ حَاجَاتِ
 خَاصَّتِهِ حَتَّى يَحَوِّلَهُمْ إِلَى الْآخَرِينَ؟ فَيَجِيبُ الْحَقُّ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ [المنافقون: ٧].

لا يعلمون أن هذا من أجل الابتلاء؛ فإن رضى عبادنا هؤلاء هو رضانا؛ لأننا أخفينا رضانا في رضاهم: لو صعدت بالحيّل إلى سبع سماوات لما أدركت رضائي، بل تكون مثل إبليس في مقام القهر. ولو نزلت حتى إلى ظهر الثور والسمكة في تواضع هواك وهوسك لما أدركت رضائي. قال: ما ويسعني أرضي وما ويسعني سمائي، وإنما ويسعني قلب عبدي المؤمن، وقد وضعت رضاي في رضاهم، فانشد رضاهم فإن العاقل والمقبل هو من يطلب الشيء من حيث وضعته أنا.

اطلب الدر من الصدف، وناجحة المسك من الغزال،

واطلب من الرجال القلب، ومن الجهال التفج والاذعاء.

والباقي مكشوف ومعلوم، الله الله الله، لا يحول في هذا الباب إلى التواب. [٦٣]

وما غلظت رقاب الأسد حتى بأنفسها تولت ما عنها

الرسالة الثالثة

[في شأن جمال الدين المعيد
مع إيلاخ نحيات سراج الدين]

الله الذي أظهر لنا طريق المهجران

أمل أن يسهل لنا طريق الوصال

الله، جلّ جلاله وتوالت أفضاله، شاهد ومطلع ﴿وَكُنْ بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾ [الأنعام: ١٩] على أن صورة الابن العزيز - فخر الأئمة والمفكرين، تاج الفضلاء والمعيدين، ذي الفنون، أنيس الأولياء، الولي الخفي، جوهر المنجم، أنور الأهلّة، مفخر الأجلّة، جمال الدين - بلغه الله تعالى أعلى مراتب البصيرة واليقين، وفضّله على كثير من عباده المحيّن - والخيال المفرح لمن له سيماء الصديق، المبارك المنظر الميمون المخبر المتجرّد والشريف السرّ هما ليلاً ونهاراً أمام نظري. وقد بلغ من حلاوة صُحبة هذا العزيز وصدقها أن هبوب غبار النسيان لم يستطع نحو آثار صورته العزيزة من نظّر العين والقلب مع مرور الزمان وتواتر الهجران؛ ذلك لأنّ الأخلاق الملكيّة لذلك العزيز ناسخة للمبدأ الذي يقول: «طولُ العهد مُنْسٍ». وبرغم ذلك فإنّ استسقاء الاشتياق وجوع بقر الأمل، لا يشبعهما أبداً وفاء التصوّر والخيال وعزاؤهما ولا يرضيهما، ولم يُضعف أيُّ مجمع للأصحاب ولا مجالس الذّكر والمراقبة تمّني حضور ذلك الابن. ويؤمّل من جامع الشّتات ومُنزل البركات وقاضي الحاجات، جلّ جلاله، أن يزيل عن قريب غير بعيد الصّوارف والموانع، ومثل الإتيان بعَرْش بلقيس وجِسم إدريس ﴿عَالِيكَ بِهِ﴾ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿[النمل: ٤٠]، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] يجمع الأسباب اللطيفة الظريفة لكي تُسرّ العين العطشى وتبتهج بلقاء ذلك الابن «إنّه على ذلك قديرٌ وبالإجابة جدير». ما هو قليلٌ من النفقات علينا، وما هو لا تُقْبَلُ بذلك الابن حوائينا. والمؤمّل أن لا يتأخّر. [٦٤] قال النبيّ صلى الله عليه

وسلم: «إِنَّ لِّلّهِ فِي أَيَّامٍ دَهْرَكُمْ نَفَحَاتٍ، أَلَا فَعَرَضُوا لَهَا». وعند أهل التحقيق أَنَّ هذه النفحات هي أنفاسُ إخوانِ الدّين الذين أحرزوا السَّبَقَ على الإخوان الآخرين. فأنفاسُهم وأنظارُهم والمعشرُ الطّيبُ معهم نفحاتٌ ومواهبٌ وعطايا وِجَلَعٌ من الحقِّ جديرةٌ بالاغتنام؛ والإعراض عن غيرها هو عينُ اغتنامها.

لا ترفع عن مقام الشُّكر قدماً

وضَع رأسَكَ في المكان الذي شربت منه الخمرة

«السُّكَّارِي يَسْلُمُونَ»، والسُّكَّارِي الذين عدُّهم ألفَ هم شخصٌ واحدٌ. «عليك السلام» معناه أن تأتي لا أن تتحدّث وتكتب من بعيد؛ إنّه لا ينبغي القناعةُ بذلك الوصالِ الذي نكون فيه [أنتَ وأنا] في منزل واحد؛ بل لا ينبغي القناعةُ بأن نجتمع في قميص واحد، لأن ذلك مخجلٌ. البارئُ جلّ جلاله الذي هو جامعُ الأحباب ومؤلّف الأصحاب ومزيلُ الأحزان ورافعُ المهجران وصانعُ الأرض والسماء، عالمٌ وشاهدٌ - ﴿وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] - أنه لو كان ممكناً في هذا الوقت وساعدتِ الفرصةُ والموانعُ التي لا يستطيع القلمُ وصفُها والقيودُ المحكمة، فإنَّ الخاطرَ المنيرَ للأخ الأعزّ، فخرِ المدرّسين والمعيدّين، الأعلَمُ الأعدلُ الأجددُ الأسعدُ الأشرفُ الأروعُ الأورعُ الأفضلُ الأكملُ، مجدِّ الأئمة، سراجِ الأُمّة، الملكيّ الأخلاق، الصّفيّ الأعراق، النجمِ الزاهرِ والبدرِ الفاخر، مع بقيّة ألقابه وأوصافه الأصليّة الحليّة، أدامَ اللهُ علوه وفضله وتوفيقه وإرشاده إلى سلوك أحسن السُّنن، وتقبّل حسناته، وتجاوزَ عن سيئاته،

وأسبغ عليه كراماته - والضمير^(١) المشرق المفكر في الخير المحترف للشفقة، الذي السخاء شعاره، والوفاء دثاره المبارك، يعلمان^(٢) أن الحق تعالى يضع موانع وقيوداً عظيمة إذا منع شيئاً وربطه بمكان، قيوداً ليست من حديد ولا من خشب ولا من الموكل ولا من شور المدينة، بل هي قيود روحانية، ذلك لأنه يوجد مخلص من قيود الحديد ويمكن الفراز من موكل الترك، ولا يمكن الخلاص من تلك الروابط الروحانية [فقد قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ [يس: ٨]، وهذه أغلال روحانية اسمها القضاء والتقدير وهي في عنق الخاص والعام حتى إنهم لا يستطيعون الخروج خطوة واحدة من المحكوم والمقدور - أنه^(٣) لو لم تكن هذه الموانع موجودة لسافرت إلى هذا الأخ مئة مرة، ولاستعددت لأن أجيء إلى ذلك المقام، بنفسى، من دون رسالة ومن دون كفاية، بسبب عدم الصبر وكثرة الاشتياق وطول الفراق. شعر:

وكذت أطيّر من شوقي إليكم وكيف يطيّر مقصوص الجناح؟
والتوقّع من وفاء ذلك الأخ وأخوته وحسن عهده ومودته والرابطة التي يعزّ
شرحها كتابة، ولا يستطيع اللسان بياتها، وتلك المودة المؤكدة بسوابق الألفة والمجانسة

١ - معطوف على خاطر النير فيما تقدّم.

٢ - الجملة هنا في محل رفع خبر لـ «فإن خاطر المنير... والضمير المشرق...».

٣ - يبدو الكلام هنا تلميحاً لما جاء قبل من قوله: «أنه لو كان ممكناً في هذا الوقت وساعدت الفرصة والموانع...».

فإن «الأرواح جنودٌ مجتدة»، رُباعي: [٦٥]

في الأضلّ كان واحدًا روحي وروحك،

ظهوري وظهورك، وخفائي وخفاؤك،

ومن السّذاجة والفظاظة أن أقول: أنا وأنت

فقد زال «أنا وأنت» من بيني وبينك.

برغم أن العوامّ يفهمون هذا بطريق التّأويل والتّشبيه، بعيدًا عن الرّوح الشريف
الفقريّ الصّفة الدّرويشيّ العنصر = أن يتأمّل (*) في هذه الكلمات بسّنع التّأويل
والتّحريض، فيسهّل العلائق بقدر ما يستطيع، ويتصوّر توقّع النّفع من الجهات
والأماكن عدّمًا، ويُعرض عن التّوقّع والطّمع وعن الدّعوة التي جعلها وسيلةً، ويستظر
مكافأة ذلك من تلك الطّائفة.

يُقرض ذلك التّوقّع حضرة من قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾
[البقرة: ٢٤٥] وسيؤتيه الحقّ تعالى أضعاف ذلك، أحلّ من ذلك وأزكى من ذلك
﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧) ﴿آل عمران: ٣٧﴾، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. ومعلوم أن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، لا سيّما
فرقتنا التي لا تُقارَن بفرقة الآخرين.

هناك فرق بين العشق الذي ينبعث من الرّوح

* أن وما بعدها بتأويل مصدر في محل رفع خبر لـ «التّوقّع» في أوّل الفقرة [الترجم]

وذلك الذي تربطه بك بخيط

الله، الله، الله. لا يحتاج إلى كتابة رسالة مرة أخرى بعد هذه الرسالة لكي يظفر بثواب السماء والأرض. والإمام الفرد، الأخ الأعز سراج الدين، المجاهد الطالب للحق - أتم الله مراده ومراد أحبته - يتنسم ليلاً ونهاراً أخبار هذا الأخ وآثاره من الصادر والوارد، ويوصي كل شخص بأن يعرض بأبلغ ما يمكن، وشرائط النيابة بعيدة عن ذلك، وحتى الآن لم يقصر أبداً ويبلغ السلام على الدوام ويقول: استهن بالأشياء كلها وفقاً لعادة علز همته، لأن لها كلها أعراضاً، ولا تستهن ببقاء بقية العمر. شعر:

عندما تظفر بلحظة من حبيب عزيز

فإنك تظفر في تلك اللحظة بنصيبك من العمر

فحذار من أن تُضيع تلك اللحظة؛

لأنك لن تظفر بمثل هذه اللحظة مرة أخرى

وإن بقية الأصحاب من الفقهاء والدراوش جميعاً مشتاقون إليكم ومنتظرون قدومكم «كانتظار الربا لمطار السماء»؛ لأنه ليس للربا مدد من النهر، بل مددها من السماء. وإن شاء الله تعالى اللقاء حاصلٌ بأسرع الأزمان وأبرك الأحوال. آمين يا رب العالمين.

هناك غنائم وأرزاق في خزينة الكرم، مهما سعيته وخذك لتحصل عليها هناك فلن تحصل عليها، ونحن أيضاً من دونك ههنا مهما جددنا في الطلب فلن نحصل عليها؛ مثل حديد المقدحة الذي مهما تحرك وخذته من دون الحجر [٦٦] فلن تظهر شرارة النار؛ وكذلك الحال مع الحجر من دون حديد، وكذلك الحال مع الاثنين من

دون الخِرْقة، وكذلك الحال مع الثلاثة من دون يَدِ القادح؛ ذلك لأن «الجماعة رحمة». ولا يَعُدُّ هذا الكلامَ تمثيلًا بل بعده تحقيقًا وواقعًا، ويعمل بذلك متوكلًا على ربه. وإذا رششتَ الماءَ على الرأسِ فإنَّ الرأسَ لا ينكسر، وإذا نثرتَ التُّرابَ على الرأسِ فإنَّ الرأسَ لا ينكسر، أمَّا إذا ضربتَ الماءَ والتُّرابَ أحدهما بالآخر ثمَّ ضربتَ الرَّأسَ فإنَّ الرَّأسَ ينكسر: «الرَّفِيقُ ثُمَّ الطَّرِيقُ» و «الجَارُ ثُمَّ الدَّارُ»، ﴿الَّذِينَ يَقْنِتُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُوعٌ﴾ [الصف: ٤]، ملتصقًا كُلُّ منهم بالآخر حتَّى صاروا جدارًا مرصوصًا متماسكًا، لا مكانَ بينهم لعدوٍّ أو مخالف، وحتَّى سيخُ الفولاذ لا يدخل بينهم من فرطِ التصاقِ كُلِّ منهم بالآخر؛ ذلك لأنَّ النُّصرةَ متوقَّعةً على مثل هذا الالتصاق. ولا وجهَ لأن يؤمِّلوا النُّصرةَ وهم متفرقون في الأمصار، بعيدٌ كُلُّ منهم عن الآخر. يقول [تعالى] ﴿كَرِّمٌ أَخْرَجَ شَطَنَهُ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهكذا اجتماعُ الشُّطوءِ شرطٌ للنشوءِ والنَّهْي، إذ إنَّكَ تزرعُ البذرةَ نفسَها في الأرضِ نفسها وفي الجوّ نفسه فلا يحصلُ النَّمُوُّ منها وخدها. ولو كُتِبَتْ نظائرُ ذلك وشواهدُه لاحتجَّ إلى طوامير. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا... الآية﴾ [الكهف: ١٠٩]، «ولو تأملتَ فيه قليلًا لتبيّنَ لك من قليله كثيرًا، إذ قليلُه يَدُلُّ على كثيره»، ومن أجل التمثيل والنموذج لا يُحْمَلُ من مخزن الحبِّ أكثرُ من حَفْنةٍ ولا من بستانِ الوَرْدِ أكثرُ من باقة، ولا يؤتى إلى السُّوقِ بالمخزن والبستان ليكونا نموذجًا، لا يمكنُ أن يؤتى بالبستان إلى المدينة. «ألهمه الله وإيانا ما يحقُّ به آمالنا ويُصلح به أعمالنا» - آمين يا ربَّ العالمين.

الرسالة الرابعة

[إلى صلاح الدين يدعو إلى اللقاء لأنه

لم يره منذ سنوات]

« الله يجمع بيننا، ويرفع البعدَ عن بيننا، فهو مفتَحُ الأبواب ومسبَّبُ الأسباب. »
 [٦٧] أمضى الله الأيام والأوقات على الابن العزيز المخلص المجلو القلب المتفتن
 الروحاني الواسع الصدر الرفيع القدر، افتخار العلماء والعارفين صلاح الحق والدين،
 أدام الله علوه، في خير المكاسب وفي أسنى المطالب، وسير رفيع الدرجات سيران
 روحه المطهر المقدس في أعلى المراقي، بمتنه وجوده. يطالع السلام والتحية من هذا
 الوالد المخلص. ومعلوم أن القسمة الربانية والتقدير السماوي يجعلان أحوال اجتماع
 الأحبة والمحبين كموج البحر في جزر ومد، وفي الحالين كليهما، عندما تنظر على جهة
 الحقيقة، هم مجتمعون من حيث المعنى ويكمل كل منهم حال الآخر، مثلما أن جزر
 الأمواج ومدّها واجتماعها وافتراقها في الحالين مكملّة لحال البحر وأهل البحر، ومثلما
 أن كثر المبارزين وقرّمهم مكملان لحالهم في طلب الظفر والنصرة، برغم أنه في الظاهر
 يكون واحد في حال كثر والآخر في حال قر، وليس هذا في معنى المخالفة.

مثل بائعي الحمير يجارِبُ أحدهم الآخر

لكنك عندما تتأمل تجدّهم متفقين على عمل واحد.

وبرغم ذلك، هو قادرٌ على الإطلاق، فقدرته غير مقصورة على صفة واحدة، بل
 شاملة للصفات كلّها والأحوال كلّها، قادرٌ على أن يجمع ظاهراً وباطناً الأحبة، ولا
 يتصور هذا العرض المعنوي موقوفاً على اجتماع الظاهر، بل يجمعهم في الصورة

والمعنى، لكي لا يكون ظاهرًا باكيًا من الفراق ولا باطنًا باكيًا من القوت. المقصود أنها قدرة عظيمة، ومهما ذكرت من لطفٍ ورحمةٍ وعفوٍ فهي أكثر مما ذكرت. «حدث عن البحر ولا حرج».

كانت أيامُ فراقِ صورة هذا الابن كالسنين في الشدة والكراهية. ويُلتمس من لطف الابن أن يجتهدَ بالمجيء إلينا، لأنَّ «سنةَ الهَجْرِ سنةٌ»، ويقدمُ لنا عهدَ وصاله الحلو اللطيف هديةً، ستكون مقبولةً ومبرورةً. وإن شاء الله تعالى لن تظهر موانعٌ وعلائقٌ تغطي فوائدَ المجيء. إنَّ أرواحَ المحيِّين منتظرةٌ، والمؤملُ أن تُسرَّ من دون توقُّف، ببقائه ومكالمته ومحادثته وإفادته وإفاضة لطائفه العزيزة التي لا نظيرَ لها ولا زالت متضاعفةً متصاعدةً، ﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمَنُهَا﴾ [النجم: ٤٢]. دمت واسِعَ الصدر [٦٨].

الرسالة الخامسة

[كُتِبَ بِالْحَاحِ مِنْ ظَهْرِ الدِّينِ عَلَى

سُلْطَانٍ وَلَدَ، فِي الْحَثِّ عَلَى اسْتِنَاعِ

النصائح]

الأميرُ ابنُ الأمير، المحسِنُ المخلصُ العاليُ الهمة، المتوجُّهُ إلى طلب العلوم، الحريصُ على إحراز الفضائل، ظهيرُ الدِّين - «حقَّق الله مرادَه وشرحَ صدرَه وأقرَّ عينه وأعیننا برؤيتكم ولقياكم، وعن أعیننا لا أخلاكم» - شَفَعَ الوالدَ والدَّاعيَ بمبالغةٍ والحاج، لکنه لم يُطل خشيَّةً ملالة الجسم النحيف الممارس للرياضة الصوفية لدى الابن، أدام الله علوه. المؤملُ أن تكون شفاعَةُ هذا الوالد مقبولة. وهو شائقٌ ومشتاقٌ

جداً ومحتاجٌ إلى إرشاد هذا الوالد ومعاونته، ويتعهد بأن يجعل النفس والمال فداءً لكم ولا يتأسف على ذلك، وهذه الدعوة شأنٌ للوالد نفسه.

وأنا أم موسى فهل أطلبُ من مليكي

ثمنَ اللبن الذي أرضعته إياه؟

والسلام.

الرسالة التاسعة

[إلى سلطان ولد في التوصية برعاية

فاطمة خاتون زوجه]

عالم السر وما في الحجاب

ألم يحذروا مَنْحَ الذي يمسحُ العدا ويجعلُ أيدي الأُسْدِ أيدي الخرائقِ

وقد عاينوه في سواهم وربما أرى مارقاً في الحزبِ مصرعَ مارقِ

تعودُ أن لا تقضمَ الحبَّ خيلُه إذا الهامُ لم تَرَفَعْ جُنُوبَ العلائقِ

ولا تَرِدَ الغُدرانَ إلّا وماؤها من الدَّمِ كالزَّيْجَانِ فوق الشَّقَاتِقِ

[٦٩] يعلمُ الابنُ العزيزُ فخرُ الدِّينِ وروحُ المدرِّسينِ - كَلَاهُ اللهُ ورعاهُ ومن الخيرِ

والسعادة لا أخلاه - أن سَلامَ الوالدِ ودعائه لا ينقطعان لا نهاراً ولا ليلاً، لا في الفراقِ

ولا في التلاقي؛ لكن في هذه اللحظة ليس لدي القدرةُ على التسليم عليك بسبب حيرة

المحير الذي يخاطبه المسلمون بالقول: أنتَ السَّلامُ، ومنك السَّلامُ، وإليك يُرْجَعُ

السَّلامُ، يا منتهى الأوهام - تبارك وتعالى. وأنا في حالٍ من الانشغال بسبب كمال

الشفقة ووفورها وغليانها وفزط المحبة إلى درجة أنه حتى في حال الموت وما بعد الموت لا نهدأ هذه المحبة ولا يسكن هذا الشوق ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ يَا غَفَرِ لِي رَبِّي ﴿[يس: ٢٦ - ٢٧]، «قيل: قتلوك وقطعوك ولم تقطع النصح عنهم لا حيًا ولا ميتًا لأنك ناصح لا متصح»، مطبوع على النصيحة والمحبة لا متكلف. ومن فرط هذه الشفقة كُتبت هذه الكلمات القليلة المشوشة، التي لا قلب لها ولا يد، وليست صاحبة ولا ثملة، وليست معدومة ولا موجودة، في التوصية برعاية أميرتنا وضيء قلبنا وعيننا وكل العالم التي هي اليوم في حمى ذلك الابن ﴿وَكَفَّلَهَا ذِكْرِيَا﴾ ﴿[آل عمران: ٣٧]، أودعت على سبيل الامتحان العظيم للأمانة. والمؤمل أن يضرم النار في أساس الأعذار، ولا يتحرك لحظة واحدة ونفسًا واحدًا، لا قصدًا ولا سهواً، ولا يغير وظيفة العناية والرعاية حتى لا يدخل في خاطرها ذرة واحدة من تشويش عدم الوفاء، والملال. وهي نفسها لم تنبس ببنت شفة لما تتمتع به من طهارة جوهر وعنصر ملكي وصير موروث فطري:

فرخ البط برغم أنه ابن الأمس

يكون ماء البحر إلى صدره

لكن حذار من مرصاد الأرواح الإلهية التي تراقب ذرياتها الطيبة، وإشهادها ومشهودها [إذ يقول تعالى: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، الله الله الله الله الله الله الله! ومن أجل بياض الوجه الأبدي لهذا الأب ولك أنت، وللقبيلة كلها، يُبقي خاطرها عزيزًا، ويجعل كل يوم وكل ليلة مثل اليوم الأول وليلة الزفاف في

اصطياد محبة القلب والروح بالشباك؛ ولا يتصور أنه مصيدٌ، وهو غير محتاج إلى الصيد فإن ذلك ملهَّبٌ من لا يريدون سوى الظاهر ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧]. ذلك لأنهم ليسوا من ذلك العنصر الذي يُقدِّم ويَبْلَى، وإن نُصرة العناية الأزلية أكبرُ من أن لا يكون محلُّهم كلُّه منورًا ومعطرًا، ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ۝١﴾ وطورِ سِينين ﴿٤﴾ [التين: ١ - ٢]، الذي هو قَسَمٌ بجهادات، إن قَدَمها وصلَّت يومًا إلى مرتبة «با عِلِّيُّ، لو رأيت كِبدي ينجرُّ على الأرض، إيش تصنع به؟ - قال: لا أستطيع الجواب يا رسول الله، أجعلُ جفنَ عيني مأواه وحشَوْ فؤادي مثواه، وأعدُّ نفسي فيه من المجرمين المقصرين». فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فاطمةُ بضعةٌ مِنِّي، أولادُنا أكبادُنا نَحْمِي على الأرض.

والله الذي لا إلهَ إلا هو إتما لم تشكُ قطَ ولم تُرْسِل رسالةً أبدًا، لا إيماءً ولا إشارةً ولا تعريضًا؛ بل لم يكن صَنِيعُها إلا الشكرَ والدعاء المتواصل والمتعاقب والثناء على حُسن المعشر والمروءة [٧٠] والمحبة ودقائق الرعاية. إلا أنه من دون كلام الخلق ومن دون إشارتهم ومنذ علة أيام، يأتي إلى فكري بصوت عالم الروح ووراء عالم الصورة، صورةٌ من دون صورة وتخزي؛ لا أعلمُ أهي حكايةُ حال أم مآل، امتحانٌ مباشرٌ أم موجِّلٌ؟ وفي الجملة حَرَسَهَا اللهُ ﴿وَمِنْ مَّكَرِ الْفَقْهَاتِ فِي الْعَقْدِ﴾ [الفلق: ٤] ومن آفات الشبكات في الحال والمآل، بحق عمْدٍ وصَحْبِهِ خَيْرٍ صحبٍ وآل - إن أذى تلك الأرواح ليس أذى واحدًا ولا مئة أذى ولا ألف أذى.

إن الخروجَ من الروح والدنيا ليس أمرًا صعبًا

الصَّعْبُ هو الخروجُ من المكانِ الذي توجدُ فيه
 ماذا الوداعُ وداعُ الوامِصِ الكَومِ هذا الوداعُ وداعُ الرّوحِ للجسدِ
 أنا نفسي أعلمُ أنك لا تخطئ
 لكنّ قلوبَ العشاقِ سيئةُ الظنِّ

ويحفظُ هذه الوصيةَ ويكتهما ولا يذكر لأحدٍ حديثَ هذه الرسالة؛ لأنّ فيها سرّاً
 وكلماتٍ آخر تتمتّها ومخلّصُها في الخاطر والبال، ولا يمكن كتابتها. ولكن عندما يحفظ
 هذا ولا يقول: لديّ، ويعدّ ماذا أفعل، فإنّه من بركةِ هذا الحِفظِ يعلمُ الباقي الذي لم
 يكن يعلمه ويعلمُ شيئاً آخر أيضاً إضافياً «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ».
 دمتَ يقظاً ومُتنبّها في هذا الكمين الحافل بالأخطار، آمين يارب العالمين.

إِنَّ كُلَّ مَنْ يَجِبُهُ حَضْرَةُ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] يجازي أَقْلَ زَلَّةٍ لَهُ بِمَنْةِ
 أَلْفٍ وَلَا يَأْخُذُ الْآخَرِينَ بِأَوْزَانِ الْجِبَالِ مِنَ الزَّلَاتِ. كُلُّ مَنْ أُرْسِلَ إِلَى الصَّحْرَاءِ فَتِلْكَ
 هِيَ الْغُرْبَةُ. وهذه ذكرى من سلطان الفقراء - عَظَّمَ اللهُ قُدْرَهُ.

الرسالة السابعة

[إلى علاء الدّين جلبي في دعونه إلى

المدبنة]

[٧١] كما قال الله تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وفقه الله إلى العفو الكريم والخلق

العظيم ﴿وَكَاثُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]. إذا كان خاطرُ الابنِ العزيزِ، قُرّةُ العيونِ، افتخارِ المدرّسينِ، مؤنسِ الفقراءِ، زاده الله علّوا، قد تغيّر وتكدر بسبب تقصير الوالدِ في السّلام والسّوالِ، وبسبب استعجال الاجتماع بالمجيء من البستان إلى المدينة، فالمرجوّ أن يتحمّل هذه المنغصاتِ بخُلُقهِ الحَسَنِ وخُلُقهِ المحبوبِ، ويعفو، ويأتي إلى المدينة سريعاً، وينتقل بمباركة وسرور؛ ليستيقن الجميعُ أنّه لم يبق في خاطره العزيز أيُّ تغيّر وتأذٍ، من مخالفات المخالفين. وهذا الوالدُ مرّةً أخرى ممنونٌ مِنّةً عظيمةً، تضاف وتنضمّ إلى صُور الإحسان والانقياد الأخرى - إن شاء الله تعالى.

مهما كان أصحابك الجُدُّ من ذوي الجاه والشأن

لا تنسَ أصحابك الأقدمين

إذا كان صاحبك الجديدُ فذاً فريداً

فإنّ صاحبك القديمَ من أهل البيت أيضاً

واذكر صابئنا إليك وشوقنا وارحم بناتك، إتهنّ صغاراً
وليس خافياً على العقل الدّراكِ لهذا الابن العزيز أنّ في الانتقالِ السريعِ إلى هنا،
في هذا الوقتِ، والقائه الظّل على الأبناء الأعزّاء وعلى التلاميذ والمتعلّمين، مصلح
كثير يصعب كتابتها بالتفصيل، بل إنّ سدّ أفواه قالة السّوء وإبطال كيدهم والتسليّة
ودفع ملامة الناس هي أكبرُ من الخلوة والرّاحة بال عزلة، بل هي أضعافُ هذه الفوائد؛
وكُلُّ ما يضيع من فوائد البستان من الاستئناس والاسترواح بالخلوة يُجَبّرُ بمراعاة
الاجتماع ومعاودته بأضعاف مضاعفة: «مَنْ جَعَلَ المَومَ هماً واحداً كفاه الله سائر
همومه»، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ

لَكُمْ ﴿[البقرة: ٢١٦]، «خُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحَقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

أَسِيءُ أَنَا فَتَجَازِينِي أَنْتَ بِسُوءٍ،

قُلْ لِي إِذَا: مَا الْفَرْقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟

الله، الله، سريعًا سريعًا، يُجِيبُ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ، كَالْبَازِ مِنْ مَحَلِّ الْإِقَامَةِ فِي الْعِشَاءِ،
وَكَالسَّهْمِ مِنْ قَبْضَةِ الْقَوْسِ، بِقَلْبٍ مَنُشَرِّحٍ وَعَارِضٍ مَنُفَسِّحٍ «الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ». وَلَوْ
كَانَتْ هَذِهِ الرَّحْمَةُ غَيْرَ غُفْيَةٍ عَنِ الْإِنْسَانِ، لَكَانَ ذِكْرُهَا مِنْ دُونَ طَائِلٍ - جَلَّ الْمُسْطَفَى
عَنْ ذَلِكَ.

[٧٢] ثُمَّ إِنَّ اجْتِمَاعَ الْأَشْجَارِ وَالنَّامِيَّاتِ دُونَ اجْتِمَاعِ الْحَيَوَانَاتِ، وَاجْتِمَاعِ
الْحَيَوَانَاتِ دُونَ اجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيَّاتِ فِي السَّرُورِ وَالْأُنْسِ، وَاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيَّاتِ دُونَ اجْتِمَاعِ
الْأَصْحَابِ الْخُلُصِّ. وَإِذَا كَانَ لِلْإِنْسَانِ أُنْسٌ بِالْخَلْوَةِ، أَزْدَادَ أُنْسُهُ بِأَصْفِيَاءِ الصَّحْبَةِ
«الْخَلْوَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، وَجَلِيسُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ». وَهَكَذَا يَخْلُصُ هَؤُلَاءِ
الضَّعَفَاءُ مِنْ مَذَلَّةِ الْغَمِّ وَوَسْوَاسِ الْفُرْقَةِ وَيَحْرِّرُهُمْ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا
النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

أَنْ تَسْتَعْبِدَ حُرًّا وَاحِدًا بِإِحْسَانِكَ

خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَحْرَرَ أَلْفَ عَبْدٍ

دُمْتَ مُحْسِنًا وَصَافِيًا وَمُصَفًّى - آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى الْمُصْطَفَى إِمَامِ
الْحَسَنَاتِ وَنِظَامِ الْكِرَامَاتِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ أَجْمَعِينَ.

الرسالة الثامنة

[إلى مجد الدين أنابك في جواب رسالته]

[وإظهار المسرة بعودته مع الأصحاب]

وصلت سعادة الرسالة المبشرة المضاعفة لراحة القلب والروح، من جناب
افتخار الأمراء، مختص الملوك والسلاطين، العالم العادل، الملكيّ الأخلاق، فخر
الآفاق، فريد العالم، نادرة الزمان، الحبيب النسيب، ولي الأيادي والإحسان، مجد
الدولة والدين علاء الإسلام والمسلمين، ناصر الهدى واليقين، مع سائر ألقابه التي في
الإضمار ويُجلبها عن الإفشاء والإظهار، أدام الله علوه وكبت عدوه وأحسن عاقبته
ويسره لليسرى وجنبه العسرى، [وصلت] بسعادة وسرور، فحصل من ذلك ألف
نوع من نور العين. وإن صورّ المواساة والملاطفة والموالة والمواخاة بالألفاظ اللطيفة
الظريفة المضاعفة للمحبة المذهبة للغم المشعلة للروح، تفتح مئة باب من أبواب بستان
الروح، ومنطق الطير السليمانى - خلد الله دولته وأتم بغيته ونصر أحبته - صاغ للأذان
حلقة ذهبية وفتح للعقول باب منظر على امتداد البصر. شعر:

لأدى كتابى في شطّور كآتهَا تخانق دُرّ في صدور الكواعبِ
[٧٣] وأعذب من ماء الغمام على الظما وأطيب رِيّا من نسيم الجنائبِ
ذكر حمد الله الذي لا نهاية له، وشكره الذي كل الوجود عاجز عن أدائه، ولا
أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، بقدر إمكان البشر، فإنّ «القليل عند الله
كثير»، وما لا يدرك كله لا يترك كله،

الحمد لله على فضله قد وصل الحق إلى أغله

شعر:

غدا المعشوق مطمئن البال، أبقاه الله كذلك إلى الأبد

وغدا كُفِّرْهُ إيمانًا، أبقاه الله كذلك إلى الأبد

الملوك الذي غدا سبي الخط، من الشؤم غدا شيطاننا

ومن جديد صار مُلْكًا لسليمان، أبقاه الله كذلك إلى الأبد

قُرِئَتِ الْفَوَاتِحُ لَكَ لَا تَقْتَرِنُ خَوَاتِيمُ هَذِهِ الْبَشَارَةِ إِلَّا بِالزِّيَادَةِ، وَتُلِيتَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ لَكَ يُثَبِّتُ سِرِّي الْحِطِّ لِمُرِيدِي الْخَيْرِ لِلدِّينِ وَالْدَّوْلَةِ عَلَى الدَّوَامِ، تَقْبَلُ اللَّهُ تِلْكَ الدَّعَوَاتِ الَّتِي يُطْلِقُهَا مَحْبُو تِلْكَ الدَّوْلَةِ وَمُؤَيِّدُو تِلْكَ السَّعَادَةِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فِي الْحَقْلِ وَالْمَلَأِ. وَتَقْبَلُ الْحَقُّ الْمُتَقَبَّلُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ، مِنْهُ وَتَلْبِيَةٌ لِلْحَاجَةِ، كُلُّ دَعَاءٍ فِي هَذَا الْبَابِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تَحَلَّى بِأَقْلٍ انْتَبَاهٍ يَعْرِفُ أَنَّ دَعَاءَ هَذِهِ السَّعَادَةِ [هَذَا الشَّخْصِ] دَعَاءٌ لَهُ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ، لَا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ. وَأَخَذَ هَذِهِ الْوُجُوهَ أَنَا جَمِيعًا عِنْدَ التَّحْقِيقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشَكُمْ إِلَّا كَنَفِيسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وَكَلَّمَا عَلَتْ مَنَزَلَةُ الْعَضْوِ كَانَ أَكْثَرُ أَطْلَاعًا عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِتِّحَادَ هُوَ صِدْقٌ لَا كَذِبٌ، صُلُحٌ لَا حَزَبٌ. وَيَجْعَلُ الْبَارِئُ تَعَالَى هَذِهِ الْبَشَارَةَ مُقَدِّمَةً لِبَشَارَةِ أَكْبَرٍ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ بَشَارَاتِ الدُّنْيَا طَبِيعَةٌ بُشْعَاعٍ تِلْكَ الْبَشَارَةُ؛ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ شُعَاعُ تِلْكَ الْبَشَارَةِ الْكَبِيرِ مَوْجُودًا لَمَا كَانَ لَأَيَّةٍ بَشَارَةٍ فِي الدُّنْيَا طَعْمٌ أَبَدًا، لَكَانَ لَهَا طَعْمُ التُّرَابِ وَالْقَشِّ. فَذَلِكَ الَّذِي أُعْطِيَ شُعَاعُ عَطَائِهِ لِلْقَشِّ قَمَحًا وَلِلدَّخَانِ أَنْجَمًا، وَلِلتُّرَابِ جَمَالَ الْإِنْسَانِ، أُعْطِيَ شُعَاعُ شَمْسٍ بَشَارَةَ وَصَالِهِ طَعْمًا لِبَشَارَاتِ وَصَالِ الْأَرْوَاحِ الْجَزْئِيَّةِ بِأَمَالِهَا وَمَرَادَاتِهَا، لَكَي لَا يَقْنَعَ الْعُقْلَاءُ بِهَذَا، وَيَطْلُبُوا أَضَلَّ هَذِهِ الْمَرَادَاتِ وَمَعْدِنَهَا وَمَنْجَمَهَا

الذي لا نهاية له وحصول هذه المقصودات، ولكي يصلوا من هذه الفروع إلى تلك الأصول، ويذهبوا من هذا المجاز إلى حقيقة الحصول. وكلُّ إنسان يُثني على الأكابر ويظهرُ محبَّتَهُم بلسانٍ ولغةٍ خاصِّين، فإنَّ لكلِّ قومٍ لُغَتَهُم الخاصَّة بهم: يمدِّحُ الأرمنيُّ بلُغة الأرمن واصطلاحهم، والتركيُّ بلُغة التُّرك. ووراءَ ظاهر اللُّغات المختلفة لغاتٌ أُخر؛ فإنَّ متحدِّثًا بالعربية لا يفهم لغةً متحدِّث آخر بالعربيَّة [٧٤] بمئة مترجم بسبب اختلاف طريقة كلِّ منهما؛ أمَّا التركيُّ فيمكن أن يفهم العربيَّة بمساعدة المترجم ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْبَغُ بِمَجْدِهِ. وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

جعلَ الله على الدَّوام ضميرَه المبارك مستغرقًا بمشاهدة رياضِ الوُزْد التي لا نهاية لها، الجاذبة للقلوب، المفرحة للأرواح، الخفية الواضحة، البعيدة القريبة، العدم في مظهر الوجود، الغريبة في مظهر القريبة المألوفة، المطربة المنشطة للشباب المشغلة للحياة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وعندما أوصلتُ سلامَ ذلك المخدوم، لا زال مخدومًا، إلى حضرة مولانا، أدامَ الله ظلَّهُ، استبشر حقًا. وهو يسلمُ ويدعو كثيرًا، ومشتاقٌ إلى اللقاء المنير لذلك المخدوم دائماً، ومنهمكٌ بالدَّعوات الصالحة؛ تقبلها الله تعالى. والأصحابُ جُملةً، صغيرُهم وكبيرهم، يدعون الدَّعوات الصالحة في أعقاب الصلوات الخمس، ويطلبون الزيادة والمضاعفة لتلك السَّعادة، النَّفاعةِ لجملة الناس؛ تقبلها الله تعالى.

جعلَ الله عودةَ أعزَّاء دولتنا وعظمائها مباركةً وسعيدةً ومبعثًا للأمن والأمان لدى أهل الإسلام. جعلَ الله آلامَ السَّفر التي تحمَلوها والمنازلَ الخشنَةَ التي قطعوها وتحمَلوها وصُحبةَ الغُرباء وخشونَتَهُم التي احتمَلوها، راحةً للدَّراوِش وبقاءً لبقية

الإسلام المستثمر للكرامات والعطيات، وجعلَ هذا السفرَ سبباً لتوفيقِ المؤمنين كافةً إلى شُكْرِ هذا السَّعي، ووقوعِ بذرةِ محبةِ المسلمين في قلوب الغرباء؛ لكي تَسحبَ ثمراتُ هذا السَّعي أولئك الغرباء إلى الصداقة الأبدية، والمؤمنين إلى ضياء الشُّكر، ويكونَ هذا السَّعي ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ويكونَ الأمرُ على أَنَّ الأكابرَ يقومون بهذا الذهابِ ابتغاءَ دَفْعِ الفتنة، ويُظهر الباري تعالى بهذه الوسيلة في قلوب الغرباء عِشْقَ هذا الدِّين والافتتانَ به حقّاً؛ كحال ذلك الأعرابي الذي مضى مسرعاً إلى ناحية تلك البشر، ابتغاءً أن يملأ القربةَ ويطفئ لظى كبده، ثم بالتقدير الإلهي يخرجُ من البشر المظلمة رسولُ ابنِ رسولٍ، ويجلسُ على عرش السلطنة. «العبدُ يدبُّرُ واللهُ يقدرُ»، كما قال:

أو ظمآن كالأعرابي الذي يُلقَى دلوّاً في البئر

فيظفر في الدلو بمعشوقٍ حُلُو كِعِذْلِ السُّكَّر

أو كموسى الباحث عن النار، الذي اتَّجه إلى شجرة

يأتي ليحِمل النارَ، فيظفر بمئة صبيحٍ وسحر

أو كسليمان الذي يشقُّ سُمَّكةً

فيجدُ في بطن تلك السَّمكة خاتماً ذَهَب

إن وراءَ غَرَضِ الإنسان في كلِّ عملٍ مئة ألف فائدةٍ لدى إرادة الحقِّ؛ وقد جعلَ

الحقُّ ذلك الغَرَضَ مهارةً يُقاد به الإنسان ﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾

[الأنفال: ٤٢] ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الرسالة التاسعة

[إلى عبد الدين أتابك في طلب مساعدة

مالية لنظام الدين بسبب أضرار رأما]

[٧٥] جعل الله دائماً آياتَ الصَّاحِبِ الأعظم وأعوامَ الصَّاحِبِ الأعظم، الدِّستور المعظم، آصفِ الزمان، نظامِ مُلكِ الأوان، الأفضَلِ الأعلَمِ الأعدلِ، ظهيرِ الملة المحمّدية، أليفِ القربةِ الأحديّة، المنيرِ العَدلِ، العليّ الهِممِ، المغِيثِ الأعم، مجدِ الدولة والدين، أبي الملوك السلاطين، أدامَ اللهُ علوّه، مصروفةً ومستغرقةً في التوفيقِ إلى أفضلِ الأعمالِ وأكرمِ الخصالِ، وفي تحصيلِ رضى حُضرةِ ذي الجلال ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۖ إِلَّا أَتِنَاءً وَجُورٍ ۚ وَالْأَعْلَى ۝٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾ [الليل: ١٩ - ٢١]، وجعل أولياءَ هذه الدولة [يريد المخاطب] مسرورين، وأعداءَ هذه الحضرةِ مقهورين، والبارئُ جلّ جلاله - أولاً وآخرًا هو الحافظ والحامي والمعين والغفور، بحقِّ عمّد وآله.

ويطالعُ [المرسل إليه] السَّلامَ والتَّحيةَ والدَّعاءَ والثناءَ من خلوصِ العقيدة وودادِ الطَّوْيةِ، ويعلمُ أنَّ الشوقَ إلى اللِّقاءِ المضاعِفِ للسرورِ المباركِ الجميلِ السَّيِّئِ ﴿سَيِّئَاتِهِمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، و«تعظيمُ المعبودِ وبذلُ المجهوده» باعِثٌ وغالبٌ. يَسِّرُ البارئُ - جلّ جلاله - وهياً اللِّقاءَ الأبديَّ الموصوفِ في

﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]، «إنه على ما يشاء قدير» وبالإجابة والرحمة جدير.

ولأنّ الصّادِرَ والواردَ قد أطلقوا ألسنتهم بالشّكر والثناء على ذلك العزيز من دون انقطاع، يغدو أكثرَ يقيناً أنّ جدّ ذلك العزيز واجتهاده وتوقّاه ورغبته العنصريّة الخلقية [منصرفاً] إلى «تعظيم أمر الله وطلبِ رضاء الله، والشفقة على خلق الله» ذلك لأنّ الشّفقة على خلق الله معناها أيضاً تعظيمُ أمر الله. قال النبيّ صلى الله عليه وسلّم: «الخلقُ عيالُ الله؛ فأحبُّ الناسِ إلى الله وأعزُّهم وأكرمُهم، أنفعُهم لعياله».

يَعْرِضُ [المريسل، مولانا] حالَ الابنِ المخلصِ المعتدِّ، نظامِ الدين، نظمَ الله أموره، فهو ابنٌ قديم لهذا الدّاعي المخلص [أي مولانا]، والأخلاقُ التي لا تيسّر للطلّابِ بالرياضة الكثيرة غرسها الحقّ تعالى، الوهابُ ومعطي النعم قبل استحقاقها والقديمُ الإحسان، في جيلته؛ [٧٦] وقد كان كسبه وماله دائماً مصروفاً على الفقراء الرّبانين، ولديه مساعداتٌ لا حدود لها في خدمة الفقراء بروحه ويجسده؛ تقبّل الله منه.

والمرجوّ من رعاية الصّاحب الأعظم للدرايش ومن ملاطفته للمساكين، عظمُ الله أجره في الدارين، أن ييسط ظلّ اللّطف والرّحمة والسّلطنة على أحواله؛ لأنّه قد مُني بضروب من الخسارة والضّرر لا أزعجُكم بشرحها وبيانها، لكي يُدخِر لكم الثوابَ الجزيلَ والثناءَ الجميل. وستكون هذه العناية وتلك الإعانة من عظام الخيرات، ومستثناة من الخيرات الأخر التي لها تعلق بالفقراء الصّادقين. دُمتَ محسنًا، آمين يا ربّ العالمين.

الرسالة العاشرة

[إلى فخر الدين علي صاحب العطاء أو
عبد الدين أتاك في طلب إطلاق سراح
نجم الدين بن خُرم چاوش]

أَيَّدَ اللهُ بِغِيْضِ نُوْرٍ رَبَّانِيٍّ الرَّأْيِيَّ الْعَالِيَّ لِلْمَلِكِ الْوُزَرَءِ، مُغِيثِ الْإِسْلَامِ، نَاشِرِ
الْخَيْرَاتِ وَالْإِكْرَامِ، أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ، الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ مُلْجَأُ الْمُسْلِمِينَ.

يَبْلَغُكُمْ السَّلَامَ وَالذِّعَاءَ وَشُكْرَ الْأَيَادِي؛ وَكُلُّ فَضْلٍ يَقْدَمُ يَكْفَأُ عِنْدَ ﴿مَلِكِ يَوْمِ
الْذِيْنِ﴾ [الفاتحة: ٤] أَضْعَافًا مِّضَاعَةً.

وَفِي الْأَخْبَارِ أَنَّ يَوْسُفَ الصَّدِّيقِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ظَلَّ صَائِتًا اثْنِي عَشَرَ عَامًا وَلَمْ
يَضَعْ جَنْبَهُ عَلَى الْأَرْضِ. فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ قَدْ سُلِّمَ لَكَ بِمُلْكِ الدِّينِ وَالنُّبُوَّةِ وَسَلِّمَ لَكَ بِمُلْكِ
الدُّنْيَا، فَهَذَا أَوَانُ الرَّاحَةِ بَعْدَ هَذِهِ الْمَجَاهِدَاتِ «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَقَالَ: إِذَا لَمْ أَرِ
كُلَّ إِخْوَتِي قَدْ ارْتَدَوْا خِلْعَةَ النُّبُوَّةِ فَلَنْ أُرْتَاحَ. يَجْلِسُ يَوْسُفُ فِي الظِّلِّ، وَإِخْوَتُهُ فِي
الشَّمْسِ مُحْرَمُونَ! حَاشَ. قَالُوا: إِنَّهُمْ لَمْ يَفُوا هَذَا الْوَفَاءَ الْأَخَوِيَّ الْهَائِلَ. فَقَالَ: أَرِيدُ أَنْ
أَعْلَمَهُمْ وَأَعْلَمَ غَيْرَهُمُ التَّآخِيَّ وَالسُّلْطَنَةَ.

وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْكُمْ حَالُ الْإِبْنِ الْعَزِيزِ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ خُورَمِ چاوش، عَجَّلَ اللهُ
فَرَجَهُ وَفَرَّجَ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ عَلَيْهِ بِالْطَّافِ وَوَعُودِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجْنِ الْوَقْتَ إِلَى الْآنِ.
وَيَلْتَزِمُ الدَّاعِي بِأَنَّهُ إِذَا مَا تَجَاوَزَ عَنْهُ مَلِكُ الْعَالَمِ، خَلَّدَ اللهُ مَمْلَكَتَهُ، بِالسَّعْيِ الْمُبَارَكِ لِلْمَلِكِ
الْوُزَرَءِ عَظَّمَ اللهُ عُلُوَّهُ، فَسَيَقُولُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾

[الأعراف: ٢٣]. وإذا لم نلتمس ذلك من حضر تكم فعمتن نلتمس؟ فاليوم، الساعي إلى الخيرات ودافع البليات عن أعراض المسلمين هو رأيي الصاحب الأعظم - [٧٧] جعله الله مؤيداً وموفقاً. وأنا أعلم أن هذا وقت اضطراب ومشاعل، لكن نار الفتن لا يُطفئها إلا ماء الخيرات: «داووا مرضاكم بالصدقة». في زمان عُمر رضي الله عنه اندلعت نارٌ في المدينة وأخذت تحرق، فاشتغل أهل المدينة بجلب الماء. فقال أمير المؤمنين عُمر رضي الله عنه: اشتغلوا بالصدقات لأن هذه النار تُطفئها الصدقات. والأولى في شأن ملك الوزراء أن تصطنع رحمته الرّحمت وتقدم الإحسانات للخلق الذين لما يأتوا إلى الوجود. وفقه الله توفيقاً مضاعفاً.

الرسالة الحادية عشرة

[إلى أحد الوزراء في التهتهة

برجوعه وأصحابه]

جعل الله فتوحات الغيب ومواهب السماء وإقبال الدنيا والآخرة، نثاراً لدولة ملك الأمراء والأكابر، مغيث المظلومين، معين الفقراء، المعظم لأمر الله، المصدق لوعده الله، الذّاكر لآلاء الله، الشّاكر لنعماء الله، كهف المستغيثين، ملاذ المهوفين، ظلّ الرّحمة الوافية، نظام الملّك، صاحب الدولتين، ذخر الحضرتين، أدام الله علوه، أبداً مخلّداً. وجعل سفر ريكابه المبارك وحضره ونهضته ومراجعته، التي يقوم بها من أجل صلاح الإسلام وأمان أهل الإيوان ودفع الآفات والفتن، مقبولة ومبرورة. والشوق

إلى لقاء لا يكون معه وَفهمُ فراقٍ وخوفٌ ملالٍ وأذى سأمٍ واختلافٌ طباعٍ وخوفٌ
نعيق غراب البين وكَيْدُ زمانٍ، وأنْ يُكْتَبَ على سُرَادِقِ مجلس إخوان الصِّفاء وأصحابِ
الوفاء هذا بخط الخلود والبقاء: «هذا وصالٌ لا فراقٌ بعده، وهذه حياةٌ لا موتٌ
يعقبها، ذُبِحَ الموتُ ذبيحاً لا رديدَ له». يَسِّرُ اللهُ وهياً مثلَ هذا اللقاء بذلك الحَسَنِ
الخصال الطَّاهِرِ الجِلَّةِ. إن شاء الله تعالى.

لدي صورة مشوشة غير مؤدبة، أبعِدُ إزعاجها عن محضر أكابر الدولة أيدهم الله
ونصرهم، ؛ ولدي ضميرٌ مشتاقٌ حُبِّ مُخْلِصٍ، أرسِلُ بالدعاء لكي لا تكدر وقاحة
الصورة صفاء القلب المخلص. جعلَ اللهُ هذا العذرَ مقبولاً. والسلام.

الرسالة الثانية عشرة

[إلى ملك الأمراء في التوصية

ببهاء الدين بحري أو خباط]

[٧٨] أنتم اللهُ، سبحانه وعزَّ شأنه وتعالى - مملكة الدنيا التي هي وسيلةٌ إلى مملكة
العُقبى على مَلِكِ الأمراء، غوثِ الله في الأرض، ملاذِ الضعفاء والملهوفين، المؤيدِ
بالعطية الأبدية والدولة السرمديّة، كريمِ النِّجار، قليلِ العِثار، جميلِ الخِصال، حميدِ
الشِّيم، مشروحِ الصِّدر، رفيعِ القَدْر، مدَّ اللهُ جلاله في الدولة الدائمة المصونة عن
اللائمة. يقرأ السَّلامَ والتَّحيةَ من هذا الداعي المخلص، ويعلمُ أنَّ الشوق إلى اللقاء
الميمون والطلعة المباركة - جعلها اللهُ من قَبيل ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ مُسْفِرَةً﴾ ضَائِكَةٌ

مُسْتَبَشِّرَةٌ ﴿٣٩﴾ [عبس: ٣٨ - ٣٩] - غَالِبٌ وَبَاعِثٌ، وَأَتْنِي شَاكِرٌ لِلنَّعَمِ وَذَاكِرٌ
لِلْكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ مِنْ دُونِ حُدُودٍ - تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَجْزَاهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى بِهِ عَمَلَنَا
﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْضِعْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا
عَظِيمًا ﴿[النساء: ٤٠]﴾. وَلَوْ أَنَّ مَعَانَةَ الشُّرُوقِ وَالْمَجْئِ وَاتِّلَافِ الْقُلُوبِ كُتِبَتْ فِي
رِسَائِلٍ لَوْصَلَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ رِسَالَةً طَوِيلَةً مِنْ هَذَا الدَّاعِي إِلَى وَلِيِّ الْإِنْعَامِ هَذَا، وَلَكِنَّ
الْعَقْلَ لَا يَسْمَحُ أَنْ يَظَلَّ بَابُ الْإِزْعَاجِ وَالْإِبْرَامِ مَفْتُوحًا. «وَالْمُودَّةُ كُنْزٌ، وَالْكَثْرُ بِالْإِخْفَاءِ
أَوْلَى، وَإِنْ كَانَتْ الْمَحَبَّةُ لَا تَخْتَفِي،

يَا خَسِرَةً لِلْعَاشِقِينَ تَحْمَلُوا ثِقَلَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَهْوَى فَضَاحٌ
كَيْفَ يَخْفَى الْعِشْقُ وَضَمِيرُ الْقَلْبِ وَمَنْ الْعَيْنُ إِلَى الْخَدِّ أَلْفَ رَقِيبٍ؟
« مِنْ الْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ رَوْنَةٌ. أَدَامَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ فَإِنَّ «أَحَبَّ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى وَأَفْضَلُهَا الْحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى». وَمَسَاعِي الْخَيْرِ يَقُومُ بِهَا لَكِي تَكُونَ هَذَا النَّاحِيَةُ فِي
أَمَانٍ وَيَكُونَ أَهْلُ الْخَيْرِ مُشْتَغَلِينَ بِمَعَالِي الْأُمُورِ بِفَرَاغٍ وَأَمَانٍ، وَيَعُودُ ثَوَابُهَا كُلُّهَا إِلَى
فَرِيدِ الْعَالَمِ قِيَوْمِ الْخَيْرِ، الذَّابُّ عَنْ حَرِيمِ الدِّينِ وَالْحَرَّاسُ لِبَيْضَةِ الْإِسْلَامِ، أَيْدِ اللَّهِ
وَنَصْرَهُ وَكَوَلَاهُ وَمَنْ الْفَضْلُ لَا أَخْلَاهُ. إِنَّ حَامِلَ التَّحِيَّةِ [الرَّسَالَةُ] بِهَاءِ الدِّينِ، زَادَ اللَّهُ
بِهَاءَهُ، مُتَوَجِّةً إِلَى الْحَضَرَةِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَمَعَ شَمَلَ مُتَفَتَّتِ جَمَعَ
اللَّهُ شَمْلَهُ». الْمُؤَمِّلُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ بِنَظَرِ الْعَنَاءِ، وَأَنْ يَعُودَ شَاكِرًا وَذَاكِرًا، مِثْلَ الْمُحْتَاجِينَ
كَافَّةً؛ لَكِي يُدْخِرَ ذَلِكَ فِي الثَّأَةِ الْجَمِيلِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الرسالة الثالثة عشرة (*)

[رسالة بليغة يبدو أنه

لم يتوجه بها إلى أحد]

[٧٩] سِرَاجُ الذَّاكِرِينَ، تَاجُ الشَّاكِرِينَ، رَاضٍ مَطِيَّةِ النَّفْسِ، فَاسَخُ صَفْقَةِ
 الْبَخْسِ، وَارِثُ الْفَلَاحِ، سَالِكُ نَهْجِ الصَّلَاحِ، الْمُنِيبُ إِلَى اللَّهِ، الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ، خَالِعُ
 ثِيَابِ الدَّنَسِ، عَامِرُ أَرْكَانِ خَيْرِ الْكُنُسِ، صَاحِبُ الْوَفَاءِ وَالْإِسْتِقَامَةِ قَبْلَ يَوْمِ النَّدَامَةِ،
 مَعْدِنُ الْحَيَاءِ، خَالِعُ الرِّيَاءِ، طَالِبُ بَشَارَةِ الْمَعْرِفَةِ، الْمُعْتَصِمُ بِحَبْلِ اللَّهِ، الْمُعْتَمِدُ عَلَى فَضْلِ
 اللَّهِ، سَالِكُ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ، نَاصِرُ زُمَرَةِ الْأَوْلِيَاءِ، طَالِبُ عَمَلِ الْأَوْزَارِ بِحَسَنِ الْإِعْتِزَالِ،
 مُسْتَقِلُّ الْفَاسِدَاتِ، مُسْتَكْتِرُ الصَّالِحَاتِ، مُرْسِلُ النَّفْسِ فِي أَحْكَامِ اللَّهِ، مُدْخِرُ الْخَيْرِ
 لِأَنَامِ اللَّهِ، الرَّاضِي بِالْقَضَاءِ، الثَّابِتُ فِي الرِّضَا، سَاكِنُ الْقَلْبِ بِمَوْعِدِ اللَّهِ، الْوَائِقُ بِجُودِ
 اللَّهِ، الْمُسْتَظْهِرُ بِنِعَمِ الْمَوْلَى وَالْمُقَدِّمُ عَلَى الْأَفَاضِلِ وَالْأَوْلَى، الصَّافِحُ عَنْ عَثَرَاتِ الْخُتَّانِ،
 الْمُنْجِحُ لِحَاجَاتِ الْإِخْوَانِ، رَاجِعُ النَّفْسِ عَنِ الْخِصَالِ الْمَهَانِ، الصَّادِقُ عِنْدَ الْجَفَا،
 الثَّابِتُ عِنْدَ الْوَفَا، كَافُّ الْأَذَى، بَازِلُ النَّدَى، تَارِكُ الشُّكْوَى، أَلِيفُ الْحَقِّ، رَدِيفُ
 الصِّدْقِ، الْمُرَكَّبُ بِأَحْسَنِ التَّرْكِيبِ، وَالْمُرْتَّبُ بِأَيْمَنِ التَّرْتِيبِ، أَحْسَنُ جَوَاهِرِ الْحَيَاتِ،
 تَرِياقُ سُمُومِ الْبَلَبَاتِ، ثَمَرَةُ شَجَرَةِ الْعُقُولِ، مُحَرِّقُ رِيحِ الْفُضُولِ، ذُو الْخِصَالِ الْكَرِيمَةِ،
 حَافِظُ عَهْدِ الْمَوْدَةِ الْقَدِيمَةِ، تَاجُ أَرْيَابِ الدَّوَلِ، قَاطِعُ حَبَائِلِ الْأَمَلِ، سَائِسُ رَعِيَّةِ
 الْحَوَاسِّ، بَاسِطُ طَرِيقَةِ الْإِسْتِنَاسِ، مَطِيَّةُ الْحَالِ، كَيْسُ الْمَالِ، الْمُسْتَأْنَسُ بِالذِّكْرِ، الْمَصِيبُ

* هذه الرسالة بالعربية في الأصل [المترجم].

في الفكر، رافعُ هفوات الإنسانية، قانعُ خطوات الشيطانية، البعيدُ عن الدنيا، القريبُ إلى المولى، المفرغُ نفسه من أربه، المقلِّ بوجهه على ربه، المتبرئ من قوته وحوله، المتمسكُ بفضل الله وطوله، محمودُ الخلق، مقبولُ الحق، المختومُ بخاتم الفلاح، الفارسُ على مركب النجاح، طالبُ الآخرة والمناسك الفاخرة . والسلام .

الرسالة الرابعة عشرة

[إلى أكمل الدين الطيب جواباً لرسائله]

وَصَلَّتِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الصَّدْرِ الْكَبِيرِ، مَلِكِ الْحُكَمَاءِ، أَصْفَى جَوَاهِرِ الْحَيَاتِ، تَرْيَاقِ سُمُومِ الْبَلِيَّاتِ، ثَمَرَةِ شَجَرَةِ الْعُقُولِ، قَامِعِ غَوَائِلِ الْفُضُولِ، ذِي الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ وَالْخُطُوطِ الْمَقْصُودَةِ، رَضِيَ [٨٠] الصَّدِيقَيْنِ، يَنْبُوعِ الْيَقِينِ، ذِي التَّقَى وَالْوَرَعِ، خَيْرِ مَنْهَلٍ وَمُكْتَرَعٍ، عَالِي الْأَفْكَارِ، سَنِيِّ الْأَذْكَارِ، أَكْمَلِ الْحَقِّ وَالذِّينِ، رَاحِ الرُّوحِ، مِفْتَاحِ الْفَتْوحِ - أَدَامَ اللَّهُ فَضْلَهُ، وَخَوَّلَهُ وَأَوْلَاهُ وَمَنَحَهُ وَأَعْطَاهُ خَيْرَ مَا أَعْطَى مُحْسِنًا، [فجاء] مُشَابِهًا لِكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ، مُشَاكِلًا لِنُبْلَاهُ وَسُؤْدَدِهِ، مُوَازِيًا لَشَرَفِهِ وَمَحْتَدَهُ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَشَامِ مِنْ ذَلِكَ نَسِيمُ الْمَوَدَّةِ وَخُلُوصِ الْمَحَبَّةِ، وَقَوِيلُ بِالشُّكْرِ وَالِدُّعَاءِ.

فَمَا كَلُّ مَنْ قَادَ الْجِيَادَ يَسُوسُهَا وَلَا كَلُّ مَنْ أَجْرَى يُقَالُ لَهُ يُجْرِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّهُ بِالْفَضْلِ، وَأَيَّدَهُ بِالسَّبْقِ، وَرَدَّاهُ مِنَ الْمَجْدِ، وَزَادَهُ بَرًّا وَفَضْلًا، وَقَدَّمَهُ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَزَادَ هَيْجَانُ الشُّوقِ، وَتَضَاعَفَ:

وَوِدِدْتُ أَنْ أُعْطِيَ الْمَنَى فَاطِيرَ مَنْ شَوْقِي إِلَيْهِ مَعَ الْحَمَامِ الطَّائِرِ
فِي طَالِعِ السَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الشُّوقَ وَالتَّعَطُّشَ إِلَى ذَلِكَ

اللقاء العزيز، الذي ترتاح له النفس ويتكامل به الأنس ويبجل موقعه من العقول
ويعتمر ما سلف من برّه ويحلّ عندي محلّ النعم الحسام والمواهب العظام، غالبٌ
وباعث. يتر الله اللقاء وهيّاه في أيمن الأوقات.

الرسالة الخامسة عشرة

[المخاطب غير معلوم. وربما تكون إلى

مُعِين پروانه في التوصية بأبناء الأمير

سيف الدين حمّاه]

فَقُرْنُكَ مِنْ صَوْبِ السَّحَابِ أَنْجَعُ وَأَجْدَى عَلَى أَهْلِ الْبِلَادِ وَأَنْفَعُ
فِعْشٌ لِلْمَسَاعِي وَالْمَأْتِرِ وَالْعُلَى فَإِنْ جَاهَا مَا بَقِيَتْ مُنْعُ
عَزَمَ اللَّهُ لَهُ عَلَى الرَّشِيدِ الْأَعْظَمِ، وَوَقَّهَ وَتَوَلَّاهُ بِهِ. إِنِّي لَمْ أَمْلِكْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا الدَّعَاءَ
الْمَرْجُوَّ بِرُكَّتِهِ، الْمَأْمُولَ إِجَابَتُهُ، سَمِعَهُ اللَّهُ وَقَبْلَهُ وَاسْتَجَابَ فِيهِ صَالِحَهُ وَأَفْضَلَهُ.

في هذا الزمان تضرّع أبناء الأمير سيف الدين حمّاه، أمير العالم - سلّمهم الله -
برسالة إلى جناب ملك الأمراء، مقبول الحق، محمود الخلق أدام الله علوه، لكي يأذن
لأبيهم بالمجيء إلى هنا لكي يروه ويرتاحوا، وأوصي بأن يُسلّموا هذه الرسالة إلى
حضرتكم [٨١] لكي تُعرض في أوانها بحسن العرض، وتُقتضى حاجة هؤلاء
المحتاجين إن شاء الله تعالى.

ومعلوم في هذه السنة أن سيّد المشايخ، جُنَيْدَ الزّمان، أبا يزيد الوقت، أمينَ
القلوب، مُشْرِفَ الحقائق، حُسامَ الحق والدين، أدام الله بركتَه، بسبب عمارة حائط

بستانٍ كان قد هُدم، لقي عتًا كبيرًا، وأنفق مالا كثيرًا، ومعلومٌ لديكم أنَّ خاطر هذا الدّاعي حريصٌ على أن يُساعد في هذا الإنفاق. لم يكن الكبراء هنا، وخاطرُكم الأشرفُ متأسٌّ بخاطر هذا الدّاعي

روحي بروحك ممزوجٌ ومتّصلٌ فكلُّ عارضةٍ تؤذيك تؤذيني
ضاعف الله هذا الاتصال، والمقصودُ معلوم. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ يَنْ خَيْرٍ
يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠ والمزمل: ٢٠]، ﴿لَا يُهْدِيكُمْ جَزَلَةٌ وَلَا شُكُورًا﴾
[الإنسان: ٩].

أنتَ لنا في الرّخاءِ جمالٌ وزينةٌ، وفي الشدّةِ عُدّةٌ وذخيرةٌ.

الرسالة السادسة عشرة

[إلى معين الدّين پروانه في إبلاغه

شكرَ أبناء سيف الدّين]

وقر الله قسطنط ملك الأمراء المتبرّئ من قوّته وحَوْلِه، المتمسّك بفضل الله وطَوْلِه،
المختوم بخاتم الفلاح، الفارسِ على مركب النجاح، طالب الدّار الآخرة والمنازل
الفاخرة، أليف العَدْل والإحسان، رديف الصّدق والإيقان، المقبول عند الحقّ،
المحمود عند الخلق، مُعين الدّولة والدّين، أدام الله علوّه وأخلصه لطاعته وتابع
السّرور وظاهر لديه الحبور، وكثّر قِسْمَتَه من سعادة الدّارين وكرامة المتزلّتين. يطالعُ
السّلام والتّحية، ويعلمُ أن التّوق والشّوق إلى لقائه الذي هو روضة الأنوار ونزّهة
الأبصار، وتقرُّ به العيونُ ويُسّرُّ به المحزون، الذي جعله الله للسّرور نظامًا وللنعمة

تمامًا، غالبًا وباعث.

إِنْ كُنْتَ لَسْتَ مَعِيَ فَالذِّكْرُ مِنْكَ مَعِيَ قَلْبِي يِرَاكَ، وَإِنْ غُيِّبَتْ عَنْ بَصَرِي
الْعَيْنُ تَفْقِدُ مَنْ تَهْوَى وَتُبْصِرُهُ وَنَظَرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ
[٨٢] وَالْآنَ فَإِنَّ مِلْتَمَسِي هَذِهِ التَّحِيَّةَ وَجَازِي هَذَا الْإِبْرَامَ إِلَى حَضْرَتِكُمْ، أَبْنَاءَ
الْعَبْدِ الْمَعْتَقِ الْمَحْرَّرِ سَيْفِ الدِّينِ الْأَعْزَاءِ وَعَشِيرَتِهِ، هَذَا الَّذِي عُفِيَ عَنْهُ وَغُفِرَ لَهُ
وَارْتَدَى خِلْعَةً نَشْرِيفَ عَفْوِكُمْ وَمَغْفِرَتِكُمْ، [ذَرِيَّتَهُ وَأَبْنَاءَهُ] أَحْيَا وَظَفَرُوا بِحَيَاةٍ
جَدِيدَةٍ، وَفِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالصَّلَوَاتِ وَالْخُلُوتِ يَرُدُّونَ شُكْرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ
وَالدَّعَاءَ لِتِلْكَ الدَّوْلَةِ، وَيَتِمَّنُونَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الَّذِي بَلَغَ الْأُذُنَ وَالْعَقْلَ مِنَ الطَّافِكُمْ
الْمُلْكِيَّةِ وَضُرُوبِ إِحْسَانِكُمْ الَّذِي لَا حُدُودَ لَهُ مُشَاهِدًا بِالْعَيْنِ أَيْضًا ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا ﴾
﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِنْ لَيُطْمَئِنِّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، يَصْبِحُونَ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ أَرِنِي
كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [البقرة: ٢٦٠] بِذَلِكَ الْكَرَمِ الْعَمِيمِ إِذْ جَعَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ،
مِثْلَ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ، تَرْسًا لِسَطَوَاتِ شَمْسِ الْآفَاتِ لَكِي تَسْتَرِيحَ الْخَلَائِقُ فِي
ظِلِّكُمْ مِنْ تِلْكَ السَّطَوَاتِ، جَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا.

وَإِذَا مَا وَصَلَ مَرَادُ الْقَلْبِ إِلَى هَؤُلَاءِ الضَّعَفَاءِ الَّذِينَ يَزْحَفُونَ كَالسَّمَكِ أَمَلًا
فِي أَنْ يَرْحَمَ أَمِيرُ الْمَاءِ وَيُعْطِفَ، لَا زَالَ أَمِيرًا، وَيُجْرِي هَذَا الْمَاءَ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى هَذِهِ
النَّاحِيَةِ، فَسَيَكُونُ الثَّوَابُ كَبِيرًا. «ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». جَعَلَكَ
اللَّهُ دَائِمًا مُسْتَغَاثَ الضَّعَفَاءِ وَالْأَقْوِيَاءِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾ [الضحى: ٩ - ١٠]، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَهْلِ دِينِهِ

الطيبين الطاهرين، ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَفِظًا وَهُوَ أَزْهَمُ الرَّجِحِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

الرسالة السابعة عشرة

[إلى مجد الدين في طلب إعفاء كمال

الدين من الخراج]

أدام الله التوفيق إلى الخير والطاعة، التي هي رأس مال كل سعادة كما قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ميسراً للزمان المبارك

للأمير ذي الدين، ولي الأيادي والنعم، والإحسان والكرم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، مربّي المظلومين، مُغيث الملهوفين، مجد الدولة والدين، أدام

الله علوه، وكان الله تعالى مرشداً وهادياً وموفقاً ومسدداً له في كل الأفعال والأقوال

والأحوال، بمحمد وآله.

بطالع السلام والتحية، اللذين هما من الواجبات، ويعلم بأن الاشتياق إلى لقائه

المبارك لا حدود له. جعلنا الله ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

إن رافع التحية الابن العزيز كمال الدين، كمل الله سعادته، من الأبناء المخلصين

للداعي، وهو مشغول بالطاعات والأوراد والتفكير في أمر المعاد، ولآته في الدين أهمل

داعية الكسب والتفكير في الحرص، لا شك في أنه تضرر كثيراً في جانب المال، وعليه

دَيْنٌ وهو مُعِيلٌ . والأَمَلُ معقودٌ في أن يُعْفَى عما يُفرض على العاقبة، لأنه «ليس على الخرابِ خَرَجٌ»؛ لكي [٨٣] يشتغل بالدَّعاء لدولتكم وتكونَ المِنُنُ على هذا الدَّاعي، ويُضَمَّ هذا إلى ضروب الإحسان التي لا حصر لها في السَّابق. دُمْتَ محسِنًا.

الرسالة الثامنة عشرة

[يبدو أنها موجهة إلى أمين الدين

ميكايل (نايب بيك) في التوصية بشمس

الدين محمد بن جمال الدين لكي يُعهد

إليه بعمل]

أدام الله السَّعادةَ والإقبالَ والدَّولةَ والتوفيقَ إلى الطاعةِ وتيسيرَ العبادة كما قال

تعالى : ﴿ فَسَيَبْرُهُ لِيُسْرَى ﴾ [٧] ، وجنبه العُسرَ، مُقْبِضَةً وميسرةً

للأيام المباركة للملك الأمراء والخواص، مغيبًا المظلومين ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ مَا

يَهْتَمُونَ ﴾ [١٧] وَأَلْأَمْحَارِ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ ﴿ [الذاريات: ١٧ - ١٨]، العاليِ الهمة، اللَّطيفِ

الإدراك، الصَّادِقِ الفِرَاسة «ينظرُ بنور الله»، العظيمِ المَبَارِكِ [أُلغِ قُتْلُغَ بِالتَّرْكِيَّةِ] نادرة

الزمان، النَّاشِرِ للإحسان، نايب بيك - أدام الله علوه! وجعلَ أوليائه منصورين

وأعداءه مفهورين، وطاعاته مبرورة. يُبْلَغُ السَّلامُ والدَّعاء بصدقٍ وصفاءٍ، والشوقُ

إلى لقائه المَبَارِكِ يزداد لحظةً فلحظة. جعلنا الله ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مِّنْغَنَاقَيْنِ ﴾ [الحجر:

٤٧]. آمين يارب العالمين.

إِنَّ حَامِلَ التَّحِيَّةِ، شَمْسَ الدِّينِ عَمَّادُ بْنُ جَمَالِ الدِّينِ، ابْنُ عَزِيزٍ مُخْلِصٌ، وَهُوَ
فَقِيرُ الْحَالِ جَدًّا وَمُسْكِينٌ، وَكَانَ أَبُوهُ جَمَالُ الدِّينِ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْذُ الصَّغَرِ ابْنًا
وَمُلَازِمًا لِهَذَا الدَّاعِي. الْمُؤَمَّلُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ السُّلْطَانِيَّةِ الْعَامِلَةِ بِمَبْدَأِ «خَيْرُ النَّاسِ
مَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ» أَنْ تَأْمُرَ لَهُ بِعَمَلٍ يَلِيقُ بِهِ، فَيَغْدُو مِنْ عِبِيدِكُمْ، لِكَيْ يَتَشَرَّفَ وَيَفْتَخِرَ
عَلَى أَوْلَادِ جَنْسِهِ وَيَبَاهِيَهُمْ، وَبِهَذَا الْفَرَاغِ يَنْشَغُلُ بِالذِّعَاءِ لِلدَّوْلَةِ. دُمْتَ مَغْنِيًا لِلخَلَائِقِ.
وَسَيَكُونُ الدَّاعِي مُمْتَنًا لِهَذَا، وَيَنْضَمُّ إِلَى الْأَطَافِ السَّابِقَةِ الَّتِي لَا حَصَرَ لَهَا.

الرسالة التاسعة عشرة

[إلى أحد الأمراء في التوصية

بنظام الدين]

أَدَامَ اللَّهُ ظِلَّ مَلِكِ الْأَمْرَاءِ، سَيِّدِ الْخَوَاصِّ، الْمُعَظَّمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ، يُبْلَغُ
السَّلَامَ وَالذِّعَاءَ [٨٤] وَيَعْلَمُ أَنِّي مُشْتَاقٌ، وَبِتِلْكَ الْجُرْعَةِ زَادَ عَطَشُ الْاِشْتِيَاقِ وَلَمْ
يَسْكُنْ. جَعَلَنَا اللَّهُ ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
لِمُوسَى: «إِذَا رَأَيْتَنِي عَلَى بَابِكَ كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: يَا رَبُّ، أَنْتَ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ إِذَا
رَأَيْتَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي عَلَى بَابِكَ، فَافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ بِي؛ فَإِنِّي اصْطِيفَيْتُهُ مِنْ عِبَادِي
وَنَوَّرْتُهُ بِنُورِي وَأَحْيَيْتُهُ بِحَيَاتِي.

عُرِضَ عَلَى جَنَابِكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنَّهُ بَرِغَمُ أَنَّ الصَّلَاةَ عَمَلٌ فَاضِلٌ، فَإِنَّ رُوحَ الصَّلَاةِ
وَمَعْنَى الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ، مِثْلَهَا أَنَّ رُوحَ الْإِدْمَى أَفْضَلُ مِنْ صُورَةِ الْإِدْمَى

وأبقى؛ ذلك لأن الصورة لا تبقى وروح الأديمي تبقى، وصورة الصلاة لا تبقى ومعنى الصلاة وروحها يبقى، كما قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]. ومن أجل هذه الكلمة ذكرت حكاية ذلك الشيخ التي تذكر أنه عندما تركت تلك الجماعة تعظيم شيخها قائلة: إذا كنت لا تصلي صلاة المغرب فسنقوم نحن ونصلي. وبرغم أنهم لم يقولوا هذا صراحة، فإن إدراك المشايخ لا يحتاج إلى كلام اللسان «إنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم ويخرجون من أسراركم، فإذا جالستمهم فجالسوههم بالصدق، فمن أراد أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف».

ما دمت نرى قومًا فتخل عن نفسك

فلأنهم معك فوق التراب ولكنهم أسمى من الأفلاك

برغم أنه في الصورة فوق الأرض،

هو في المعنى في السماء السابعة

وهكذا يبين الفقيه صورة الصلاة: أولها تكبير وآخرها سلام؛ أما روح الصلاة فيبينها الفقير بأنها: «الصلاة اتصال بالله من حيث لا يعلمه إلا الله». وشرط صورة الصلاة هذه التطهر بنصف من الماء، وشرط روح الصلاة أربعون سنة من مجاهدة الجهاد الأكبر ودم العين والقلب والخروج من سبع مئة حجاب ظلماتي، وأن يموت الإنسان ويتخلّى عن حياته ووجوده، ويحيا بحياة الحق ووجوده.

إذا لم تستطع الجلوس على سرير الملك مثل الملوك،

فتمسك بطناب خيمة الملك مثل الفراشين

لَأَنْتَ لَسْتَ سُلْطَانًا، كُنْ مِنَ الرَّعِيَّةِ

وَلَأَنْتَ لَسْتَ نَبِيًّا كُنْ مِنَ الْأُمَّةِ

لكي تدخل فيمن قيل فيهم: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]. أما إذا اغتررت بصورة عملك وطغيته، وأدرت وجهك واستغنييت عن أقطاب زمانك، الذين هم نُدْماءُ القلبِ وندماءُ الروح، [٨٥] وظننت نفسك في صلاةٍ وقد توجهت إلى القبلة، فإنك على الحقيقة تكون مثل ذلك الدرويش الذي رأى الإمام والقوم قد أداروا ظهورهم إلى القبلة، بينما رأى ذينك الشخصين اللذين كانا جالسين في خدمة شيخهما [ولم يقرؤا إلى الصلاة] متوجهين إلى القبلة؛ هكذا مثلما قال الحق لأبي يزيد قدس الله سره: «أخرج بصفاتي إلى خلقي، من رآك رأي، ومن قصدك قصدي»، وهكذا إلى آخر هذا الحديث الذي لا نهاية له. نور الباري سرّك الطاهر وأوقفك على روح الإيمان والصلاة وحقيقتها، اللتين هما وراء صورة الإيمان والصلاة إنه الهادي والموفق.

وفي شأن الابن المخلص نظام الدين، نظم الله أموره، كنتم قد أرسلتم وعود خير وإحسان وعون، فامتّن لكم ودّعي لكم بالخير. وأنا أنتظر وأتطلع بالعين والأذن إلى أن تكمل هذه الأفضال فإن «إتمام المعروف خير من ابتدائه». إن النية للصلاة والتكبير شيء طيب، أما عندما تكمل الصلاة بالركوع والسجود والقعود فتكون أجمل وألطف. إن الإحسان والنية الحسنة كالهلال وإتمامها يشبه تحول الهلال إلى بذر تمام، حاكم الحق تعالى من قطاع طريق الظاهر وقطاع طريق الباطن، خذهم الله، الذين لا يريدون إنسانًا

طبيّاً، ويريدون من كلّ إنسان أن يكون مثلهم منقليّاً يائساً.

مَنْ كَانَ لَدَيْهِ ضَعْفٌ فِي الطَّبْعِ

لَا يَرِيدُ لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا مُعَافَى

وعندما يتشاورُ الوالي الجديدُ مع الوالي القديم المعزول يحضّنه على أعماله لكي يُعزَلَ مثله. وإنّ الشيطانَ الخفيّ والإنسانَ الشيطانيّ الصفات وُلَاةٌ معزولون وحُصَادٌ يقطعون طريقَ الخير على الإنسان بمئات الكلمات الدّسمة ويُفْتَرُونَ حَبَّةَ خَيْرٍ فِي قَلْبِهِ.

عندما يغدر لسانُ الحسد نخَاسًا

لَا تَجِدُ فِي يَوْسُفَ إِلَّا ذِرَاعًا مِنَ الْكَرْبَاسِ

فاحذّرهم، والجا إلى الله، وازرعْ بذورَ الخير بجِدٍّ، قبل أن تذهب، ويبقى المخزنُ المملوءُ بالحنطة غير المزروعة ميراثًا

قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَجَلَ الْمُوَهَّبَ

لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ عَطِيَّةٍ جَدِيرَةٍ بِالْعَطَاءِ

والمُتَوَقَّعُ أَنْ لَا يَعُدَّ هَذَا الْخَيْرَ مِنْ ضَمَنِ الْخَيْرَاتِ الْآخِرِ، وَأَنْ يَعُدَّ هَذَا الْخَيْرَ مُنْفَصِلًا عَنْ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ فِي الْفَضِيلَةِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ زِرَاعَةَ الْبَصْلِ لَيْسَتْ كَزِرَاعَةِ الزَّعْفَرَانِ. دُمْتَ نُحْسِنًا مِنْ أَوْلَئِكَ الْمَحْسِنِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَيَعْمَلُونَ وَيَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُونَ، يَقِينًا مِنْ دُونِ تَرَدُّدٍ؛ وَيَذْهَبُونَ وَيَعْلَمُونَ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُونَ - وَقَقَّهَ اللَّهُ وَسَدَّدَهُ وَثَبَّتَهُ وَعَصَمَهُ بِفَضْلِهِ وَكَرَّمَهُ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الرسالة العشرون

[في الرد على شجاع الدين]

[في موضوع الشوق إلى لقاءه]

[٨٦] جَعَلَ اللهُ الْخَيْرَاتِ وَالْحَسَنَاتِ وَالصَّدَقَاتِ الَّتِي يَقْدَمُهَا الْأَمِيرُ قَائِدُ الْجَيْشِ الْأَجَلُ الْكَبِيرُ، الْعَالِمُ الْعَادِلُ، أَسَدُ الْوَعْيِ، مَقْدَمُ الْجِيُوشِ، افْتِخَارُ الْمَجَاهِدِينَ، الْمَيْمُونُ، الْعَظِيمُ، السَّعِيدُ، الْعَالِمُ، الْخَطِيبُ، الْمُعْتَمَدُ، الْمُتَّقِي، الرَّبَّانِي الْهِمَّةُ، شَجَاعُ الدَّوْلَةِ وَالَّذِينَ، عَضُدُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ وَكَبَتْ بِالذَّلِّ عُدُوَّهُ - مَقْبُولَةٌ (*) وَمَبْرُورَةٌ لَدَى حَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبٍّ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

يَطَالُعُ السَّلَامَ وَالذِّعَاءَ وَالتَّحِيَّةَ وَالثَّنَاءَ. وَ الْاِشْتِيَاقُ الَّذِي ذَكَرَهُ، عَلِمَ اللهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، لَدَى هَذَا الدَّاعِي أَضْعَافُهُ وَآلَافُ مِثْلُهُ. وَيَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى، جَامِعُ الشَّتَاتِ وَحَمِي الْأَمْوَاتِ وَحَمِيْبُ الدَّعَوَاتِ وَقَاضِي الْحَاجَاتِ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي الْعَاجِلِ سَبَبًا لِمُلَاقَاتِكُمْ وَمَوَافَاتِكُمْ اللَّطِيفَةُ الشَّرِيفَةُ هَذَا الدَّاعِي «إِنَّهُ حَمِيْبٌ سَمِيْعٌ».

وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّدًا [الغزنوي] قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ فِي حَزْبِ الْهِنْدِ، هُزِمَ هَزِيمَةً نَكَرَاءَ، وَكَانَ جَيْشُ الْهِنْدِ كَثِيرًا جَدًّا، وَهَكَذَا يَشْ عَسْكَرُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ. وَفِي

* المفعول الثاني للفعل «جَعَلَ» فِي أَوَّلِ الْفَقْرَةِ [المترجم].

هذه الحال من اليأس سجدَ السلطانُ لله وقال: يا إلهي، عاهدتُك على أنك إذا ما نصرتنا فإنَّ كلَّ ما نغنمه ونحن في هذا اليأس ستصدق به كله على الدراويش. وتضرَّع فاستجاب السميعُ للدعاء دعاءه فهبت رياحُ النصر، ووقع هلعٌ عظيم في قلوب مقاتلي الهند، وهزموا، وجاءت غنائمُ لا حصر لها من جيش الهند، من الخزائن والخيل والعبيد مما لم يُحصل عليه في آية معركة. فقال الملك: لا تأخذوا شيئاً، فقد نذرتُ. فضجَّ الجندُ بالشكوى [قائلين]: إنَّ الجيش محتاجٌ جدًّا، وقد خاض معارك طاحنة؛ فإذا نذرت أن تُعطي الغنائم للدراويش، فإنَّ هؤلاء [الجند] أيضًا دراويش، صار الجندُ دراويش. فتضرَّعوا كثيرًا حتى خيلوا للملك أن هذا خيرٌ أيضًا. أدركتِ الحيرةُ الملكَ وصار يبحث عن التأويل. وعلى حينِ غيرةٍ مرَّ بمجنون فقيرٍ من الفقراء الإلهيين الربانيين، وليس من فقراء الخبز. فقال السلطان: ادعوه، لكي نحكي له قصَّة هذا النذر. فقال الدراويش: إذا لم تكن لك حاجةٌ إلى الحقِّ مرَّةً أخرى، فافعلْ ما يقولونه لك. أمَّا إذا كنتَ ستحتاج إليه مثل هذه المرة ثانية فتذكَّر هذه الساعة ولا تحوِّل النذر.

ألا يعلمُ الداعي ما الباعثُ على هذه الحكاية التي تُكتب؟ - بل أعلمُ أيضًا أين

تذهب ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

[٨٧] قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَجَلَ الْمَوْهَبَ

لا بدَّ من أن تُعطيَ كلَّ عطيةٍ جديرةٍ بالعطاء.

ليس لميتٍ حسرةٌ على الموت، بل لكلِّ ميتٍ حسرةٌ على الفوت؛ لماذا لم أفعلْ ذلك الشيء؟ وليس لدى الداعي ما هو أفضل من هذه الموعظة ليرسله. والأمل أن تقع موقعَ القبول. دمتَ موفقًا ومؤيدًا.

الرسالة الحادية والعشرون

[إلى عَلمِ الدِّينِ قيصِرٍ في جوابِ

لرسالته، وتتضمَّن نصائحَ وشكرًا]

وصلَّتِ المشرَّفَةُ الكريمةُ [الرسالة] من الابنِ المخلصِ، المستنيرِ للعواقبِ، نورِ القلوبِ، فاروقِ الحقِّ، مصيبِ الظنِّ، صادقِ الفِراسةِ، فطيمِ النفسِ، نقيِّ القلبِ، واضحِ الخيرِ موضعه، متقي الرَّبِّ، محاسبِ النفسِ، عَلمِ الدَّولةِ والدِّينِ، واهبِ الدُّنيا والآخرةِ، أدامَ اللهُ معاليه، مشتملةً على أنواعِ اللَّطائفِ والغرائبِ والدِّقائقِ والحقائقِ. ففُتِّحتْ، فكان مضمونها كُلُّه إخلاصًا ومودةً وبِقِظَةٍ قلبٍ ورؤيةً للعاقبةِ وطلبًا للآخرةِ - زاده اللهُ حرصًا وشوقًا إلى لقائه ولجميعِ الطالبين. يطالعُ السَّلامَ والدَّعاءَ ويعلمُ أنَّ الاشتياقَ إلى اللقاءِ المباركِ لمن ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] غَالِبٌ وباعثٌ. يَسَّرَ الحقُّ تعالى وهبًا اللقاءَ الحقيقيَّ النافعَ الشافعَ المؤنسَ في أيمنِ الأوقاتِ وأحسنِ السَّاعاتِ.

وما ظهرَ من شوقِ الآخرةِ وطلبِ سعادةِ الباقيةِ هو عينُ الإلهامِ الملَكِيِّ والعنايةِ الملَكِيَّةِ والفضلِ السَّماويِّ والمنبئةِ على الرَّحمةِ الإلهيةِ، إن شاء اللهُ، الذي يكون متزايدًا ويكون صبيحًا صادقًا. ولا شكَّ في أنَّ هذا العالمَ كُلُّه خرابٌ وفيه كنزٌ. والعاقلُ لا يطمئنُّ إلى الخرابِ، ولا يقتدي بذلك البُومُ العاشقُ للخرابِ ولا يغترُّ، ويكون آناءَ اللَّيْلِ وأطرافَ النهارِ طالبًا لذلك الكنزِ.

يَقْدِرُ الكَدُّ تَكْتَسِبُ المعالي وَمَنْ طَلَبَ العلى سَهَرَ اللَّيالي

[٨٨] تروم العزّ ثمّ تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللاكي

—

قبل أن يأخذ الأجل الموهوب

لا بد من أن تُعطي كلّ عطية جديرة بالعطاء

—

الطين الذي أحس منه إبليس بالعار

احتضته أنت كأنه الدين

—

ومنى يحمل همّ القبلّة والعناق

ذلك الذي يأكل الخس البرّي؟

أيده الله وسدده ووفقه وأحسن أقرانه، وأنتم بيانه، وتقبل حسناته ورضي عنه وأرضاه ومن الخير لا أخلاه.

الأيام القليلة التي عشتها في هذه الدنيا

خسارة، أيها القلب، إذا عشتها بالروح،

لا تكن من دون عشق لكي لا تكون ميتاً

ومث بالعشق لكي تبقى حياً

﴿وَالْبَقِيَّةُ الْفَاحِشَةُ﴾ [الكهف: ٤٦- مريم: ٧٦]، هي العشق. الدنيا

مثل القش، والعشق مثل الحنطة. وريح الأجل تذهب القش لا تبقى قشة واحدة

﴿وَرُفَّهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ آبِدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨]، دمت ناظرًا إلى العاقبة، وكُنْ على أنك

نوبت واجعل الأصحاب أيضًا على هذا وانصَحهم وساعِدهم، ذلك لأنّ هذا هو العملُ والباقي كله تَدَم. إنّ مُلك الدّنيا كالطُّبل، والخلقُ مندهشون من صوته، يجتمعون إليه وقلبه فارغ، ليس فيه أثرٌ لدَسَم، ولا منفعة فيه. هنيئًا لمن لديه جُعبَةُ عطارِ العِشق [طبله عطار عشق - بالفارسية]، وانصَرَف قلبه عن صوتِ طبلِ مُلك الدّنيا.

شعر:

إنّ مُلكَ العالم من أقصاه إلى أقصاه لا يأتي إلى الرأسِ إلّا بالصدّاع
فيا أيّها السّفيه، لا تضع كثيرًا من الصّداع فوق رأسك،
فإذا ما توجّعت فصّع الشّمس والقمر فوق رأسك،
فستضع رأسك فوق لَبِنَةٍ في النّهاية، عندما يؤذن العمرُ بوادع
دمت متيقظًا. آمين يا ربّ العالمين.

الرسالة الثّانية والعشرون

[إلى تاج الدّين معترّ في شأن نظام الدّين
صهر حسام الدّين وفي طلب تعويضه
عن خسائر لحقت به]

[٨٩] أدام الله شمس إقبال ملك الأمراء، الأمير الزباني، الكريم الذّكر، اللّطيف
الفكر، المغبوط الأيامن، مصباح المساكن، الأعلم الأعدل، المشهور في الآفاق، فخر
خراسان والعراق، صاحب الدّولتين، ولي السّعادتين، باسط العدل، ناصر المظلوم،
محترف الإحسان، المفكر في العاقبة، أمان البلاد وملاذ العباد، مؤنس الفقراء، تاج الحق

والدين، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]
 - أدام الله غُلُوهُ وكَبَتْ عدُوهُ وأَيَّدَهُ ونَصَّرَهُ ويسَّرَ له اليسرى وجَنَّبَهُ العسرى
 - مشرقة^(*) دائماً في بروج السعادة والسيادة والسرور والشهرة، وجعلَ الإلهامَ الرَبَّانِيَّ
 والتوفيقَ الإلهيَّ، في كُلِّ بَرٍّ وبحرٍ، هادياً له ومرشداً ومسدداً. وجعلَ الله حافظي
 الغيب السماويين الموصوفين في ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ

أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] حُرَاسًا ومراقبين لتلك الدولة.

يطالعُ السَّلامَ والدَّعاء، ويعلمُ أنَّ الاشتياقَ إلى اللِّقاءِ الشريفِ المباركِ غالبٌ
 ومحركٌ فَإِنَّ «شُكْرَ المنعمِ واجبٌ». ولكن عندما تتجاوز إنعامُ وليِّ الإنعامِ هذا ومواساته
 وتسليته الحدَّ والمقدارَ عجزنا عن الشكر. والوفاءُ بذلك موكولٌ ومفروضٌ إلى خزائن
 كرمِ ذي الجلال التي لا نهاية لها ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]

إِنَّ الابْنَ المَخْلِصَ المَعْتَقَدَ، نظامَ الدينِ نظمَ الله أموره، ابنُ هذا الدَّاعي، وحقوقُ
 البُتُوَّةِ والخِذْمَةِ والفِداءِ المَخْلِصِ ثابتةٌ تماماً له على هذا الدَّاعي منذ الصَّغر. وفي باب
 الفقراءِ الرِّبَّانِيِّينَ، ماذا يكونُ المَالُ إذا ما بُذِلَتِ الرُّوحُ؟ - لآته قد نَمَّا في خدمة الفقراءِ،
 وليس مُصْطَنَعًا متكلِّفًا.

فلا تَحْقِرَنَّ نَفْسِي وَأَنْتَ حَبِيبُهَا فكلُّ امرئٍ يصبو إلى مَنْ يَجَانِسُ

* هذه الكلمة هي المفعول الثاني للفعل «أدام» في مطلع الفقرة: أدام الله شمسَ إقبال... مشرقة [الترجم].

يطيرُ كلُّ طائرٍ مع جنسه

الحمامُ مع الحمام، والبازُ مع الباز

لا حاجة إلى السؤال عن سلوك الإنسان، بل يُبصَّرُ أقرانه؛ ولا ينبغي السؤال عن المال من أين حُصِّل، بل ينبغي النظرُ إلى مصارفه وأبواب إنفاقه. جعلَ اللهُ كلَّ إنعامٍ ولُطفٍ ومساحةٍ وتفضُّلٍ بذلِّه ويبدِّله ملكُ الأمراء، أدام اللهُ علوه، من البداية إلى النهاية في شأن الابن نظام الدين، مبدولاً خاصةً في حقِّ هذا الداعي وفي حقِّ الفقراء، وجعلَه مقبولاً ومبروراً، [٩٠] ذلك لأنَّ ما له وجسمه وعرضه منذ صِغَره حتَّى الآن وقفَ للفقراء، وهذا لا يصحُّ التعبيرُ عنه كتابةً. كان الداعي المخلصُ يريد أن يأتي هو نفسه ويتحدَّث إلى حضرتكم لكنَّه اعتمد على الفِراسة الرَبَّانية لخاطركم الشريف ذلك أنَّ «المؤمنَ ينظرُ بنور الله»، وإن شاء الله ليس هناك حاجةٌ إلى إزعاجكم بالمجيء، فأنا في المعنى حاضرٌ لديكم، إذ أنا منشغلٌ في الدِّعاء لكم. وقد وقع سببٌ لأنواعٍ من الكُسر والضَّرر، فمن يرمي الشِّفاعات ومن يقدرُ على استيفاء الحقوق؟ ومع استيلاء الخجلِ والاعتقادِ والحفاظِ على الضعفاء وأهل الخير، لا بدَّ من مساحته. وقد آن الأوانُ لأن تُقدِّمَ مرَّةً أخرى؛ ذلك لأنَّ هذه السَّفينة لا تنجو من موج الطوفان من دون حماية نوح الكَرَم، أدام اللهُ علوه.

إذا سقيتني فإنَّك تكونُ قد غرستَ فَيْسِلَكَ،

وإذا وضعتني فإنَّك تكونُ قد رفعتني

﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّبِعُوا اللَّهَ يَصْرِّحْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وإنَّ ملكَ الأمراء نفسه أستاذُ هذه التجربة، فالحقُّ تعالى سريعُ الحسابِ وسريعُ

المكافأة. لم ينخرس أحدٌ في هذا الباب ولن ينخرس. وأتوقع أن يُبدّل ظلُّ العناية الملكية العظيمة المخدومة، في شأن الابنِ المخلصِ نظامِ الدِّينِ في هذه المرّة الثانية، ويُتفضّل، لكي يخرج من هذه العهدة الثقيلة ﴿يَتَأَيَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَىٰ تَحْزَنٍ تُجِجُكُمْ﴾ [الصّف: ١٠] خاصّةً أنّ هذا الخير لا يشبّه بالخيرات الأخرى، فهناك فرقٌ من السّماء السّابعة إلى الأرض السّابعة بين الإحسان إلى الفقراء من أهل الجسد والإحسان إلى الفقراء من أهل القلب. والحقيقة والمعلوم أنّه هو نفسه وأقاربه في خدمة ملكِ المشايخ، جُنَيْدِ الزّمان، أمينِ القلوب، شمسِ الحقائق، إمامِ الهدى، حُسامِ الحقِّ والدِّين - متّع الله العارفين بطول بقائه - الله، الله، أن لا يعبُدَ هذا الإحسانَ من جنس أنواع الإحسان الأخرى. ليس التّكحّلُ في العينين كالّكحّلِ

أين العينُ التي تميّزُ الجوهَرَ من القشِّ

أو تميّزُ البازيَّ الأبيضَ من الذّباب؟

ولكن عندما يعرفون، يدركون أنّ رعاية ذلك هي عينُ الفَرَضِ، حتّى عندما يظهر يومُ الأجلِ ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] لا يكون هناك ندمٌ، إن شاء الله تعالى. كحَلَّ الله عينَ تلك الدولة بكُحلِ الهداية والتوفيق على الدّوام، آمين يا ربّ العالمين «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري». العابدُ الذي عبَدَ الله ستّين ألفَ سنةٍ لم يعرف جوهرَ آدم، والزاهدُ صاحبُ الكرامات، أي بلعم بن باعورا، لم يعرف جوهرَ موسى، ولكن عندما استيقن لم يراعِ ذلك، فجاءته المؤاخذه. وإذ ذاك عندما أُؤخِذ، ماذا فعَلَ سِرٌّ «مرضتُ فلمَ تعديني»؟

ليس للدّاعي غرضٌ في هذه الشهادات إلّا الشّفقة وأداء حقِّ ملكِ الأمراء، ذلك

أَنَّ [الحَقَّ] يقول: [٩١] اعرفوا عبادي وصاحبوهم في هذا العالم واغتنموا وجودهم لكي لا تندموا ولا تتحسروا عندما يأتي يوم دولتهم وينقضي دَوْرُ «من كان لله، الذي هو الدنيا، ويأتي دَوْرُ «كان الله له»، الذي هو العقبى. وفي هذا العالم القصير الأمد الكاذب، تكون مهمات الملوك العابرين خطيرة جدًا ومهمة جدًا، واهتمامهم بطلاب عالم الحقيقة ليس أقل من هذا، برغم أنهم يعتذرون [قائلين] إنهم كانوا غفّين، ولم يعرفهم؛ لا سيما أن الشهود العدول يشهدون [قائلين]: إنه هو هذا.

الرسالة الثالثة والعشرون

[إلى جلال الدين (قرطاي أو مستوفي)

في التوصية بنظام الدين]

صان الله وحرّس صباح السعادة والإقبال لدى الصدر الكبير، الأمير الأجلّ، الأعلّم الأعدل، صاحب الدولتين، باسط العدل، وليّ السعادتين، الرؤوف بالمظلومين، المحترف للإحسان، المفكر في العاقبة، معين الفقراء، مربّي العلماء، جلال الدولة والدين، عضد الإسلام والمسلمين، ذخر الملوك والسلاطين، المبارك صاحب ديوان الاستيفاء، أدام الله علوه وكبّت عدوه وأيدّه ونصّره و«يسّر له اليسرى وجنبه العسرى» - من مساء (*) زوال عين الكمال. أولياؤه منصورون ومسرورون، وأعداؤه

* الجار والمجرور متعلقان بالفعل «صان» في أوّل الرسالة.

مقهورون، والبارئ، جلّ جلاله، حافظٌ وناصرٌ وشكورٌ ليلاً ونهاراً.
 يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ ويعلمُ أنّ الاشتياقَ إلى اللّقاء الشّريف والمنظر اللطيف
 خارجٌ عن الحدِّ والحصر. يجعلُ اللهُ تعالى للّقاء سبباً سريعاً «إنّه مجيبٌ سميعٌ».
 إنّ الابنَ المخلّصَ المعتقِدَ نظامَ الدّين، الذي هو من المحبّين لذلك العزيز وشاكراً
 لنِعَمكم وناشراً لكمزيمكم وإحسانكم، متوجّهٌ إلى حضرتكم، على أمل الحصول على
 العون والإحسان والتّربية التي هي معهودَةٌ ومألوفةٌ من حضرتكم «والمشربُ العذبُ
 كثيرُ الرّحام». المؤمّل أنّه جرّياً على العادة تُساعدُ الملاطفةُ والرّافةُ بالعباد السّياديةَ
 والملكيةَ، حسيبةً ووسيلةً إلى مرضاة الله تعالى؛ لأنّ أسبابَ الخسارة والأذى والأحداثَ
 غيرَ الموافقة كثرت وتواترت، وهذا وقتُ الرّقة وزمانُ العطف. وإنّه من جملة أسباب
 الخسارة أنّ نُواب سيّد الأمراء، زعيمِ الجيوش، نورِ الدّولة والدّين أدام اللهُ علوّه، قد
 أخذوا منه اثني عشر ألف [درهم أو دينار]، وقد بقي الباقي في الولاية. والمتوقع أن
 يقوَى عضده ليكون هناك إحياءٌ لحقوقه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [٩٢] فَكَأَنَّمَا أَحْيَا
 النَّاسَ جَمِيعًا ﴿[المائدة: ٣٢]، «ارحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ».
 وقد جعلَ كلّ تفضّل يقومُ به ولطفٍ يفعلُه، حقّاً، في خدمة هذا الدّاعي، وأنا
 ممنّنٌ له إلى حدّ أنه لو كان لدى هذا الدّاعي ملكٌ قريبٌ من الوفاء بهذا لباعه وأدّى
 ذلك عنه، رعايةً لحقوق الخدمة القديمة، ولم يزعج حضرتكم بهذا. لكنّه بحمدِ الله،
 طلبُ الحاجة من الكرام افتخارٌ ومباهاة «نصرَكم اللهُ وأيدَكم وأحسنَ عاقبتكم».
 إكرامُ أهل الهوى من الكرمِ وائمةُ العشيقِ أضعفُ الأئمّ
 «أنا عندَ المنكسرةِ قلوبهم، فأطلبوني عندهم». والباقي فإنّ رأيكم العالي المضيء

يقرأ غير المكتوب «اتقوا فِرَاسَةَ المؤمن، فإنه ينظرُ بثور الله»، لكي ينضمَّ إلى المنن السابقة والألطف المتقدمة، ويلحق بها. الله، الله، الله، لدينا أملٌ في أن لا يرجع من تلك الحضرة من دون مراده «ليس قريةٌ وراءَ عبَّادان». فإن تتجاوز ذلك الوليَّ للإنعام فليس لك سوى اليأس. دمت مغنيًا للمظلومين. آمين يا رب العالمين.

الرسالة الرابعة والعشرون

[إلى علاء الدين چلبی يدعوهُ]

فيها إلى العودة إلى المنزل

الابنُ العزيزُ، قُرَّةُ العيون، افتخارُ البنين، عينُ الله عليه ﷺ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴿[المجادلة: ٢٢]﴾، يقرأ السَّلامَ والتَّحِيَّةَ من هذا الأب المخلص، ويعلمُ أنني متألِّمٌ من أنه يخرج من البيت ولا يرقُّ لهؤلاء الضعفاء، وهم على كلِّ حال أمانةُ الله، الله، من أجل إرضاء قلبِ هذا الأب، يكون ملازمًا للبيت، ويجعل ناحيتهم نائرةً للسُّكَّر من معمل سُكَّر الطَّبع الطَّريف، لكي يصل إلى شُكْر ذلك.

أيها الحبيبُ، أكونُ علاجًا لآلَم الآخرين

وعندما تحينُ نوبةُ ألمنا تكونُ عاجزًا؟

إنَّ من يقدرُ على خداع الغريب، يقدرُ أيضًا على خداع حبيبه.

[٩٣] تألَّمتُ، وليس عندك دواءٌ

فأعطِ غُنْجًا كاذبًا، حتَّى هذا ليس عندك أيضًا؟

إنَّ هوى الدُّنيا الفانية الغادرة وهوسها لا يستحقَّان أنْ تخرج مروةَ الأحبة وقلوبهم. وإن شاء الله سيزول حجابُ الغرور عن عين هذا الابن سريعاً لكي يعرف أنَّ هذا ليس ماء؛ لكي يعرف أنَّ تلك الناحية التي يُجري إليها الجوادُ وتُسقط الرُّكوبةَ سرابٌ، ذلك لأنَّ كثيرين مثلك أسرعوا إلى تلك الناحية، وعندما وصلوا إلى هناك لم يجدوا ماء. هلكَت الرُّكوبةُ والراكبُ، حمى الله أبناً وجميع أبنائنا، من العطش والإعياء، وهو عالمٌ بأنَّه يجذب العنانَ أولاً، قبلَ خرابِ البصرة، وإلا فإنَّ البُلهاء كلَّهم أيضاً يجذبون العنان. لا تفعل، لا تفعل، لا تفعل، لا تفعل، لا تفعل، والسلام.

أوليس من أجلِ حبةٍ ينظر الطائر الصغيرُ مئةَ مرَّةٍ

إلى الأمام وإلى الوراء، وإلى اليمين وإلى اليسار؟

وذلك لأنَّه سيئُ الظنِّ،

فخوفه على روحه أكثرُ لديه من عشقه للقوت!

والله، إنَّ ذلك الجوادُ الأجرب لا يساوي هذا السَّرج، لا يساويه.

وقد سحبَ إلى جوار نفسه مُستقْدراً،

وأنتَ تلقِّبه حيناً بالروح وحيناً بالحبيب!

وفي الجملة، يُتوقَّع من رجولةِ ذلك الابن وشهامته ومروءته أن لا يجرح الخواطرَ المنشغلة بالدَّعاء لدولته وسعادته وخيره ولا يشتتها، وقد تكفَّلتُ أنا الضعيفُ عشرَ مرَّات لدى الأمير سيف الدِّين، سلَّمه الله تعالى، ولدى أهله وتعهَّدتُ، ولم تكن هذه عادةً لي، بل فعلتهُ شفقةً عليك. وإذا ما بدا في نظرك الآن أنَّ هذه المصلحة العُوبة، فإنَّني ما فعلتُ هذا رغبةً مِنِّي، بل كنتُ قد رأيتُ مناماتٍ، وإشارةً من الغيب، وفي

الجُمْلَةُ أَنفِي سِرًّا مَكْتُومًا، وَأَنْضَرَعُ، اللهُ، اللهُ، اللهُ، اللهُ، أَنْ يَكُونَ مَلَاذِمًا لِلْبَيْتِ
وَمَلَاذِمًا لَتِلْكَ الْجَمَاعَةِ، وَلَا يَتَحَدَّثُ مَعِيَ فِكْرِيًّا عَنْ هَذِهِ الْأَعْذَارِ بِأَنَّهَا كَذَا وَكَذَا، فَمَنْ
السَّهْلُ جَدًّا أَنْ يَكُونَ عَقْلُهُمْ لُغْبَةً الْقَالَ وَالْقُلَّةُ (*) لِعَقْلِكَ؛ كَلَّمَا أُرِدْتَ تَلْعَبُ بِهَا،
وَتَكُونُ قَادِرًا عَلَى صَيْدِ طَائِرِ الْهَوَاءِ، وَلَا تَسْتَطِيعُ الْمَحَافِظَةَ عَلَى الْحِمَامَةِ الْمَعْلُومَةِ.
بُجْرُمُهُ كُلُّهُ أَنَّهُ صَارَ صَدِيقًا لَكَ.

أَيُّ قَاتِلٍ الْحَيِّ، زُرْنِي، دَعِ قَلْبَ الْوَالِدِ يَفْرَغُ مِنَ الرَّسَالَةِ وَالتَّفَكِيرِ بِكِتَابَةِ الرَّسَالَةِ،
وَبَدَلًا مِنَ الرَّسَالَةِ يَنْشَغُلُ بِالذِّعَاءِ لَكَ بِالْخَيْرِ.

[٩٤] سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْغَبَارُ أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ
قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَجَلَ الْمَوْهَبَ

لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُعْطِيَ عَطِيَّةً جَدِيدَةً بِالْعَطَاءِ.

الرسالة الخامسة والعشرون

[إِلَى نَوْرِ الدِّينِ وَلَدِ جَاغَا فِي شَأْنِ نِظَامِ

الدِّينِ صَهْرِ حَسَامِ الدِّينِ جَلْبِي.]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

* الْقَالَ وَالْقُلَّةُ لَعِبَةٌ لِلصَّبِيَّانِ: يَأْخُذُونَ عَوْدَيْنِ أَحَدُهُمَا نَحْوَ ذِرَاعٍ وَالْآخَرُ قَصِيرٌ، فَيَضْرِبُونَ الْأَصْغَرَ بِالْأَكْبَرِ. فَالْقَالَ
الْعَوْدُ الْكَبِيرُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ، وَالْقُلَّةُ الصَّغِيرُ. وَتَعْرِفُ هَذِهِ اللَّعِبَةَ عِنْدَ الْعَوَامِ بِالْعُقْلَةِ [الترجم].

أدام الله إلى ما لا يحصى عددًا من السنين حياة المجلس العالي للأمير الأجل، المتقي لله، المحترف للخير، الحسن النية، الزاهد العابد، طالب الآخرة، صاحب الصفات الفاخرة، المعظم لأوامر الله، الحافظ لحدود الله، لطيف الأفعال، كريم الأقوال، نور الدولة والدين، افتخار الأمراء في العالمين، أدام الله علوه، (*) في غرائب الخيرات ونوادر الحسنات ودقائق تعظيم الحق.

يتلقى السلام والدعاء الكثير من هذا الداعي المخلص، على تجدد الساعات وتواتر الأوقات، ويعلم أن الاشتياق إلى زينة العالم الموصوف به ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] غالب وباعث. جعل الله اللقاء على الخير.

يُعلم بحال الابن المخلص نظام الدين، نظم الله أموره، الذي أصيب بأنواع من الأذى، كما أن قلوب الأحبة متعبة ومتألمة أيضًا ومتوجهة إلى تلك الناحية. المؤمل من مددكم وفضلكم ولطفكم وفق المبدأ المعهود لديكم أن تؤاسوه وتأخذوا بيده وتساعدوه، مثلما قبل ذلك قدّمت الألفاظ وأزيلت المظالم - الله تعالى. وهذا لا يضيع عند الحق وله قبول عنده. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. الدنيا مزرعة الآخرة. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ [٩٥] يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وقبل أن يذهب حين الزرع وينقضي وقت الزراعة، يكون واجبًا وفرصًا من جهة العقل والإيمان المبالغة

* الكلام بدءًا من هذا الموضع متصل به وأدام الله ما لا يحصى... [المترجم].

والمبادرة وزراعة كل نوع من بذور الخير؛ خاصة أن الابن العزيز، نظام الدين، قريب وصهر لجناب ملك المشايخ، ضياء الحق، أمين القلوب، جنيّد الزمان، حسام الدين، متّع الله المسلمين بطول بقائه. وهذا الخير لا يشبه ضروب الخير الأخرى، إن الله تعالى عبادةً أمجاداً محلّهم في الأرض كمحلّ المطر، إن وقع على البرّ أخرج البرّ، وإن وقع على البحر أخرج الدرّ.

أرجو أن يعود الابن نظام الدين، بفضل تربيتكم وإحسانكم ولطفكم العام الذي هو معروف ومشهور في شأن كل المحتاجين، وكلّهم شاكر وذاكر لحضرتكم فطوبى لكم، مسروراً سالماً غانماً أيضاً، في جوار عصمتكم وحريم حمايتكم وقرط عنايتكم؛ لكي تكون على هذا الداعي وعلى فقرائنا مننّ ويحصل ثواب لا حدّ له وثناء لا عدّ له. إن شاء الله تعالى.

الرسالة السادسة والعشرون

إلى مُعين الدين پروانه في طلب إشارته

المباركة لإعفاء شهاب الدين من الخراج

أدام الله على الخلائق كافة ظلّ مَعْدَلَةِ مَلِكِ الأمراء والخواصّ، عمدة الملك، القمر الأنور والسحاب الأمطر، مربّي العلماء، غياث المظلومين، مؤنس الفقراء، العظيم السعيد الأعظم [الغ قتلغ، بالتركية]، المبارك، پروانه بك، أدام الله علوه. أولياؤه منصورون، وأعداؤه مهجورون، وأمدادُ توفيقه إلى الخيرات في تزايد، بمنّه وكرمه.

يطالعُ السّلام والدّعاء من هذا الدّاعي، ويعلّمُ حجل الدّاعي من الإزعاجات

والمضايقات، وأنه ذاكرٌ شاكر.

إِنَّ رَافِعَ التَّحِيَّةِ، الابْنَ العَزِيزَ المَعْتَقِدَ فَخْرَ التَّجَارِ شَهَابَ الدِّينِ، أَحْسَنَ اللهُ عَاقِبَتَهُ، مِنَ المَحْبِينَ والدَّاعِينَ لَتِلْكَ العُتْبَةِ، وَهُوَ رَاغِبٌ وَمَوْلَعٌ بِالْخَيْرَاتِ وَالْعِبَادَاتِ، كَمَا يَحِبُّ ذَلِكَ الْفَدُّ؛ لَكِنَّ كَثْرَةَ الْعِيَالِ تَسْتَلْزِمُ الانْشَغَالَ بِالتَّجَارَةِ حَتَّى سِيَوَاسَ وَحُدُودَهَا [٩٦]، ثُمَّ بِسَبَبِ الْجُبَاةِ وَإِزْعَاجِهِمْ تَوَقَّفَ مَدَّةً عَنِ التَّجَارَةِ. وَإِنَّ خَيْرَاتِ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ تَصِلُ إِلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ، فَأَرْجُو بِالْإِشَارَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْكُمْ أَنْ يَعْفِيَهُ الْجُبَاةُ، وَيَجْعَلَ ذَلِكَ حِجَّةً، وَيَفْتَخِرَ عَلَى أَبْنَاءِ جَنَسِهِ. وَهَذِهِ صَدَقَةٌ مِنْ صَدَقَاتِ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى عِيَالِهِ، وَيَغْدُو عَتِيقٌ تِلْكَ الْمَنَّةِ وَالْمَكْرَمَةِ. وَيَكُونُ الدَّاعِي مَعْتَنًا، وَيُضَمُّ هَذَا الْإِحْسَانُ إِلَى ضُرُوبِ الْإِحْسَانِ السَّابِقَةِ، وَيَكُونُ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ الْجَزَاءِ. دَمَتَ مَحْسِنَاتُ وَمُعِينَاتُ وَمَغِيثَاتُ. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الرسالة السابعة والعشرون

[إلى مُعِينِ الدِّينِ بِرَوَانِهِ فِي شُكْرِ أَنْفُسَالِهِ

وَتَشْوِيقِهِ إِلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ]

وَصَلَّ الْإِحْسَانُ وَالْإِنْعَامُ وَاللَّطْفُ بِالدَّرَاوِشِ وَالْوَعْدُ الْجَمِيلَةُ اللَّطِيفَةُ مِنَ لَطِيفِ الْخَطَابِ وَحَسَنِ الْجَوَابِ، وَوَصَلَ الْعَفْوُ وَالرَّحْمَةُ الْمَلِكِيَّةُ مِنْ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ وَالْحُجَابِ، نِظَامِ الْمُلْكِ، صَاحِبِ السَّعَادَتَيْنِ، مُعِينِ الْحَقِّ وَالذِّينِ، أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ، إِلَى هَذَا الدَّاعِي الْمَخْلِصِ. وَنُطْقُ بَيِّنَاتِ الشُّكْرِ وَدَعَوَاتِ الْخَيْرِ مِنْ أَجْلِ دَوَامِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ وَمُضَاعَفَةِ تِلْكَ السَّعَادَةِ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْوَعْدَ الصَّادِقَ لِمَلِكِ الْأُمَرَاءِ وَالْحُجَابِ، أَدَامَ

اللهُ علوه، في قبول هذه الشفاعة معتمدٌ عليه وصادقٌ، ومُطمئنٌ للقلوب «والكريمُ إذا وعدَ وفي»، لا سيما أن هذا الكريم هو معينُ أنواع الكرم وسلطانُ المروءات كلها؛ ولا مزيدَ على وَعْدِ أن يتلقى ذلك العظيمُ الناسَ هؤلاء الفقراء والضعفاء وشفاعتهم بأحسنِ القبول؛ ابتغاءَ مرضاة الحقِّ تعالى وذخيرةِ الآخرة. وما يكون من أجلِ مرضاة الله لا يمكن أن يُندم عليه أو يُرجع عنه - بصرف النظر عن كمال اعتقاد هذا الإنسان الفذِّ وتقواه وحمته العالية وعبادته وسيادته، أدامَ اللهُ علوه «واجعلْ له لسانَ صِدْقٍ في الآخرين». ولكنَّ هؤلاء الضعفاء يشكون ويتفجعون كلَّ يوم حزنًا ورقَّة قلب، ويطلبون من هذا الداعي المخلص، المحترِّز غاية الاحتراز عن إزعاجِ حضرتكم ومضايقتها، تكرارَ الشفاعة والاستغاثة.

وإنَّ الداعي المخلص، معتمدًا ومتكلًا على كمالِ حِلْمِكُمْ وإحسانكم وسَعَةِ صدركم في إعانة الضعفاء والعفو عنهم، يخبركم بأنَّ كلَّ عفوٍ وإغماضٍ ورحمةٍ تُتخذ في هذا الباب [٩٧] ستكون ذخيرةً للآخرة وشكرًا للنصرة «وقد نصرتكم على عدوكم فإن شكرتم بالعفو والرحمة لأزيدنكم» ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. قال الحواريون لعبسى عليه السلام: يا روحَ الله، أيُّ شيء أشدُّ وأصعبُ؟ قال: غَضَبُ الله. قالوا: فما الذي ينجي من غَضَبِ الله؟ - قال: أن تكفَّ غضبك وتغفو إذا قدرت.

جعلَ الحقُّ جلَّ وعلا ملكَ الأمراء والحُجَّاب، أدامَ اللهُ علوه، من هذا القبيل ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. آمين، ياربِّ العالمين، دمتَ مستغاثًا للمظلومين ومؤيدًا بروح القدس.

الرسالة الثامنة والعشرون

[إلى أحد الأمراء إظهاراً للسرور

بعودته وعدم إمكان زيارته بسبب مرض

صلاح الدين]

سَلَامُ الْحَقِّ وَالرَّحْمَةُ الْأَبَدِيَّةُ عَلَى الذَّاتِ الشَّرِيفَةِ لِلْمَلِكِ الْأَمْرَاءِ، بِإِسْطِ الْعَدْلِ، نَاصِرِ
الْحَقِّ، أَبِي الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ. وَإِنَّ الثَّنَاءَ وَالْأَلْقَابَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ تِلْكَ
الَّتِي يَقُولُهَا الْحَقُّ تَعَالَى فِي شَأْنِ عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ، فَإِنَّ ثَنَاءَ الْحَقِّ خِلْعَةٌ لِلْعِبَادِ الصَّادِقِينَ لَا
تَبْلَى وَعِطَاءٌ يَتَزَايِدُ كُلَّ يَوْمٍ، وَدَوْلَةٌ ثَابِتَةٌ أَبَدًا، لَا يَأْخُذُهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَا يَرِثُهَا مِنْهُمْ
أَحَدٌ، وَحَيْثُمَا حَلُّوا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ وَهَذَا الثَّنَاءُ رَفِيقًا لَهُمْ، مِثْلَمَا يَمْدَحُ الْعِبَادُ وَيُثْنِي
عَلَيْهِمْ وَيُعْدِقُ عَلَيْهِمُ الْأَلْقَابَ فِي الْكِتَابِ الْقَدِيمِ [قَائِلًا] ﴿الْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْتَّقِينَ
وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنِيفِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]. مِثْلَمَا هِيَ
الْحَالُ الْيَوْمَ فِي دَوْلَةِ مَلِكِ الْأَمْرَاءِ وَالْخَوَاصِّ، أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ وَزَادَ تَوْفِيقَهُ، وَجَعَلَ مَجِيئَهُ
وَوُصُولَهُ مَبَارَكًا. أَحْيَا كَثِيرًا مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَسَرَّ الْمَظْلُومِينَ، وَقَدْ رَأَيْتُ الْخَلْقَ مُسْرُورِينَ
وَشَاكِرِينَ، فَسَأَلْتُ: مَا سَبَبُ هَذَا السُّرُورِ؟ - فَقَالُوا: قَدُومُ مَلِكِ الْأَمْرَاءِ وَإِحْسَانُهُ.
أَرَدْتُ الْمَجِيءَ إِلَى الْخَضِرَةِ لِلتَّبَرُّكِ بِالْوَجْهِ الْمُبَارَكِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ قِسْمَةً حَتَّى الْآنَ،
وَكُنْتُ مُشْغُولًا بِسَبَبِ مَرَضِ شَيْخِ الْمَشَايخِ وَلِيِّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَبِي يَزِيدَ الْوَقْتُ [إِشَارَةً
إِلَى أَبِي يَزِيدَ الْإِسْطَامِي]، قَطَبِ الزَّمَانِ، صَلَاحِ الْحَقِّ وَالدِّينِ، مَدَّ اللَّهُ بَرَكَاتِهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
الْمُسْلِمِينَ. وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَيْكُمْ فَإِنَّ خَاطَرَهُ الْمُبَارَكِ بِرَغْمِ كُلِّ هَذَا الْمَرَضِ الْمَزْمَنِ

وبرغم هذا الاستغراق الكبير في بحر أنوار رحمة الحق - فإنّ للأولياء منه كلّ لحظة [٩٨] موجاً فوق موج - إلى حدّ أنّه ليس لديه وقتٌ يحكّ فيه رأسه من غلّبات أمواج نور الحقّ، وقيس ملكُ الأمراء ذلك على حاله عندما حوّل أمراء الدولة ورعيةُ هذا الملك تصريفَ الأمور اليَوْمَ إلى عنايتكم واهتمامكم، فليس لديه الفرصةُ للحفاظ على المصالح. وهكذا فإنّ لدى هذا العبد [الشيخ صلاح الدّين] الذي هو نائب الحقّ وخليفته في ملكوت السّماء والأرض [إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وجملةُ الأرواح المضيفة تحوّل إليه، استغراقاً وانشغالاً كبيراً؛ رسالة وراء رسالة، ورسول وراء رسول ﴿وَأَلْمَسَلْتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، وليس لهذا الكلام نهاية. والمقصودُ أنّه برغم كلّ هذه المشاغل اللّطيفة والرّقيقة من كثرة ما كان خاطره متعلّقاً بجانب ملكِ الأمراء، لم ينقطع عن الدّعاء إلّا آيأماً قليلة. لا قطعَ الباري تعالى بركاتِ أوقاته عنا وعنكم وعن هذه الدولة، واستجابَ دعاءه في دوام دولتكم، آمين يا ربّ العالمين.

الرسالة التاسعة والعشرون

[إلى شجاع الدّين (؟) في شأن نظام الدّين

صهر صلاح الدّين في طلبِ زيادة مرتبّه]

جعلَ اللهُ سعادةَ الدنيا والآخرة وحصولَ جملة الأمانى والأمداد السّماوية رفيقةً

لزمانٍ المختارٍ من خير الآثار، الإحسانيّ الثّار، سيّد الأمراء والخواصّ، مقرّب الحضرة
بالاختصاص، مختصّ الملوك والسلاطين، تمام الأنس، قوام الأنس، علّم الهدى، فخر
الورى، شجاع الدّولة والدين، أدام الله علوه وكبت عدوه.

سلامٌ وتحيةٌ يوظّفان من خلاصة المحبة والولاء الطاهر من التكلف والزّياء،
والاشتياقُ إلى دوام صحبته ومؤانسته الغريبة اللّطيفة متجاوزٌ للحدّ. ويجعل البارئ
تعالى لهذا المراد سبباً سريعاً، إنّه مجيب سميع.

مصورُ الرأي الأنور أيده الله بثوره - الرّيح الحاملةٌ للتّحية الابنُ العزيزُ الفنّانُ
الكافي، نظام الدّين - دامت معاليه - صهرُ سيّد المشايخ، أبي يزيد الوقت، جُنيد الزّمان،
خضر القَدَم، مسيحِ الأنفاس، نورٍ يمشي به في الناس، صلاحِ الحقّ والدين الذي هو
ابنُ الرّوح والقلب للسيد برهان الدين محقّق [الترمذي] وخليفته - مدّ الله ظلّه ولا
أخلّ جنابكم وتحصيل أسبابكم من برّكته - سُمع في هذا الوقت أنّ طغرائي الوقت
وعظماء الملك قد اختاروه لتوليّ نيابة الطّغراء والإنشاء. المتوقّع من مكارم أخلاقكم
ولطفكم الشامل أن يُسعى في تقرير ذلك وتعيين أكبر قدرٍ من المرتّب له، بسيادةٍ
وأبوةٍ، لكي تغدو بركاتُ هذا السّعي [٩٩] وعنايةُ الهمةِ العاليةِ للملك المشايخ،
المتصرّف في الكوّن والفعّال في الدّارين، سبباً لدوام الدّولة القاهرة، ثبّتها الله، وسبباً
لمزيد الجاه والأبهة وحصولِ المراد والسّعادة لكم في الدّارين:

الهمةُ لأتّها تقدّم ضروب العِناية

لا تحتقرّها لأتّها تؤثر.

مدّ الله لك العمرَ وأدامَ عليك الجاه، آمين، ياربّ العالمين.

الرسالة الثلاثون

[إلى معين الدين پروانه]

[في شكر إحسانه وفضله]

جَعَلَ اللهُ شَمْسَ إِسْعَادٍ ﴿لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ [النور: ٣٥] وَلَا أَرْضِيَّةَ وَلَا
سَمَاوِيَّةَ، بَلْ إِلَهِيَّةَ رَبَّانِيَّةَ أَزَلِيَّةَ، لِأَلَاءَةٍ مُشْرِقَةٍ دَائِمًا عَلَى الذَّاتِ الْمُطَهَّرَةِ الْمُنَوَّرَةِ الْمُعْطَرَّةِ
اللطيفة الشريفة لولي الأيادي والنعم، مَلِكِ الْأَمْرَاءِ وَالْحُجَّابِ، فَلَكِ الْمَعَالِي، تَاجِ
الْأَعَالِي، الدِّسْتُورِ الرَّبَّانِيِّ وَالْحَاكِمِ الرُّوحَانِيِّ، الْعَظِيمِ السَّعِيدِ [الغ فتلغ بالتركية] حَامِي
الدِّينِ، پروانه بك، خَلَّدَ اللهُ عُلُوَّهُ.

رَبُّ الْأَرْيَابِ وَمُلَهُمُ الصَّوَابِ هُوَ الْمُرْشِدُ وَالْمَهَادِي فِي كُلِّ تَفَكَّرٍ وَتَرَدَّدٍ؛ وَيَحْمِي اللهُ
تِلْكَ الذَّاتَ الْحَسَنَةَ الصِّفَاتِ مِنْ شَرِّ قَاطِعِي طَرِيقِ الدِّينِ وَمِنْ الْغِيلَانِ وَالْجَانِّ الْقَاطِعَةِ
لِهَذَا الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَمِنْ شُؤْمِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَوَسْوَستِهِمْ، لَكِي لَا يَجْعَلُوهَا مِثْلَهُمْ
قَبِيحَةً وَسَيِّئَةً وَسَخِيفَةً وَكُثْبَةً وَمَحْرُومَةً. وَيَقُولُ الْحَقُّ تَعَالَى فِي شَأْنِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ وَيَدْعُونَ: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

إِنَّ فِي هَذَا الطَّرِيقِ مِثَّةَ أَلْفِ إِبْلِيسَ لَهُ وَجْهٌ إِنْسَانٍ،

فَحَذَارِ أَنْ تَعْدَّ كُلٌّ مِنْ لَهُ وَجْهٌ إِنْسَانٍ إِنْسَانًا

—

في هذه العتية المليئة بالتلبيس

يَأْكُلُ إبْلِيسُ الْخُبْزَ بِقَوْلِهِ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،
قَدَّسَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِحِفْظِهِ. وَبِرَغْمِ هَذَا الْعَمَى كُلِّهِ، يَطْعَنُونَ فِي أَهْلِ الدِّينِ وَلَا
يَتَوَرَّعُونَ وَلَا يَقُولُونَ:

[١٠٠] «عِنْدَمَا تَكُونُ عَيْنُنَا الَّتِي تُبْصِرُ الْبَاطِنَ فَاسِدَةً

كَيْفَ نَعْرِفُ أَنَّ هَذَا وَرْدٌ أَوْ عَشْبٌ؟

يَبْلُغُ السَّلَامُ وَالذِّعَاءُ وَالتَّحِيَّةُ عَنْ صِدْقٍ وَوَلَاءٍ وَإِخْلَاصٍ وَصَفَاءٍ، وَلَدِينَا مَا لَا
يُحَدُّ مِنَ الشُّكْرِ. جَعَلَ اللَّهُ جِزَاءَ هَذَا الْإِحْسَانِ الْكَثِيرِ مُتَوَاتِرًا مُتَوَاصِلًا إِلَى ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ
مِنْ خَزَانَةِ ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾
[المنافقون: ٧]، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الرسالة المحادية والثلاثون

[إلى معين الدين پروانه في شأن مساعدة

أمير العالم جلبي (ابن مولانا)]

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا سَلَامٌ مُودَّعٍ وَلَكِنْ سَلَامٌ لَا يَزَالُ جَدِيدًا
جَعَلَ الْحَقُّ تَعَالَى، جَلَّ جَلَالُهُ، حِلْمَ مَلِكِ الْأَمْرَاءِ وَالْكَبَرَاءِ الْمُؤَيَّدِ بِالْعَطِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ
وَالدَّوْلَةِ السَّرْمَدِيَّةِ، الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَالرَّكْنِ الْأَعْلَى، الشَّمْسِ الَّتِي لَا تَخْفَى فِي الْجُودِ
وَالضُّحَى، ظِلَّ الرَّحْمَةِ الْوَاقِيَةِ، ظَهَرَ الْمَلَّةُ الصَّافِيَّةُ، مَخْتَصَّ الْحَضَرَتَيْنِ، مُؤَيَّدِ الدَّوْلَتَيْنِ،

العالم المتكلم [بلكا دلکا - بالتركية في الأصل] التقى، پروانه بك - أدام الله علوه - وكرمه (*) وشفقته ورافته وإحسانه كعبة للمحتاجين وقبلة للمؤمنين أبداً سرمدًا، سلام ودعاء لم يحصل فيهما فتور وانقطاع، واشتياق أبعثه وأظهره متجددًا، اشتياق مثل فضائل ولي الأيادي وشماله وفوائده أنضر وأكثر تفتحًا. جمعنا الله وإياكم على موائد فضله.

ولأن الحق جلّ جلاله جعل تلك الذات الشريفة مُشارًا إليها بالبنان في قضاء حاجات الدراويش والمحتاجين، اختيارًا واضطرارًا، فإتني بالرغم من أنني لا أريد أن أزعجه وأضايقه، ولكن لأن همتة العالية المباركة طالبة للآخرة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْوِهِ﴾ [الشورى: ٢٠]، وطلب تلك الدولة الخالدة لم يترك من دون تحديد «حُفَّت الجنة بالمكاره»، أعرض توقع أمير العالم وفقه الله الذي كان دائمًا في ظلّ عناية ملك الأمراء والكبراء أدام الله علوه وشفقته ورعايته، ويريد أن تظل هذه المرحمة والرفقة تتجدد عليه مثل إقبال ملك الأمراء الذي لا يزول؛ فإن كل من يبني بيتًا وقصرًا وعمارة بظل حتى النهاية يحيل نظر الإشفاق في خللها وخيرها وشرها، إلا إذا حدث في إقطاعه تدخل وسبب ذلك انزعاج الرعايا وظهور في وظيفته من هذا الإقطاع قلة وقصور. يطلب لبذر الأمل من غيث العاطفة القديمة الذي يشمل العموم أن يصيبه خاصّة [١٠١]، لكي ينشغل بالدعاء للدولة مع الشاكرين

* هذه الكلمة وما بعدها معطوفة على كلمة «جلم» في مطلع العبارة.

والظَّافِرِينَ بِالْإِحْسَانِ الْآخِرِينَ. جَعَلَهُ اللَّهُ دَائِمًا مَلَاذًا لَطَالِبِي الْمَلَاذِ. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الرسالة الثانية والثلاثون

[إلى القاضي سراج الدين في شأن مبرات

علاء الدين چلبی]

بعد إيراد السلام والتحية والاعتذار عن الإزعاج والمضايقة التي تُقدِّمُ اعتمادًا على كرمِ حضرة منبج الفضل والكرم، قاضي القضاة، أفضل العالم، الصدر الكبير، البدر النير، المحقق المدقق، سراج الحق والدين - أدام الله فضله ومتّع العالمين بسعيه الجميل وفضله الجزيل، آمين يا رب العالمين. نُقِلَ عن لسان الناطق الصادق مُفِيضِ الحقائق مفيد الخلائق - لا زال ناطقًا بما يرضي الإله ويزين الأسماع والأفواه، ويزيل الظلمة والاشتباه - مرّاتٍ إلى سَمْعِ هذا الدّاعي المخلص [مولانا الرومي]، أنّه في ضبط الملكية الضّميّلة التي هي نِزْكَةُ ابنِ الدّاعي، علاء الدين، رحمه الله وأبقاكم، من أجل مصلحة أيتامه، مثلما طُلبَ من جناب مولانا [القاضي سراج الدين]، وقد قال مولانا إنّهُ في هذا الشأن أسعى الآن إلى أن يكتب لي فلانٌ - أي الدّاعي - أنْ هكذا تصرّف وهكذا احكُم. وعندما سمع الدّاعي هذا غدا من الواجب تجديدُ اعتقاده واعتماده على لطف مولانا وكرمه العامّ الفائض على الخاصّ والعامّ.

وإنّ كلّ شفقةٍ وخدمةٍ ولطفٍ يتفضّلُ بها مولانا تسرّ قلبَ الدّاعي وروحَه، بل إنّ كلّ تربيةٍ وتدريبٍ لطيفٍ وحُسنِ حِضانةٍ وصيانةٍ تُسرق من بيدِ فضلِ مولانا وتُستفاد منه.

إنَّ الدَّاعيَ منهمكُ بالدَّعاءِ لمولانا. والمرجوُّ أن لا يعتمد على كلام هذا الدَّاعي؛ لكي لا يبقى هؤلاء الضعفاءُ ضائعين محرومين بغير نظر عناية مولانا. «الحلَّقُ عِيَالُ الله، فأكرمهم عند الله أنفعهم لعياله» وهو يُعذِّر على هذه الجرأة لأنَّ الإشارة المصطفوية أعطت هذه الجرأة: «استمعينوا على حوائجكم من رُحماء أمتي»، خاصَّةً مولانا، الذي هو المفخرُ والإمامُ والمقتدى لكلِّ رُحماءِ الأُمَّةِ وعلماؤها. أدامكم الله، والسَّلام.

الرسالة الثالثة والثلاثون

[إلى القاضي تاج الدِّين في إظهار

المحبَّة لحسام الدِّين جلبي ونشريق

المخاطب إلى العناية به]

[١٠٢] فَتَحَ اللهُ أَبْوَابَ السَّعَادَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْعَنَايَةِ عَلَى الضَّمِيرِ اللَّأَلَاءِ لِمَوْلَانَا الْعَالِمِ الْفَاضِلِ، قَاضِيِ الْقَضَا، بَاسِطِ الْعَدْلِ، نَاشِرِ الْفَضْلِ، مَفْعَرِ الْعِلْمَاءِ، تَاجِ الْمَلَّةِ وَالدِّينِ، افْتِخَارِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، نَاصِحِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ - أَدَامَ اللهُ فَضْلَهُ وَمَتَّعَ الْمُسْلِمِينَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ. وَجَعَلَ الْإِلَهَامَ الرَّبَّانِيَّ وَالْإِقْبَالَ السَّرْمَدِيَّ مُرْخِي الْعِزَّانِ لِفِكْرٍ زِينَةِ الْعَالَمِ مُكْرِمِ الْمَظْلُومِينَ مُنْفِيِ الظَّالِمِينَ رَاعِيِ الدِّينِ. وَيَطَالُعُ السَّلَامَ وَالتَّجِيلَ مِنْ هَذَا الْمَخْلُصِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْاِشْتِيَاقَ إِلَى دَوَامِ مُصَاحَبَةِ لَطِيفِ الصُّحَابِ فَخْرِ الْأَحْبَابِ غَالِبٌ وَبَاعِثٌ. يَجْعَلُ الْبَارِئُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، الَّذِي هُوَ جَامِعُ الْأَحْبَابِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ، سَبِيًّا سَرِيعًا لِلْقَاءِ، إِنَّهُ حَيِّبٌ سَمِيعٌ.

يَعْلَمُ الْأَصْحَابُ عِلْمَ الْيَقِينِ صَدَقَ رَغْبَةُ مَوْلَانَا، دَامَ فَضْلُهُ، فِي رِعَايَةِ الْفُقَرَاءِ

وأهل الله وصفوته، خاصةً في باب حفظ جانب شيخ المشايخ، أبي يزيد الوقت، جُنيد الزمان، العروة الوثقى والركن الأعلى، أمين القلوب، مخزن أسرار العرش، حسام الحق والدين - أدام الله بركته - الذي شرحتُ بعضًا من فضائله لحضرتكم، وأظهرتُ قطرةً من ذلك البحر. وإني أعلمُ أنَّ للضمير المؤيد والنور لمولانا تأكيدًا يُصَبِّطُ في ورق الدفتر، وهو يقرأ الرسالة غير المكتوبة؛ لأنَّ «المؤمنَ ينظر بنور الله»، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أراد أن يجلسَ مع الله تعالى فليجلسَ مع أهل التصوف»، «أحسنوا إلى الفقراء الرَبَّانِيِّينَ واتخذوا عندهم الأيادي، فإنَّ لهم دولاً يقال لهم: خُذْ بيدك من شئتَ وأدخله الجنة. إنَّ أولياء الله لا يحتاجون إلى شفاعتي وإنما لهم شفاعَةٌ في الله».

وعرَّضُ هذا المعنى، برغم أنَّه من ناحيةٍ خلَّوُ من الأدب، فإنَّه من ناحية كون مولانا أضلَّ الفضائل والفوائد و «كلُّ يرجعُ إلى أصله»، وكذلك تبعًا لوعيد كريم، يبيِّضُ وجهَ هذا المخلص - إذ صرْتُ كفيلَ هذا الذي هو معدنُ الكرم - ويقدمُ عنايةً سياديةً في هذا الباب. أبقاك الله مظهرًا للعنايات، آمين يا ربَّ العالمين، والسلام.

الرسالة الرابعة والثلاثون

[إلى واحد من رجال الحكومة في

التوصية بواحد من المساكين]

[١٠٣] يطالعُ ملاذَّ الضعفاءِ في العالم، مدَّ الله علوه، السلامَ والتحية، ويعلمُ أنَّ

رافع هذه التحية، وهو ابنٌ عزيزٌ صالحٌ متدينٌ حسنُ الاعتقاد شرحَ اللهُ صدره، من المحيّن لدولته الدّاعين لها. وغيرُ خافٍ استحقاقه واضطراؤه بسبب كثرة حياته ومروءة نفسه وتعقّفه وعجزه عن سؤال أيّ مخلوق، لا صراحةً ولا كنايةً. وهو يقضي وقته في الصّبر والشّكر والطّاعة والقناعة والدّعاء لدولتكم. واليوم إذ وصلَ سكّينُ الضرورة إلى العظم جاء يطلبُ الوظيفةَ المباركة التي تصل إلى العاجزين من جناب الرّحمة، وهو ضعيفُ الجسد. وههنا أولادٌ يتظرون زمانَ المرحمة ووقتَ العاطفة. لا قطعَ اللهُ التوفيقَ إلى الخيرات عن ذلك الخاطر وعن تلك اليد. آمين يا ربّ العالمين.

الرسالة الخامسة والثلاثون

[إلى واحدٍ من رجال الدولة في التّوصية

بالإمام الأجلّ فلان وفي طلبِ الإحسان

[إليه]

جعلَ اللهُ القلبَ المفكّرَ بالخير والروحَ النّاطرَ إلى العاقبة لدى الابن المخلص المقبل، المجلّ الصّفات، المشرف النّعوت، المستنير الخاطر، الحليم الكريم، المعظم لأمر الله، المشفيق على خلق الله، مختصّ الملوك والسلاطين، أكفى الكفاة، قاصم البغاة، صاحب الأخلاق الجميلة والفضائل الجزيلة - أدامَ اللهُ علوّه وزاده فضلًا وإقبالًا وحرصًا على إحراز الفضائل وأيّده بروح منه - مترقيًا^(*) دائمًا على معارج القبول

* المفعول الثاني - وجعل، في مطلع الفقرة [المترجم].

ومدارج القرب! الأولياء منصورون - وأولئك الأولياء هم الملائكة الذين هم حُرَّاسُ
الذين [١٠٤] يحفظوننا من مهالك الدارين، ﴿أُولَئِكَ أَجْنَحَهُ مَقَرٌّ وَوَلَّتْ وَرَبَّعَ
﴿[فاطر: ١] وهكذا إلى سبع مئة جناح على قدر شرفها - والأعداء مهجورون،
وأولئك الأعداء هم الشياطين، على هذا المثال أيضًا. وأولياء الظاهر وأعداؤه هم
فروع أولئك الأولياء والأعداء الذين وصفناهم وتحدث عنهم شفاهًا، إذ لا تتسع
الرسالة للحديث عنهم.

يطالعُ السَّلامُ والدَّعاءُ من هذا الأب، والاشتياقُ جذبٌ إليكم، أما عندما يكون
مستطاعًا التَّعَمُّ بأنواع التَّعَمِّ فلن يترك نصيبه، إلى أن يأتي الحينُ أو الوقت، عن قريب
إن شاء الله.

إنَّ الإمامَ الأجلَّ - الذي هو رافعُ التحية - شَفَّعَ هذا الأبَّ من ناحية العناية إذ
يصل السُّرورُ إليه أيضًا من خُلُقكم الحَسَن. وهذا الأبُّ ضَمِينٌ أن يزيد على ما هو
متوقَّع، فإنني أعرفُ طبعه، وأنا مطلعٌ على حُسْنِ معاهدته. والمتوقَّعُ أن يجعل هذا
الأبَّ صادقًا من ناحية الظَّاهر؛ وإذا كان هناك عتابٌ في الباطن خفيٌّ وغيرُ معلَن فإنه
يلطِّفُ في هذا العتاب كثيرًا ويهبُ العناية التامة في شأنه، ويَعُدُّ ذلك من جملة
الصَّدَقَاتِ المقبولة، وينضمُّ إلى المنَّة العظيمة وإلى الألفاف والثناءات السابقة.

أَنْ تَسْتَعْبِدَ حُرًّا وَاحِدًا بِإِحْسَانِكَ

خيرٌ من تَحَرَّرَ أَنْ أَلْفَ عَبْدٍ.

ذلك لأنَّ الحقَّ تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَخْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[المائدة: ٣٢]. الله، الله، أن يبيّض وجه هذا الوالد لكي يحصل المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]، إن شاء الله تعالى.

الرسالة السادسة والثلاثون

[إلى فخر الدين علي صاحب العطاء في

طلب إعفاء الأصحاب من المطالبات]

جعل الله اللطف القديم للتأصير والمعين الأخ الأمير الأجلّ التقى، الحسن الأخلاق، الخاشي لله، المفكر في العاقبة، الزؤوف بالمظلومين، مختص الملوك والسلطين، فخر الدولة والدين - أدام الله علوه - والخيرات [١٠٥] والحسنات والفكر الجميلة التي يقدمها على أمل النجاة في الآخرة، مقبولة(*) ومضاعفة لدى حضرة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

يطالع السلام والتحية ويعلم أن هذا الداعي شاكر لإكرامه الأخوي وذاكراً لإنعامه. وبرغم أنني لا أضايقه بزيارة الجسد، أريد بالروح والقلب كمال ذلك الأخ العزيز. وإن ضروب إحسانه التي لا تُحصى تُحجّلني، ولستُ بقادر على مكافأتها، وأسأل الخزانة التي لا تنتهي والفضل الإلهي أن يكافئ كلاً منها بسبع مئة مثلي، بل من دون عدد ﴿أَكْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ جَنَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ولم يقتصر

* المفعول الثاني لجعل في أول الفقرة [الترجم].

البارئ على هذا، إذ يقول بعد ذلك: ﴿وَاللَّهُ يُضَعِّفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] -
يكونُ أضعافَ ذلك لمن يشاء له الله ذلك. ويحمدُ الله، لجأ الأميرُ الأجل، الأخُ الأعزُّ،
إلى تلك الإرادة وإلى تلك العناية جَعَلَهُ اللهُ محفوظًا وملحوظًا.

ويكون معلومًا أنَّ جماعة أصحابنا الذين هم في هذه أيام الصعبة، بفضل
عنايتكم، فارغو البال من المطالبات والمصادرات، كانوا مشغولين بالدعاء لكم، ولم
يبق من هذه الجماعة كلها أكثر من خمسة أشخاص، أو ستة، هم في مَعْرِضِ المطالبة.
وقد قال الكبراء لدى الحقِّ وخاصةً الحقُّ إنَّه برغم أنَّ بداية الخير مباركةٌ وعملٌ عظيمٌ
وعلامَةٌ للعناية الأزلية والسعادة الأبدية، فإنَّ إتمامَ الخير خيرٌ من ابتدائه. «إتمامُ
المسروف خيرٌ من ابتدائه». ومثل ذلك قال أربابُ البصيرة إنَّه برغم أنَّ الهلالَ مباركٌ،
يكونُ أكملٌ عندما يغدو بذرًا كاملاً في الليلة الرابعة عشرة. نقصُر الكلامَ ونقتصر على
الدعاء. وننتظر أن تُتمَّ عنايةُ الأمير، الأخِ الأعزَّ ضاعفَ اللهُ سعادته وتوفيقه، تلك
العناية، لكي تنضمَّ إلى المِنَّنِ السابقة والإحسانات المتقدمة، وتكونَ سببًا لسعادة
الآخرة وذخيرةً لذلك اليوم العظيم، إن شاء الله تعالى.

الرسالة السابعة والثلاثون

[إلى معين الدين پروانه في طلب

فلان (٢)]

جَعَلَ اللهُ العَيْنَ المَبْصِرَةَ للدَّقَائِقِ لدى مَلِكِ الأمراء، ناشِرِ العَدْلِ، باسطِ الفضلِ،

ملجأ الضعفاء والمساكين، محيي الهدى واليقين، الصاحب الأعظم، پروانه المعظم،
مُغيث الخلائق، منير الحقائق، شريف الألقاب، مفخر ذوي الألباب، مُعين الدولة
والدين - أدام الله علوه وشرح صدره وأيده بروح القدس - [١٠٦] مطلعة^(*) على
أسرار الغيب وعواقب الأمور، في كل يوم؛ وجعل الله أذنه مغناطيس للنصيحة
والكلام الصائب؛ وجعل قلبه روحه المبارك نور التوحيد وخلوص التفريد. خلقه
الحسن شاكراً لقضاء الشكر التي لا نهاية لها، ولطف ذاته ذاكر للطف البحر الذي لا
غاية له، فإن ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي﴾ [البقرة: ١٥٢] دعوة لإكرامه.

يطالع السلام والتحية، ويعلم بأن الاشتياق غالبٌ وباعثٌ ومهيِّجٌ، ولكن
«الأمور مرهونة بأوقاتها». وإذا لم يكن هناك كرمٌ ولطفٌ من جهة مُعانية الصورة، فإن
الخبر المتواتر موجبٌ للعلم القطعي. وكنتُ أسمع بآثار الخير والخلق الحسن والإنعام
العام والإكرام التام لدى ذلك العزيز على نحو متواتر، وكنتُ أعلمُ بذلك فأطلبُ
المزيد منه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُحْسَنَاتٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. و«ليس الخبرُ كالمُعانية،
والخبرُ، إن كان متواتراً، لا يكون أبداً كالمُعانية. عاينتُ آثارَ لطفه وإحسانه بعد الخبر،
وانشغلتُ بالدعاء له بالخير، ولم أشأ أن أعلنَ المحبة والدعاء لكي لا يمتزجا بالرياء.
ولكن من أجل إشارة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان جالساً في المسجد، فمرَّ
شخصٌ من باب المسجد، فقال أحدُ الصحابة: يا رسول الله، أحبُّ هذا الرجلَ الذي

* المفعول الثاني - «جعل»، في مطلع الفقرة [المترجم]

مرّ. فقال المصطفى: قُمْ وأعلِّمه بهذه المحبة. فلو كان في هذا الإعلام آفة الزياء، لما أعطى مُبصرُ دقائق العالم والبشر فتوى بهذا الإعلام: «مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَحَدًا فَلْيُعْلِمْنِهِ». كذلك فَإِنَّ مَلِكَ الأمراءِ نُحِبُّ الحضرة الحق، وباللطف والإحسانِ ورعاية المساكين يُعْلِمُ بِصَدَقِ محبته تلك الحضرة [الله سبحانه]، التي هي غير محتاجة إلى الإعلام، لكنّها نُحِبُّ الإعلام. برغم أَنَّ ذلك الخُلُقَ واللطفَ وتلك الرحمة والملاطفة للمساكين لا تغدو حجابًا عن الاعتماد على الله والتوكّل عليه لدى مَلِكِ الأمراء، فيغفل عن مَكْرِ الحق. ذلك أَنَّ من يتوكّل ويختار جانبَ الحق مرةً واحدةً هو الذي لا يحتاجُ مئةَ ألفِ احتياط. فَإِنَّ فرعونَ قد قطعَ رؤوسَ مئةِ ألفِ طفلٍ بريءٍ من بني إسرائيل احتياطًا واتباعًا للحزم، وَمَنْ كان أصلًا وخصمًا رباه في قَصْرِه في حِصْنِهِ ودلّه آلاف أنواع التذليل. هكذا يكون فِكْرُه الغطاءَ لعينه. ولو اعتمدَ على الحق، لجعلَ الحقُّ ذلك كُلَّهُ أوتادًا لتثبيت مُلكه وتوطيده وأضفى عليه المحبةَ والشهرة، على غرار مُلكِ داود وسليمان. والمرجُو أن يخصَّ العبدَ المقصّرَ، فلانّا، بالعفو والرحمة من أجل إرضاء قلب هذا الدّاعي، وأن يتوكّل على الحق في دَفْعِ الشرور والآفات لكي يكون هذا الدّاعي رهينَ المِنة. وإنّ إحدى علامات السعادة أنّه عندما يجيء الظفرُ والنّضرُ يحوِّله إلى محض عناية الحق، ويراه من الحق، لا من تدبيره ومهارته. ضاعف الحقُّ تعالى هذا التوفيقَ لكي يجتهدَ في تحصيل رضى الحق لا في جَمْعِ رأيه.

قال العطارُ ما عرفه

والباقي كُلّه مُلكٌ من يستمع

[١٠٧] والحمدُ لله ربّ العالمين.

الرسالة المأثمة والمأثون

[إلى السلطان عز الدين كيكاس في

إجابة رسالته وعرض مباحث عرفانية]

وصلت إلى هذا الوالد بشارة الرفعة والإقبال والسعادة من لدن الملك العادل،
 ناشر الخيرات، فريد العالم، نادرة الزمان، ملك الدنيا، الكنز الخفي، مختار الرحمن،
 السلطان السلطاني الأصل، من هو الأمن والرحمة للبلاد والعباد، المتوكل على الله،
 المخصوص بفضل الله، قبلة الإقبال، كعبة الآمال، خلاصة الوجود، فخر آل داود،
 عظم الله دولتهم. كذلك قبل وصول المشرقة [الرسالة] الكريمة والرقعة العزيزة ومن
 طريق ﴿نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، يُخَبِّرُ قلب هذا الوالد عن حال فريد
 العالم هذا من جهة عالم الغيب. ومن جهة الظاهر وصلت المشرقة العزيزة الشريفة
 والرسالة المضاعفة للسرور. غدت جزأً للسرور وجعلت تعويذة للسّر وهيكلاً
 [جزراً] وراحة للقلب. يُبعثُ بآلاف السّلامات والتحيات والثناءات عن صديق
 وصفاء، ويُعلمُ الاشتياق إلى اللقاء المبارك ورؤية ذلك الذي هو نور العناية، وقبل
 حلول الأجل يرى كثيراً إن شاء الله «إن الله يجمع من يشاء ويرفع البُعْدَ عمن يشاء».
 وإن المسهل لكل صعوبة والحال لكل مُشْكِل يحوّل، بفضلله وكرمه الذي لا نهاية له،
 فراقنا إلى وصال، ويقرب الطريق البعيد، مثلما أن أسباباً عجيبة لم تكن في وهما سببت
 أولاً لقاءنا بفريد العالم هذا، عظم الله إقباله؛ ومثلما أن يوسف الصديق وجد أباه
 وإخوته بعد فراق طويل وانفصالٍ ويأس من اللقاء، فتوجّه إلى السماء وقال: يارب، ما

الأسباب التي صنعتها لكي تُوصَلَ إليّ أبي وإخوتي، وبعدَ مثلِ هذا الفراق أذنتُ بالوصول ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. هم كانوا في ولاية كنعان وأنا في مصر، ولا عَلِمَ لهم عَنِّي، أحدثتُ في العالمِ قحطًا وجفافًا حتّى صار إخوتي وأبي في حاجة إلى الخبز، فاشترؤا الخبزَ بالذهبِ وزنًا بوزنٍ ولم يحصلوا عليه، وصيرتني أنا يوسفَ مَلِكًا لمِصْرَ وأدعت اسمي في العالمِ [إذ صار يُقالُ] إِنَّ مَلِكَ مِصْرَ يعطي قمحًا ويُرخّص ويعطي الكثيرَ ويقبَلُ من الدرويشِ الفِضّةَ الزائفةَ [١٠٨] بدلًا من الذهبِ الخالص، ويعطي قمحًا، وجاء إخوتُه من أقصى بلاد كنعان إلى مصر بناءً على هذه السُّمعة، ولم يكن لديهم وهمٌ في أننا نمضي نحو أخينا، وأنَّ مَلِكَ مِصْرَ هو أخونا، وإذا كانوا يعلمون فأين جاؤوا؟ وبأيّ وجه جاؤوا؟

فيا لها من أسبابٍ لطيفةٍ غريبةٍ صَنَعَهَا فاعِلُ الأفعالِ لكي يجمع يوسفُ الصّديقُ مع إخوته. في اللَّيلِ والنهارِ، يصنع مئة ألفِ عمَلٍ من هذه الأعمالِ ويفصِّلُ أقوامًا ويفرق جماعاتٍ، ويُلقِي موجُ التقديرِ كُلَّ واحدٍ في مدينةٍ، ثم من جديدٍ يخلق أسبابًا ويموج بحر التقدير يجمع من جديد هذه الأسبابَ المفرّقة. ونؤمِّلُ من رحمة هذا الفعّالِ لما يريد أن يَصِلَ الأسبابَ اللطيفةَ المباركةَ بعد هذا الفراق الطويل، مثلما يَسِرُ الوصالُ الأوّلُ الذي لم يكن في الوهم. إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

الحقُّ تعالى عَلِيمٌ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] بأنَّ المحبةَ والدَّعاءَ بالخيرِ والعشقَ والاهتمامَ نفسَها التي كانت في أيّامِ الوصالِ إذ يرى كُلُّ مَنّا صورةَ الآخرِ، ما تزال قائمةً، وقد ظلَّ خيالُكم وأحوالُكم أمامَ العينِ في أيّامِ الفراقِ هذه، ولم ينطبق علينا القولُ المأثورُ «مَنْ غَابَ عَنِ الْعَيْنِ غَابَ عَنِ الْقَلْبِ» وحاشَ لِلطُّفْلِ الْمَلِكِيِّ

والبُتُوَّة والآدب النَّبَوِيَّ التي يتمتّع بها هذا الفذّ أن تغيب عن عين هذا الأب وقلبه. فالمحبّة التي تكون خاصّة للحقّ، والأبوة والبُتُوَّة التي تكون خالصةً لله، لا تتغيّر أبدًا. مثلما يقول الحقّ تعالى إنّهُ في يوم القيامة، في تلك الغلّبة الشديدة وشدة الهيبة وقول الإنسان: نَفْسِي، نَفْسِي، تُقَطِّعُ صَلَاتُ الْقُرْبَى كُلَّهَا، ويفرّ القريب من قريبه، والنَّسِيبُ من نسيبه، ويُديرُ كُلَّ مِنْهُمْ وَجْهَهُ عن الآخر ملتفتًا إلى وجه وقته، ما عدا القرابة والأبوة والبُتُوَّة والأخوة التي تكون لله؛ فإنّ زلزلة الساعة لا تقطعُ تلك القرابة؛ يبحث هؤلاء الأقرباء بعضهم عن بعض ويتعاونون في قدرهم و مقامهم وقربتهم ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وهذه الدَّرَجَةُ للمتقين المقلّدين الذين لديهم إيمانٌ وصدقٌ في قلوبهم، لكنّ أعينهم مغمضة، مثلما يعرف الابنُ الطفلُ الأعمى أمّه ويرضع حليّتها، ولكنه حين يُسأل: ما لونُ أمّك، أهي سمراء، شقراء، بشوش، طويلة، قصيرة، دقيقة الأنف، نحيلة، طويلة العنق؟ لا يستطيع أن يسمّي أيّا من هذه العلامات إلّا بالتقليد والسّماع. أمّا المتقون الذين فتحت لهم الأعينُ وأعطوا القدرة على أن يفتحوا عَيْنَ من يشاؤون ويجذبوا أذنه للإصغاء ويحيوا الميت، فماذا أقولُ عنهم؟ القيامةُ من أجلهم ابتغاء أن يتحقّق ما قالوه للخلق وهدّوهم به ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ. رُسُلُهُ﴾ [إبراهيم: ٤٧]. وهكذا، فالقيامةُ على الآخرين يومٌ وعيدٌ وعلى العبادِ الخواصّ يومٌ عيدٌ ووقتٌ مزيد. ولن أعين مَنْ هو هذا العبدُ الخاصّ في زماننا، لكنني أسألُ الحقّ تعالى أن ينورَ عينَ فريد [١٠٩] العالمِ هذا وقلبه بنوره ويعطيه المزيد لكي لا يحتاج إلى قول أحد وتعريف أحد.

أيّها القلبُ، إلى متى أنتَ في سجنِ الخداع هذا ترى هذا وذاك؟

أخرج لحظةً من هذه البئر المظلمة لكي ترى الدنيا
متعةً الله في هذه الدنيا وفي تلك الآخرة وفيما وراء هاتين، آمين يا رب العالمين.

الرسالة التاسعة والثلاثون

لإلى السلطان عز الدين كيكاس في

التوصية بشمس الدين وابنه نور الدين]

جعل الله الكرامات والطيبات والسعادات السماوية، التي هي مطلوب أهل
الدنيا ونصيب الأنبياء والأولياء والخاصة - وهي الجديرة بالطلب - ونثار الروح
الطاهر للملك الذي العلم شعاره والعذل دثاره، العالي الهمة، الملكي الصفات،
البصير بالعواقب، العابد لله، المفيض للخير، فخر الملوك، افتخار آل داود - أدام الله
علوه، قرينة(*) لذاته الشريفة. وثبت الله جل جلاله أوتاد الدولة والإقبال المكتسب
والموروث بالتبثيت الأبدي. وجعل خيرات ذلك الملك وحسناته وملاطفته
للدراويش ورأفته الملكية بالمظلومين سبباً لمزيد العناية ومضاعفة الكرامة.

يطالع آلاف السلاطات والتحيات والأدعية والخدمة من هذا الداعي المخلص،
ويتأمل شكر الإحسانات والألطفات وضروب المواسة الملكية، الذي لا يقدر على
تأديته بالقول والكتابة. ويرتب البارئ تعالى أسباب اللقاء، لكي يقال شكر تلك

* المفعول الثاني للفعل «جعل» في مطلع الفقرة [الترجم].

الضروب من الإنعام حضورًا. والمرجو أن يجازي الغني المطلق الخالق بحق هذه الصور من الإنعام من خزائن فضله التي لا نهاية لها ولا حد ولا طرف مئة ألف ضعيف، أضعافًا مضاعفة.

ويعرض هنا أن الأخ العزيز، العالم الفاضل المعتقد شمس الدين وابنه، قرّة العيون نور الدين، منذ أن فارقا حضرة ذلك العظيم لم يستريحا يومًا واحدًا، بل حتى ساعة واحدة. فالشخص الذي اعتاد على خدمة ذلك الملك المكرّم واستظلّ بظله ورأى [١١٠] ألطافه، لا يستطيع البقاء لدى الملوك الآخرين، وهما يريدان أن يرجعا إلى الحضرة والخدمة، ولا يقدران على ذلك خجلًا. وعندما وصل السّكين إلى العظم، ووصل فراقكم الذي هو ألم الجروح إلى الغاية طلبا شفاعّة هذا الدّاعي لديكم. ولأنّهما يعلمان عناية هذا الملك ويحسان الاعتقاد بهذا الدّاعي، تصوّرا أنّ شفاعّة هذا الدّاعي تُقبل، وكلّ ما كان من جنائيه وتقصير لن يذكره ذلك الملك وسيمدّ ظلّ العناية السابقة على رأسيهما، لكي تكون على هذا الدّاعي مئة من الأرض إلى السماء، وينضمّ هذا الإحسان إلى الإحسانات السابقة، لأنّ لهما على هذا الدّاعي حقوق خدمة ومساعدة قديمة.

أو ملّ من لطف هذا الملك أن يُعزّ الدّاعي بقبول هذه الشفاعّة. الجوّاري والغلمان [يريد بناته وأولاده]، صغارًا وكبارًا، مشتاقون للقاء السعيد منشغلون بالدّعاء ليلاً ونهارًا لعلّ صانع الأسباب في المشرق والمغرب يصنع سببًا للقاء، فقد خلق الأسباب [لأنّ نُخلق] من قطرة منّي - ليس لها أذن ولا عقل ولا عين، ولا صفة ملكيّة ولا صفة عبوديّة ولا تعرف غمًا ولا سرورًا ولا ذلًا ولا عزّة - هذه القطرة من المنّي التي لا علم

لها أودعت في الأرحام، ثم بالتربية اللطيفة صيرها دماً، ثم صير ذلك الدم علقة ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً. ثم في تلك الخلوة، حيث لا يد ولا آلة، شق لتلك القطعة من اللحم فتحة في وعينين وأذنين، وجعل لها لساناً، ثم بعد القم صنع لها خزانة الصدر التي وضع فيها قلباً، هو في الوقت نفسه قطرة وعالم، وهو في الوقت نفسه جوهر وبحر، وهو في الوقت نفسه عبد ومليك. فأي عقل ذلك الذي يدرك أنه أتى بنا من تلك الولاية الحقيرة المجهولة إلى هذه الولاية وقال: أرايت وسمعت من أين أتيت بك وإلى أين؟ والآن أيضاً أقول لك لن أتركك ههنا، بل سأخرجك من هذه السماء وهذه الأرض إلى أرض هي ألطف من الفضة الخالصة، وإلى سماء لا يتسع لها وهم ووصف، في الإبهاج واللفظ، فإنه من دوران ذلك الفلك لا يشيب الشاب، ولا يقدم الحديد، ولا يبلى شيء ولا يتن، ولا يموت حي، ولا ينام يقظ؛ ذلك لأن النوم يكون من أجل الراحة ودفع التعب، وثمة لا تعب ولا ملل. وإذا لم تصدق، ففكر أنه إذا قلت لقطرة النبي هذه إن الله عالماً خارج هذه الظلمة، فيه سماء وشمس وقمر وولايات وأقاليم وبساتين وفيه عباد بعضهم ملوك وبعضهم أقوياء وبعضهم أصحاء وبعضهم مرضى وعُمي، والآن، اخشي، أي قطرة النبي، أنك إذا خرجت من هذا المكان المظلم من أي نوع من هؤلاء ستكونين؟ ليس لدى هذه القطرة وهم وعقل يصدق حكاية أن هناك عالماً غير هذه الظلمة وغذاء سوى هذا الدم؛ ولذلك تكون تلك القطرة غافلة ومنكرة. أيمن أن تتحرر؟ يؤتى بها غصباً. وهذا كفاية.

يسلم عليكم سيّد المشايخ، قُطِبُ الزمان، أمينُ القلوب، جُنَيْدُ الوقت، حسامُ الحق والدين - أدام الله [١١١] بركاته - ويدعو لكم. وإن سلامه ودعائه المبارك غير

منقطع عن الأبناء والمعتقدين؛ لأن محبة عباد الله وتعلقهم لا تنقطع ولا تنقص، مثل روحهم الباقي الأبدي الذي لا يتغير بأي علة من جانب الخلق أو بسبب غفلتهم، ذلك لأنهم لا يمتلكون زمام أمرهم، ومحبتهم وتعلقهم يكونان بإشارة من الحق لا وفقاً لهواهم. وإن المحبة الناشئة عن هوى وهوس تبرد وتسخن، مثل هواء هذه الدنيا الذي يكون صيفاً تارةً وشتاءً تارةً. أما تلك المحبة التي تخرج عن الهوى فتكون وفق مراد الحق: لا تبرد ولا تسخن ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]، ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ [النور: ٣٥]. وعندما لا يفي الغافلون بقول عبد الله: «اللهم، اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون». أدامك الله على مُلك الإيمان ومُلك الأركان، أمين يا رب العالمين.

الرسالة الأربعون (*)

[موجهة في الظاهر إلى فخر الدين عليّ

صاحب العطاء في شأن الإمام عماد

الدين والإمام مجد الدين وطلب العفو

عنهما]

أدام الله أيام مولانا وليّ الأيادي المولى العلامة، المحقق الرباني، رافع منار الهدى، مطهر الذات، مجمل الصفات، عين الفضل وإنسانه وترجمان الحق ولسانه، السر

* هذه الرسالة بالعربية في الأصل [المترجم]

الأكبر والنور الأبهى والحق الأشهر، صاحب السعادتين في الحياتين، برهان السفارة في الحضرتين، كمال الحق والدين، لا زال السعد له نزيلاً والمكارم بحضرته عاكفة، والمعالج عليه واقفة، وخلد الله في جواب الفتاوى أعلامه، ونشر في مواكب الوجدانية أعلامه. ويتهي إلى جنبه العالي أنه لا يخفى على العالمين إدراك خدمته الشريفة والتشرف بزيارته الكريمة. مفخر الأحرار ومقتبس الأنوار، الذي هو لعطاش الفضائل كالماء الفرات، لا سيما لهذا الداعي الذي هو أحرص الناس على إدراك تلك الزيارة الباهرة. فالتثاني عن ذلك الجنب لا يكون لكسل بل لحنج، ولا يقع التقصير عن قلة رغبة، بل لإجلال ورهبة، كما ورد عن واليد البشر آدم، عليه السلام، أنه بعد ارتكاب المنهي كان يفر من مواقف المناجاة، فخطبه الجليل منادياً: أفراراً [١١٢] مني يا آدم ؟ - قال: لا، يارب، بل حياة منك. وقولهم:

لو اختصرتم من الإحسان زركم والعذب يهجر في الإفراط في الحصر
ثم لم يغني عني صبري عن حضرته إبعاداً لشاقي إذ التمس مني الوالدان
الأعزان^(*) وهما الإمام عماد الدين والإمام مجد الدين - دام توفيقهما وحرصهما على ملازمة حضرة المولى مد الله علوه - وكأنه نُقل إلى ذلك الجنب المخصوص بالعمو والرافة زائداً عما صدر منهما. فالمرجو من جليل كرمه أن لا يجعل ذنوبها من الذنوب التي لا تغفر، ويعفو عن خطيئتهما وإن جلت، ويثبت على الاستقامة أقدامهما وإن زلت، ولا يشمت بهما العدا لا شمت الله به أعداء دولته، وحرصه في إقامته وسفرته.

* ظاهر الأمر أن مفعول «التمس» محذوف هنا [المترجم].

وأردتُ أن أجيء لأجل هذه الشفاعة وأشفي غليلي وشوقي متعللاً بهذا الالتباس. لكن قد علمتُ وجربتُ كثيراً أنّي قليلُ اللسان في حضرة السادات والموالي، قليلُ البيان عند ملاقاتِ العيان، وإن حرصتُ على ذكرِ المودة المحيية وشرحِ المحبة الإلهية باللسان. إذ قال قائلٌ للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إني أحبُّ فلاناً. قال: فمُ وأخبره. وقوله «تكلّموا حتّى تُعرفوا»، ولكن لا يطبعني لساني ولا ينقاد لي بياني، وأرجعُ عن حضور المولى لاثماً نفسي مغاضباً لمنطقي. وهما يُشاهدان الله على ما في سرِّهما، وهي مودةُ أهلِ الفضلِ، لا سيّما مولانا، لا نقصانَ في الولاء والمودة، ولكنّ اللسانَ عن بيانه مَقْفُولٌ عند ملاقاتِ سيّد الفضلاء والفحول «وكلُّ ميسّرٍ لما خُلِقَ له». لا زالتُ فِرَاسَةً مولانا مستغنيةً عن لحن اللسان وظاهر البيان، مبصراً بنور الحقّ سيّما الوجوه ولمحات الأجفان، ولا زالَ دون أخمصه النجومُ وقُلٌّ في أوصافه العلوم. آمين ياربّ العالمين.

الرسالة المحادية والأربعون

[إلى واحد من الأمراء في التوصية بيهاء

الدين وطلب تسليمه مدرسة]

جعلَ الله دِيباجةَ المحيّا المباركِ اللقاء، الشّبيهَ بالشمس، مفخرِ الأمراء والخواصّ، عمدةِ الدّولة القاهرة، عِمادِ السلطنة الباهرة، منيعِ المكارم والمعالي، سيّد الأكاابر والأعالي، المتفنّن في الفضائل، شريفِ الشّمائل، مربّي الأفاضل، افتخار الأمانت - أدام

اللهُ علوه - قبله^(*) الإقبال المؤيد وكعبة [١١٣] سماء الملك الممجّد، ومشرب الأرواح المقدّسة، ومحطّ آمال الخواطر المصوّرة، لسنين تفوق الأعداد.

إن آثار أخلاقه اللطيفة وأوصافه الشريفة منتشرة مثل أخبار حُسن يوسف ومُلك سليمان - عليهما السلام - وجُود حاتم، وأعينُ المحيّن وقلوبهم تتضاعف استنارتها كلّ يومٍ بإكرام تلك الذاتِ الشريفة وبسطها للإحسان وسلامة طويّتها، ضاعفها الله!

ويبلغُ السلامُ الموصوفُ في الكتاب الكريم والخطاب القديم ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥]، والشوقُ غالبٌ إلى لقاء تلك الذات الشريفة، المستورة برداء المصالح وتدبير المهمّات، إذ لولا حُجبُ الأشغالِ هذه لنظرَ في مرآة صفاء وجهه، فحار في نفسه، ولم يصل إلى مصلحة وتدبير. لكنّ الحكمة القديمة رفعت تلك المرأة من أمام وجهه لكي يكون لكلّ إنسان نصيبٌ منه. وقد حدّث بحمد الله أن طالبي النصيب شاكرون ذاكرون لذلك الجنب العالي. وإنّ تأثير شكر الشاكرين الآخرين لتلك الحضرة صار باعثاً على التماس العناية والرّحمة في شأن رافع هذه الرّسالة.

والابنُ بهاء الدين - يتر الله له اليسرى - الشاكرُ دائماً لأيادي ذلك الجنب العالي والذاكرُ لشأنه، دافع بالمزيد لتلك الدّولة من صميم قلبه وروحه، في المجامع والمجالس. لكنّ كثرة العيال والأتباع وقلة المنال تمنعه في هذا الوقت من الانشغال بالدّعاء

* المفعول الثاني لـ «جعل»، في أوّل الفقرة [الترجم].

لدولتكم ومن تحصيل السعادة فقد «كاد الفقر أن يكون كفرا». فإذا جاء مدد من ميامن عنايات ذلك الكريم - لا زال مكرما - ووفرت مدرسة منحلة أو غير ذلك، مما يرى لائقا بحاله وفقا لقاعدة الإكرام والمواساة والعناية بالعلماء، فلا شك في أن ذلك الشكر سيصل إلى أسماع المحبين، ويُمَد في الأدعية، وسيكون هناك ثواب عظيم، ويكون ذلك سببا لدوام الدولة والسعادة وقهر الأعداء وأمن العباد والبلاد. وإن قلوب تجتمع من خلقه أهل الخير ستُسَرُّ بذلك، كما هو واضح لديكم. دمت ناصرا ومنصورا وذاكرا ومذكورا، آمين يا رب العالمين.

الرسالة الثانية والأربعون

[إلى مُعين الدين پروانه في الشكوى من

المغول الذين طالبوا بمركب ونغل]

اللهُ يجمعُ بيننا، ويرفع البُعدَ من بيننا، صرَفَ اللهُ المكارَةَ عن مولانا الأمير الزباني، الجليل [١١٤] الأصيل، ملك الأمراء والأيامن، پروانه بك - أدام اللهُ علوه وشرَح صدره وأحسنَ عاقبته - ويتلقى السَّلامَ والدَّعاء من هذا المخلص.

معلومٌ أنه مثلما أن قِلَّةَ المال عيبٌ عند الأغنياء، ويجدون في ذلك نقيصةً، فإنَّ الأذخارَ واكتنارَ الذهب والفضَّة منهُ عيبٌ وأكثرُ لدى الدراويش، ويشعرون إزاءهما بالخجل.

التعاضُّمُ عارٌ عندَ الدراويش

التعاضُّمُ عبءٌ ثقيلٌ على خواطرهم

يدخلُ رزقُهم كالسيل ولا يأتي بسبب هؤلاء الخلق. وقد بلغ الدينُ والاقتراضُ
ثمانية آلاف وأكثر، واليوم يطالبون ببغلي من أجل الترك. والله وفي الله، إن عناية ملك
الأمراء هؤلاء الداعين فاقت الوصف، ولم ننس ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: ٦٤).
وإذا تأخرت المكافأة على الحضرة، فلما لم تُنس، «تعالى الله عما يقول الظالمون». وهذا أوان رقة ووقت رحمة، فلا يُعذِّ الداعين من قبيل الآخرين، فليس لديهم آلهُ
صيد، وقد صرنا صيدًا. والمصيد لا يستطيع الصيد.

إكرام أهل الهوى من الكرم وأمة العشقي أضعف الأمم
ولاحاجة إلى الإسهاب لأن لنا في الضمير الملكي لبروانه الأعظم - أحسن الله
عاقبته وأكرمه - شفيعة يسهب في الحديث الجميل لهؤلاء الداعين عن الأمير. دمت
محسناً، وهذا إكرام ملك الأمراء، والهدية عند الحاجة أهل للقبول.

الرسالة الثالثة والأربعون

[إلى مُعين الدين پروانه في طلب

العفو عن نظام الدين]

فتح الله أبواب الإجابة والعناية السماوية قرينة للذات المطهرة المنورة للملك
الوزراء، أصف العدل، الدستور المعظم، منشئ الخيرات - أدام الله علوه وأهلك عدوه
- وأدامها، وعصم زمانه الميمون من غرور دار الغرور، إنه مجيب الدعوات ومُنزل

البركات وقاضي الحاجات.

يطالعُ السَّلامَ والتَّحِيَّةَ من هذا الدَّاعي المخلص، ولا يحِملُ تقصيرَ الجسدِ إزاءَ حضرته [١١٥] على معنى الاستغناء والنسيان، فإنَّ بين القلبِ والقلبِ طريقًا خفيًا. «من القلبِ إلى القلبِ رَوَزَنَةٌ».

إذا غُلِّقَتْ جهاتُكَ السَّتُّ فلا تَحْشَ؟

فإنَّ في أعماق وجودك طريقًا إلى المعشوق

وإنَّ للشمسِ إلى الصَّخر القابع في أعماق المنجم طريقًا خفيًا خاصًا لكي تحوِّله بحرارتهما إلى ياقوت. ولا عِلْمٌ لتلك الصخور وذلك الياقوت بذلك الطريق. كذلك فإنَّ لشمسِ عناية الحقِّ طريقًا خفيًا إلى جوهر القلب المؤمن القابع في منجم قلبه، ولا عِلْمٌ لصَّخرِ القلبِ وياقوتِ القلبِ بذلك الطريق، وهما يريانِ الهديةَ نفسها التي تصل.

يجري الدَّمُ وجرحُه خفيٌّ

تصل رائحةُ الكَيْدِ المشوِّيةِ والمطبوخِ غيرِ ظاهر، وهذا الكلامُ مثلُ فضائلِ ملكِ الوزراءِ لا نهايةَ له، ولكن «ما لا يُدْرِكُ كُلُّهُ لا يُتركُ كُلُّهُ».

لا بدَّ من ليلٍ دائمٍ وشعاعٍ قمرٍ جميلٍ

لكي أحدثَكَ عن ألوانِ الغمِّ التي أحدثتها في

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْوَةِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]

أي إنَّ أولئك المحسنين الذين يمدُّون يدَ العونِ إلى المحتاجين من أجل رضى الحقِّ، إذا لم يشكروهم المحتاجون وجفَّوهم وكفروا نعمتهم، يقولون إنَّنا لن نُغلقَ عليكم بابَ

الإحسان بسبب جفائكم وكفركم النعمة، لأننا قدّمنا هذا الإحسان خالصاً لمرضاة الله تعالى لا طمعاً في شكركم ومعرفتكم حقّاً. وسببُ نزولِ هذه الآية على قول بعضهم أنّه في عهد الرسول عليه السلام كان أحدُ المحسّنين في سنة قحطٍ قد ربّ لدرويش رغيفَ خبزٍ كلّ يوم. فقال أحدُ الحساد يوماً: أيّها الأخ، أنت تقطع عن حلق أطفالك في مثل هذا القحط أرغفةً خبزٍ وتعطيها له، وهو يقول عنك إنّك مخطئٌ ويضيف: إنّ صدقته تبقى في وجهه؛ لأنّه يعطيني رغيفاً محروقاً لو قدّمته للكلاب لما شتمته ولعاقته. وقال أشياء أخرى سيّئة، كتابتها إلى جنابكم مجافيةً للأدب. وبعد أن سمع ذلك المسلم هذه الإساءات، نفر قلبه من ذلك الرجل، لكنه ضاعفَ الوظيفة كلّ يوم ونذّر وألزم نفسه وقال: إلهي، إنّ عبدك يُمتحن؛ لأنني قلتُ إنّني أعطي ابتغاءَ مرضاتك.

واليوم فإنّ ذلك المحسن هو ملكُ الوزراء، وذلك الطالب وصاحب الوظيفة هو ابنُنا نظامُ الدين، غريقُ تلك النعم، وعتيقُ ذلك الكرم الذي يتفضّل به ملكُ الوزراء. فإن كانت هناك إساءة، فالمرجوّ أن لا تُقصر عنه العناية، ولا يُجعل من المغضوب عليهم؛ احتساباً للأمر عند الله تعالى وإرضاءً لوجه الله، وهو ما تنصرفُ إليه همّتكم ويتوقُّ إليه أمّلكم. وسأكونُ مسروراً سروراً تامّاً إذا ما أطلت من أجل الله تعالى [١١٦] لكي يخرج ويصفّق ويرقص. وإذا ما حصل اليومُ لتلك الحضرة ضررٌ من هذا الإحسان فالمستيقن أن يصل من جناب الحقّ عوض ذلك أضعافٌ مضاعفة، فما أكثرَ خواطر الأعداء لدى حضرة الحق المرتبطة بأمره نهائاً وليلاً! وهذا أوانُ رِقّةٍ ووقتُ

مرحمةٍ وشفقةٍ ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨].

استمعْ إلى كلام سنائي ونُصّحه واحفظه،

فإنَّ كلامَ العَبْدِ سَنائي جَدِيرٌ بالاستِماعِ إليه
دَمَتْ مَحْسِنًا وَوَهَّابًا وَمُؤَثِّرًا وَمَفْضَلًا، آمين يا رَبَّ العالمين.

الرسالة الرابعة والأربعون

[إلى فخر الدين علي صاحب العطاء
في التوصية بواحد من أبنائه]

أَبْقَى اللهُ ظِلَّ عَدْلِ مَلِكِ الوُزَرَاءِ وَرَأْفَتَهُ، النَاشِرِ لِلخِيراتِ، المَغِيثِ لِلخَلائِقِ،
الأَبِ لِلملوكِ والسلاطينِ، على المسلمين جميعًا، سَنِينَ لَا تُحْصَى عَدَدًا. وَيَبْلُغُ السَّلَامَ
وَالدَّعَاءَ عَنِ صَدِيقِ وَوَفَاءٍ وَوَفُورِ هَوَى. وَإِنَّ شُكْرَ الأَيَادِي وَضُرُوبِ العِنايةِ
وَالإِحسانِ الَّتِي تَفْضُلُ بِهَا على هَذَا الدَّاعِي وإِخوانِهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِهِ، يَعْجِزُ عَنْ الشَّرْحِ
وَالبيانِ وَتَسْطِيرِ البَنانِ؛ لِأَنَّهَا خالِصَةُ اللهِ تَعَالَى، شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُ وَأَعْلَى ذِكْرَهُ. جَعَلَ اللهُ
مِثَّةَ أَلْفِ رَحْمَةٍ على هَذَا الرُوحِ الطَّاهِرِ المُقَدَّسِ النَمِيرِ، الَّذِي فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَزْرَعُ بِذَوَرِ
السَّعادةِ فِي طَرِيقِ الآخِرَةِ وَليُومِ العاقِبَةِ، وَيَمْتَنِّ وَيَتَفَضَّلُ، وَيَعُدُّ ذَلِكَ التَّوْفِيقَ خِلْعَةً
سَماوِيَّةً وَكَنْزًا خالِدًا ۝ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ
رَّبِّهِ ۝ [الزمر: ٢٢]. وَيَعْلَمُ عِلْمَ اليَقينِ أَنَّهُ لَنْ يَبْقَى فِي اليَدِ مِنْ هَذِهِ الدَّولَةِ وَالسَّعادةِ
وَالمنصبِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا ما هُوَ ذَخِيرَةُ العَدْلِ مَعَ الإِحسانِ؛ إِمَّا بِالْعَدْلِ وَدَفْعِ
شَرِّ الظَّالِمِ عَنِ المَظْلُومِ، وإِمَّا الإِحسانَ بِإِعانةِ المُسْتَحِقِّ المَحْرُومِ. وَهَذِهِ هِيَ
نَفْسُها صَنْعَةٌ قَدِيمَةٌ وَحِرْفَةٌ لِلعالمِ العادِلِ الحَكيمِ الكَرِيمِ، مَلِكِ الوُزَرَاءِ،

مدَّ الله علوه وصانه من نوائب الدهر وصدّات الشرّ والقهر.

وفي هذا الوقت، فإنّ الابن الداعي، متوجّه إلى الرحمة والعناية الموظّفة منذ القديم لملك الوزراء، ولا ملجأً للطالبيّن اليوم سوى تلك العناية وذلك اللطف، لكي ينجو في ظلّ الرّحمة من هجير مزاحمة المزاكين ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧].
فبسبب ضيق هذه اللقمة [١١٧] الفانية، يتجاوز كلّ منهم على الآخر ويمدّ كلّ منهم يده إلى حقوق الآخر. ومنذ أن وجدت لقمة العالم الغدار كانت ضيقة، خاصّة في هذا الزمان؛ وفي هذا يقول: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦]. إنّ أرض التوكّل والقناعة واسعة. ومن فتح له ذلك الباب ينظر بعين الرّحمة إلى الوجود كلّ، حيث كلّ واحد يفعل فعلاً التملّ: تسحب النملة الحبة إلى جحرها بالحيلة والارتعاش، وتقع وتنهض. ولأنّها تملك أعيناً صغيرة لا يكون في مقدورها أن ترى بيدّر ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]؛ وأما ذلك الوحيد المتركّل فقد اعتلى البيدر الباقي الرّباني، وجلس طيّب النفس وأخذ يتفرّج على أطراف البيدر ويرى ما يفعل بعض هذه النّمال ببعض وكيف تدافع على هذه الحبة المقسومة، وكم هي غافلة عن بيادر الرّحمة هذه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

لا أخلانا الله ربّاكم من بركاتهم. والمتوقّع أن تُبسط عليه وظيفة الإكرام والعناية القديمة والرّحمة، ليديم الله هذه الدولة، آمين يا ربّ العالمين.

الرسالة الخامسة والأربعون

[إلى من يُدعى صَدْرُ الأمراء في التروية

بنظام الدين صهر صلاح الدين]

أتمَّ الله تعالى رحمته ونوره على صَدْرِ الأمراء العميد، ناشر الخير والإحسان، بديع الفضل في الزمان حتى يسعى نوره بين يديه وبيمينه، إنه لما يُرجى ويدعى قريباً مجيب. يقبلُ السَّلامَ والدَّعاء من هذا الداعي القديم، وإذا كان الآخرون ملازمين لحضرته والدَّعاء له بأجسادهم، فإني ملازمٌ له بروحي؛ وإذا كانوا ملازمين بالروح فإني ملازمٌ بروح الروح وأطلب المدد في الدَّعاء لدولته من الخاطر الأشرف للملك الأبدال، روح العارفين، أمين القلوب، مولانا صلاح الحق والدين الذي هو في هذا الوقت قبلة الأرواح المقدسة [إذ يقول الحق تعالى] ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، لكي نَمزق آثار هذا الدَّعاء عن قريب الحُجب وتظهر على مساعي اللطيف الكريم السيد، على أتم صُور الظهور، ويتيسر ويُحصل [مدلول قوله تعالى] ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠]. وإن علامة حصول هذا المعنى هي أنَّ العناية السَّيادية، بل الأبوية، تُبدل للابن [١١٨] العزيز اللَّبيب الأديب المعتقد، الكافي الصَّافي، نظام الدين، زيد فضله، الذي هو الآن صهرٌ لحضرة مولانا صلاح الدين، وابنٌ له في الوقت نفسه؛ وبين كفايته في العمل الذي يُسند إليه، في الحفظ والأمانة والتربية، وبين الآخرين فرقٌ كبير. ولن أشرح ذلك من جهة أنه سلَّم بعظمته بينة ولأنَّ حُسن صفاته لا يخفى على الصدور. ومن أجل

سرور قلب هذا الداعي وأصحابه المخلصين تغدو ثمرة ما يغرس في متناول اليد في أقرب وقت ﴿وَهَرَيَ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّحْلِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا﴾ [مريم: ٢٥].
الله، الله، إن الداعي نفسه أراد المجيء لكي لا يحصل تأخير في هذا العمل من أعمال الخير.

آتي إليك ولكن في الخفاء،

وهذا جنس الزيارة الروحية.

ذخيرة يوم ﴿رَبِّكَ أَتَيْمٌ لَّنَا تُورِنَا﴾ [التحریم: ٨]، أي أغرق الشؤم والخلف في النور أيضًا. برغم أنه لا يكون هناك مكان لشؤم وخلف. أيده الله بروج منه وبحول وقوة عرشية قديمة ربانية إذ «لا عين رأت ولا أذن سمعت، وموهبة ونحلة من عند الله الكريم. والسلام.

الرسالة السادسة والأربعون

[إلى من تدعى فخر الخواتين في شفائها

بعد مرضي لإظهار الغبطة والسرور]

جعل الله سعادة وليّة الإنعام والإكرام، الزاهدة العابدة فخر الخواتين وعصمتهن، الحسنّة الخلق، العالية الهمة، المفكرة في العاقبة، الباسطة للخير، الطيبة الذكر، سليمة الملوك، ابنة الأمير - أدام الله عصمتها وضاعف دولتها - ودولتها الرفيعة، في ازدياد إلى الأبد. وجعل أحبائها سعيدين، وأعداءها منكوبين، وكفأها

حاجاتِ الدّين والدّنيا، وأبلغها مراداتِ العالمين [الدنيا والآخرة] وسعاداتِ الدّارين - بحقِّ محمّد وآله.

تلقَى السّلامَ والتّحيّةَ من هذا الدّاعي، وتعلّم بأنّ الاشتياقَ إلى لقائها المبارك لا حدّ له. [١١٩] ويشهد الحقّ تعالى أنّ الخاطرَ لم يخلُ لحظةً من التفكير بأحوال هذه الفريضة، ولم يُنسَ اللّطفُ والمحبّةُ والإحسانُ والإكرامُ الملّكيُّ أبدًا، لكنني كنتُ أضرّعُ إلى الحقّ وأدعوه، عندما لم يكن ثمة إمكانيّة للمجيء ولكتابة رسالة. مثلما يعلمُ القلبُ المستنير والروحُ الطّاهر لهذه الفضة أنّ الأمر كذلك ولا تكلفَ في هذا، فإنّ المحبة التي تكون للحقّ تعالى لا تقبلُ النقصانَ في الموتِ والحياة. وقد كنّا على الدوام نسأل الصادرَ والواردَ عن أحوالكم. والحمدُ لله تعالى أننا في النهاية سيعنّا بشارتُ الخير والسلامة والسعادة في شأن هذه الفريضة. وبرغم حلول الشدائد والمصاعب فإنّها تكون أسبابًا لنيل الدرجات وذرائع للسعادة والنجاة. ولأنّ تلك الفريضة اعتمدت دائمًا وتوكّلت على فضل الحقّ تعالى وعنايته، كانت النتيجة أنّ فضله القديم يجعل الألام عينَ العلاج، ويجعل الخرابَ عينَ العمران. مثلما قضت السّنة الإلهية في القديم أن يُبتلى الأنبياءُ والأولياءُ وأتباعُهم، هؤلاء الذين توجّهوا إلى الحقّ واعتمدوا على فضله، بأنواع البلاء القاسي على سبيل امتحان الحقّ لهم. حتى إذا استياسوا وأخذ الأعداءُ يقرعونهم بالقول إنكم تدعون باطلاً في شأن فضل الحقّ وتثرثرون في الحديث عن تلك الحضرة، وهذه هي حالكم اليوم، وهو لا يساعدكم، قالوا: برغم أننا مساكينُ ضعفاءُ في أجسادنا وأنفسنا، ونصعدُ آهاتِ الحسرة، فإنّ في داخل أرواحنا عهدًا محكمًا، وعهدُ الإيمان راسخٌ وطيد. ونعدّ وعدَ الحقّ صادقًا في أنّه في النهاية سيحوّل سُمتنا

سُكَّرًا، ويجعل ظلمتنا نورًا، ويرفع الدولة المنهارة. وهكذا كانت العاقبة ﴿وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. جاءت نُصرة الحقِّ وأمداده، ورأوا بدلَ كلِّ
مرارةٍ مئةَ ألف حلاوة، وحصلوا بدلًا من كلِّ فراقٍ على ألفِ وصالٍ وسعادةٍ
﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

وماذا أقول عن هذه الناحية؟ - رفع الصغار والكبار ليلاً ونهاراً أيديهم بالدعاء
لتلك الدولة إلى حضرة من هو مُعينُ العاجزين والمحتاجين، وهم في غاية الشوق إلى
تلك الفريدة. ومن هنا، فإنَّ الملازمين للخدمة، صغاراً وكباراً، يهدونكم السلام،
والسلام.

الرسالة السابعة والأربعون

[إلى القاضي كمال الدين في التوصية

بمجد الدين لقبول شفاعته]

[١٢٠] أطلَّ الله بقاءَ الصُّدْر الذي يستحقُّ الصُّدْرِيَّة بسعة الصدر، خير القضاة
عليَّ القدر، وأدامَ سعادته ولا زال مترقيًا في معارجِ عِلِّين، بحقِّ محمدٍ وآله أجمعين.
يطالعُ السَّلامَ والتَّحية، ويعلمُ الاشتياقَ إلى المجالسة، ولكنَّ تجري
الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ.

وكما قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرمَ الله وجهه: «عرفتُ ربِّي بفسخِ العزائم
ونَقْضِ الهمَم». أما القلبُ والخطرُ فمَشغَلان بالأحوالِ المحمودَةِ لهذا العزيز.

جعلها الله أكثرَ حمداً كلَّ يوم.

إنَّ الابْنَ المَخْلُصَ مَجْدَ الدِّينِ مِنَ المَحْبِينَ لِحَضْرَتِكُمْ وَمِنَ الدَّاعِينَ لِدَوْلَتِكُمْ، وَهُوَ اعْتِمَادًا عَلَى اللَّطْفِ الجَبَلِيِّ وَكَرَمِ العِنَصْرِ الَّذِينَ تَمَتَّعَ بِهِمَا ذَاتُكُمْ الشَّرِيفَةِ، يَقُولُ كَلِمَةً عَلَى سَبِيلِ الشُّفَاعَةِ. وَإِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُ آدَابَ القَوْلِ، فَإِنَّ أَدَبَ مَحَبَّتِكُمْ مُسْتَقَرٌّ فِي صَدْرِهِ. وَالْمَرْجُوُّ أَنْ يُصَدِّقَ. دَمَتَ مَحَبَّتُنَا، وَالسَّلَامُ.

الرسالة الثامنة والأربعون

[تبدو موجهة إلى فخر الدين علي]

صاحب العطاء في إرسال سيف الدين

لإخباره بالمصاهرة

أَبْقَى اللهُ سَعَادَةَ مَلِكِ الوُزَرَاءِ، آصِفِ الزَّمَانَ، نِظَامِ مُلْكِ العَدْلِ، مَنْشَى الخَيْرَاتِ، مَرْبِي العِلْمَاءِ، مَوْزِنِ الْفُقَرَاءِ، نَاصِرِ الْهُدَى وَالْيَقِينِ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ - وَأَبْقَى إِقْبَالَهُ عَلَى تَقَادُمِ الْأَدْوَارِ وَتَجَدُّدِ الْأَطْوَارِ. تُحِبُّوْا تِلْكَ الدَّوْلَةَ مَنْصُورُونَ وَمُسْرُورُونَ وَأَعْدَاؤُهَا مَقْهُورُونَ وَمَحْصُورُونَ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَهْلِ الْهُدَى وَالنُّورِ.

يَبْلُغُ السَّلَامَ وَالتَّحِيَّةَ، وَهِيَ فَرْضُ عَيْنٍ، وَيُعْلَمُ أَنَّ الْاِشْتِيَاقَ إِلَى لِقَائِهِ الشَّرِيفِ الْخَتُونِ غَالِبٌ وَبَاعِثٌ. يَسَّرَ اللهُ لِقَاءَ الطَّلَعَةِ الْمُبَارَكَةِ، لَا زَالَتْ مَنْوَرَةٌ مَسْرُورَةٌ مَنْصُورَةٌ سَفَرًا وَحَضْرًا لَيْلًا وَنَهَارًا فِي أَمَانِ اللهِ وَحِفْظِهِ، فِي أَهْلِ سَاعَةٍ وَأَسْعَدِ حَالَةٍ. تَصِلُ الْأَخْبَارُ الْمَفْرَحَةُ عَنْ تِلْكَ الْحَضْرَةِ مِنَ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ، وَعِنْدَمَا يُسْمَعُ عَنْ تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْبَاسِطَةِ لِلْخَيْرِ كَمَا لِحَالِهَا وَتَوْفِيقُ ذِي الْجَلَالِ فِي الْاهْتِمَامِ بِتِلْكَ الْخَيْرَاتِ، مِمَّا

هو علامة سعادة العاقبة وغفران الآخرة [١٢١]، يحصل شكرُ البارئ تعالى «والشكرُ وسيلة إلى المزيد». قال الله تعالى ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. جعلَ الله نوايا الخير والإخلاص التي يبدئها هذا العزيز في «تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله» مقبولة ومقابلة بأضعاف مضاعفة ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، بل ﴿كَمْثِلِ حَبَّةِ أَثْنَيْتِ سَبْعِ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ يَأْتُهُ حَبَقٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، بل ﴿وَاللَّهُ يَضْعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وجعلَ الله ملكَ الوزراء العادلَ الحلالَ لعقد المشاكل مكتوبًا ومحسوبًا ضمنَ وعْدٍ «لمن يشاء».

الأخ العزيز، أكفى الكفاة، المعتقدُ صاحبُ الدين، سيفُ الدين - كتب الله سلامته - عجلَ إلى حضرتكم، لكي يعرض الخدمة التي قدمها لحضرتكم سريعًا. والمتوقعُ من صدقات ذلك العزيز ومكارم حسناته أن يسمحَ لنا بالأخ العزيز سيف الدين سريعًا من دون تزيُّث ويرسله إلينا، لكي يتمَّ خبرُ المصاهرة والارتباط إذ «النكاحُ سُنتي». وقد جاء في الحديث أنه جيء إلى المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بجوادٍ من ناحية البحر، برسم الهدية، قيمٌ جدًّا وجليلُ الهيئة إلى حدِّ أنه يعدلُ خراجَ ولاية. فقبله قائلًا: «لو أهدي إليَّ بكراعٍ لقبلته». يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم إنه بهذا الاستغناء والتفرغ الذي لدي - إذ من الواضح أن خزائن الأرض لا تساوي شيئًا إزاء خزائن السماء، أن هذه الأرض تجمعُ ثناتًا من تلك السماء - عُرضت عليَّ خزائنُ السماوات وكنوزها فلم أنظر إليها بطرف عيني ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [التجم: ١٧]. عجبًا، الإنسان الذي يرى لقاء الحق، أي شيء يكون لديه ذا قيمة؟

هذا الذي فعلته كان على جهة الاستغناء والتفرغ، أما من جهة المروءة والشفقة والتقبل الحسن للخلق فإن من يأتيني برجل أرنب، هدية، أقبلها بتكريم. ولا أدخل اليأس إلى قلب هذا المهدي. صدق رسول الله. قبل هذا الجواد الهدية.

التفت [المصطفى] إلى الصحابة وقال: أيها الأصحاب، لأي شيء يصلح هذا الجواد؟ قال أحدهم: يصلح لغزو الكفار. قال: لا، الغزو نفسه شيء طيب، لكنني أسأل عما هو أحسن. فقال آخر: يُباع ويعطى ثمنه لمن يستحق. فقال: هذا أيضًا حسن؛ أسأل عما هو أصلح. فقال كل واحد شيئًا حتى عجزوا. قالوا: يا رسول الله، قل أنت. فقال: يكون لشخصين حديث عن النكاح، لكنهما لا يتزوجان أو في النقاش يبقى المهر أو الجهاز أو غير ذلك. نحن هنا نسمع أنه في مدينة كذا تحدث عن مثل هذا النكاح، ثم أوقفه مانع، تُركب على هذا الجواد رجلًا عذب المنطق عاقلًا مجري هذا الجواد بأقصى سرعته ويُتم هذا النكاح ويزيل المانع. إن كلام الأنبياء لا يكون فارغًا، خاصة كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم. ولو أننا فكّرنا نحن وأمثالنا لمئة عام لما رأينا بعقلنا الصغير ما يراه هو في لمحة واحدة. ولو جمع مئة ألف سراج وشمع وأشعلت في ليلة لما فعلت [١٢٢] ما تفعله شمس واحدة في الدنيا، برغم أن الشمس ليست نور الله، الشمس مخلوقة. وإن كانت الشمس نور الله فكيف قال: «المؤمن ينظر بنور الله؟» فإنه في الشمس يشترك الكافر والمؤمن، لا بل إن الحيوانات مشتركة معنا في ضياء الشمس. فلماذا يمدح المؤمن ويثنى عليه بأنه «ينظر بنور الله؟» والعاقل تكفيه الإشارة. دمّت مغنيًا للخلائق ومدرّكًا للحقائق، آمين يا رب العالمين.

الرسالة التاسعة والأربعون

[إلى حاجي أمير، رسالة محبة]

جعلَ اللهُ السَّعادةَ الأبديةَ والإقبالَ السَّرمديَّ ورضا الله قرينَ العهدِ المباركِ للسَّيدِ
الأجلِّ، الزَّاهدِ العابدِ، الحسيبِ النَّسيبِ، الحَسَنِ العهدِ المَجاهِدِ العالِيِ الهِمَّةِ، حاجي
أمير، أدامَ اللهُ بركتَه وأيدَه ونَصَرَه. وجعلَ اللهُ تعالى صدرَه المباركِ المُفَكَّرَ بالخيرِ مُوردَ
الإلهاماتِ ومصدرَ الكراماتِ، أَحَبَّاهُ سرورونَ ومبتَهجونَ، وأعدَّاهُ للانتقامِ
مقهورونَ - بحقِّ مُحَمَّدٍ عليه السَّلامِ.

يطالِعُ السَّلامَ والدَّعاءَ للذينَ هما من المَواجِبِ واللَّوازمِ، وعلى هذا الدَّاعي دَيْنُ
أوجب، ويعلَمُ أنَّ الاشتياقَ إلى لقائه المباركِ ومنظره المَحبوبِ - الذي هو دِيباجَةُ بِشارةِ
العنايةِ السَّماويةِ - غالِبٌ وباعثٌ. يجعلُ البارئُ تعالى لِلقاءِ سَيِّبًا خَفِيفًا وسَريعًا، إنَّه
مُسَبِّبُ الأسبابِ.

جئتُ مُتَأخِّرًا وذهبتُ سَريعًا من عَندِي،

التَّأخُّرُ في المَجيءِ والإسراعُ في الرَّحيلِ صَنِيعُ الوَرْدِ
برغمِ أنَّني أعلَمُ يَقينًا أَنَّهُ حيثما يَقيمُ هذا العَزيزُ، يكونُ العَناصرُ الطاهرُ للجَواهرِ
الملائكيَّةِ في طَيتِه، ولا بدَّ أن يَعملَه قرينَ الخَيراتِ والحَسَناتِ، ويكونُ طالِبًا لِلدرجاتِ
ومبتَغيًا لمرضاةِ رَبِّ السَّماواتِ.

دائمًا، اللَّيْلُ ليلٌ، والنَّهارُ نهارٌ

وشَجَرَةُ الوَرْدِ ورْدٌ، والفَهْدُ فهدٌ

[١٢٣] كُلُّ مَنْ احْتَرَفَ خِيَاطَةَ الْجَرَامِيْقِ [النُّعَالِ]

يَظَلُّ فِي كُلِّ مَدِيْنَةٍ يَكُوْنُ فِيْهَا خَائِطٌ جَرَامِيْقِ

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ [مريم: ٣١]، بل إِنَّ كُلَّ رُوْحٍ طَيِّبٍ لَطِيْفٍ مَحْسِنٍ يَمُوْتُ فِي عَالَمِ الْكُوْنِ وَالْفَسَادِ هَذَا، عِنْدَمَا يَنْتَقِلُ إِلَى عَالَمِ الْحَقِيْقَةِ يَكُوْنُ مِثْلَهَا كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا «كَمَا تَعِيْشُوْنَ تَمُوْتُوْنَ، وَكَمَا تَمُوْتُوْنَ تُبْعَثُوْنَ» - صَدَقَ رَسُوْلُ اللهِ. هُنَا وَهَنَاكَ وَفِي الطَّرِيْقِ وَفِي الْمَنْزِلِ، يَضَعُ هَذَا الْعَزِيْزُ بِتَوْفِيْقِ الْحَقِّ وَبِجَذْبَةِ أَضْلِهِ الطَّاهِرِ دَائِمًا قَدَمَهُ عَلَى سُلَّمِ السَّعَادَةِ وَيَنْتَقِلُ إِلَى مَعْرَاجِ الْقَرْبَى - ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ. وَإِنَّهُ لَيَعِزُّ عَلَى الدَّاعِي الْمَشْتَاقِ فِرَاقُ صُوْرَةِ ذَلِكَ الْعَزِيْزِ.

فِيَوْمٍ لَا أَرَاكَ كَأَلْفِ شَهْرِ وَشَهْرٍ لَا أَرَاكَ كَأَلْفِ عَامٍ
«الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ». اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَيَرْفَعُ الْبَعْدَ عَنْ بَيْنِنَا.

اللهُ الَّذِي أَظْهَرَ لَنَا طَرِيْقَ الْمَهْجَرَانِ

أَمَلْتُ أَنْ يَسْهَلَ طَرِيْقَ الْوَصَالِ.

الرسالة الخمسون

[إلى أحد العلماء في شأن أركان السلوك

وشروطه]

إشارة المولوي - لا زال مولى وسيِّداً وسنداً سابقاً - أَنْ يُرْسَلَ لَهُ بِضْعَةُ أُسْطَرٍ مَحْتَوِيَةٍ عَلَى أَرْكَانِ سُلُوْكِ الطَّرِيْقِ وَسِيَرِ سَبِيْلِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ وَشُرُوْطِ ذَلِكَ. وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ الْوَقَائِعَ وَالنَّوَازِلَ الْجَسْمَانِيَّةَ أَقْلٌ وَأَنْقَضُ مِنْ وَقَائِعِ عَالَمِ الْبَاطِنِ. وَقَدْ صُنِّفَ

الآلاف من كُتب الفقه في الإرشاد إلى كَيْفِيَّةِ المحافظة على أركان سيرة الظاهر، وهي حتى الآن لا تكفي. وتقع حوادث في الظاهر لم يُذكر لها علاجٌ ولا حلٌّ وهي لا توجد في تلك الكتب الكثيرة. وعندما تُختصرُ وقائعُ الظاهر الجسماني في نطاقٍ لا يتسع النطاقُ للموضوعات وينقطع من كثرة أحوال الظاهر لأنها مددٌ فوق مدد، فكيف يمكن شرحُ المحافظة على أركان الباطن وأحوال الباطن - الذي لا يمكن قياسه على الظاهر الحقير - في ثلاثة أسطر؟! -

وقد كُتبت أحوال الظاهر في ثلاثة أسطر ليس لأيٍّ منها نهاية واضحة: سطرٌ هو أحوال [١٢٤] الماضي، وسترٌ هو أحوال الحاضر، وسترٌ هو أحوال المستقبل؛ برغم أنك كلما قرأت سطرًا لم تصل إلى نهايته. وهذه الأسطر الثلاثة كُتبت على لوح العقل الجزئي، وهي على لوح العقل الكلي تامةٌ ومشروحةٌ. أما أحوال الباطن التي هي خارجةٌ عن هذه الأسطر الثلاثة، فيا للعجب كيف يُطمعُ بأن تُختصر في ثلاثة أسطر ولها من الاثنين والثلاثة نبوةٌ عظيمة ونفورٌ كبير؟

وهكذا يفرغُ المخدوم - لا زال مخدومًا، إن شاء الله - من الاثنين والثلاثة، لكي يحظى بالأحوال المتواترة التي تتجدد في عالم الباطن وفي كل لحظة تكون جديدةً وطائرةً، ويُقطعُ وفمه عن التحديد والتقدير والنهاية والغاية وذلك كله. وعندما عنَّ للداعي هذا المعنى لم أستطع عَرَضَ التماسه ثلاثة الأسطر التي ذكرها؛ وإنَّ تمامَ ما يُلحظ، في المعنى الذي ذكر قبل، لا يُستوعبُ في هذه الرسالة، ولا بدَّ لذلك من المشافهة والكلام المباشر.

ونظرًا إلى اندناع ذلك المخدوم وصدق طلبه وعشقه للكمال وتوقانه - إذ إنَّ

«والعاديَاتِ صُبْحًا» صفَةُ جَوَادِ الطَّالِبِينَ، و«الموريَاتِ قَذْحًا» صفَةُ جَوَادِ المُرْعِينَ المُنْدَفِعِينَ، و«المغِيرَاتِ صُبْحًا» بشارَةُ عَاقِبَةِ طَلَبِهِ المَبَارَكِ - يَشْرُفُنَا بِذَاتِهِ اللطيفة، التي هي في خِيفَةِ الرُّوحِ أَخْفُ من الرِّسَالَةِ بل هي في الاندفاع وسرعة المَجِيءِ أَسْرَعُ من فكرة الرِّسَالَةِ، فَإِنَّ «الجماعةَ رَحْمَةً وَالفُرْقَةَ عَذَابٌ»، وسريعًا يَأْتِي إلَيْنَا، فلا تَجْعَلُ جاذبَةً التَّعَجِيلَ الرُّجُوعَ رَافِقًا لها؛ لِأَنَّ الحِسَابَ لَيْسَ حِسَابَ المَجِيءِ بل حِسَابَ تَجْدِيدِ الفِرَاقِ وَتَجْدِيدِ الجِرَاحِ، مِثْلَ الحَاقِقِ الَّذِي يَأْتِي إِلَى صَلَاةِ الجَمَاعَةِ وَيَقْتَدِي فَيَتَحَوَّلُ مِنْ قَدَمٍ إِلَى قَدَمٍ. وَبِسَبَبِ احْتِقَانِ البَوْلِ لَا يَحْصُلُ هُوَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى نَفْعٍ وَلَا الجَمَاعَةُ الَّذِينَ يَرُونَهُ عَلَى هَذِهِ الحَالِ؛ فَهُوَ مِنْ جِهَةِ الظَّاهِرِ جَامِعُ صَلَاةٍ، وَمِنْ جِهَةِ الانجذابِ إِلَى الخَارِجِ قَاطِعُ صَلَاةٍ. مِنْ جِهَةِ الظَّاهِرِ اجْتِمَاعٌ، وَمِنْ جِهَةِ الجاذبِ الخَارِجِيِّ انْقِطَاعٌ. الظَّاهِرُ مُوَاجِهَةٌ وَمِلَاقَاةٌ، وَمِنْ جِهَةِ ذَلِكَ الجاذِبِ مُدَابِرَةٌ وَمَوَارَاةٌ. أَبْعَدُ اللَّهِ هَذِهِ الحَالَ عَنْكُمْ وَعَنِ الْأَحَبَّةِ وَالْأَصْحَابِ.

وإِنَّ اسْتِثْنَاءَ الدَّاعِي المَخْلِصِ إِلَى لِقَاءِ ذَلِكَ العَظِيمِ أَضْعَافُ أَضْعَافٍ مَا قِيلَ؛ لَكِنَّ المِهْمَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ هُنَا وَالقِيُودَ الَّتِي تَعْرِضُ لآلَةِ الصَّيْدِ هُنَا أَخْشَى، إِذَا مَا تَرَكْتُهَا، أَنْ تَضِيعَ. وَهَذَا الخَوْفُ يَقْصُ جَنَاحَ الهِمَّةِ وَالاِسْتِثْنَاءَ لِرِيزَةِ الحُضْرَةِ، فَيَصْدَحُ طَائِرُ الاِسْتِثْنَاءِ بِهَذَا التَّغْرِيدِ:

لَوْ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ تَشَبَّثْتُ بِأَذْيَالِ الرِّيحِ
وَكِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَرْقِ إِلَيْكُمْ وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الجَنَاحِ

[١٢٥] يَا لِلْأَسَفِ وَالْحَسْرَةِ، لَيْتَ هَذِهِ الوَاقِعَةُ تُكْتَبُ بِقَلَمٍ أَوْ تَسْتَوْعَبُ فِي وَرَقٍ

لَكِي أَكْتُبَ حَقِيقَتَهَا وَمَا هِيَ تَهَا وَأَرْسِلَهَا إِلَى جَنَابِكُمْ. لَكِنَّهُ لَيْسَ لَدَى الْأَقْلَامِ الجَرَأَةُ عَلَى

أن تتحرّك في كشفها، وليس لدى الأوراق القدرة على أن يحتفظ جِرمُها بحرارة هذه النار.

مَنْ لديه غمٌ ويستطيع التحدّث عنه

يستطيع أن يزيل الغم من قلبه بالحديث عنه

فانظر إلى هذه الطرفة للورد الذي تفتح لنا:

لا يستطيع إظهار اللون، ولا يستطيع إخفاء الرائحة

عَلِمَ اللهُ أَنِّي عَانِيْتُ كَثِيرًا وَلَقِيتُ مَكَابِرَاتٍ وَمَعَانِدَاتٍ مَعَ الْجَوَاذِبِ الدَّاخِلِيَةِ حَتَّى اسْتَطَعْتُ كِتَابَةَ بَضْعَةِ الْأَسْطَرِ هَذِهِ - شُكْرًا لِحَقُوقِكُمْ وَمُكَافَأَةً لِمُؤَدَّتِكُمْ - ذَلِكَ لِأَنَّ مُحَدِّثَ الْبَاطِنِ لَدَيْهِ نَارٌ عَظِيمَةٌ [إِذْ يَقُولُ:] كَيْفَ انشَغَلْتُ بِالْقَلَمِ وَتَوَجَّهْتُ إِلَى الْكِتَابَةِ بِالْوَرَقِ؟ إِلَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْكُمْ خَبَرٌ عَنْ مَرَسَمِنَا [أَحْوَالِ قَلْبِنَا]؟ هَذَا الذَّنْبُ نَعْدُهُ وَاحِدًا مِنَ الْآخِرِينَ، وَمِنْكُمْ مَثَّةٌ، مِثْلَهَا قِيلَ:

وظَلَمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَرَارَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمَهْنِدِ

قال الله تعالى ﴿يَنْفَسَةُ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَحِشَةٍ مَبِينَةٍ يَصْنَعُ لَهَا أَلْعَذَابَ

ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠]. كلّمَا كَثُرَ الْعِلْمُ عَظُمَتِ الْجِنَايَةُ. وَلَا يِعَاقَبُ عَلَى جِنَايَةِ الْوَلَدِ مِثْلَمَا يِعَاقَبُ عَلَى جِنَايَةِ الْعَاقِلِ، وَلَا يُؤَاخِذُ الْمَلُوكُ عَلَى زَلَّةِ الْمُكَارِينِ وَوَقَاحَتِهِمْ كَمَا يُؤَاخِذُونَ عَلَى زَلَّةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمِجَانِبَتِهِمُ الْأَدَبِ؛ لِأَنَّ لَدَيْهِمْ عِلْمًا كَثِيرًا عَنْ أَخْلَاقِ الْمَلُوكِ وَدَقَّتِهِمْ وَغَيْرَتِهِمْ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ، قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: قُمْ، فَقَامَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْعُدْ، فَقَعَدَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: تَكَلَّمْ، فَتَكَلَّمَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اسْكُتْ، فَسَكَتَ. إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

ثم قال: وعزّي وجلالي، ما خلقتُ خلقاً أكرمَ منك إليّ. لك أخاطبُ ولك أعاتبُ
ولك أغفرُ، ولك الثوابُ وعليك العقابُ والسلام.

الرسالة المحادية والمنحون

[إلى معين الدين برونه في التوصية

بكریم الدین عمود]

[١٢٦] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. بعضُ

الفلاسفة والمعتزلة لا يُطلقون على الله - جلّ جلاله - العالم والعادل والحليم والحكيم
والكریم والأسماء الحسنى، ولا يميزون إطلاق تلك الأسماء والألقاب عليه
[سبحانه]؛ ويقولون إنّ هذه الألقاب تُطلق على غيره وقد استعملت في المخلوقين،
ونحن نخجل من أن نطلقها عليه. هكذا بسط القول في الألقاب هو الذي فيه وهم
مماثلة أسماء العباد لأسماء ربّ العباد، مثلما يُقال للملك: «بَلْبَان» [بلغارية بمعنى دُب]،
و«سُنْقَر» [شاهين في التركية]. لكنّ بسط القول في الألقاب له باب في التعظيم، وعدم
ذكر الألقاب أو تقصير القول فيها له باب أيضاً في التعظيم فإنّ «الأعمال بالنيات».
لكنّ ترك الألقاب والصفات لغرض نفى التشبيه نوع تعظيم. وإن كان لا بدّ من
الاختصار والاقتصار في بعض الألقاب في حق ملك الأمراء، مغيب المظلومين، ناصر
الحق، معين الدين - أدام الله علوه - ف ﴿سَلَّمْتُمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ:

لَوْ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ تَشْتَبْتُ بِأَذْيَالِ الرِّيحِ
وَكِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ

«خَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعِ النَّاسَ»، «سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ»، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، «عُدُّ سَاعَةِ خَيْرٍ مِنْ عِبَادَةِ سِتِينَ سَنَةً»، «الْعَدْلُ
وَضَعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ»، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ① وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾
[الضحى: ٩ - ١٠]، لَأَنَّ هَذِينَ مَظْلُومَانِ وَمُسْكِينَانِ، لَا يَكُونَانِ مَوْضِعَ قَهْرٍ وَرَجْرٍ.
فَإِنَّ وَضَعَ الْقَهْرَ عَلَى الْمَقْهُورِ لَيْسَ عَدْلًا، وَلَيْسَ «وَضَعًا لِلشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ». فَلَا قُطِعَتْ
أَمْدَادُ التَّوْفِيقِ مِنْ مَوْفُقِ الْأَزَلِّ وَالْأَبَدِ عَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ ظِلُّ الرَّحْمَةِ وَالْمَعْدَلَةِ!

إِنَّ حَامِلَ تَحَبُّتِي كَرِيمَ الدِّينِ مُحَمَّدًا - وَفَّقَهُ اللَّهُ - هُوَ مِنَ الْمُحِبِّينَ وَالْقَرِيبِينَ لِهَذَا
الدَّاعِي. وَقَدْ أُلْحَقْتُ بِهِ تُهْمَةً بِسَبَبِ الطَّمَعِ. وَالْمُؤَمِّلُ، بِشَفَاعَةِ هَذَا الدَّاعِي، أَنْ يَتَفَضَّلَ
حُكْمُ الْعَنَاءِ وَالْمَغْفَرَةِ وَاللَّطْفِ الْمَلِكِيِّ بِأَنْ يَعُودَ مِنْ سَرَايِ الْمَغْفَرَةِ - الَّتِي هِيَ الْمَلَأُ
لِقَضَاءِ حَاجَاتِ الْخَلَائِقِ [بَابِ عِلْمٍ - بِالْفَارْسِيَةِ بِمَعْنَى: تَحْتَ الْعِلْمِ]، حَرَسَهَا اللَّهُ
وَصَانَهَا وَشَيَّدَ بَرَاهِنَهَا - شَاكِرًا وَذَاكِرًا وَمُثْنِيًا وَمَسْرُورًا، مِثْلَ الْخَدَمِ وَالْأَصَاغِرِ
الْآخَرِينَ. فَيَذْخِرُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ وَالثَّنَاءَ الْجَمِيلَ وَيَعْذِرُ عَلَى هَذِهِ الْإِزْعَاجَاتِ الْمُتَلَحِّقَةِ
فَإِنَّ «الْمُشْرَبَ الْعَذْبَ كَثِيرُ الزَّحَامِ».

الآن وقد انتزع جمال وجهك روح العالم،

ماذا يفيد الضيق والملالة منك؟

[١٢٧] وعندما صرت قمرًا أما علمت

أنتك ستكون المشار إليه بينان العالم؟
 شرَحَ اللهُ صدرَه وسَرَّ عليه أمرَه وبَعَدَ عنه المَلَأَ والكَلَالَ وأَيَّدَه بروح القدس
 وروَّحَه بروح الأنس. آمين يا رب العالمين.

الرسالة الثانية والنمون

[موجهة في الظاهر إلى فخر الدين علي

صاحب العطاء في شأن اختلاف

الدراويش والنظلم]

جعلَ اللهُ الطاعاتِ والحَسَنَاتِ والخيراتِ التي يُوَدِّيها الأميرُ الأجلُّ، العالمُ العادلُ،
 وليُّ الأيادي والنِّعم، المعظَّمُ لأمرِ اللهِ، المشفِقُ على خَلْقِ اللهِ، مختصُّ الملوكِ والسلاطينِ،
 أدام اللهُ علوه وكبتِ عدوه، مقبولةٌ لدى حضرةِ ذي الجلال ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ
 عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً
 يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

يعلَمُ أَنَّ السَّلامَ والدِّعاءَ من هذا الدَّاعي المخلصِ متواتران، ويعرفُ أَنَّ هذا
 الدَّاعي شاكِرٌ لِنِعَمِهِ وذاكِرٌ لِكَرَمِهِ ولُطْفِهِ - جزاه اللهُ خيرًا. وعندما يُفَعِّلُ الإحسانُ
 الخالصُ من أجلِ الحقِّ - إذ الأمرُ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرِجْوَى اللَّهِ لَا تَبْتَغُونَ جَزَاءً

﴿لَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] - فأيُّ شُكْرِ يأتي من أيدينا وألستنا؟ وأيَّةُ مكافأة تأتي؟ تلك الضروبُ من الإحسان تُحوَّل إلى حضرة الحقِّ الذي ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هناك جماعةٌ، بسبب جهلها وضعف إيمانها، تؤذي الدراويش الذين هم محبّون لله، ومن جرأتها ووقاحتها تأتي إلى حضرتكم وتبكي منكسرةً مأكرةً كما يصنع اليهود وتشتكي إليكم. وبرغم أنّ لديكم أعمالاً كثيرة ومهّمات كثيرة فإنّ مساعدة الدراويش الطالبين لله أولى من المهّمات الأخرى. والمتوقّع أن تتفحصوا الأمرَ بطريقة أخرى وتساعدوا الدراويش والمظلومين بلسانٍ آخر ويَدٍ أخرى، لكي لا تمضي تلك الزفراّت إلى السَّاء ولا تُثار الفِتَن. ليس لدى الدراويش تلك الألسنة والقلوب التي يواجهون بها أولئك العيَّارين ذوي الطباع اليهودية في المكر والاحتيال ويشنعون منكسرين. يكسرون رؤوس الآخرين ويرفعون عمام الآخرين ويأتون إليكم حاسري الرؤوس ومعتمين ويأتون بالمنافقين الآخرين ليشهدوا. وفي النهاية، انظروا أنتم في أمر الطائفتين كلتيهما، في أسلوب الطائفتين وطلبهما، أيّتهما أهلٌ للظلم والكذب وإثارة الفتنة. لكي تحصلوا على الثواب الذي لا نهاية له.

[١٢٨] إذا ما تركنا المدينة وأقللنا الإزعاجَ معتمونا من ذلك؛ وإذا ما أقمنا فإنّ هذه القِلّة من الدراويش لا ينقطعون عنّا لكي نغلق بابنا. ليس لدينا القدرة على تحمّل هذا الظلم. وبعدُ فالرأيُّ لكم. فإذا أجزئتم فافتونا. والسَّلام.

الرسالة الثالثة والنموس

[إلى نور الدين ولد جاجا في التوصية
بنظام الدين الذي غُضب عليه]

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] «من كظم الغيظَ ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً. أدام
الله بركاتِ كلامِ ربِّ العالمين والفاظ سيّد المرسلين - صلواتُ الله عليه - قرينةً لعهد
الأمير الأجلّ، العالم العادل المفضل المكرم، ناشِر الخيرات، مُعين الفقراء، مغيث
المظلومين، نور الدولة والدين، ضياء الإسلام والمسلمين، أدام الله علوه. أولياؤه
متصورون، وأعداؤه مهجورون، لا سبّاً عُدُوِي النفس والشيطان فإنّ «أعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك». نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.
يطالعُ السّلام والدّعاء من هذا الدّاعي المخلص ويعلمُ أنّ الدّاعي راغبٌ في
دعائه له بالخير والإقبال. يا مَنْ غاب شخصه وحضر ذكره، سلامٌ عليك يومٌ ولدتَ
ويوم تموتُ ويوم تُبعثُ حيّاً (مستفاد من الآية ٣٣ من سورة مريم)، جعلَ الله هذا
الدّعاء مستجاباً.

يُعلمُ أنّ الابنَ العزيزَ نظامَ الدين - أحسن الله عاقبته - سمع بأنّه قد غُضب عليه
من خاطركم المبارك الطيّب السّريّة المربّي للدراويش، وآته تواقع فتكدر خاطركم
الشّريف منه. وهذا الدّاعي المخلص يتضرّع إليكم سائلاً الشّفاعَة، حَسْبُ الله - «من بدا

على (*) حسناتكم وصيامكم وصدقاتكم تقبلها الله قبولاً حسناً. وذلك إحسان آخر هو رأس كل ضروب الإحسان.

سُئِلَ عيسى عليه السلام: ما أشدُّ الأشياءِ وأصعبُها وأشقَّها؟ - قال: غَضَبُ الله أشدُّ الأشياءِ. فقيل: ياروح الله، ما ينجينا من غَضَبِ الله؟ - قال عيسى عليه السلام: إن تكفوا غَضَبَكُمْ عند قدرتكم يكفَّ اللهُ غَضَبَهُ عَنْكُمْ، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

[١٢٩] قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَجَلَ الْمُوَهَّبَ

لا بدَّ من أن تُعْطِيَ كُلَّ عَطِيَّةٍ جَدِيدَةٍ بِالْعَطَاءِ

إنَّ ابْنَنَا نَظَامَ الدِّينِ مَحَبٌّ لِدَوْلَتِكُمْ وَمَتَعَلِّقٌ بِكُمْ دَائِمًا، وَقَدْ كَانَ رَطَبَ اللِّسَانِ بِذِكْرِ خَيْرِكُمْ؛ فَإِنْ حَصَلَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ فَالْعَفْوُ أَوْلَى:
لا يبيعُ شخصٌ صديقه بخطأ واحد

ومن أجلِ برغوثٍ لا يمكن حَرْقُ البساطِ

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ جاءَتْ محاسنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ
«ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، «ارْحَمْ مَنْ هُوَ دُونَكَ يَرْحَمُكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ». فَمَنْ أَجَلِ يَوْمٍ تَوْمَلُونَ فِيهِ أَنْ يَعْفُوَ الْقَهَّارُ الْمَطْلُوقُ عَنْ ضُرُوبِ تَقْصِيرِكُمْ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ الْجُرْأَةُ عَلَى الشَّفَاعَةِ، يَصْطَنِعُ لَدَى هَذَا الضَّعِيفِ

* هكذا جاء ما بين علامتي تنصيص بالعربية، ولم نهند إلى توجيه مطلع هذه العبارة [المترجم].

[مولانا] اليومَ ذخيرةٌ وَيَقْبَلُ شَفَاعَةَ هذا الدّاعي في سبيل تحقيق ذلك الأمل؛ لكي تكون لكم المِنَّةُ والأَيادي البيضاء، ويحصلَ لكم الثوابُ الجزيلُ والثناءُ الجميلُ. جعلكم الله دائماً من أهل الإحسان، بحقِّ محمد وآله.

الرسالة الرابعة والخمسون

[إلى مجد الدين في شأن اختيار مظفر

الدين أمير العالم أن يكون درويشاً]

لأدى كتابي في سُطورِ كاتِبها مخائِقُ دُرٍّ في صدورِ الكواعِبِ
وأعذبُ من ماءِ الغمامِ على الظِّما وأطيبُ رَيا من نسيمِ الجنائبِ
اطَّلِعْ على مضمونِ المكتوبِ الشريفِ لذلك الجنابِ المتيفِ، الصِّدرِ الكبيرِ، الأميرِ
الأجلِّ الأفضَلِ، فخرِ الأمراءِ، ذي الفضلِ الوافرِ والعَدْلِ الكاملِ، الحسيبِ النَّسيبِ،
المتحرِّي للرشادِ والموفقِ للسَّدادِ، مجدِ الدولة والمِلَّةِ والدينِ، مختصُّ الملوكِ والسلاطينِ،
أدام اللهُ علَّوَهُ وكبَّتْ عدوُّهُ وآيَدُهُ بروحِ منه. ويُعَلِّمُ خُلُوصَ اعتقادِ ذلك العظيمِ
وحسنُ طلبِهِ وتعطُّشُهُ إلى المِشرَبِ الغيبيِّ [١٣٠] والرحيقِ الرِّبانيِّ؛ فإنَّ مقصودَ
الوجودِ هو ذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]
«لولاكَ لما خلقتُ الأفلاك».

ويحمِّدُ الله فإن ذلك العالِي الهمةَ يندفعُ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ على مركبِ
الفقرِ إلى مغدِنِ الإعزازِ فوق المرتفعاتِ والمنخفضاتِ مؤيِّداً بالتوفيقِ الرِّبانيِّ، ضاعفِ

الله توفيقه. وهو يعلمُ أنّ الذي يفيدُ من الدنيا ودولة الدنيا هو ذلك، والباقي فانٍ، ذلك لأنّ دولة الدنيا مثلُ الإعصار الذي يندفعُ حادًّا وقويًّا فيحملُ قبضةً من التراب والقش في الهواء ويرفعُها إلى الأعلى ثم يعيدها إلى الأرض؛ والترابُ والقشُ يرجعان إلى حيزهما ف ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه: ٥٥]. فما أسعد ذلك الإنسان الذي، في هذا الإعصار، يصفّي قمح الأعمال الصالحة من هوى النفس ليستعدّ لطاحونة الأجل فلا يخجل آنذاك، يُعرض ويغدو لائقًا للفائدة الأبدية - بَخٍ بَخٍ لَهُ.

ولأننا في تلك الأيام سُررنا بحضوركم، حملنا رائحةً من أنفاسكم وشمائلكم اللطيفة وتيقنا أكثر صدق طلبكم لذلك الخير الذي يستحق الطلب. ونرى واجبًا علينا دعوات الخير لكي يعود الطالبُ العزيز، وذلك المسافر ذو المهمة، إلى مستقرّ عزّ السعادة الأبدية سالمًا من قطاع الطريق من شياطين الإنس والجنّ ومن حبال الغواية في عصمة الحقّ وحماية الرحمن، وغانمًا ﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴾ [الفجر: ٢٨].

ولم أذكر الاشتياق والسلام؛ لأنّ مثل هذه الذات التي هي المحطّ للاشتياقات والمعدنّ للآمال والتحايا، منها يُتحلّى بخواتيم الإقبال، فالحالُ مثلُ حملِ الكمون إلى كَرْمان [جلب الشيء إلى موطنه] - أيده الله وسدّده ويسّر له اليسرى وجنبه العسرى.

وتلك الإشارات التي قيلت اجتهد فيها قدر الإمكان، وعلى حسب الشواغل - وإتمامه علينا ومذكرات الوفا حوالينا. كذلك، من هذه الناحية، الأحبة والدراویش مشتاقون ومنتظرون الوصال وهم منشغلون بالدعاء. ومن عندنا يبعث إليكم مظفرّ الدّين أميرُ العالم بالسّلام والمحبة، وييدي التوقّ والتعطّش إلى اللقاء المنعش المبهج للقلب المنير - لازال منورًا - حتى الغاية ومن دون أية نهاية، وهو منتظرٌ شرفَ تقبيل

الأيادي. ويؤمن همة ذلك القَدَّ الفريد، سَحَبَ يَدَهُ من مشاغل الدنيا وانشغل بأحوال الآخرة وعاقبة الأمر، وَلَيْسَ الْخِرْقَةُ وصار من زُمرَةِ المَحْلِقِينَ رؤوسهم والمَقْصُرِينَ (إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الفتح). فَلِلَّهِ الْحَمْدُ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد عُرضَتْ مشرَّفَةٌ [رسالة] ذلك المولى على مولانا، وعندما اطمأنَّ على صحتكم ورأى اهتمامَ خاطركم المبارك وانشغاله بفقرَاءِ الدِّينِ والآخرة، سُرَّ سرورًا عظيمًا وتضاعفت محبته لكم وموالاته لجنابكم؛ وفي مِثْلِ هذا القلب - الذي هو منجَمُ اللطيفِ ومَعْدِنُ النور، وعلى الحقيقة، الجنة ورضوانُهما قلوبُ الأولياءِ إذ يقول القرآن ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٩ - ٣٠] - صار لكم مُقَامٌ ومَحَلٌّ. ومن اليوم فصاعدًا سيكون ذلك النورُ وتلك العنايةُ، في السَّقَرِ والحَضَرِ، في الدنيا والآخرة، حارسًا وحافظًا وقرينًا ومؤنسًا. لله الحمدُ والمِنَّةُ، ذلك من فضل [١٣١] ربِّي. وقد أوتيتُم هذه السَّعادةَ منذ الأزل والسَّعيدُ من سَعِدَ في بطنِ أمِّه. جعلَ الله دائِمًا روحَه الطَّاهرَ شاربًا ماءَ حَيَاةٍ ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، آمين يا ربَّ العالمين.

الرسالة الخامسة والنمون

[إلى شخص مجهول مع إشارة إلى التعزية

بمحمد]

سَلامٌ على أَهْلِ نَادِيكُمْ وَمِنْ حُلٍّ يَوْمًا بِوَادِيكُمْ

لَوْ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ تَشَبَّثْتُ بِأَذْيَالِ الرِّيحِ
كان السيد علي التَّوَّاح ينوح في السَّحَر على روح محمدنا. وفي هذه الأيام كان يقول أثناء النياحة بلسان الروم [اليونانيين]: أيُّها المحسنُ المرحوم، إنَّ موسم نوحتك قد انقضى والباكين عليك أخذتهم المشاغلُ وعادوا من تذكرك ونوحتك. فيا للعجب، كيف حالك في هذه الغربة؟ - ثم عاد فقال: آيتُّها الأخوات، أيُّها الأعزَّاء، كيف يجيبي ذلك الطفلُ المرحومُ بالقول: لو أخذتُم مني كلَّ الأفواه ونسيتُموني، ما نسيتُني تلك الأمُّ المحترقةُ أبدًا. إنَّ خيالي لا ينصرف عن عيناها. وفي كلِّ لحظةٍ تزداد حُرقةً وبكاءً.

وهذا الكلامُ في حقِّ صلة أهل الدنيا، كالأمِّ وغيرها، مبالغَةٌ، بل هو في وصف اتصالِ الحالِ الجليَّةِ الوفاءِ الثابتِ العهدِ لأهل الدين وإخوان الصِّفاء، خاصَّةً مَنْ هو رُوحُ الأرواح وعقلُ العقول، شمسُ الحقائق، الشمسُ الرِّبَّانِيَّة، الرَّحمةُ السماوية، بحرُ الحنان الذي لا نهايةَ له، جنَّاتُ الأنهار الإلهية، فِهْرِسْتُ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] - أدامَ اللهُ علَّوَهَ ومتَّعِ العارفين بدوام ظلِّه الظليل وفضله الجزيل - فإنَّ صلة الاتصال بمحيطة المبارك في النوم واليقظة، في العمل والراحة، لألاءٌ منيرة، مقرونة

بشفاعاتِ المعاونة والمناصرة والمناذمة؛ وفي أجزاء الرَّمَمِ النائمة وأحياءِ الهممِ الساهرة
تفتَحُ آثارُ ذلك الضياءِ والمواهبِ على التوالي والتواتر وتظهر. فهو الخليلُ حينَ غيابِ
الخليل، والظهيرُ حينَ غيابِ الظهير، متَّصف بأوصافِ ربِّ العالمين.

رَقَّ الزَّجَاجُ ورَقَّتِ الخُمُرُ فتَشَاكَلَا وتَشَابَهَا الأُمُورُ
لا زالت أرزاقُ القلوبِ في يُمنَاهَا، وأزْمَةُ الأقدارِ منبُوذَةٌ إلى يسراها
[١٣٢] فَمَنْ يَرَهُ فِي مَنْزِلٍ فَكَأَنَّمَا رَأَى كُلَّ إِنْسَانٍ وَكُلَّ مَكَانٍ
غدا مشكورًا على الإجمال، بلا شَرْحٍ فَإِنَّ شُكْرَ الْمُنْعِمِ واجبٌ، ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ
حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وأحقُّ أَنْ يَجْعَلَنَا ﴿عَلَى سُرُرٍ
مُنْفَقِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، وأدام الله في ممالك يوم الدين ذلك الغافل عن أمور
الدنيا! - آمين يا ربِّ العالمين.

الرسالة السابعة والنمسون

[إلى فاطمة خاتون زوجة سُلطان ولَدَ
في شأن الكدورة بينها وبين سُلطان ولَدَ]
روحي بروحك ممزُوجٌ ومتَّصلُ فكلُّ حادثةٍ تؤذيك تؤذي
أشهدُ اللهَ جلَّ جلالُهُ، وأقسمُ بذات الحقِّ الطاهرة القديمة أن كلَّ ما يترعج منه
خاطرُ تلك الابنة المخلصة يزعجنا أضعافًا مضاعفةً - وانزعاجكم انزعاجٌ لنا، وإنَّ
حقوقَ سُلطانِ المشايخ، مشرق أنوار الحقائق - قدس الله روحه - وإحسانه وفضله،

دينٌ في عنق هذا الدّاعي لا يمكن أداؤه بأيّ شكر وبأيّ خدمة. سُكِّرُ ذلك أيضًا يمكن طلبه من خزينة الحقّ تعالى. ورجائي من تلك الابنة أن لا تُخفي عن هذا الأب أيّ شيء يزعجها؛ لكي أشكرها ولا أقصر في المساعدة، قدر الإمكان، إن شاء الله تعالى. وإن يسع الابن العزيز بهاء الدين في إيدائكم فحقًا ثم حقًا لن أحبه، ولن أرد سلامه، ولا يأتي إلى جنازتي، لا أريد، وكذلك غيره أيّا كان. بل أريد أن لا تتزعجي ولا تغتمي البتّة، فالحقّ - جلّ جلاله - في عونك، وعبادُ الله في عونك. وكلّ من يقول في حقّك نقصانًا لن ينال منك، لأنّ البحر لا ينجس من فم الكلب، وعذّل الشكر لا يرخسه اجتماعُ الذباب، ولديّ يقينٌ أنّه إذا أقسم مئة ألف مرّة أنّه مظلومٌ فسأعده ظالمًا إذا لم يكن محبًّا لك وداعيًا لك. لا أعدّه مظلومًا، لا أقبل القسم والاعتذار. والله وبالله وتالله لن أقبل أيّ عذير وقسم ومكر وبكاءٍ من قائلٍ سوءًا بحقّك. المظلومة أنت. وبرغم أنّها يحترمانك، فلا بدّ من أن يعلن مولانا وابنته على رؤوس الأشهاد، من دون مواربة، نسبة العيب إليهما قائلين إنا مجرمان. وبرغم ذلك يظّلان ظالمين وأنت مظلومة؛ لأنّ حقّك وحقّ ذلك السلطان [والد فاطمة] يساوي أضعاف ما يفعلانه. والله إنّ الأمر كذلك، وبالله إنّ الأمر كذلك وتالله إنّ الأمر كذلك. وأنا إذا ما ضحكْتُ ضحكة صفاوية في وجه جماعة بسبب حساسيتي [١٣٣] فإنّ الله قد أعطاني - والحمد لله - النور فلا أرتاح حتى يستقيموا قلبًا وروحًا وعلى نحو واضح مع الحقّ وعباد الحقّ، ويتركوا المكر، ولا يقلبوا الأمور، ويكونوا غبارًا لأقدام عباد الحقّ وخدمًا لهم، سرًا وعلانية. واعتقادُ هذا الأب أنّي أموتُ على هذا وأُدفن على هذا - إن شاء الله تعالى. ناشدتك الله أن لا تخفي على هذا الوالد شيئًا، وتطلعيّني على أحوالك شيئًا فشيئًا، لكي

أساعدك بعون الله، قدر المستطاع. أنتَ حِرْزُ أمانِ الحقِّ في العالمِ من آثار ذلك السلطان، لأنَّه ببركتك يُعنى روحه الطاهر بأهل الأرض آلاف العنايات، لا أخلى الله العالمَ من آثارك ولا قطعَ نَسْلِكَ إلى يوم القيامة، ولا أغمَّ قلبك وقلوبَ أبنائك. آمين يا رب العالمين.

الرسالة السابعة والنمسون

[موجهة في الظاهر إلى السلطان

عز الدين كيكائوس في شأن شخص

اسمه حسام الدين اختلف مع عياله]

جعلَ الله السعادةَ والإقبالَ في الدارينِ نثارَ عهدِ فريد الزمان، فخرِ الملوك والسلطين، افتخارِ آل داود، العاليِ الهمة، الرؤوفِ بالمظلومين، المغيِّثِ للضعفاء، المربيِّ للفقراء، غياثِ العالمِ، المتقيِ لله، الراعي للرعية، الحليمِ الكريمِ - أدام الله علوهم وإقبالهم وزاد توفيقهم وإفضالهم. أولياءُ تلك الدولة ومحبوها منصورون، وحُسادُ تلك الحضرةِ وأعداؤها مهجورون، والله تعالى ناصرٌ لكم ووليٌّ وحامٍ ومرشدٌ ومعينٌ في كلِّ الأحوال والأقوال والأفعال.

نبعثُ إليكم بالسلام والدعاء والتحية والنَّشاء من صميمِ الصِّدق والصفاء ونهاية المودة والولاء، على الدوام والتواتر. والتوقُّ والاشتياقُ إلى شرفِ لقائكم الكريمِ أكبرُ من قدرة بيان الأفلامِ وأوسعُ من إحاطة الرسائل. هيئاً مسبَّب الأسباب ومفتِّح الأبواب، الميسِّرُ لكلِّ عسير، أسبابَ لقاء فريد العالمِ ووصاله، ووفقَ إليهما، بمَنَّة

وجوده. وإننا لنسأل الصادر والوارد على الدوام عن استقامة تلك الدولة التي هي نفاعاً للخلق ومسرّة لأهل الأرض. وعندما نسمع الأخبار السارة وبشارة انتظام تلك الدولة وثبات تلك السيادة وتترامى إلينا أنباء انبساط الخيرات وإشاعة الحسنات من تلك اليد المعطية المنفقة، نشكرُ البارئ تعالى ونحمد الله على ما أكرم ووفّق وأولى، فنعم المنعم والمولى. وكان حاملُ التحية، حسامُ الدين، الابنُ العزيزُ المقبلُ، يشني على حضرتهكم ويشكركم، ومَن ذا الذي لا يكون شاكرًا وذاكرًا لتلك الحضرة؟ لكن الابن، حسامُ الدين، أبدى حبًّا آخر ومودة [١٣٤] أخرى لتلك الحضرة وكان صادقًا في تلك المحبة لتلك الحضرة ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩] لكنه حدث له مع أهله مشادةٌ ومجادلةٌ، وهو لا يضرهم سوى الخير والإحسان. وقد حدث لهم نفورٌ شديد، وأسأوا الظنَّ به. وإنّ علاج كلّ هذه الإزعاجات والوحشات في صيدلية لطفِ ذلك الفريد ورعايته ورأفته. أرجو أن تُزيلوا أنتم أيضًا تلك الوحشة بينه وبين أهله، وإنّ كلامكم أنفذُ لدى الطرفين، وأقدرُ على تهدئة الفتنة، وأكثرُ زيادةً للمحبة والمودة، فإنّ «كلامَ الملوكِ ملوكُ الكلام». قال النبيُّ صلى الله عليه وسلّم: «لا تزال أمتي في خير ما أتاهم العلمُ والنصيحة من قبل أكابرهم، فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم هلكوا». والنصيحةُ عندما تأتي من الملوك تقبلها الرعية، وتعظّمها القلوب، وعندما ترد النصيحة من الصغار إلى الكبار لا يكون لها هذا التمكن. والمؤمّل من سلطانكم وإحسانكم للذين لا حدّ لهما أن تزيلوا تلك الوحشة الحاصلة بينهما. لكي يحصل بينهما الاجتماعُ والألفةُ ويساعد كلّ منهما الآخرَ في خدمة ذلك العظيم وطاعته؛ وعلى هذا النحو يصلُ شُكْرُ الابنِ العزيزِ حسامِ الدين إلى هذا الداعي، ويكون هذا

الدّاعي ممتناً، وينضمُّ هذا إلى أفضالكُم السابقة. ومن عندنا، الصّغار والكبار مشتاقون إليكم، ومن قُرط المحبة والاشتياق يرون ذلك الفدّ في اليقظة، وفي النوم في أغلب الليالي.

ومن طولِ التفكّر كلّ يومٍ رأيتُك كلّ ليلٍ في المنام وقد جاءت البشارةُ بأنكم ستأتون إلى هنا؛ واللهُ يَعْلَمُ كم كان سرورنا. ومرة أخرى تأخر ذلك؛ والله يعلمُ كم حصّل لنا من الغمّ. جعلَ البارئُ تعالى أسبابَ اللقاء - الذي هو أعظمُ المراتدات - ميسرةً؛ بأيّ طريق يكون خيراً. دمتُم رعاةً للرعية! آمين، ياربّ العالمين.

الرسالة الثامنة والنمسون

[إلى تاج الدّين معترّفي التوصية بالسيد

شرف الدّين]

أدام الله أيامَ الصّاحب الأعظم، الدّستور المعظم، الحسيب النّسيب، المشهور في الآفاق، فخر خراسان والعراق، ذي الدّولتين، صاحب الرّياسَتَيْن، وليّ الأيادي والإنعام، ناشِر العدل، باسطِ الفضل، تاج الدولة والدّين، افتخار الإسلام والمسلمين - أدام الله علوّه وخلّد دولته وإقباله وحقق [١٣٥] آماله - في أعلى (*) مرتبة وأنفس

* الجار والمجرور هنا متعلّقان بالفعل الثاني للفعل «أدام» في مطلع الفقرة [المترجم].

منقبة! وأبعد الله مكاره الزمان، وطوارق مضار الدنيا والآخرة عن تلك الساحة
المرتاحة، وجعل حُرَّاسَ العناية وحَفَظَةَ الصَّفوة، مراقبين وحافظين لجناب العصمة
ومسكن الحماية هذا ليلاً ونهاراً، بعينه التي لا تنام، وبركته التي لا تُرام، جعلها الله
كذلك، ومئة مرة كذلك.

يستيقنُ السَّلامُ والدَّعاءُ للذين لا عدَّ لهما ولا إحصاء ولا حدَّ لهما ولا حساب،
آناء الليل وأطراف النهار، من هذا الدَّاعي المخلص. والشوقُ إلى ذاته الكريمة،
المشفقة على الفقراء، المواسية لهم الصُّبور عليهم، لا حدَّ له ولا نهاية. وزمانُ الفراق،
برغم أنه قريبُ العهد عند الأغيار، بعيدُ العهد عند المشتاقين الذين فارَقَهم الهدوءُ
والقرار.

فِيَوْمٍ لَا أَرَاكَ كَأَلْفِ شَهْرٍ وَشَهْرٌ لَا أَرَاكَ كَأَلْفِ عَامٍ
جمعنا الله على مجامع فضله، فقد ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ١٢]
أن يجمعنا ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

حاملُ التحية، السيّدُ الأجلُّ، العالمُ العادلُ الزاهدُ، فخرُ آل ياسين، سيّدُ
الأشراف، شرفُ الدِّين - أدام الله بركته - متوجّهٌ إلى حضرتكم، و «المشربُ العذبُ
كثيرُ الزحام». إنّ الدنيا كلّها طالبةٌ للطفكم، لا سيّما السيّدُ الأجلُّ. وقد قنع كثيراً،
وصبرَ كثيراً على الغنى والفقر، وكان يدعو لذلك العظيم من بعيد، ولم يشأ أن يُثقل
على خاطره المبارك بذكر حالته. أما وقد بلغَ السَّكِينُ العَظُمَ ووصل سوءُ الحال إلى
الغاية، فقد لاذ بالجنابِ العالي - لا زال عاليًا - المشهورِ بمساعدة الفقراء، خاصّة أبناء
الرسول الحقّ، خاتم النبيّين - صلى الله عليه وسلّم - الذين لهم حقٌّ على الوجود كلّهُ،

وأي حق وبر! فقد خلصوا آباءنا وأجدادنا جميعاً من عبادة الأصنام وعبادة الحجارة. وإن كل راحة وصلت إلينا في الدين والدنيا، ولدنا أمل بالمزيد منها، إنما كانت من ظل الإقبال المصطفوي والتضحيات النبوية في نشر الإسلام. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

الأمل أن يعود السيد الجليل شرف الدين، زاده الله شرفاً، إلينا شاكرًا وذاكرًا، شأنه في ذلك شأن كل قاصدي حضرته، لكي يكون الثواب من دون نهاية، والجزاء من دون غاية.

الرسالة التاسعة والنمون

[إلى تاج الدين معتز في التوصية بنظام

الدين صهر حسام الدين چلمي]

أدام الله السعادة والإقبال على الصاحب الأعظم، ملك الأمراء نظام الملك، فخر العراق وخراسان، [١٣٦] ناشر الخيرات، تاج الدولة والدين - أدام الله علوه وتقبل حسناته وكرمه وفضله على كثير من عباده تفضيلاً.

يطالع السلام والتحية والشكر التي لا حد لها ولا نهاية من هذا الداعي المخلص، والاشتياق إلى لقائه المزين للعالم، المبارك، لا حد له - جعلنا الله ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنَقَدِّلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. وإن الألفاف التي تفضل بها عصية على الشرح والبيان. وماذا أقول أنا في ذلك البناء المبارك، ما نادرة الإحسان التي تفضل بها - بنى الله تعالى

له قُصُورًا في أعلى الجنان - إنَّ له روحًا آخَرَ وله ذوقًا آخر وسرورًا آخر.

ولا يخفى على حُسن اعتقادٍ فريدٍ العالمَ وضميره الطاهر أن نظام الدين، منذ القديم ومنذ الطفولة، كان الابنَ وقرّة العين لهذا الداعي، خاصّةً أنّه ارتبط وصارت له قرابة بفخر المشايخ، أمين القلوب، جُنَيْدِ الوقت، قطبِ الزمان، حُسامِ الحقِّ والدين - أدامَ الله بركته ومنَعَ العالمين بطول بقائه - وتلك البُتُوّة التي كانت في البدء تضاعفت وصارت مئة ضعف. وفي الليل والنهار، ما يملكه يؤثر به سبيلَ الحقِّ ويقدمه فداءً للفقراء الصادقين. وهذا هو سببُ دوامِ دولة نادرة العالم، ملك الأمراء. أتطلع إلى أن ينظر ملكُ الأمراء إليه بتلك العناية اللاتقة بملاطفته الملكية للدراويش، وشفقته على الفقراء؛ لكي تكون ملاطفةُ ملكِ الأمراء هذه شاهدًا على الجوهرِ النقي للملكِ الأمراء والحالِ الشريف المشفقِ على الفقراء المكرّم للدراويش لجنابه، وتحريضًا للخلق على الخير؛ فإنَّ عنايةَ الملوك بأهل الخير تحريضٌ للآخرين على الخير، وإهمالُ أهل الخير وإهانتهم تنفيرٌ للخلق من الخيرات.

كان الفضيلُ بنُ عياض رحمه الله عليه، وهو من مشاهير المشايخ، في أول أمره قاطع طريق. أوقفَ قافلةً فقتل بعضُ التجار، وقيدَ أيدي بعضهم، وحبسَ بعضهم، ثم فتحت أمتعةُ التجار لحضرة فضيل وعُرِضت عليه. فوجد في أحد صناديق الثياب آيةَ الكرسي مكتوبةً بالمسك والزعفران. فأمر غلمانه بأن يفتشوا عن صاحب هذا الصندوق بين التجار ويجدوه ويأتوه به. [وعندما جاؤوه به] قال له فضيل: عوّدت بضاعتك بآية الكرسي؟ قال: نعم. فقال لغلمانه: اعزلوا متاعه عن أمتعة الآخرين وارفعوه، ثم قال له: أعطيتك أيضًا الأمتعة الباقية؛ لأنني لا أريد أن يفتر اعتقادك بآية

الكرمي بسبي، فتقول إنها لم تنفعني. «والعاقل تكفيه الإشارة».

نور الحق تعالى الصدر المبارك للملك الأمراء بنور ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾
[النور: ٣٥]. آمين، يارب العالمين.

الرسالة الثون

[إلى أمين الدين ميكائيل في التوصية

بناج الأئمة جمال الدين معبد]

[١٣٧] جَعَلَ اللهُ السَّعَادَةَ وَالْإِقْبَالَ - اللذين هما أكبرُ كثيرًا من السَّعادة والإقبال اللذين يفهمهما بنو آدم وأهل الدنيا، مما قيل فيه: «لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، وقيل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] لأنَّ سعادة الدنيا عكسٌ وأثارٌ لذلك كما قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا لَعِبَوزَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]، وكلُّ لَعِبٍ هو عكسٌ للجِدِّ ويُسْرِقُ من الجِدِّ، مثلما يسرقُ الأطفالُ الألعابَ من ضروب الجِدِّ - قرين^(*) عاقبة ملكِ الأمراء والثَّوَابِ وليُّ الأيادي والإحسان، ناشِرُ الخيرات، مغيثُ الخلق، معينُ الحقِّ، باسطُ العَدْلِ، فخرُ الصِّدُورِ، طالبُ النُّورِ والهَمَمِ العالية، المجذوبُ بجذبة

* المفعول الثاني للفعل «جَعَلَ» في مطلع الفقرة [الترجم].

التوفيق، أمين الدولة والدين - أدام الله علوه.

صَرَفَ اللهُ نَوَائِبَ آخِرِ الزَّمَانِ عَنْ سَاحَتِهِ الشَّرِيفَةِ وَأَبْعَدَهَا! وَخَاطِرُهُ الْعَزِيزِ
الْمُتَشَبِّثُ وَالْمُتَمَسِّكُ لَيْلًا وَنَهَارًا بِـ «تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ» الَّذِي التَّفَاهَةُ
الْمُبَارَكُ دَائِمًا إِلَى الْمَظْلُومِينَ وَنَظَرُهُ الشَّرِيفُ نَحْوَ الْمَسَاكِينِ، لَا سَغَلَ الْحَقُّ تَعَالَى ذَلِكَ
الْخَاطِرَ وَذَلِكَ الْقَلْبَ بِأَيَّةِ فِتْنَةٍ وَأَيِّ مَكْرُوهٍ، وَلَا أَلْهَاهُ عَنِ الْإِنْسِي بِلَطَائِفِ الْحَقِّ؛ إِنَّهُ
مَجَازِي الْمَحْسِنِينَ وَالشَّاكِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣] وَ

﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

يُوصَلُ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ مِنْ خُلُوصِ الطَّوَيَّةِ، وَالِاسْتِيقَاقُ إِلَى مَجَالِسَتِكُمْ
وَمُؤَانِسَتِكُمْ الْكَرِيمَةِ غَالِبٌ وَبَاعِثٌ. وَالرَّجَاءُ أَنْ لَا يُحْمَلَ التَّقْصِيرُ الظَّاهِرُ عَلَى قُصُورِ
الِاسْتِيقَاقِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ قَرَضِ حِرْصِ الدَّاعِي عَلَى الْمَلَاقَةِ مُصَادِفَةِ الْمَانِعَاتِ؛ لِأَنَّ «الْحَرِيصَ
مَحْرُومًا». فَالْحَقُّ تَعَالَى بِسَبَبِ غَيْرِهِ يَبْتَلِي الْأَحْبَةَ الْحَرِيصِينَ عَلَى لِقَاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا نَهَايَةَ
الْحَرِصِ بِالْمَوَانِعِ، وَإِنَّ الْأَذْكِيَاءَ الدَّقِيقِي النَّظَرَ يَقْعُونَ أَيْضًا فِي الْغَلْطِ، وَيَحْمِلُونَ هَذِهِ
الْمَوَانِعَ عَلَى السَّامَةِ وَقَلَّةِ الرَّغْبَةِ، وَيَغْلُطُونَ فِي ذَلِكَ، وَيَعْلَمُونَ فِي الْآخِرِ أَنَّ الْإِبْعَادَ غَيْرَةً
لَا فَتَوْرَ حُبَّةٍ.

لَا بَدَّ مِنْ لَيْلٍ دَائِمٍ وَشُعَاعٍ قَمَرٍ جَمِيلٍ

لَكِي أَحَدِّثُكَ عَنِ أَلْوَانِ الْغَمِّ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا فِي

حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى نَوَرَ قَمَرِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَعَنَاءَةَ رَحْمَةِ السَّمَاءِ إِلَى صَبْحِ الْقِيَامَةِ
مِنَ الْغُرُوبِ وَالْكَسُوفِ، لَكِي يَصَلَ ضَعْفَاءُ آخِرِ الزَّمَانِ بِذَلِكَ الْإِمْهَالِ إِلَى آمَالِهِمْ فِي
الدِّينِ وَالْدُنْيَا فَإِنَّهُ لَوْ بَقِيَ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمٌ وَاحِدٌ يَطْوُلُ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَى أَنْ

يبلغ المجتهدُ مأمولَه - صدَقَ رسولُ الله.

ولأنَّ حمايةَ جملةِ الخيراتِ وعمارتها هي اليومُ بسعيكم ومهتكم، فإنَّ الابنَ العزيز، فخرَ المدرسين والمعידين، تاجُ الأئمة، جمالَ الدِّين - بلِّغه اللهُ مُناه - الذي هو من الدَّاعين [١٣٨] والمحجِّين القدماء لتلك الدولة ليلاً ونهاراً، هو منذ الصَّغر حتى الآن من دون فتورٍ ولا تبديلٍ مستغرقٌ في العلوم الدِّينية والاستفادة والإفادة وإقامة الصَّلوات والأوراد واليقظة في الطَّاعة والعِلْم والعمل، طبعاً وطوعاً، إذ إنَّه لا يستطيع أن يعمل غير ذلك «وكلُّ ميسَّرٍ لما خُلِقَ له». ولو أعلم الأميرُ بحاله وسيرته وزمانه بصدقٍ ومن دون غرضٍ لرأى أنَّ في خاصِّ ماله حقاً له وعدٌّ من الفروض لإفراغِ خاطره من الشواغل لكي يستغرق في العِلْم والعمل باجتماعِ خاطرٍ. وهذه إشارةٌ، وستجعله هذه الحالةُ كلَّ يومٍ وليلةٍ في ازدياد ونماء:

لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ الْهَلَالِ نُموَّهُ أَيْقَنْتُ أَنَّ سَيَصِيرُ بِذُرَا كَامِلاً

﴿كَرَّجَ أَخْرَجَ شَطَطَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَقْلَطَ فَاسْتَوَى﴾ [الفتح: ٢٩]. وكانت

إشارتكم العالية بأن يذهب إلى أبلستان^(*). وقد قِيلَ الإشارةُ سمعاً وطاعةً وكان من السامعين والمطيعين وتأهب للذهاب. إلَّا أنَّ الدَّاعي وبقيةَ الأبناء والأشقاء ممنعه من ذلك قائلين: إِنَّا لَا نَتْرُكُهُ أَبَداً:

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ خِلِّ صَدُوقٍ فَقَالُوا مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ

* جاء في معجم البلدان لياقوت الحمويِّ قوله: «أَبْلُسْتَيْنَ: .. هي مدينة مشهورة في بلاد الروم.. قرية من أبُس مدينة أصحاب الكهف».

تَمَسَّكَ إِن ظَفَرْتَ بِذَيْلِ حُرٍّ فَإِنَّ الْحَرَّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]. قالوا: لا تذهب، فإنه من غير الواضح
كم بقي من العمر، ومناصب الدنيا القصيرة الأمد، خاصة في هذا الزمان، لا تعدل
حديث مثل هؤلاء الأحبة ومجالستهم وموانستهم، فقد كان هذا هو المقصود من إيجاد
العالم:

المقصود من العالم هو آدم والمقصود من آدم ذلك النفس
ولا ينبغي مفارقة الأحبة في الله والله من أجل الدنيا التي هي جيفة وطلابها
كلاب». ففسخ العزم لكي لا يكثر خاطر الأحباب، وعقد العزم على أن يتخلص من
كل شيء؛ فإن النفس خير من الدنيا. ﴿قُلِ اللَّهُ ثَمَرُ ذَرَاهِمٍ﴾ [الأنعام: ٩١]. لكن
القلة في المعاش مانعة من المهمات الدينية. «لولا الخبز لما عبد الرب»، «نفسك مطيئتك
فارقني بها».

مَادُمْتَ رَاكِبًا عَلَى ظَهْرِ بَغْلٍ فَإِنَّ حِمْلَهُ فَوْقَ رَوْحِكَ
المرجو من مكارم أخلاقكم أن تنظموه في سلك الممتنين لبتكم والساكرين
لنعمتكم؛ لأن إنعامكم وإحسانكم لم ينس ولن ينسى وينضم إلى ﴿وَمَا كَانَ رُبُّكَ
نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. جعلك الله دائماً معشوق الفقراء ومفخر الكبراء، لكي تكون
رياستكم صلاح الخلائق فإن «احتياج الأشرار إلى الأخيار صلاح الطائفتين، واحتياج
الأخيار إلى الأشرار فساد الطائفتين».

الرسالة المحادية والتشون

[إلى النائب (أمين الدين ميكائيل)]

في التوصية بجهال الدين]

[١٣٩] يُعَرِّضُ عَلَى الرَّأْيِ الْعَالِي لِلْمَلِكِ التَّوَابِ، سَيِّدِ الْأُمَرَاءِ، مَفْخِرِ الْكِبَرَاءِ، وَلِيِّ الْأَيَادِي، الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَالزَّكْنِ الْأَعْلَى، نَاشِرِ الْعَدْلِ، بَاسِطِ الْفَضْلِ، أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ.

بعد السَّلام المورود والتَّحِيَّة الممدودة للذين سُمِّعَا فِي شَأْنِ الْإِبْنِ الْعَزِيزِ مَفْخِرِ الْمَدْرَسِينَ وَالْمُعِيدِينَ جِهَالِ الدِّينِ - دَامَ فَضْلُهُ - جَاءَ إِلَى حَضْرَتِكُمْ، فَقَدْ ذَهَبَ الْخَوْفُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَكَانَ تَبْدِيلُ الْمَدْرَسَةِ ضَرُورِيًّا. وَلَمْ تَبَقْ ضَرُورَةٌ، وَلَمْ يَبَقْ خَوْفٌ. وَلَا يَخْفَى عَلَى رَأْيِ الْأَمِيرِ أَنَّ الْخَوْفَ قَائِمٌ طَالَمَا أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُسَلِّطَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَإِذَا مَا سَكَنْتُ سَاعَةً فَلَمَّا تَكُونُ مِثْلُ أَفْعَى فِي بَيْتٍ شَبِعَتْ فَنَامَتْ فِي زَاوِيَةٍ، وَهِيَ نَفْسُهَا الْحَيَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ قُوَّةَ الْيَوْمِ هِيَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ - حَامَاهَا اللَّهُ بِطَوْلِ بَقَائِكُمْ - وَفِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي مَضَى فِيهَا رُكَابُكُمْ الْمَيْمُونُ إِلَى تِلْكَ الثَّغُورِ حَدَثَتْ فِتْنٌ كَثِيرَةٌ هُنَا، وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ كَانَ يُؤْخَذُ بَيْتٌ وَيُقْتَلُ أَطْفَالٌ وَنِسَاءٌ وَتُنْهَبُ أَمْوَالٌ، مَعَ وَفَرَةِ الْحَرَسِ وَالْعَسَسِ وَالْجَمِّ الْغَفِيرِ وَالْجَمْعِ الْكَثِيرِ. وَإِذَا لَمْ يَصِلْ رُكَابُكُمْ الْمَيْمُونُ - جَعَلَهُ اللَّهُ دَائِمًا قَرِينَ السَّعْدِ الْأَكْبَرِ - وَتَأَخَّرَ فَسَيَحْدُثُ خَرَابٌ كَبِيرٌ وَسَفْكَ دِمَاءٌ كَثِيرٌ، فَكَيْفَ تَكُونُ الْحَالُ فِي تِلْكَ الزَّوَايَا الْمُنْقَطِعَةِ؟

إِذَا اشْتَكَيْتِ الْعِمَانُ الْمُفَلَّسَا فإِيشْ تَقُولِ السَّرَاوِيلَاتُ؟

وَلَيْسَ الدَّرْسُ لَدَى أَرْبَابِ الْفِكْرِ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ سِوَى تَعْطِيلٍ وَتَعْذِيبٍ، لِأَنَّهُ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَرَاجِيفِ يَنْشَتُّ الْخَاطِرُ وَيَتَصَوَّرُ آلَافُ الْفِكْرِ وَالْأَخِيلَةِ، فَإِنَّ الْحَزْمَ

سوء الظن». وهناك الأراجيفُ في هذا الزمان متواترةٌ ومتابعةٌ ومتعاقبةٌ في كلِّ يوم. وأساسُ التحصيلِ والتعليمِ اجتماعُ الفكرِ؛ وعندما يضطربُ الفكرُ بهذه الخيالات والأوهام لا يبقى ثمة مجالٌ للتحصيل.

الكلامُ الذي لا يأتي من رأسٍ مفكِّرٍ لا يستحقُّ أن يُكتَبَ ويقالَ ففي كلِّ يوم يأتي خبرٌ سيِّئٌ فيغدو الحليمُ حيرانَ والعاقلُ جاهلاً. وإذا ما أقام إنسانٌ هناك فإنَّ ذلك بسببِ غِلْظَةٍ وسفاهةٍ فيه، [١٤٠] أو بسببِ العجز، أو يكون شخصاً له طبعُ الأطفال، فإذا لم يصل السَّكينُ إلى خَلْقِهِ فلنَّ يكون لديه عِلْمٌ بشيء، كالبهائم، أو يكون شخصاً مضطرباً بسببِ انعدامِ الحيلة والوسيلة لا يستطيع أن يتحرَّك من مكانه.

وإنَّ لُطْفَ الأميرِ أشرفُ من أن يسمح بأن يتشتَّت المحتاجون إليه والمحبُّون له - خاصَّةً المنقطعين للعِلْمِ والعملِ المتفانين فيها، أحلاسَ البيوت، مصابيحَ الظُّلم، خَلْقِي الثيابِ جديدي القلوب - ويبقوا عاطلين متسكعين. ومن تعود على الماءِ العَذْبِ ومجالسة أهل الفضل لا يستطيع العيشُ في تلك الأماكن حتى دون تشويش وإزعاج، إلَّا إذا كان شخصاً لا عِلْمَ لديه عن حلاوة حديث أهل الفضل.

الطائرُ الذي لا خبرَ لديه عن الماءِ الرُّلال

يغمس منقارَه في الماءِ المِلْح طوَالَ العام

وبرغم أنَّ هذه الأعذارَ عند عامَّة الخلقِ غيرُ عظيمةٍ وخطيرةٍ لأنَّ أغلب الخلقِ مثلُ البهائمِ ويعدون الغذاءَ كلَّه خبزاً، ويرونَ تسكينَ حرارةِ الكبدِ من الماءِ، إذا أنت لم تعشِقْ ولم تدْرِ ما الهوى فرُخٌ واعتَلِفَ يَنَنا فانتَ جِمارُ

فإنَّ الخاطَرَ الأشرف، الذي هو جاسوسُ أحوالِ المحققين والخبيرُ بأسرارِ الطالبين، يَعُدُّ كُلَّ واحدٍ من هذه الأعداءِ جَبَلًا قاف وسَدًّا الإسكندر [شيئًا عظيمًا جدًا]. زاد الله كُلَّ يومٍ هذه الدَقَّةَ في النظر والإصابةَ في الفكر والكياسةَ والعنايةَ لذلك الصِّدر. آمين يا ربَّ العالمين.

الرسالة الثانية والتون

[إلى القاضي سراج الدين في التروية
بشخص اسمه سيد أبو بكر أخذ ملكه
ظلمًا]

دَامَ ظِلُّ فَضْلِ مولانا أَقْضَى القضاةَ، أستاذِ الأفاضل، قامعِ البدعة، محيي الشريعة - أدامَ اللهُ فضلَه - على أهل الإسلام كافة. أولياؤه منصورون وأعداؤه مهجورون، بحقِّ محمد وآله.

يطالِعُ السَّلامَ والتَّحيَّةَ من هذا الدَّاعي المخلص، ويعلمُ الاشتياقُ إلى المجالسة والاستفادة. إنَّ رافع التَّحية، السيِّدَ أبا بكر، وهو وأمه من أصحاب هذا الدَّاعي ومحبيه، طفلٌ صالحٌ ومحَبٌّ للصَّالحين، ولا نصيرَ له ومظلوم. انتزعَ منه مُلكُه ظلمًا عندما كان صغيرًا. وإنَّ خَصَمَ [١٤١] ظالمي اليتامى والمساكين والمظلومين هو ظِلُّ رحمة مولانا. أنتظرُ من كَرَم مولانا أن تصلَّ إليه تلك الحجرَةُ، فليس عنده مكانٌ يلجأ إليه عندما يجمُن الليلُ. أمه درويشةٌ من أهل الله، وزوجُ أمه سيِّئُ الطَّبع وقاسٍ وفقيرٌ ومنَعَ الطفلَ قائلاً: لا تأتِ إلى بيتي ولا تأكلْ طعامي. الله الله، أن تأمرَ الهمةَ المباركةَ بأن

تُسَلِّمُ تلك الحجرة التي بقيت ميراثاً إلى هذا المظلوم المسكين لكي يتمكن من العيش ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. وإن والدته وجدّه وقومه كانوا جميعاً من الصّالحين والمقيمين للصلاة والمظلومين، وإن صلاح الأصول أيضاً مظنة صلاح الفروع وحُسن جوهرهم، إلا نادراً. قال الله تعالى في قصة مريم:

﴿قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيحًا﴾ (٢٧) ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بِفِيحًا﴾ (٢٨) [مريم: ٢٧ - ٢٨]، يعني من أهل الفحش. وإن المعصية من أبناء الصّالحين شيء عجيب، وموجب استعجاب لدى العقلاء. وهذه الطائفة ليست هي تلك الطائفة التي تطمع في مُلك الآخرين، بل هي تلك الطائفة التي لا تُطالب أحياناً حتى بحقّها - حذراً من الوحشة. ومولانا نفسه عندما يرى يعرف ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي رُجُومِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يأت عملاً صالحاً لله في جوف الليل يُلبسه الله منه رداء يُعرف به»، ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

ونسأل الله الذي يجزي أهل الخير خيراً وأهل الفضل فضلاً أن يجزي مولانا خير ما جزي به ويتقبّل سعيه، آمين يا رب العالمين.

الرسالة الثالثة والسون

[إلى معين پروانه في طلب دفع مرتب]

[إلى اختيار الدين وعماد الدين]

يُغْرَضُ عَلَى الرَّأْيِ الْعَالِي لِلْمَلِكِ الْأَمْرَاءِ، وَلِيَّ الْأَيَادِي وَالْإِحْسَانِ، پروانه بك الكبير، أدام الله علوه. بعد تبليغ آلاف السّلامات والتّحيّات وأنواع الشّكر والإحسان لحضرة من ﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]، فَإِنَّ حَامِلِي الرّقعة، الفقيهين الصّالحين الحسينيّين النّسييّين، اختيار الدين وعماد الدين - سلّمهما الله ووصل إلى همهما - هما من الأبناء المقبلين لهذا الدّاعي ومن المحصلين والمتعبّدين والقانعين ومن أولئك الذين ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْتَلُوكَ الْحَاقَا ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وقد قُطعت عنهما من المدرسة بضعة الدراهم المرتبة لهما التي كانا يتعبشان بها بقدر كبير من القناعة والعنت [١٤٢]؛ لأنّه ليس لهما من وليّ ومُعين غير الحقّ. وإنّ ملك الأمراء هو نائبُ الحقّ ومن ثمّ نائبُ مختار من الرّحيم الكريم بعباد الله، لا سيّما الفقراء الطالبين لله، المجاهدين للقاء الله، ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وبرغم أنّي في غاية الخجل، أنطلع من الطافِ ملكِ الأمراء - جزاه الله أحسنَ ما جرى به يوم يحتاج النّاس إلى مصالح المجازاة - أن يسرّ قلبي بإبهاج ابني - وفقهما الله تعالى - ويحييهما بتلك العناية فإنّ ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا

النَّاسَ جَمِيعًا ﴿[المائدة: ٣٢].

والسلام على الأمير المحسن إلينا يتغني بالإحسان من ربه نورًا وحضورًا، ولا يريد منا جزاء ولا شكورًا. ودمتم على عرش السعادة. آمين يا رب العالمين.

الرسالة الرابعة والتسون

[إلى سلطان ولد وعلاء الدين چلبى في

التوصية برعاية حال شرف الدين لالاي

السمرقندي]

الابن العزيز المقبل المحسن الحسن الاعتقاد، بهاء الدين، والابن العزيز الأجدد الأسعد الأشرف، علاء الدين - دامت سعادتهما - يعلمان سلام هذا الأب، ولا يعاملان الوالد العزيز ولي التربية والخدمة، شرف الدين، بأية خشونة وقسوة ومكافأة ومجارة، وينظران بعين هذا الأب؛ ويتخيّلان أن ذلك الغضب صدر عن هذا الأب، فيتحمّلانه؛ ذلك لأنّ للوالد العزيز شرف الدين على هذا الأب [مولانا] حقوقًا كثيرة. أرجو من ابني المقبلين رجاءً عظيمًا عظيمًا أن يقولوا كلّ ما يقولونه له بلطف، وأن يفعلوا ذلك بتحمّل وتلطّف ورحمة وبُنوّة، ومن أجل قلب هذا الوالد يرجى منهما أن يشغلا نفسيهما عدّة مرات بالمشاغل؛ لكي يصلّ إليّ خبرٌ ذلك ويزداد الدعاء الذي أدعوه لهذين الولدَيْن، وتتضاعف شفقتي عليهما، وإن شاء الله تعالى يعودان بأسرع وقتٍ ببركةٍ وسرورٍ سرورَيْن بنيل المراد، إن شاء الله تعالى.

الرسالة الخامسة والتشون

[إلى صلاح الدين في الظروف
وبيان الاشتياق إلى الزيارة واللقاء]

[١٤٣] الله هو الميسر للاجتماع.

أقسم بالله الذي فيض رحمته لا تسعه أطباق السماء
أنه من الهجران والاشتياق لا يتسع فم لالدي من كلام
إن التعلق الذي يكتنه القلب والروح بالصورة المباركة للأخ الأعز الأجل
الأفضل الأكمل، سيد الصدور، المحقق المدقق، مفخر الأئمة، تاج أهل الصفة،
صاحب الدولتين، صلاح الحق والدين - أدام الله علوه وأيده ونصره وأعلى محله
وأنجز آماله وجمع شمله في الدنيا والآخرة - لا يتسع له بيان قلم ولا يأتي عليه الشرح.
أنت نفسك تعلم كيف أكون منقبضاً ومغتتاً من دونك،

لا قدر الله أن أكون خجلاً من وجهك في هذا المعنى

وإن حدثت تقصيراً في الخدمة والضيافة فالحق تعالى عليم ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ عَلِيماً﴾
[النساء: ٧٠] بأن ذلك لم يكن من ضعف عهد مودة ولا من فتور أركان محبة؛ فإن
محبة ذلك الأخ مثل أيام الربيع، كل يوم في تزايد وإشراق. لكن مرجع ذلك الأعداء
المتمثلون في الطبيعة العنصرية الضعيفة المحتاجة إلى الحوائج الخسيسة، التي تُقيد
الروح وتسيطر عليه، ولا تسمح لهمة بأن تتمسك حقّ التمسك بمصاحبة إخوان
الصفاء وخلان الوفاء. وهذه عين قصة المجنون الذي امتطى ناقته مندفعاً بآلاف

الأشواق تاركًا وراءه حُوار الناقة، فكان يُغذُّ السيرَ إلى ربوع ليلي؛ وفي الساعة التي جعلته حيرةً المحبة غافلًا عن حثِّ الناقة على السير كانت الناقة قد عادت إلى ناحية الوطن والولد، وقد تراجعت إلى مسافة طويلة حتى استعاد وعيه؛ وهكذا قضى في طريق الأيام الثلاثة مدّة شهرين في هذا الجزر والمدّ. فقال بعد ذلك:

هوى ناقتي خلفي وقدّامي الهوى وإني وإياها مختلفان
والمرجو من سعة الأخلاق الطيبة الطاهرة للصّدر الأخويّ - أدام الله علوه
وفضله - أن يتجاوز عن هذا التقصير، وإنّ علامة تجاوز ذلك استدعاء هذا الأخ
وتحقّق مطلبٍ مراجعة الصّدر الأفضّل. أدام الله فضله.

[١٤٤] تعال مرةً أخرى لتزدادَ مما كان

وإذا لم يكن ثمة شيء حتّى الآن فليكن الآن

عودوا إلى الرّوضِ عودوا فالهجر صعبٌ شديدٌ
ولو لم يكن حولي عوائقٌ وصغارٌ متعلّقون بحضائني لجئتُ من دون إبطاء في
طلّب ذلك العزيز الفريد، مُسرِّعًا ومستعجلًا؛ وكان ذلك المجيء دون حدّ المودة
والتّوقان والاشتياق، بل هو واحدٌ من الألف:

عندي جُمْل من اشتياقٍ وفصول لا يمكنُ شرحها بكُتُبٍ ورسول
بل أنتظرُ الزمانَ والحالَ يحول أن يجمع بيننا فتصغي وأقول
نسأل الله محرّك القلوبِ ومهيّج النفوس أن يشرح صدرَ الأخ الرّبانيّ بسرعة
النهوض منه والإفاضة وتقرير [كذا] عيون الأحبة من غير روية وربّ واستخارة؛

فالخيرُ كلُّ الخير والرحمةُ كلُّ الرحمة في إيناس الأحباب، ودفع الوحشة والفرقة والعذاب، ونعم المرجو والمسؤول.

والأميرُ العالمُ العاقلُ الطالبُ الحسيبُ النسيبُ، المشتاقُ إليك شوقَ العطشان إلى الماء الزلال وشوقَ العاشق الكئيب إلى ساعة الوصال. وقد شفع لهذا الأخ أنني أعلمكم أنه قد عاهد الله تعالى على أنه عندما يرى وجهكم الكريم يتنطق بنطاق الخدمة نفساً وروحاً ومالاً وجاهاً، وعلى أن كلَّ مالٍ يملكه هنا وفي مدينة گنگر يكون مناصفةً في خدمته، بل كله له. الرجاء أن يقبل شفاعتُ هذا الأخ لكي يصدق ظنُّه في اتصالنا ونفوذ شفاعتنا لدى حضرته، لأنه يعتقد أن آية شفاعتِهِ والتماسِهِ لهذا الأخ لدى حضرة من هو معندين الكرم لا تُرد. دمت محبينا والسلام.

الرسالة السابعة والتون (*)

[إلى مجد الدين أنابك في التوصية بيهاء

الدين الذي هو من أقرباء بيت مولانا]

الله يجمعُ بيننا، ويفرقُ البُعْدَ عن بيننا. سنَّة الوصلِ سنَّة، وسنَّة الهجرِ سنَّة.

تكاثرَت الأشواقُ إلى [١٤٥] لقاءِ الصدرِ الكبير، فخرِ المدرسين، تاجِ الأدباء، صاحبِ

* هذه الرسالة بالعربية في الأصل [الترجم].

الفنون، الحسيبِ النَّسِيب، مجد الدولة والدين، أدام الله علوه. وقد قُصِرَت الألقابُ لا لقلّة أوصافه وشئائله الشريفة، ولكن احترازًا عن سامة خاطره الشريف في مؤنة المطالعة، وهي في القلب مكتوبةٌ وعند الله مُعدّة ليوم الثواب.

أنبي السّلام الكثيرَ مقرونًا بخلوص المحبة في سرِّ سرِّ القلب. عَجَّلَ اللهُ تعالى بكرمه العودة المباركة مع المراد والسّلامة والسّعادة، خيرَ إيابٍ وأحسنَ رجوع. آمين يا ربّ العالمين.

وُنْهِيَ إلى خِدْمَتِهِ الشَّريفة المَغْتَنَمَة المَفْرَجة المُنشِطَة - لا سَلْبَها اللهُ عَنَّا أَبَدًا - أَنْ حَامَلَ الخِدْمَة [الرَّسَالَة]، بهاء الدِّين، هو من أَقْرَبَاء بيت مولانا، وهم في غايَة الفقر والإقلال، كثيرو الحياء والصَّبْر، يَحْتَمِلُون من الفاقة ما لو كان على غيرهم ملأ الأذان من الإيذان والشكوى. ولا شك في أَنَّ شَبَكَة الرِّزْق في الدُّنْيَا هي الوقاحةُ، والحياءُ يمنع الرِّزْق. والكرِيمُ يَسْتَحْيِي من عَرَض حاجة أخيه، والصَّبْرُ على فاقة نفسه محمودٌ، والصَّبْرُ على فاقة أخيه قساوةٌ ومذموم. وقد عَلِمْتُ جِلْمَكُم ومودَتَكُم، لا سِيَّما على أهالينا وأقربائنا ومعارفنا؛ وكيف لا، وأنتم نحنُ ونحنُ أنتم.

رُوحُهُ رُوحِي وروحي رُوحُهُ مَنْ رَأَى رُوحِي عَاشَا فِي بَدَنٍ
نرجو من كَرَمِهِ البسيط ولُطْفِهِ المحيط أَنْ يَدْبُرَ حاجَتَهُمْ وَيُنْهِيَ حَالَهُمْ أَحْسَنَ إِنْهَاء
إلى حَضْرَةِ الصَّاحِبِ الأعْظَم، مَلِكِ الوُزَرَاءِ الأَكْرَمِ الأَعْلَم - مَدَّ اللهُ عُلُوَّهُ وَجَلَّالَهُ فِي
دَوْلَةٍ صَانِيَةٍ وَنَعْمَةٍ وَافِيَةٍ - لِكِي يَسْلُكَهُمْ فِي سِلْكِ مَمَالِيكِهِ وَخُدَّامِهِ لِيَسْتَظْلُوا بِظِلِّهِ
اللَطِيفِ الوَافِرِ الوَارِف، وَيَسْتَعْصِمُوا بِحَبْلِهِ الحَصِيفِ الكَاتِف، وَيَنْجُوا مِنْ غَمَزَاتِ
الشَّقَاءِ والإيلامِ ومَخَالِيبِ نَوَائِبِ الأَيَّام - طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى وَذَخِيرَةً لِيَوْمِ يَحْتَاجُ

النَّاسُ فِيهِ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَكُونُ الطَّاعَةُ فِيهِ «تَعْظِيمٌ أَمَرَ اللَّهُ وَالشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، الَّتِي قَدَّمَهَا الْعَبْدُ أَكْرَمَ بِضَاعَةٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[الشعراء: ٨٨-٨٩].

وخطيركم منبع الفضائل، ونثر الحكيم عليكم أولى؛ لأن الغيوم تأخذ من البحر، وأكثر ما يقطر يقطر عليه، فهو أحق به.

وإن ترى عيافاً فسُدَّ الخَلَا فجَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
مَتَطَرَاتٍ لَعُودِ الْمَجْلِسِ الْكَرِيمِ، أَقْرَّ اللَّهُ أَعْيُنَهُنَّ وَأَعْيُنَنَا.

الرسالة السابعة والثون

[في الظاهر إلى علاء الدين جلبي

في نصيحته ودعوته إلى الخلق الحسن]

[١٤٦] فخر المدرسين، خير البنين، محبوب الأوابين، يقرأ السلام من هذا الوالد، ويعلم أنه مدعو له بالخير، ويرجع إلى عين عنصر سخاء النفس الذي هو طبعه الأصلي، ويتجنب مداخل خبث الأنانية وشح النفوس؛ فإنه ما من أحد يستحق المجيء من روضة الفناء إلى عالم مملوء بالخور والذهب والجوهر المشور، بأشواق الهوى. وإذا ما أغرى أحد بسبب الغفلة الطبع الطفلي على المباراة والمسابقة في الفعل والقول المخالفين، فإنه لن يكون محموداً وسعيداً بهذا الفعل المخالف للموانيق الربانية

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة: ٢] ولا يحملنكم ظلم قوم
على أن تتركوا طريقكم المثلّي وهمتكم العليا المرضيّة عند المولى:
لو تغيّرت عليك جملة العالم فامضي في سبيلك، ولا تتغيّر
هكذا يتصور أنّه في تلك الحجرة هذا الأب جازّ له فيتحمّل ويُحسّن الجواز مثلها
يليق به وهو يهمس: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]،
وحتى لو أكره في هذا الباب الطبيعة ﴿لَرَّ تَكُونُوا بِلَيْفِهِ إِلَّا يَشِقِ الْآلَفُيسِ﴾
[النحل: ٧]. وما أكثر طبيّي السرائر الذين يغدون راضين بالأخلاق المذمومة
وراعبين فيها قائلين إنّ فلاناً أيضاً كذلك، وفلاناً بدأ ذلك. فهل ثمة عاقل يقتلع عينه
البصيرة قائلاً إنّ فلاناً لا عين له أو أعور؟ - أو يميز لنفسه ففعل القبيح قائلاً إنّ فلاناً
كذلك مخنث؟ لأنّ هذه الصفة في نفسها مذمومة وفيها أنانية وبُعد عن الله وعن
الأرواح الطاهرة. ولو لم تكن هذه الصفة أكثر قُبْحاً من العمى والتخنث لم تكن سبباً
للبعد، فإنّه في هذا الطريق وجدّ كثير من العُميّان والمخنثين الطريق عندما توجّهوا إلى
ترك الأنانية والخفلة. ولو تأملت في قليلٍ لعرفت وجوه القبح فيه كثيراً. وقد قلتُ
للسيّد مجد الدّين عدّة رموز، يسمّعها أيضاً. كتبه والده يُعرف بلحن قوله.

الرسالة الثامنة والستون

[إلى معين الدين برونه في تسليم خانقاه

نصرة الدين إلى حميد الدين]

[١٤٧] صَانَ اللهُ وَحَرَمَ دَاعِيَةَ الْخَيْرَاتِ وَالْحَسَنَاتِ، مَلِكِ الْأُمَرَاءِ، النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ، صَاحِبِ الدَوْلَتَيْنِ، سَعِيدِ السَّعَادَتَيْنِ، الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَالرَّكْنِ الْأَعْلَى، غِيَاثِ الْإِسْلَامِ، مَغِيْثِ الْمُسْلِمِينَ، السَّعِيدِ الْعَظِيمِ (قتلغ الغ - بالتركية) الْمُتَدَيِّنِ الْخَاصِّ، بِرَاوْنِهِ بَگ، أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ = (*) مِنْ آفَةِ الْمَلَالِ وَالسَّامَةِ الَّتِي هِيَ سَدٌّ فِي طَرِيقِ الطَّائِعِينَ!

يَطَالُعُ السَّلَامَ وَالاحْتِرَامَ، عَلَى التَّجْدِيدِ وَالتَّرْدِيدِ وَالتَّكَاثُرِ. وَيَتَفَضَّلُ بِالْعِلْمِ بِالِاسْتِثْقَاءِ الْمَجَاوِزِ لِلْحُدُودِ. وَإِنَّ الدَّاعِيَ الْمَخْلَصَ لِيَجْتَهِدُ فِي أَنْ لَا يَزْعِجَ الْجَنَابَ الْمُبَارَكَ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ وَالْمُرَاسَلَاتِ، وَلَيْسَ لِدَوِيِّ الْحَاجَاتِ مِنْهَلٌ وَمَشْرَبٌ آخَرُ غَيْرَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ مَاءُ عَيْنِ الْحَيَاةِ وَكَوْثَرِ السَّعَادَاتِ. يَنْظُرُونَ يَسْرَةً وَيَمْنَةً فَلَا يَجِدُونَ مَلَاذًا وَمَخْلَصًا مِنْ مَخْلَبِ الْفَقْرِ وَفَاقَةِ الزَّمَانِ عَدَا الْمَنْهَلِ وَالْمَشْرَبِ الْمُبَارَكِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مُسْتَدَامًا إِلَى أَقْصَى الدَّهْورِ وَالْأَعْوَامِ.

الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزُّحَامِ وَمَزْرَعُ الدَّهْرِ رَهِيْنُ الزَّهَامِ
لَا يَجُوزُ كَسْرُ قُلُوبِ الدَّرَاوِيْشِ ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ (١) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ [الضحى: ٩ - ١٠]. قَالَ الْجِدَارُ لِلرُّتْدِ: لِمَ تَشْقِيْنِي؟ - قَالَ: انْظُرْ إِلَى مَنْ يَدْقَنِي. ﴿ (١٠)

* تشير إشارة = هذه إلى أَنَّ مَا بَعْدَهَا (من آفة) متعلق بالفعل «صان» في مطلع الفقرة.

وأنه من دون اختيار، تتابع الإزعاجات، والمرجو من مكارم أخلاقكم أن تغفروا هذا الإزعاج الكثير، لكي يستجيب الحق، جلّ جلاله، لدعواتكم وحاجاتكم وحاجات أحبائكم والمتعلقين بكم من دون توقّف وانتظار «كما تدين تُدان».

حامل التحية، الابن المخلص حميد الدين - وفقه الله - بيمن همتكم دَخَلَ في زِيّ الصّالحين وترك الرّعونّة والشّباب وطهرَ ظاهرَ الجسد من الشّهوات والرّعونات ممّا هو في يده؛ لكي يبدّل الحقّ تعالى أيضًا قلبه ويتوجّه إلى ذلك العالم، ظاهرًا وباطنًا.

قال النبيّ عليه السّلام: «هذا عَنِّي فيما أملك، فاعفُ عَنِّي فيما لا أملك». وإنّ الخانقاه الذي لجّده نصره الدّين - رحمه الله - لا أحد يقوم على أمره «والصّوفيّ أولى بخيرته»، والمتوقّع من مكارم أخلاقكم الملكية أن تستعملوا سلطانتكم وعطاءكم وتفوّضوا أمرَ تلك الزاوية إلى الشيخ حميد الدّين لكي تحرّضوه على مزيد اكتساب العِلْم والعمل تقرّبًا لا تبعّدًا، رَغْبًا لا تنفّرًا. ومعلوم أنّ له على الدّاعي حقّ خدمة كثيرًا. وسأكون ممنّا وأعتبر أنّه قد فعل ذلك الإحسان من أجل الدّاعي مجدّدًا. والحمد لله أنّه من العنوان يفهم الرّسالة التي لم تُفتح، ومن الفهرس يفهم الكتاب إلى آخره. فالحمد لله على تلك [١٤٨] الفِراسَة الإلهية، اللهم، زِدْ ولا تنقُص. قال الله تعالى: «وسنزيد الشّاكرين، [مستفاد من الآية ٧ من سورة إبراهيم].

ومن عندنا، سلّم عليكم ويدعو لكم ملكُ المشايخ، جُنيدُ الزمان، أمينُ القلوب، قدوةُ الحقائق والأرواح، حُسامُ الحقّ والدّين، أدام الله برّكته.

الرسالة السابعة والتون

[في الظاهر إلى القاضي سراج الدين،

رسالة عرفانية]

يطالعُ مفخّرُ الصدور، مؤنسُ الفقراء، قدوةُ الأخيار - أدام الله علوه - السلام والتحية، ويعلمُ أن الداعي مستبشرٌ بالمشرفة [الرسالة] العزيزة. يقول الله تعالى لعبيد أنعمَ عليه: ماذا صنعتَ فيما أسبغتُ عليك من النعمة؟ - فيقول: يا رب، شكرتُكَ وحِذتُكَ، يعني شكرتُكَ بهالي وبنفسي وبلساني وبقلبي وبغيرها. فيقول الله تعالى: لم تشكرني إذا لم تشكر لمن أجريتها على يده، يعني لم تشكر لمن أجرى تلك النعمة على يده - صدق رسول الله فيما أخبرنا عن الله.

لأن الحق جلّ جلاله جعل ذلك الموفق وسيطاً لإيصال نعمة الحق إليك، كان شكره واجباً؛ مثلاً أن الله خلق جسمك، ولكن لأنه جعل أباك وأمك وسيطاً لكي يوفّر نعمة الجسد عليك بوساطة موافقتها على تربيتك، صار شكرهما واجباً [فقال تعالى] ﴿أَن أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾ [لقمان: ١٤]. كذلك عندما وصلت إليك نعمة العلم، صار شكر المعلم الذي جعله الحق وسيطاً واجباً أيضاً.

وهكذا يُحكى أن بعض الرهبان، الذين كان يُعتقد بصلاحتهم، اشتكوا في حضرة أحد العظماء قائلين إننا نتحمل العنت والفاقة أكثر من صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونحن أبعدُ منهم عن الشهوات، ولكن ما يحصلون عليه من الكرامات لا نحصل عليه نحن. فما السبب؟ فأجابهم ذلك العظيم قائلًا إن معرفة الله والزهد

والرهبانية والانقطاع عن الدنيا وأمثال ذلك، هذه جميعاً موروثة الأنبياء وإرشادهم،
 وإنه من دون إرشادهم لن يكون معلوماً لدى أي شخص معرفة الله والسير والطريق
 إلى الله تعالى، لأن ذلك موروثهم. وأنتم قد أدرثتم إليهم ظهوركم برغم أنكم قد
 حصلتم على هذه النعمة منهم. فقالوا: نحن نُقَرُّ بالأنبياء المتقدمين ونشكرهم. فقال:
 لأنهم نفس واحدة، يكون تكذيب أحدهم تكذيباً للجميع. مثلاً أن غَسَلَ الأعضاء في
 الوضوء شيء واحد من جهة الفائدة؛ فإن لم تغسل أحد الأعضاء فلن يفيدك غَسْلُ
 الأعضاء الأخر. ولأن الأنبياء يُقَرَّر كل منهم بالآخر ويشهد كل منهم على ثبوت الآخر
 الصحيحة، فإنك إن كذبت بأحدهم كذبت بالجميع. ويمكن القول حقاً إن ذلك نور
 واحد أشرق من كوة كل منزل من منازل أجسام الأنبياء من [١٤٩] شمس واحدة.
 فإذا صرّت ضد واحد من تلك الأنوار التي تكون في هذا المنزل المعين ومنكراً له،
 ثبتت الحقائق لك، تغدو منكراً للجميع. ونظير هذا أنه إن قال خُفَّاش: أنا مُقَرَّر
 بشمس البارحة، لستُ ضدّها، برغم أنني ضدّ لشمس هذا اليوم، قيل له: هذه
 البارحة واليوم أو القديم والجديد ليسا اثنين، ولكن البارحة بعيدة عن امتحانك.
 وكذلك مثلما تقول حيّة التراب: إنني سمكة ذلك الماء الذي كان يجري في النهر السنة
 الماضية، لا أسبح في هذا الماء. فيقال لها: هذا الماء هو نفسه؛ أما ذلك الماء الذي هو غير
 هذا في زعمك، فليس هو الممتحن في زمانك. ولا يتم بيانه ﴿وَلَوْ جَشَأَ يَمِيلُهُ مَدَدًا﴾
 [الكهف: ١٠٩]. جعل الله روحه الطاهر دائماً مستقيماً ماء حياة ﴿يَفْجَرُوهَا

تَجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]. آمين يا رب العالمين.

الرسالة السبعون

[إلى فلان الدين (٩) نصيحة أبوية لترك

طريق الشيطان]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ لا تحلُّ له فإن ثالثهما الشيطان». من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التَّهَم. من باشر خيرًا أو شرًا في جنح ليلٍ في بيتٍ مظلم جعل الله ذلك عليه بالنهار رداءً وشعارًا يُعرف به. يؤيده قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦]؛ يعني نجعل الخير والشر علامةً على أنفه يراها كل أحد.

يعلّم الابنُ العزيزُ فلانُ الدين - خلّصه الله تعالى من أيدي الشياطين - أنه في هذا الزمان تكون زاوية الخلوة تجتمعًا للشياطين. ولدى الأسود خوفٌ في هذا الزمان من الانقطاع عن الأصحاب الصالحين والجلوس في الخلوة. ولا يليق الخوف بالأسود لأن ذلك نقصانٌ للأسدية، وفتنةُ الشيطان أن هذا الأب تصامم عن خير العالم وشره، لكنهم كانوا يضعون أفواههم في أذني ويصيحون. والله الطالبُ الغالب إثمهم كانوا في هذه المدة يقولون أشياء عن ذلك الابن لو آتني رأيتها في المنام لحرمْتُ النومَ على نفسي. ولو كان السفرُ ممكنًا لسافرت. وفي النهاية، من قال إن ذلك مفيدٌ؟ إن فيه مئة ألفٍ ضرر. والله ما قال هذا إلا عدو. نُصيح مرّاتٍ عديدة، وذلك الابن أول ذلك ووضعَه تحت البساط ولم يؤوّل خداع النفس، مثلما تصوّر ذلك الشخصُ في ثبوة موسى كثيرًا من الأخيلة والإشكالات والتأويلات ولم يتصوّر لألوهية العجّل أي تأويل.

في استطاع هذا الأب دعوة ودعاء، بحق قوله ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦] [١٥٠] و﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. الدعاء نفسه عملي والدعوة هي ما أقوله مرة ومرتين مثل نوح ﴿أَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]. وإن شاء الله لا تقول ﴿سَقَاوْنِي إِنْ جَبَلٍ يَعْصِيُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣]، يعني الجأ إلى عبدي مرحوم وكن ملازمًا لذلك المرحوم، وإلا فلنأك أينا ذهبنا وجدنا الخسران. ماذا الذي غرك بطيش الشباب؟ ومهما يكن فإن أخاك أصغر سنًا منك. وأسفاه، كان ماذونًا له أن يحدثك عن حاله. الله، الله، يعرف ويخرب تلك الحجرة. أجد صعوبة في أن أنصح إنسانا في وجهه. الفم مملوء، ولا إمكانية للقول؛ القلب مملوء، ولا إمكانية لكتابة ذلك. وفي النهاية اخش من روح ذلك العظيم، واخجل من روح ذلك السلطان. والمنزل الذي كان حسن السمعة ومشارًا إليه بالبنان كالبيت الحرام، اقترب من أن يغدو مشهورًا مثل خان ضياء الدين.

والله، وبالله، إن روحه يزار مثل الأسد وهو عارف بكل قليل وكثير يجري. ويمكن أن يهبط على رأسك. لا تحلف ولا تنكر ولا تقلب الأحوال ﴿وَقَلْبُوا لَكُمْ الْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨] لأن الإنكار لمرة واحدة ذنب آخر. وابدأ مثل آدم وقُل رَيْنًا ظَلَمْنَا ﴿[الأعراف: ٢٣]، ولا تحتاج مثل إبليس. وإن تحسنت حالته الإنسانية، فالله الله أن يتمسك بشيخ ولا يلقي بنفسه تحت الشياطين الضعيفة - وفقه الله وقواه وأيده بنصره. الله الله، يلزم صحبة شيخ الشيوخ المشايخ، إمام الوقت، حُسام الدين، إن كان هناك حجاب يحجبه عني، أو لم أكن في موضع

معين. الله الله الله، لا يسرُّ الأعداء.

إذا سمعَ العدوُّ عن هذه الحال غداً مسروراً

فبالله عليك، لا تكن على هذه الحال؛ لأنها سرورٌ له

تكون الدنيا مسرورةً عندما تُذيق العاقل المرارة

لأنَّ الحياةَ الحلوَّةَ تموتُ مُـرَّةً

والسَّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

الرسالة المحامية والتبجون

[إلى القاضي عز الدين في تسليم تركة

أخت فخر الدين إلى أخيها]

أطالَ اللهُ بقاءَ قاضي القضاة، ناشِرِ العَدْلِ والحِسانات، الصِّدْرِ الذي استحقَّ

الصِّدْرَ بِسَعَةِ الصِّدْرِ، [١٥١] وفاقَ الأفاضلِ بعلوِّ القَدْرِ، بقيَّةِ السَّلفِ، أستاذِ الحَلَفِ،

مفتيَ الفريقين، إمامِ المذهبتين، الأجلِّ الكبيرِ، العالمِ النَحْرِيرِ، البذرِ المنيرِ، عزَّ الحقَّ

والدِّينَ علاءَ الإسلامِ والمسلمين، علَّمِ الهدى واليقينَ - أدامَ اللهُ علوَّهُ ويسَّرَ له اليسرى

وجنبَه عن العسرى، ولا زالَ السَّعدُ له خادماً والإقبالُ ببابِه ملازماً، كلاًهُ اللهُ ورعاه

ومن الخير لا أخلاه.

يطالعُ السَّلامَ والاحتفاءَ من هذا الدَّاعي المخلصِ، الشَّاكِرِ الذَّاكرِ. ويعلمُ أنَّ

الاشتياقَ لملافةِ الذَّاتِ الشَّريفةِ لمفيضِ الفوائدِ والنِّوادرِ، متجاوزٌ للحدِّ - جمعُ اللهُ بيننا

على بساط الصدق ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. آمين يا رب العالمين.

خيالك في عيني واسمك في فمي وذكرك في قلبي إلى أين أكتب؟

أنا وأنت جعلت الإنسان اثنين
ومن دون «أنا وأنت» تصير أنت أنا وأصير أنا أنت
ومتى كانت ذواتنا منفصلة عنا
ذهب أنا وأنت، وبقي الله
﴿كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢]. الله يجمع بيننا ويرفع
لبعد عن بيننا.

أيتها الأرواح الطاهرة في أكوام التراب
إلى متى أنتم مستقرون مثل أهل سقر
ما زال الوقت متأخراً لكي يُقرع طبل المحشر
فيا أبناء الأحياء، ارفعوا رؤوسكم من هذا التراب
لا بد من ليل دائم وشعاع قمر منير

لكي أحدثك عن ألوان الغم التي أحدثتها في
عندي جمل من اشتياق وفصول لا يمكن شرحها بكتب ورسول
بل أنتظر الزمان والحال يحول أن يجمع بيننا فتصغي وأقول
وقوله «تصغي وأقول» تفسير له «يجمع بيننا»؛ لأنها عندما يجتمعان على شرط

عين الجَمْع تُكشف الأحوال من دون وساطة القول الظاهر؛ وإن بقيت بعض الأحوال من دون انكشاف وكانت محتاجة إلى البيان بذكرها بالقول، فإنه لا يكون هناك جمع، بل التفرقة قائمة؛ ذلك لأن التفرقة ليست من جهة المكان، لأن الروح [١٥٢] ليس مكاناً، التفرقة من توسط الحُجُب. يكونون مجتمعين عندما ترفع الحجب تماماً.

وهذا مكشوفٌ للخاطر الأشرف، فلا حاجة إلى الإطالة. «العاقل تكفيه الإشارة»؛ لأنه يتكلم وينبّه^(١)، والعاشق لا يكفيه ألف إشارة؛ لأنه يتكلم ويشير لا للتفهم وخده بل لالتذاده و(اغتناء روحه بدل^(٢)) المحبوب ظاهراً وباطناً.

يُعَلِّمُ أَنَّ الابْنَ العزيز، طالبَ الحقِّ، فخرَ الدِّين - دامت سعادته - من الدَّاعِينَ والساكِرِينَ لتلك الحضرة. وهو مشغولٌ ليلاً ونهاراً في تحصيل دُرسِ العشقِ والتَّنبِيهِ على التقوى ووجيزِ القناعة وتوسطِ قوتِ القلبِ وبسيطِ المعرفة والجامعِ الكبيرِ في مقعدِ صِدْقٍ^(٣)، ويخوض في أصولِ أصولِ الأصول، ولديه همّةٌ ونَهْمٌ في طلبِ العبورِ من العلوم والوصولِ إلى المعلوم، وهو الحقُّ تعالى. وإنَّ أختَه، المرحومة، انتقلت إلى الآخرة، غفر الله لها، ومن الأفضل أن تُصرف التَّركَةُ الموجودةُ في أبواب الخير، ومن الخير إعطاءَ تَرْكِهَا لأخيها فيكون في ذلك صدقةٌ للمتوفاة ﷺ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى

١- جاءت هذه الكلمة هكذا في الأصل: ونُسيبه، وقد أثبتنا في المتن ما اعتقدنا أنه صحيح [المترجم].

٢- هذه العبارة بالعربية هكذا في الأصل: اعتذار وجه يذلّ، ويدو أن الصحيح هو ما أثبتناه في المتن [المترجم].

٣- الظاهر أن مولانا يوظف أسماء بعض الكتب التي هي أصول ومصادر للثقافة الإسلامية في عصره، في الإشارة إلى ضرورة إصلاح الباطن والسَّرف قبل استظهار الثرون المتصلة بظاهر الدين [المترجم].

يَبْعُثُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿[الأنفال: ٧٥] خَاصَّةً مَثَلِ هَذَيْنِ الرَّحْمَنِ إِذْ تَحْصِلُ صِلَةُ الرَّحِمِ الدِّينِيَّ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَتَسْعَى فِي إِحْيَاءِ نَفْسِهَا، فَذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِحْيَاءٌ لِلْخَلَائِقِ جَمِيعًا، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

يَصِلُ الْإِبْنُ الْمَخْلُصُ صَدْرُ الدِّينِ - دَامَتْ سَعَادَتُهُ - بِحُكْمِ الْوَكَالَةِ. وَالْمَوْثُلُ وَفَقًا لِقَانُونِ اللَّطْفِ وَرِعَايَةِ الْمَسَاكِينِ وَبَسْطِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْجَنَابِ السِّيَادِي وَالْأَبُويِّ، أَنْ تَأْمُرَ الْعَنَاءُ بِأَنْ يَصِلَ الْحَقُّ إِلَى الْمُسْتَحَقِّ، فَيَتَهَجَّ رُوحُ تِلْكَ الْمَتَوَفَّاءِ وَيَكُونُ ذَلِكَ ذَخِيرَةً لِيَوْمٍ يَحْتَاجُ فِيهِ النَّاسُ إِلَى مَا يَقْدَمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مِنْ خَيْرٍ. وَإِنَّ حَدِيثَ «عَذْلُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً» فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَغْدُو ظَاهِرًا وَمَكْشُوفًا وَعَسُوسًا ﴿يَوْمَ بَلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]. وَالْأَلَطَافُ الَّتِي تَفْضُلُ بِهَا قَبْلَ هَذَا وَتَفْضُلُ بِهَا، مِنْ حِفْظِ الْغَيْبِ وَسِتْرِ الْعَيْبِ، عَلَيْنَا شُكْرُهُ وَعَلَى اللَّهِ جَزَاؤُهُ. جَزَاهُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى بِهِ مُحْسِنًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعُفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

إِكْرَامُ أَهْلِ الْمَوَى مِنَ الْكَرَمِ وَأَمَّةُ الْعَشْقِ أَوْضَعُفُ الْأَمَمِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ حَوْلَكُمْ وَمَنْ حَلَّ يَوْمًا بِوَادِيكُمْ وَعَلَى أَهْلِ نَادِيكُمْ، ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥]. دَمَتْ مَغِيثًا لِلْخَلَائِقِ وَمِيتًا لِلْحَقَائِقِ! وَالسَّلَامُ.

الرسالة الثانية والتبعون

[إلى سعد الدولة والذين في التوصية

بالسيد شرف الدين]

[١٥٣] جعلَ اللهُ الخيراتِ والحسناتِ والصدقاتِ والصلواتِ التي يؤدّيها الأميرُ قائدُ الجيشِ، الأجلُ الكبيرُ، العالمُ العادلُ، المؤيّدُ المظفرُ، المنصورُ المجاهدُ، مرابطُ المثارِ، أسدُ الوغى، مقدّمُ الجيوشِ، المخلصُ للملوكِ والسلاطينِ، سعدُ الدولة والذين - أدام اللهُ علوّه وإقباله وحققَ آماله وأيده بروحٍ منه = مقبولة (*) لدى حضرة وليّ الحسناتِ مجيبِ الدّعواتِ قاضي الحاجاتِ! أولياؤه منصورون، وأعداؤه مهجورون؛ وإن أعزّ الأولياء العقلُ الناصحُ، وأعدى الأعداء النفسُ الأتّارة.

ياخذني الروحُ إلى حضرة حُورِ الرياضِ

وياخذني الجسدُ لخدمة القبورِ القذرة

الروحُ الطاهرُ هو عيسى وهذا الجسدُ الدّنسُ حمار

ويرميني الحمارُ العنيدُ إلى عيسى

لكي يظلّ طاسُ الزمانِ هذا لا محالة

يعزف على صدري أنغامًا متتابعةً مثل الهاون

طوبى لمن يقطع رأسَ النفسِ الأتّارة، التي هي العدوُّ لدينتنا ودولتنا وقاطعُ

* المفعول الثاني لـ «جعلَ» في مطلع الفقرة [الترجم].

الطريق علينا في الدنيا والآخرة، بصمصاص الخيرات والطاعات، لكي يكون غازياً ويكتب لقبه مجاهداً، ليس في ديوان الدنيا بل على ساق العرش؛ أيده الله وتقبل حسناته ووقفه لشكره ﴿اعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبا: ١٣].

يقبل من هذه الناحية السلام والدعاء، والاشتياق إلى إدراك الحقائق. وبرغم أن الرؤية قريبة العهد، لكن الروح لا يقنع بتلك الملاقاة:

أعانقُها والنفس بعدُ عشيقَةٌ إليها وهل بعدَ العناق تداني؟
يسر الله وهياً الملاقاةَ والموافاةَ بأسرع الأزمان وأيمنِ الأوقاتِ وأسعدِ الحالاتِ!
آمين يا رب العالمين.

حامل الذكر، السيدُّ الأجلُّ، الحسيبُ النسيبُ، شرفُ الملة والدين - أدام الله شرفه - مستقبلُ حضرتكم، والإحسانُ والإكرامُ الأُميريَّ في حقِّ جملة أهل الخير فائضٌ ومشهور، لا سيما في حقِّ السادات الأعزَّة - ضاعفَ الله عزَّهم. المأمولُ من الإنعام العام والإكرام الرَّامِ [المُصلِح] والعناية بالدراوِش وبَسْطِ الفضل لدى ذلك العزيز، أن يعودَ السيدُّ الأجلُّ من ذلك الجَنابِ العالِي شاكراً وذاكراً، مثلما يعود الفقراءُ والصلحاءُ والمؤمِّلون الآخرون من حضرته شاكرين ومُثْنين؛ لكي يحصل الثواب الجزيل [١٥٤] وينضمَّ ذلك إلى الإحسانات الأُخر. جعلَكَ اللهُ دائماً مقصِدَ الرُّجال وعطَّ الرِّحال! قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «الحَقُّ عيالُ اللهِ فخيرُ الناس أنفعُهم لعياله». والسلام.

الرسالة الثالثة والسبعون

[إلى فخر الدين أو القاضي عز الدين

في النصيحة من جديد بفخر الدين]

أطال الله بقاءَ قاضي القضاة، الصَّدرِ الكبير، البَذرِ المنير، الحَبَرِ النُّحرير، المحقِّقِ المدقِّق، علِّمِ الهدى، معِدِنِ العِلْمِ والتَّقَى، بقيَّةِ السَّلف، أستاذِ الخَلَف، عزِّ المِلَّةِ والدين، شَرَفِ الإسلامِ والمسلمين، ناصِحِ الملوك والولاة - أدام الله علوَّه للدين وحياطته، وللحقِّ ورعايته، وللمظلوم وإعانتته، وأدامه الله على المكارم وأيده، وبسط بكلِّ خير يده وعُمره، وزين الدنيا وأهلها بأفضاله - بحقِّ محمد وآله.

يطالعُ السَّلامَ والتَّحِيَّةَ وَيَعْلَمُ بأنَّ الاشتياقَ إلى رؤيته - التي هي روضةُ الآمال ونزهةُ الأبصار ومُحِجُّ الأقيار، تفرَّ بلقائه العيونُ ويُسَّرُّ به المحزونُ، إذ جعله الله للسرور نظامًا وللنعمه تمامًا، لا وحشةَ مع مقابلتها ولا أنسَ مع مفارقتها - غالبٌ. يجعلُ البارئُ تعالى للملاقاة سببًا خفيفًا، إنَّه سميعٌ لطيفٌ.

الإزعاجُ الذي أحدثناه قَبْلَه بالألطف - كافاه الله ما كافى به محسنًا عن إحسانه، فإنَّ الله أَمْلَكَ لجزائه مِنِّي وأوسعُ لمؤنته، واللهُ المعينُ على صالحِ النِّيَّةِ والعملِ والمكافئُ للحسنة بسبعِ مئة، وأدناها بعشْرِ، وأكثرُها لا نهايةَ له.

يُعْلَمُ أنَّ جماعةً من أقاربِ الابنِ العزيزِ المخلصِ فخرِ الدين، أيده الله بعونه، بسببِ شُحِّ النفسِ وسُخْرِ الدنيا، إذ «الدنيا أسحرُ من هاروت وماروت»، صاروا متاعين للخير لكي لا يصل ما هو حقٌّ تامٌّ إلى مستحقِّه؛ خاصَّةً مثل هذا المستحقِّ الذي يجعلُ كلَّ شيءٍ فداءً في طريقِ الحقِّ ﴿أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة:

[٢٧٣]، ويأتون بالحِيل والمعاذير قائلين إننا نُشْفِقُ، ﴿وَقَلِّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨]؛ لِيَلْبِسُوا عَلَى النَّاسِ ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

المؤمِّل من كمال لُطْفِ ذلك العظيم وإحسانه وعنايته وسيادته أن يجتهد في إيصال ذلك الحقِّ إلى صاحبه، وأن يحملَ المانعين [على ذلك] بكفايته وعلمه الشريف، لكي يمتنَّ [١٥٥] على هذا الدَّاعي وتكونَ زيادةً على الإحسانات السابقة؛ فإنَّ «إِتِّمَامَ المعروف خيرٌ من ابتدائه». إنَّ الإحسانَ مثلُ الهلالِ؛ فالهلالُ برغم أنَّه لطيفٌ ومباركٌ ومضاعفٌ للسرور، عندما يصل إلى التَّمام ويغدو بدراً كاملاً ينوِّرُ العالمَ. مثلما أنَّ ابتداء الطَّاعة بإتِّمائها - أيَّده اللهُ ووفَّقه، وهو وليُّ التوفيق. اللهُ اللهُ أن يحقِّق هذا المطلبَ المهمَّ ناسِجاً في هذا الخير على منواله وجارياً فيه على عادته في تمتين الدِّين ونصرة الحقِّ ﴿إِنْ تَصْرُوهَا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، التي هي صِفَةُ خَلْقِيَّةٍ وَجِبِلِّيَّةٍ له طَبْعاً لا تَكْلَفاً، ليس التَّكْحُلُ في العَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ،، مَذْخِراً ليوم ذلك المعاد. جَعَلَهُ اللهُ تعالى دائماً كاشفاً لمشكلاتِ الخواصِّ ومُضِلِّحاً لخطوبِ العوامِّ ومغيثاً للمظلومين ومربيّاً للغاشمين. آمين يا ربَّ العالمين.

الرسالة الرابعة والسبعون

[إلى سيّد العالم من رجال قُوْنِيَّة]

رسالةُ شكر مسجوعة

الرَّوْحُ الْمُبَارَكُ لسيّد العالم، الفاز من هذه الدُّنيا المشتاقِ إلى تلك الدُّنيا، إلى الجانب

الذي لا جانب له، المتزّه عن الجوانب والأركان، في كلّ ساعة ينظر ويناجي سرّاً من أعماق قلبه وروحه مرشداً لنا إليه من هذه الصحراء، وموصلاً إيانا إلى ساحل الخلاص من أمواج هذا الطوفان؛ فيجيب الحقّ إنّ خلاصَ الخلقِ دائماً وفي كلّ زمان قد رُبط بواحدٍ من خواصّ العبيد؛ لكي ينظر إليه الخلق، ولا ينظروا إلى السماء؛ لأنّ بابَ السماء لا يُفتح لكلّ أعشى البصّر حيران. فانشُدْ رضى وليّ الله، ولا تشغلْ بالك بكيوان [زُحَل]، إذ يقول الرسولُ الصادقُ سلطانُ الصادقين عليه صلواتُ الرحمن: عندما تعجزون، يا أمة المؤمنين، في آخر الزمان، وتمتلككم الحيرة والاضطراب، التمسوا رضائي من عبدٍ خاصّ لي، فظنّوا به ظنّ أهل النور، لا كظنّ أهل الظلمة. وهكذا فإنّه في طوفان نوحٍ عليه السلام، لم يكن هناك أيّ ملجأ إلاّ التوجّه إلى نوح، فطوى لأرواح النوحيتين! ويقول الرسولُ عليه السلام: يا أمتي، إنّهُ يوجد في كلّ زمان طوفانٌ ونوحٌ، وقُطِبَ ذلك الزمان، الذي هو خليفة الوقت، هو سفينةُ نوح في ذلك الزمان. وكلّ من تمسّك به نجا من الطوفان. وهذه الكلمات بيانٌ وإشارةٌ إلى سيّد العالم - أدامَ اللهُ علوّه على مرّ الزمان - جزاءً لتلك الإحسانات الوافرة التي تفضّل بها هذا الوليُّ للإحسان؛ [١٥٦] فإنّ ذا الكرم المطلق لا يُضيع أبداً إحسانَ المحسين ف

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

أي فنخّر المحسين، اسمع شهادة المنصفين، واقرأ رسالة الأصحاء، وأجرِ الماء كما تشاء، ولا تُجرّه في الأرض المالحة وفي الأرض ذات الحجارة، بل أحسنْ هذا الإحسان إلى أحياء القلوب الذين يقول في شأنهم: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨] واعرفهم من بين الجهّال، الذين برغم ارتدائهم الخِرقة والطيلسان

ليس لديهم نورُ الروح وحكمةُ اللسان. وما أَكثَرَ الحِرَقَ والعِثَمَ والطِيالِسَةَ التي عندما تنظرُ بعين المعنى تراها محترقةً في نار جهنم قائلةً «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ». ومهما يكن فإنَّ الكفَّارَ في كُلِّ زمان كانوا يتطاولون على الأنبياء ويتطاولون على الغرباء. كانوا يعقدون الحجرَ بِطَرَفِ العِمامة ويكسرون الجواهر بالحجر - بعيدًا عن أحبابكم - لا جَرَمَ لن يقبل صدقاتهم، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤]. وأولئك الذين أضاءَ أبصارهم إذا ألْقُوا إلى ذنْبٍ وَكَلَبَ عَظْمًا يعلمون أنهم إنَّما يُعطون لذنْبٍ وَكَلَبٍ، وإذا أعطوا إلى يوسف الصِّدِّيقِ وَلِيِّ الحَقِّ لُقْمَةً يعلمون أنهم يُعطون ليوسف، وبرغم أن الاثنين كليهما يعملان، ولكنهم يميزون.

ولا أريد أن أُثْقِلَ بهذا الخير، بسبب قَرُطِ الخجل من المضايقات السابقة؛ ومن جديد عندما يشاء الحقُّ تعالى أن يؤدي هذا الخيرُ الخطيرُ بمساعدة لسانكم وضميركم وَقَدَمِكُمْ وَنَفْسِكُمْ وأنتم الفاتحُ للمغالق ذو الرأي المبارك المزين للعالم إذ ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦] يقضي أن نأتي بالمضايقة مرةً أخرى إلى حضرتكم، فقد كنتم المرسومين والمعهودين والمألوفين لمضايقاتنا السابقة.

قَدْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى فَضْلِهِ
وإنَّ إِتِمَامَ مثل هذه الخيرات هو عملكم. والآن ماذا يقول الداعي وضميركم المبارك نفسه يتحدَّث من جهة الداعي ويسمع. ولكن عندما نويت النيةَ الحسنة، فلا تتحوَّل عنها. رَغِيفُ الخبز الذي أعطيتَه لثل هذا الدرويش في الشتاء لا تجعله نصفين

[قائلًا] إِنَّ ذَلِكَ الدَّرُوشَ يحصل على خبز كثير، ولكنك لا تجد مثل ذلك الدَّرُوشَ لكي يغدو سببًا لدوامِ دولةِ سلطاننا، السلطانِ الصافي الروح، فخرِ السلاطين، مهدي آخرِ الزمان، صاحبِ طالعِ عنايةِ الديان ونظرِ أهل الإحسان، ضاعف الله دولته، إن شاء الله تعالى.

الرسالة الخامسة والتبعون

[إلى تاج الدين معترف في التوسعة بفخر

الشايع]

مصورُ الرأي العالي، افتخارُ الصدور والأيمان، الصّدُرُ المعظم، الدستورُ المكرّم، ملكُ الوزراء، معينُ الحق، [١٥٧] الجليلُ الأصيل، تاجُ الدولة والدين، عضدُ الإسلام والمسلمين - أدامَ الله علوه وضاعفَ إقباله وأيده بروح منه.

بعد أداء وظائفِ السلام والتحية، يُراد الاعتذارُ عن المضايقات. وإنّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا. وكلُّ مَنْ في روحه نصيبٌ من حقيقة الإسلام، يكون غريبًا بين الناس، والخلقُ لا يختلطون به ويعيش غريبًا، وهكذا كان الخلقُ يقصدون قتل الأنبياء والأولياء ويتهمونهم ويخرجونهم من ديارهم مثلما يحكي الحقُّ تعالى ﴿فَقَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا نَقَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] إلى أن يأتي نصرُ الله. وكذلك هي حال حيوانات اليابسة مع حيوانات البحر، برغم أنها قبيلتها ومواطنها لا تختلط بها؛ وهكذا قال إبراهيمُ لأبيه وخاصته عندما رأى غريبتهم: أنا بريءٌ منكم (مستمدٌ من

مدلول الآية ٢٦ من سورة الزخرف). إلا غريبًا مشاركًا يكون له أيضًا لباسٌ من تلك القطعة من القماش وأثرٌ وعلامةٌ من تلك النار، فإنه عندما يسمع من هذا الغريب نفَسَ الغرباء تجيش نفسه بعاطفة المجانسة والمواطنة وتظهرُ القِرابَةُ [كما قال تعالى] ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، «وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبٌ». إنَّ محبَّتكم وإخلاصكم نادران وغريبان، ولن يخفى عليكم أنَّ ما يُظهره هذا الداعي وما أظهره من استحقاق فَعْرِ المشايخ - أدام الله بركته - مُنَزَّةٌ عن الغرض والعلَّة وليس على جهة التقليد والقياس؛ فإنَّ ضياء الدين المرحوم - برغم أنَّ كلَّ إنسانٍ في مقامه جميلٌ - متميِّزٌ جدًّا وشتانٌ ما بينه وبين سواه، ولو جاهدتْ مئةَ سنةٍ ما أدركتْ غِبارَه. فكيف لا يكون ما حُفِظَ له كثيرًا. ومن ذلك كلُّه التمس هذين المقامين. وإنَّ الأعداءَ وأربابَ الأهواءِ العُمى البصائرِ والأبصارِ يغتصبون من دون تمييزٍ [قائلين] إنَّ هذينِ كثيران. بالله وتالله إنَّ غرض الداعي هو صلاحُ المُلْكِ والمِلَّةِ ولا تتسعُ هذه الرقعةُ لأكثر من هذا الشَّرح. آمَلُ، من أجلِ زاد الآخرة والمَدَدِ في يوم العجز، أن يُساعدَ في تحقيق هذا الخير الخطير، ولا حاجة إلى الوصية:

أستاذك هو العشقُ، فعندما تصل إليه

سيقولُ بلسان الحال: هكذا افعلْ

—

أعلَمُ أنك نَمِزُ الجوهَرِ من الزَّيْدِ والغناء

تعرفُ البازَّ الأبيض من الذَّبابِ

برغم أنَّ لكلَّ قطعة حديد قيمةً ولا تخلو من فائدة، يعلمُ العقلُ أنه لا بدَّ من

غُصَصِ كَثِيرَةٌ وَمَجَاهِدَاتٍ وَأَزْمَانٌ لَكِي تَصْبَحَ قِطْعَةً حديدَ مِرَاةٍ لِلْكَائِنَاتِ وَآيِرَةً
لِلْعَالَمِ.

وَصَلِّ الْقَلَمُ إِلَى هُنَا فَانكسَرَ رَأْسُهُ
وَقَفَكَ اللَّهُ عَلَى الدَّوَامِ.

الرسالة السادسة والتسعون

[إلى فخر الدين علي صاحب العطاء في
طلب مشيخة خانقاه لحسام الدين
جلبي]

[١٥٨] دَامَتِ السَّعَادَةُ وَالْإِقْبَالُ وَخُلِدَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي لِلْمَلِكِ الْوُزَرَاءِ، أَصِيفَ
الزَّمَانِ، عَمْدَةُ السُّلْطَنَةِ، أَبِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، مَغِيثِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، بِاسْطِ
الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ، مَنْشِئِ الْخَيْرَاتِ وَالْكَرَامَاتِ، الصَّاحِبِ الْأَعْظَمِ، الدِّسْتُورِ الْمَعْظَمِ -
أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ وَخُلِدَ دَوْلَتُهُ، وَلَا زَالَ السَّعْدُ لَهُ خَادِمًا وَالْإِقْبَالُ لِرُكَابِهِ مَلَاذِمًا. وَمَهَّدَ
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ وَشَيْدُ، فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى تَقَادُمِ الْأَدْوَارِ وَتَجَدُّدِ الْأَطْوَارِ، أَسْبَابَ الرَّفْعَةِ
وَالسَّعَادَةِ وَالْمَكَانَةِ؛ إِنَّهُ مَجِيبُ الدَّعَاءِ.

يَطْلُعُ السَّلَامُ وَالِدَّعَاءِ مِنْ هَذَا الدَّاعِي الْمَخْلِصِ وَالْمَحِبِّ الصَّادِقِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ
الِاشْتِيَاقَ إِلَى طَلْعَتِهِ الْمُبَارَكَةِ وَزِيَارَتِهِ الْمَغْتَنِمَةِ غَالِبٌ وَبَاعَثَ. وَلَآنَ قَرُطُ رَغْبَةِ الْهَمَّةِ
الْعَالِيَةِ - لَا زَالَتْ عَالِيَةً - مَطْلَعٌ دَائِمًا إِلَى الْمُحْتَاجِينَ وَالْمُسْتَحْقِينَ وَالْمَظْلُومِينَ، خَاصَّةً

أهل التقوى والذين الذين هم خلاصة الوجود، صار من الواجب عَرَضُ أبواب الخير ومصارف الإحسان على الرأي العالي لكي يظل الماء جاريًا في نهر خيرات ملك الوزراء بحسن سعيه، وتبقى أرض مزرعة الآخرة مرتويةً بهاء طاعته وإحسانه.

وفي هذه الأحوال لا يخفى أن الوقت العزيز لفخر المشايخ والأبدال - أبي يزيد العَظْر جُنَيْد الزمان أوحِد الرجال حسام الدين أدام الله بركته - مستغرق بالخلوات والمراقبات، ولا شك في أن أسباب الدنيا في خَلَل. والحق تعالى، من أجل سعادة الخلق، لم يرزق أولياءه من خزائنه الخاصة مع كمال قدرته، لكي يحول أرزاقهم إلى الخلق، من أجل ابتلاء الخلق وامتحانهم، إذ يقول سبحانه على لسان عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنْصَرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

كان الحق تعالى قادرًا على نصرته؛ طلبُ النصرة من الخلق هو من أجل رحمة الخلق. وهكذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ويقول: ﴿إِنْ تَصَرُّوا اللَّهُ يَصْرِكُمْ﴾ [محمد: ٧]، من أجل رحمة الخلق، لأنه لا يتيسر لكل إنسان أن يغدو نجيًا للخلق، لكنهم إذا أرادوا مُوَادَّةَ الحق وأدوا أولياء الحق وساعدوهم بالمال والنفس وبكل ما هو ممكن، ولا يتصورونهم مثل الآخرين، وبرغم أنه

.....

في هذا الطريق، يكون الذباب كالتطاووس في العمل فإنه ليس هناك صاحب تمييز يساوي بين الطاووس والذباب. يقول اغتنموا وجود

هذه الطائفة [١٥٩] الغريبة النادرة من أجل أنه عندما تأتي دولتهم ويكون ذلك الزمان وفقاً لمرادهم يكونون عوناً لكم، وإذا ذاك لا تتحسرون ولا تقولون: ﴿وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ﴾ [الشعراء: ١٠١]، فإنه في ذلك اليوم لا يُساعدُ حبيبٌ حبيباً البتة إلا مَنْ كان قد أحبَّ أولياءَ الحقِّ إذ ﴿الْأَخْلَاقُ يَوْمَئِذٍ بِغَضٍّ لِّبَعْضٍ عَدُوٍّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. ولو كان أحدٌ في هذا العصر غير ملك الوزراء - ضاعف الله علوه - موفّقاً لأداء عظام الخيرات، لما أعطيت هذه المضايقة المملوءة بالرحمة إلى تلك الحضرة.

وقد خلا حالياً المسكن الذي انتقل عنه الشيخ صدرُ الدين، دامت بركته، وإذا أعطيتموه فسيكون لذلك أثرٌ عظيم، وستكون مِنٌّ على هذا الداعي وعلى دائرة أهل الخير الملازمين للدعاء. دمتُم مسنداً للخيرات ومصدراً للسعادات!

الرسالة السابعة والسبعون

[إلى فلان الدولة والدين (؟)]

[في التوصية بحامل الرسالة]

أوصلَ اللهُ نُجَجَ المقاصد والمرادات، وحصولَ المرام والأمنيات، وكفايةَ الخطوب والمهمات الدينية والمالية الحالية والمآلية، لمن هو الذاتُ المطهَّرةُ العاليةُ والهمةُ المباركة والطلعةُ السعيدة، من هو حَدَقَةُ العَدْلِ، بِذَرَّةِ الكَرَمِ، رَضِيعُ المجد، مصدرُ الشرف،

غائص بحر الدرّ، تریاق سمّ الضرّ، أعزُّ أركان المملكة، ربيعُ جنان السلطنة، نورُ
الدولة المنصورة، فرحُ القلوب المحصورة، صبحُ الجلال، قبلةُ الإقبال، فلانُ الدولة
والدين، أدام الله علوه في حدائق السرور والنعم = إلى أقصى (*) الغايات ولأعظم
النهايات.

سلامٌ لا تدرُس آثاره بتأثير رَبِّ المنون، ونحيّةٌ لا يطمس كمالها السّنون
والقرون، يؤدّيان كلّ صباحٍ على الدوام من خلاصات المودّة القديمة ورقائق المحبّة
المقيمة - التي عقدها العاقد المطلقُ جلّ وعلا بين حقائق أرواح المؤمنين قبل فَنَحِ
القبالب بستّ مئة ألف سنة إذ ﴿ وَالْفَ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣]، ويُنظر بنظر المودّة التي لم تلوّث بقذى
عوارض الغضب ولم تنعدم بتأثير طوارق الجفاء، بالخيالِ المشرف، إلى ذلك الوجود
المبارك . ومن مرآة الضمير أسأل الباري تعالى أن يجعل نتائج هذا السلام والتواذ
والاتحاد والصلة الظاهرة الخفية، مضاعفةً للسرور كلّ يومٍ لدى الضمير الأشرف، لا
زال مشرفًا، إنّه رؤوف بالعباد.

[١٦٠] كنتُ أريد بين الفينة والأخرى أن أزيل عن مرآة المودّة غبارَ النسيان،
فألتمس في التحية والمراسلة سببًا لذلك، إلى أن أتى حاملُ الخدمة، الذي هو من
المحبّين لتلك الحضرة والممتنين لمئة ذلك الكرم، فاستشفع الداعي المخلص إليكم

* الجار والمجرور متعلّقان بالفعل «أوصل» في مطلع الفقرة [المترجم].

بكتابة هذه الكلمات القليلة المزوجة بالمحبة على أمل أن يزيد نظرُ العناية والتربية اليومَ ما كان وليُّ الإنعام والتربية، دام علوه، قد وظَّفه في حاجاته. فقد وجد نظرُ العناية ذلك أكثرَ اقترانًا بالفعال الحسن من نظرُ المشتري، وتبين أنه أكثرُ بركةً من غرة العيد الأكبر.

والتوقعُ أن ينقلب مسرورًا بالموئل منه، فإنه بذلك يكون كثيرٌ من الخلائق شاكرين وذاكرين لتلك الحضرة إنجاحها حاجاتهم المختلفة. والموئل أن يكون ذلك سببًا لمزيد نور الدين والدولة، ومضاعفة الإقبال والسعادة. آمين يا رب العالمين.

الرسالة الثامنة والتبعون

[إلى معين الدين برونه، في طلب

المساعدة لحسام الدين جلبي]

جعلَ اللهُ أبوابَ خيراتِ ملكِ الأمراء، سيدِ الخواص، مُغيثَ الخلائق، زكيَّ الحقائق محيي العَدْل، وافرِ الفضل، نادرة الزمان، زعيمِ الأمن والأمان، الشريفِ الذِّكر، الدقيقِ الفكر، وكَبَتْ حاسِدَه وعدوَه - مفتوحة (*) ومضاعفة! يطالعُ السَّلامَ والدَّعاءَ والاشتياقَ، ويعلمُ بأنَّ التعطُّشَ إلى لقائه المباركِ الجميلِ

* المفعول الثاني للفعل «جعل» في مطلع الفقرة [الترجم].

المحيّا المزيّن للعالم المضاعف للسرور، غالبٌ ومسيطرٌ. اللهم اجعلنا على سُرى متقابلين. وبرغم أن الصورة مقصورةٌ في الوصول إلى الحضرة، هناك اتصالٌ بصفة المودة والمحبة والتعلق. فليس التزاوُر بقرب المكان، بل التزاوُر بقرب الجنان.

فقلتُ: وما نفعي بقرب دياره إذا لم يكن بين القلوب قريبٌ

[١٦١] وقال: سلامٌ على الغائب الحاضر.

وعلى الدوام يصلُ صيتُ خيراتِ الأعظم پروانه بك وصدقاته إلى خلق الله على العموم بسدّ سُبُل الآفات، وعلى الخصوص ببذل الصدقات إلى أولي الحاجات. وقد كان لدى الداعي دائماً أملٌ وتمنُّ لأن يُضَرَف خيرُكم في المصارفِ الشريفة العظيمة المنفعة، الخطيرة المترلة، فذلك هو اللائق بالهمة العالية.

مَنْ يُولَدُ مِنْ نَسَبٍ عَالٍ لَا بَدْلَ لَهُ مِنْ كَلَامٍ عَالٍ
وابتغاء أن يُزَرَعَ بذُر خيراتكم في خير المزارع وينمو نهاءً عجيباً، لا بدّ من العناية والبذل والمساعدة في نفقات الشيخ الأجلّ الأورع الأروع، عارف الحق، أمين الغيب، جُنَيْد الزّمان، وليّ الله، حُسام الدّين - أدام الله بركته؛ لكي ينضمّ ذلك إلى المنن السابقة فإنّ علامة قبول الخيرات إعادتها. فإذا جاءت هذه الكلمات مستحسنة لدى الخاطر النقّاد الوقّاد الحاذق النّظر المستبين - لا زال منوراً ومطلعاً على الأشياء كما هي - فإنّ الإحسان والإيثار لا يمتنع، فذلك أو أنّ الشفقة وزمان الرّقة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ [المدثر:

[٥٦]. دمت محبّين!

الرسالة التاسعة والسبعون

[إلى حُسام الدين چلبى، عَرَضَ

الإخلاص وبيان الشوق إلى اللقاء]

الوردُ ضاحكٌ، فإنْ هو لم يضحك فماذا يفعل؟

وإذا لم تُفْخِ رائحةُ المسك، فماذا يفعل؟

مَنْ اختاره الله تعالى وألبسه خِلْعَةً صفاتِ كَرَمِهِ ووضَعَ على رأسه تاجَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ

اخْتَرْتَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ [الدخان: ٣٢] - أدامَ اللهُ في العالمين ظله - إذا لم

يرأف بالعباد ويرحم المساكين فماذا يفعل؟ وقد شهدتُ مئةَ مرَّةٍ للخالق والخالق أنْ كلَّ

ما يفكرُ فيه هذا المخدومُ هو منتهى تفكيرى، وكلُّ ما يقوله ويتحدثُ فيه هو خلاصةُ

خطاباتي. وقد صَوَّرَ الحقُّ صورته المباركة مثلما أراد أن يليق بآمالِ رُوحى، وكلُّ ما

يكون أَمَلًا لروحي يلمع يقينًا في خطاب المخدومِ حُسام الدين - لا زال مخدومًا -

وإشاراته. وإنْ ظهر ذلك المرادُ أو لم يظهر فإنَّه يكفى بهاءُ الدين وأصوله شَرَفًا وعِزَّةً

[١٦٢] أنْ يجعلَ مساعدةَ ذلك الخاطر اللأواء المشرق مساعدةً له.

وكلُّ ما تقولونه، من يقول إنْ مولانا لم يقله، بل يقوله چلبى، عليه غرامةٌ.

من الكوئنينِ كليهما اخترتَ زاويةً للخلوة

وخارجَ الكفر والإيمان ظفرتَ بطريق آخر

ومن ماء الحياة الموجودِ عند الحبيب

ظفرتَ بمُلك الإسكندر إلى يوم الحشر

لو صِرْتُ شَكْرًا مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقُولَ شُكْرَكَ

ولو صِرْتُ عَذْرًا مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَطْلُبَ عُذْرَكَ

بعد ألفِ سَلامٍ يطالع الشُّكْرُ والامتنان والاشتياق الزائد كلَّ يوم، وأنا مشغولٌ بالدعاء بالسَّعادة والخير. فلا قَطَعَ اللهُ عن العالم تلك الدولة التي هي ملجأ الطالبين والمقصرين ومددُ طالبي المدد وممثلةٌ بكمالِ الرحمة وإزالةِ السَّوء وقبولِ التقصير والتفكير بالعذر والشفاعة، وتلك المروءة التي لا يعلمها إلا اللهُ، آمين. وحفظَ اللهُ ذلك الحِرْزَ الأعظمَ الدَّافعَ لَبَلَيَاتِ آخر الزمان، آمين يا ربِّ العالمين. ومن همتكم لديّ أنواعٌ من الشُّكر، فاطلبوا أنتم أيضًا عُذْرَه.

الرسالة الثمانون

[يبدو أنها موجهة إلى السلطان عز الدين

كيكاموس، لرفع تعدي الوالي على صهر

حُسام الدين چلبی]

بَسَطَ اللهُ ظِلَّ عَذْلٍ سَيِّدِ الْعَالَمِ - عَظَّمَ اللهُ سُلْطَانَه وَأَيَّدَ بَرَهَانَه وَلَا زَالَ الْمُلُوكُ
مَنْخَرَطِينَ فِي سِلْكَ خَدَمِهِ وَالْأَيَّامُ سَائِرَةٌ تَحْتَ ظِلِّ عِلْمِهِ - عَلَى رُؤُوسِ الْخَلْقِ، سَنِينَ
لَا انْتِهَاءَ لَهَا! يُغَرِّضُ عَلَى الرَّأْيِ الْمَعْلَى لِسَيِّدِ الْعَالَمِ - عَظَّمَ اللهُ دَوْلَتَه - حَالُ الْعَبْدِ الْأَصْغَرِ
صِهْرٍ شَيْخِ الْمَشَايخِ، أَبِي يَزِيدَ الْعَصْرِ، جُنَيْدِ الزَّمَانِ، أَمِينِ الْقُلُوبِ، حُسامِ الْحَقِّ وَالْدِّينِ

- أدام الله بركته - الذي هو اليوم طمأنينة القلب وقرة العين لهذا الأب. ولا يخفى على الرأي العالي لسيد العالم، سيد السلاطين خلد الله دولته، أن سيد المشايخ عزم على السفر مرات عديدة، فمنعه هذا الداعي بألف تضرع. لم يُرد هذا الأب أن يكون من دون صحبته العزيزة ولم يُرد أن تخلو خطة مملكة سيد العالم - عظم الله دولته - من شخص فريد مثله ومن مثل هذه المهمة وهذا الدعاء، في الوقت الذي حرص فيه [١٦٣] مشاهير الملوك الزبانيين من أعماق قلوبهم على أن يقيم في ممالكهم خواص الحق، وعدوا ذلك خيرًا من الخزان والجيش القاهرة. وإن سيد العالم بحمد الله مزدان باعتماد أن يكون طاليًا لقلوب أهل القلوب. وقد ظهر الآن عدة مرات من وإلى الوقت أنه يؤذي العبد الأصغر ويتعدى عليه، ويصل ذلك الأذى إلى خاطر سيد المشايخ وإلى قلب هذا الأب المخلص. وقد كنت أبعد الإزعاج والمضايقة عن حضرة المعلى السيد - خلد الله ملكه - ولكن عندما بلغ السيل الزبي والعناية الملكية لسيد العالم شاملة جميع أهل الخير والدراويش، خاصة هذا الأب، أتطلع إلى أن يُرفع ظلم هذا الوالي وتعديه عن هذا العبد الصغير، بإشارة السيد الذي هو ملاذ العالم، إسكندر الزمان - خلد الله ملكه - لكي ينشغل بالدعاء للدولة القاهرة بفراغ خاطر وأمان كأمان الكعبة.

المفتخر بدعائه، محمد بن محمد بن الحسين البلخي

الرسالة الحادية والثمانون

[إلى شمس الدين أو فخر الدين علي

صاحب العطاء في التوصية بصدر الدين

ابن حسام الدين جليبي]

جَعَلَ اللهُ ثَمَرَاتِ الْخَيْرَاتِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ وَمَوَاسِةِ الْمَظْلُومِ وَالرَّافِقَةِ بِالْدُرُوشِ وَعَلَوِ
الْهَمَّةِ وَالْبَصْرِ بِالْعَاقِبَةِ الْعَائِدَةِ لِلْأَمِيرِ الْأَجَلِّ، وَلِيَّ النُّعْمِ، الْمُتَحَلِّيِّ بِأَخْلَاقِ الْمَلَائِكَةِ،
الْمُلْكِيِّ الصِّفَاتِ، مَغِيثِ الْإِسْلَامِ، فَخْرِ الْأَنَامِ، مُخْتَصِّ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، شَمْسِ
الدَّوْلَةِ وَالَّذِينَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ وَكَبَّتْ عُدُوَّهُ - مَوْفُورَةً* وَلَا انْتِهَاءَ لَهَا فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ
﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. أَوْلِيَاؤُهُ مَنْصُورُونَ، وَأَعْدَاؤُهُ
مَقْهُورُونَ، وَالْبَارِئُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ رَاضٍ وَرَاحٍ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

يَطَالُعُ السَّلَامَ وَالذِّعَاءَ مِنْ هَذَا الدَّاعِيِ الْمَخْلِصِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَائِلٌ عَنْهُ وَطَالِبٌ لَهُ
وَشَاكِرٌ لِحَنَابِهِ. وَإِنْ جَوْهَرَ اسْتِعْدَادِهِ وَحُسْنَ أَدَبِهِ وَلُطْفَ إِدْرَاكِهِ لَا تَغِيبُ عَنْ عَيْنِي،
وَلَا تَنْكُمُ مَنْشَغُلُونَ بِالمَصَالِحِ لَا نُرِيدُ الْإِنْقَالَ عَلَيْكُمْ. وَإِنْ شَاءَ اللهُ يَتَيَسَّرُ ذَلِكَ الْوَصَالُ
الْمُرِيحُ مِنْ دُونِ انْقِطَاعٍ؛ فَإِنَّهُ خِلَاصَةٌ طَلَبَ كُلُّ الطَّالِبِينَ، ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَنِّيلِينَ﴾
[الحجر: ٤٧] تَلَطَّفَ اللهُ بِكَ.

[١٦٤] شَكَرَكُمُ الْابْنُ الْعَزِيزُ، الْحَسِيبُ النَّسِيبُ، الطَّاهِرُ الْجَوْهَرُ، صَدْرُ الدِّينِ،

* المفعول الثاني لـ «جَعَلَ» في مطلع الفقرة [الترجم].

دامت سعادته. وآمل أن تتمموا ما بدأتموه، فإن ابتداء الخير أمر طيب، أما إتمامه فليس له حدود. فالهلال برغم أنه جميل وحسن ورائع، فإن اكتماله بدرًا شيء آخر. وإنه معلوم للرأي العالي مبلغ تعلق الداعي بسيد المشايخ والأبدال، أمين القلوب، جُنيد الزمان، حُسام الدين، أدام الله بركته؛ وتعلق فخر المشايخ بحضرة ذي الجلال تعالى أضعاف مضاعفة لا يأتي عليه بيان ولا يحيط به قلم. والمؤمل أنه مثلما أن الجميع شاكرون، يعود الابن صَدْرُ الدين شاكراً، ولا يَعُدُّ هذا الخير من الخيرات الأخر فإن الأنبياء لا يعاملون معاملة المدعين. الله يعلم أية خيرات ستكون لذلك العزيز - دام علوه - من هذا السعي وأية مِن ستكون على هذا الداعي. دمت محسناً، أمين يا رب العالمين.

الرسالة الثانية والثمانون

[إلى معين الدين پروانه في طلب تخلية زاوية

عابدة خاتون من رجال معين الدين]

جعل الله الثبات والخيرات والحسنات وحماية الدين والرافة بالمظلومين وبسط المعدلة - مما يتصل بالأمير الأجل المتقي لله المبصر للعواقب الحليم الكريم، والمعظم لأمر الله والمشفق على خلق الله، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، مختص الملوك والسلاطين، قاصع الكفرة والشرطين، العظيم

المبارك، پروانه بك أدام الله علوه وكبت عدوه - مقبولة(*) ومبرورة ومشكورة ومذكورة لدى حضرة غافر الذنب وقابل التوب.

يطالعُ السَّلامُ والدَّعاءُ الكثير من هذا الدَّاعي، ويعلمُ أنَّ الاشتياق في ازدياد. يسَّرَ الله الالتقاء في أوفق الأحوال. يُعلمُ أنَّ أخلاقَ ملك الأمراء وإخلاصه أظهرُ من الشمس في العناية بالمظلومين والدرأويش، خاصةً الدراويش الربَّانيين الذين ﴿لَا تُلْهِهِمْ بَيْعَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]. وفي هذا الوقت جعلت جماعة من المتصلين بكم، من دون عِلْم منكم، من زاوية الأختِ العزيزة الزاهدة العابدة الناسكة - أدام الله عصمتها - منزلاً، فحصلَ لأهل الخير تشويشٌ وتشتتٌ للخطر. وإنَّ أوقاتهم ودعواتهم مغتنمةٌ، خاصةً في اعتقاد [١٦٥] ملك الأمراء وظنه العالي. المؤملُ أن يؤمر بَعْدَ إزعاج الدراويش، ولا يُجعل ذلك منزلاً. وقد أراد الدَّاعي المجيء بنفسه إلى جنابكم من أجل هذا الخير؛ لكنّه ما الحاجةُ إلى ذلك ولطفُ ملك الأمراء مستعِدٌّ للخيرات ويبحث عن ذريعةٍ لتقديم الخير؟ دمتُ مُحسِناً، آمين يا ربَّ العالمين.

* المفعول الثاني لـ «جَعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

الرسالة الثالثة والثمانون

[إلى جلال الدين قرطاي في طلب

خمس مئة درهم قرصاً لشراء بستان

لورثة صلاح الدين]

جَعَلَ اللهُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ وَأَمْدَادَ الرَّحْمَةِ السَّمَاوِيَّةِ قَرِينَ الزَّمَانِ الْمُبَارَكِ
الْمَشْرِفِ الْمَزِينِ الْمُخْتَارِ لِسَيِّدِ الْأَمْرَاءِ، مُفَخِّرِ الْكِبْرَاءِ، عَلِيِّ الْهَمَمِ، مُلْكِيِّ
الْأَخْلَاقِ، كَرِيمٍ^(*) الْأَوْصَافِ، مُعِدِّ الْخَيْرِ وَالْإِنْصَافِ، مُخْتَصِّ الْمُلُوكِ
وَالسُّلَاطِينِ، مُلْجَأِ الضَّعْفَاءِ، مُؤْنِسِ الْفُقَرَاءِ، مُغِيثِ الْمَظْلُومِينَ، جَلَالِ الْمَلَّةِ وَالذِّينِ
- أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ وَلَا زَالَ السَّعْدُ لَهُ خَادِمًا وَالْإِقْبَالُ لِبَابِهِ مُلَازِمًا. وَلَا يَكُونُ مِنْ
دُونِ نَفْخَةِ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وَاللهُ، جَلَّ جَلَالُهُ، فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ مُعِينُهُ وَنَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَمُسَدِّدُهُ وَمُرْشِدُهُ وَمُؤْنِسُهُ وَرَاعِيهِ وَشَاكِرُهُ
مُسَاعِيهِ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

وَلَاَنَّهُ يَرَى شَفَقَةً ذَاتِكُمُ الشَّرِيفَةِ، وَعَنْصَرَكُمْ اللَّطِيفِ الظَّرِيفِ الْمُبَارَكِ،
وَمِثْلَهَا وَرَغْبَتَهَا إِلَى جَانِبِ تَرْبِيَةِ الْفُضْلَاءِ وَتَقْوِيَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ
فَقِيرٌ رَبَّنِي حَقِيقِي سَيَسْتَعِينُ فِي أَمْرِ مَهْمٍ، يَتِمَثَّلُ تَطْبِيقُ الْقَوْلِ «وَأَحِبُّ وَضَعَ
الشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ، فِي أَنْ يَغْرِضَ الْحَاجَّةَ أَوَّلًا عَلَى حَضْرَتِكُمْ. وَفِي هَذَا الْوَقْتُ اشْتَرَى

* نسبة إلى الكرويين، أي الملائكة المقرّنين [المترجم].

وَرَثَةُ مَلِكِ الْمَشَايخِ وَالْأَبْدَالِ، سِرُّ اللَّهِ فِي الرِّجَالِ، جُنَيْدُ الطَّرِيقَةِ، أَبِي يَزِيدَ الْحَقِيقَةِ،
 الْمُؤَيَّدُ بِالْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَضْوَاءِ الرَّبَّانِيَّةِ، الْمَشْرِفُ بِإِشْرَاقِ شَمْسِ الْمَعَارِفِ،
 الْمُخْتَصُّ بِبِوَارِقِ نَوْرِ الْإِخْتِصَاصِ، صِلَاحِ الْحَقِّ وَالَّذِينَ - قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ وَأَعَادَ
 عَلَى الْعَالَمِينَ نَوْرَهُ وَبَرَكَتَهُ، بَسْتَانًا^(*)، تَأَخَّرَ مِنْ ثَمَنِهِ خَمْسُ مِائَةِ دِرْهَمٍ، لِعَشْرَةِ أَيَّامٍ
 أَوْ خَمْسَةِ عَشْرِ يَوْمًا. وَلَا يَسْمَحُ بِاتِّعَاجِ الْبَسْتَانِ بِذَلِكَ. وَقَدْ نُظِّرَ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةِ التَّمَاسَا
 لِهَذِهِ الْمُسَاعَدَةِ، فَلَمْ يُرَ أَكْثَرُ مُوَافَقَةً وَمُنَاسَبَةً لِهَذَا الْعَوْنِ مِنَ الْجَنَابِ الْمُبَارَكِ لِفَرِيدِ
 الْعَصْرِ. فَبَاتَ وَاجِبًا التَّقَدُّمُ إِلَى حَضْرَتِكُمْ فِي التَّمَاسِ الْقَرَضِ.

وَلَدِينَا أَمَلٌ عَلَى قَدَرِ عَادَةِ مَلَاطِفَةِ الدَّرَاوِيْشِ وَحِمَايَةِ الْفُقَرَاءِ وَاصْطِنَاعِ
 الذَّخِيرَةِ لِيَوْمِ تَحْتَاجُ فِيهِ الْخَلَائِقُ إِلَى ذَخِيرَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، خَاصَّةً زَرْعَ بَذْرِ الْخَيْرِ
 فِي الْإِحْسَانِ إِلَى أَوْلَئِكَ الْفُقَرَاءِ الْإِلَهِيِّينَ [١٦٦] الَّذِينَ هُمْ فَقَرَاءُ اسْمًا، سَلَاطِينُ
 حَقِيقَةٍ فِي الدَّارَيْنِ، فَإِنَّ فَقَرَاءَ الْعَامَّةِ حِجَابٌ لَهُمْ لِكَيْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ جَهْلَةُ الْخِرْقَةِ
 وَعُبَادُ الظَّاهِرِ. حَفِظَ الْحَقُّ تَعَالَى وَحَرَسَ بِصِيرَةً ذَلِكَ الْفَدَى وَطَلَبَهُ اللَّطِيفُ مِنْ
 حِجَابِ الْحَرَمَانِ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

* مفعول به للفعل «اشترى» في مطلع الفقرة.

الرسالة الرابعة والثمانون

[إلى معين الدين بروانه توصية بحامل

الرسالة الذي لم يذكر اسمه]

دائماً الوقت مباركٌ للملك الأمراء والخواص، فخر الحجاب والنواب، الصاحب الأعظم، المعظم لأمر الله، المشفق على خلق الله، مغيب الإسلام، ملاذ الأنام، ناشير العدل، منيع الفضل، معيد الحلم والكرم، ملكي الأخلاق، جبرائيل اليمن، عزشي الروح، معين الملة والدولة والدين، مختص الملوك والسلطين، برهان الهدى واليقين، كعبة الآمال في العالمين - أدام الله علوه، وحرسه الله الكريم بعينه التي لا تنام وبركته التي لا تُرام، وأعاده من شر الأنام وحوادث الأيام ومن كل طارق يطرق بسوء. وهذه الدعوات ودعوات جميع محبي تلك الدولة في حق من هو فريد الدهر، جعلها الله مستجابةً ومقبولةً، إنه رؤوفٌ بالعباد.

بطالعُ سلاماً وتحيةً أصفى من ريح الصبا وألذ من عهد الصبا وأنفع من هواء الربيع وأوفى من دار القرار، ويعلم أن الاشتياق إلى لقاء مزين العالم المضاعف للسرور ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] غالبٌ وباعثٌ. كذلك حدث مرات عديدة أن حض الاشتياق على أن أسافر إلى هناك، خاصةً من أجل لقاء ذلك الفذ، فقال القلب إنك بطيء الحركة في النزول والارتحال ولديك أشغال كثيرة، وأنا لأتني سريع الحركة ومن دون كلفة أقوم بهذه المهمة، فأقيم أنت في دعاء القنوت.

عندما يمل الخاطر المبارك أهل الدنيا ويتذكر الأصحاب وإخوان الصفا، أعلم

أنه يرى قلبَ الداعي في هذه الأثناء مختلطاً بتلك القلوب وقد صارت قطعةً واحدة:
 روحه روحي، وروحي روحه مَنْ رَأَى رَوْحَيْنِ عَاشَا فِي بَدَنٍ؟
 [١٦٧] سَئِلَ الشَّيْخُ: مَنْ الصُّوفِيَّةُ؟ - فَقَالَ: رَوْحٌ وَاحِدٌ فِي أَبْدَانٍ مُتَفَرِّقَةٍ.
 أنا رَوْحٌ وَاحِدٌ فِي آلَافِ الْأَجْسَادِ فَمَا الرُّوحُ وَمَا الْجَسَدُ وَالْإِثْنَانِ هُمَا أَيْضًا أَنَا
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَجِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].
 وَبِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ الْخَاطَرَ الْمُبَارَكَ حَجَرَةٌ لَطَائِفِ الْحِكْمَةِ وَأَسْرَارِهَا، وَصَدْرُهُ الطَّاهِرُ
 الْمُنْبَعُ وَالْمَنْبِتُ لِرَفَائِقِ «أَرْنَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ»، وَحَقَائِقِهَا. كَذَلِكَ نَقْطِفُ مِنْ أَخْلَاقِ
 الْمُبَارَكَةِ جَوَاهِرَ وَنَتَرُهَا عَلَى سَمْعِهِ الشَّرِيفِ مِثْلَمَا قَالَ: «أَخَذْنَا مِنَ الْبَحْرِ وَأَهْرَقْنَا عَلَى
 الْبَحْرِ». جَعَلَكَ اللَّهُ دَائِمًا مُصَدِّرًا وَمَرْجَعًا لِلْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ.
 إِنَّ حَامِلَ التَّحِيَّةِ يَأْتِي إِلَى حَضْرَتِكُمْ فِي حَاجَةٍ، وَيَجْعَلُ هَذِهِ التَّحِيَّةَ وَسِيلَةً إِلَى
 ذَلِكَ الْإِحْسَانِ الْفَائِضِ مِنْ دُونِ سَبَبٍ وَمِنْ دُونِ وَسِيلَةٍ عَلَى مَحْتَاجِي الْعَالَمِ كَافَّةً،
 الَّذِينَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى كَعْبَةِ الْكَرَمِ تِلْكَ مُؤْمِلِينَ، فَلَا يَرْجِعُونَ مِنْ ذَلِكَ الْجَنَابِ
 الْعَالِيِّ إِلَّا سَالِمِينَ غَانِمِينَ فَرِحِينَ شَاكِرِينَ؛ فَقَدْ بَاتَ مَكْشُوفًا لِلْخَاطِرِ الْمُبَارَكِ أَنَّ
 إِقْبَالَ الدُّنْيَا وَمَالَ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ الزَّرَاعَةِ وَالْبَذْرِ، فَقَدْ أُعْطِيَ بَذْرُ الْعُمُرِ
 وَالْإِقْبَالَ مِنْ أَجْلِ الزَّرَاعَةِ، لَا مِنْ أَجْلِ الْإِمْتِلَاقِ ﴿قُلْ مَتْنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧].
 الْبَذْرُ الَّذِي يُعْطَى لِلزَّرَاعَةِ، يُعْطَى قَلِيلًا، لَكِي يَشْهَدَ قَلِيلُهُ أَنِّي لِلْبَذْرِ لَا
 لِلخَزْنِ. الْأَمْلُ أَنْ يَعُودَ مِنْ حَضْرَتِكُمْ شَاكِرًا مِثْلَ الشَّاكِرِينَ الْآخَرِينَ، وَيَجْعَلَ
 تَرْوِيقَ قَبُولِكُمْ وَعِنَايَتِكُمْ سِلَاحَ مِبَاهَاةٍ وَافْتِخَارٍ وَتَدَلُّلٍ عَلَى الْأَمْثَالِ وَالْأَقْرَانِ؛
 وَعِنْدَمَا يُسْأَلُ: كَيْفَ رَجَعْتَ مِنْ حَضْرَةِ ذَلِكَ الْكَرِيمِ؟ تَكُونُ تِلْكَ الْعِنَايَةُ لِسَانَهُ.

دَمَتْ مَحْسِنًا وَوَهَابًا وَمَوْثِرًا وَمَفْضَلًا، آمِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الرسالة الخامسة والثمانون

[إلى معين الدين پروانه في التوصية
بصنِّد الدين بن حسام الدين چلبی]

قَرَنَ اللهُ بِالْقَبُولِ الدَّائِمِ حَسَنَاتِ مَلِكِ الْأَمْرَاءِ، دَسْتُورِ الْمَمَالِكِ، مُؤَنِّسِ الْفُقَرَاءِ،
أَنْوَرِ الشُّهُبِ، أَمَلِ السُّحُبِ، الْغِ دِينَدار [بِالْتُرْكِيَّةِ، بِمَعْنَى الْعَظِيمِ صَاحِبِ الدِّينِ]،
سَيِّدِ الْخَوَاصِّ، مَعْدِنِ الْإِخْلَاصِ، مُعِينِ الْحَقِّ وَالذِّينِ، پروانه بك - أَدَامَ اللهُ إِقْبَالَہ، وَزَادَ
مَجْدَہ وَكِمَالَہ، وَأَحْسَنَ عَاقِبَتَہ وَحَصَلَ آمَالَہ.

يَتَقَبَّلُ سَلَامًا لَا حُدُودَ لَهُ مِنْ هَذَا الدَّاعِي الْمَخْلِصِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ رَطَّبُ اللِّسَانِ
بِالدَّعَاءِ لَتِلْكَ الدَّوْلَةِ وَالنَّشَاءِ عَلَى تِلْكَ الْحَضْرَةِ. أَكْرَمَہ الْبَارِئُ تَعَالَى بِأَجَلِ الْمَقَامَاتِ
وَأَكْمَلَ السَّعَادَاتِ! بَعْدَ الشُّكْرِ [١٦٨] الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ، يَعْلَمُ أَنَّ الْإِبْنَ، قَرَّةَ الْعَيُونِ،
ثَمَرَةَ الْفَوَادِ، صَدْرَ الدِّينِ، ابْنَ شَيْخِ الْمَشَايِخِ، أَمِينِ الْقُلُوبِ، خَازِنِ أَسْرَارِ اللهِ، جُنَيْدِ
الزَّمَانِ، حُسَامِ الْحَقِّ وَالذِّينِ - أَدَامَ اللهُ بَرَكَّتْہ - مَشْغُولٌ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ، وَيَسْعَى
بِالطَّرِيقَةِ الطَّيِّبَةِ وَالسَّيْرِ الشَّرِيفَةِ، وَلَكِنَّ الْحَاجَاتِ الْإِنْسَانِيَّةَ مَانِعَةٌ وَمَشْوُشَةٌ لَطَلَبِ
الْمَعَانِي. وَكَلَّمَا فَكَّرَ الدَّاعِي بِأَنْ يَعْزِضَ هَذِهِ الْحَالَ عَلَى عِظَمَاءِ الدَّوْلَةِ لَمْ يَطَاوِعْهُ الْقَلْبُ،
فَكَنتُ مُنْتَظِرًا رِكَابَ سَيِّدِ الْأَمْرَاءِ نَفْسَہ، أَدَامَ اللهُ عُلُوَّہ - فَلَعَلَّ نَظَرَ مَلِكِ الْأَمْرَاءِ الَّذِي

له صفةُ الكيمياء ينظر في إنفاذ تلك الحاجة؛ لكي يكونَ من ذلك الثوابُ الذي لا انتهاء له، وتكونَ المِنَّةُ على هذا الداعي.

الرسالة السادسة والثمانون

[إلى معين الدين پروانه في التوصية
بالدراویش ومراعاة أصول الملوك
الماضين]

جعلَ اللهُ كمالَ الرَّحمةِ القديمة حارسًا لأحوالِ مَلِكِ الأمراءِ وأقواله وأفعاله، هذا
الباسطُ للعَدلِ، الناشِرُ للفضْلِ، العروةُ الوثقى، والركنُ الأعلى، أنورُ الشَّهبِ، أملأُ
الشَّحْبَ، المغيْثُ للخلائقِ، أعظمُ مَلِكٍ، پروانه بك، أدام اللهُ علوه.
يطالعُ السَّلامَ والدَّعاء، ويجعلُ اللهُ هذه النهضةَ والرَّحلةَ مقرونةً بحصولِ المرادِ!
ويُعَلِّمُ الرَّأيَ العالِيَّ بأنَّ بضعةَ دراویش من الملائمين لهذا الداعي في مجالسِ الذِّكرِ، وقد
ارتبطت قلوبهم بهذا الداعي وظنوا خيرًا في هذا الداعي، أحوالُ انقطاعهم عن الحرصِ
على الدُّنيا وفقرهم في الكسبِ والعملِ مشهورةٌ - وكيف لا يفتر إنسانٌ يصلُّ إلى
مشامته راحةً من جلالِ الرُّبوبيَّةِ؟

لماذا أشعلُ المصباحَ أمامَ الرِّيحِ الصَّرصِ؟

وكيف أخيط القباءَ أمامَ الأسدِ؟

من أبناء آدمَ واحدٌ استبدت به هذه الفكرة. احتاج عياله، فطلَبَ العونَ من إخوته، فقالوا: مثلما نسعى نحن، أنتَ أيضًا اسع. فأوحى الحقُّ تعالى إلى آدمَ أن أوصي أبناءك بأن يقدموا له يدَ العون. دعا آدمُ أبناءه وقال لهم: أعطوه من كلِّ ما لا بدَّ منه، فقد جاء الأمرُ بذلك. فأجابوا قائلين: لنا أيُّدٍ وله يدُ [١٦٩] ولنا أقدامٌ وله قدمان، ولنا أعينٌ وله عينان. فأوحى الحقُّ تعالى إلى آدم: لا تنظروا إلى هذه الظواهر، وقد أخذت يدَه، وقَدَّمه قد أخذتها هيبتَي القيومية، وعيناه وعقله أخذها جلالُ نوري، مثلما سُرحَت لحضرتكم قصَّةُ الغزال والأسد. المتوقِّعُ أنَّ ما أظهره الملوكُ الماضون، لله تعالى رحمةً، يُتمِّمهُ ملكُ الأمراء ويؤكدُه لكي يُدخِرَ الثوابُ الذي لا نهاية له. دمت محسنًا!

الرسالة السابعة والثمانون

[إلى الأمير فخر الدين أرسلنا ندغمش

أو إلى فخر الدين علي صاحب العطاء في

طلب مساعدة الدراويش]

تَقَبَّلَ اللهُ تعالى إِحْسَانَ الأميرِ الأجلِّ الأبعدِ الأسعِدِ، الحَسَنِ الأخلاقِ، المفكرِ بالعواقبِ، المتَّقِي لله، العالِي الهمة، الرَّفِيقِ بالدراويش، النَّاصِرِ للمظلومين، المَشْرِقِ القلبِ، الطَّاهِرِ الدِّينِ، فخرِ المِلَّةِ والدَّولةِ والدِّينِ، أدام اللهُ علوَه، وجعَلَ جزاءه ﴿أَضْعَفًا مَضْعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، فقد قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقرَّنه بوعود الكرمِ ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا

وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

من قَرِطِ حُسْنِ حَظِّ الْإِنْسَانِ أَنْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ إِلَى وَعُودِ الْحَقِّ. وقد وجدنا، والحمدُ لله، تلك العلاماتِ في ما يصدرُ عن الجَنابِ العالِي من ضروبِ العناية والإحسان. وإذا ما رجعنا إلى طَلَبِ عناية الملوك ومنشورهم من أجل إعفاء هذا النَفَرِ القليل من الدراويش المنشغلين بالدَّعاء لدولتكم وقد شغَلَهُم هذا الدَّعاء كثيرًا - إذ لم يبق من سعيهم السابق عُشْرُهُ؛ فَإِنَّ قُوَّةَ الْيَدِ وَالْقَدَمِ، مَبْعَثُهَا الْحَرَصُ - فَإِنَّ هَذَا الطَّلَبَ للمنشور ليس بسبب أن تقصيرًا قد حصَلَ من جناب الأمير التقيّ، دام علوه، في العناية بالدراويش؛ بل من أجل أنّه إذا اعترض حسودٌ بسبب جهله قائلًا: لماذا تختصّ بالعناية هذا النَفَرُ القليل من الدراويش، تكون شهادةُ الملوك - تغندهم الله بعنايته وجزاهم خيرًا - حُجَّةً للأمير؛ ذلك لأنّ الأمير يعلمُ بأحوال الدراويش الذين صاروا صينًا لمحبة الحق. فبرغم أنّهم معمورون في ظاهرهم، هم خرابٌ في باطنهم. ولا أحدٌ يعرف تلك الأحوال. فجعل ذلك المنشور ذريعةً للأمير وحجةً. ومعلومٌ أنّ الأمير لا يقلّد أحدًا أبدًا في العناية والرعاية، إنّهُ مقلّدٌ لقلبه الطاهر ومقلّدٌ أملِه بأنوار العناية. [١٧٠]

آههُ الْمَرِيضُ مَنْ يُسْمِعُهَا؟ - الْمَرِيضُ.

ولا شكّ في أنّ مساعدةً مثل هذه الطائفة مباركةً، أوّلًا وآخرًا، ليس على غرار تلك المباركة الحمقاء التي يفهمها الحمقى. ومرةً أخرى يُلمَس من جديد، برغم أنّ المطالباتِ والضُرورات قد زادت في المدينة، أن تسهّلَ شفقةُ الأمير وعنايته الصَّعَبَ في الوقت نفسه. في عهد عُمر - رضي الله عنه - اشتعلت نَارٌ في المنازل، فحاول النَّاسُ

إطفاءها بقرب الماء وقرب الخَلِّ. فكَلَّفَ عُمَرُ منادياً وقال له طُفَّ وصَيَّح بالناس:
أعطوا خبزاً! فإنَّ هذه النَّارَ لا تُطفأ بالماء. دمت محسناً!

الرسالة الثامنة والثمانون

[إلى تاج الدين معتز في طلب تفويض
إمامة مسجد قرا أرسلان إلى صدر
الدين]

أبقى الله الذَّاتَ الشريفةَ للأمير الأجلِّ الأكرمِ الأبعدِ الأسعدِ، الثاقبِ العقلِ،
الثابتِ الحِلْمِ، ملكِ الأمراءِ، نظامِ الملوكِ صاحبِ الدولتينِ، الحسيبِ، النسيبِ، تاجِ
الدولةِ والدينِ، افتخارِ الإسلامِ والمسلمينِ، مختصِّ الملوكِ والسلطينِ - أدامَ اللهُ علوهُ
وأيدَهُ وسدَّه وضاعفَ دولته وتقبَّلَ طاعته - في كنفِ الحياطةِ الإلهيةِ سنينَ لا نهايةَ لها.
يطالعُ السَّلامَ والدَّعاءَ من هذا الدَّاعي المخلصِ، على التجديدِ، ويعلمُ أنَّ الأملَ
بلقائه المباركِ المحبوبِ السعيدِ متجاوزٌ للحدِّ. وإتينا نسألُ عن الأخبارِ السَّارةِ من
الصَّادرِ والواردِ. وعندما تتراعى إلى أَسْباعنا أخبارُ أحوالِ اللَّطفِ والعَدْلِ والإحسانِ
وخشيةِ المولى لدى ذلك الفدِّ الفريدِ، نشكرُ الله «والشكرُ قيدُ النِّعمِ الحاصلةِ وصيدُ
النِّعمِ الآجلةِ».

يُعَلِّمُ الرَّأيُ العالِيَّ بأنَّ الابنَ العزيزِ، الصِّدْرَ ابنَ الصِّدْرِ، الإمامَ الأجلِّ، فخرُ

المذكّرين، صَدَرَ الدِّين - نصرَه الله وزاد عزّه وفضله - منشغلٌ بالخير ونَشَرَ العِلْمَ وتحصيل الفضل ليلاً ونهاراً، وَيَعُدُّ تلك القوّة في الفراغ والرفاهية من عناياتكم وألطافكم. وهو يرفع يديه في الليل والنهار نحوَ القِبْلة في الدّعاء لكم، ويطلب المزيد من السّعادة لكم، جعلَ الله دعاءه مستجاباً.

وفي هذا الوقت، فإنّ إمامةَ مسجد أرسلان رحمه الله وتقبّل خيره - إذ إنّ خطابة هذا المسجد وقفٌ عليهم وعلى ذرية الصّدر المرحوم شمس الدّين الخجندي رحمه الله - فوضّحها أيامُن الدّولة وكبارُ الملك إلى الابن العزيز، فإنّه مُعَيَّلٌ ومستحقٌّ لمنصب أكثر من ذلك. وذلك الشخصُ الذي كانت الإمامةُ في وقتٍ من الأوقات له، طمع [١٧١] في أن يسلبها منه، وقد توجّه إلى الدّيوان العالي - أعلاه الله. ومعلومٌ فضلُ الابن العزيز، صَدَرَ الدِّين - دام فضله - على الآخرين بأنواع الحسب والنسب والذكاء والفطنة والأهليّة والعِلْم والعمل.

والمتوقّع من مكارم أخلاق الشّمسِيّ الصّفات وإحسانه العام، هذا الذي فيضُ نوره لآلاءٍ وواصلٌ إلى المشارق والمغارب شاملاً العموم، أن يبذل في شأن الإمام ابن الإمام عنايتَه السّاداتية ومساعداته وملاطفاته الملكية، فإنّ ذلك عنصرُه القديم، لكي يحصل الثّواب الذي لا نهاية له، وثبّت على هذا الدّاعي المِنَّة والشّكر، وينضمّ ذلك إلى المِنَّة السّابقة والإحسانات السّالفة التي تفضّل بها. ذلك أنّ «علامة قبول الطّاعة الحرصُ على طاعةٍ بعد طاعة»، فإنّ الطّاعة السّابقة عندما تُقبل تجذب قلبَ الطّائع بعمدها إلى طاعة أخرى وتجمعهما، مثلما يحصل لشخصٍ رأسُ مالٍ، فيظلّ رأسُ المالِ هذا دائماً يجذب قلبَه إلى طلب المزيد. دمت مغنياً للعالم.

الرسالة التاسعة والثمانون

[في الظاهر إلى فخر الدين علي صاحب
العطاء في طلب مساعدة للسيد زكي من
أجل شراء دكان]

تُطلبُ الشفاعةُ لدى حضرة الأمير التقي، مختصّ الملوك والسلاطين، ناشِر الخير
والعدل في العالمين، بعد وافر السّلام والتحيّات ودعوات الخير، وشُكر الإحسانات
السّابقة والألطف الذي لا يقدر عليه قلم. ومكافأة ذلك عند الله تعالى متوافرة ﴿مَنْ
جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وإنّه لا أحدَ من الأولين
والآخرين تحمّل أيّ قدر من العنت في قضاء حاجة محتاج من أجل إرضاء الحقّ تعالى،
وفكر بأنّ ذلك قد ضاع أو اشتكى من أنه قد أضاع؛ بل يشتكي من أنه لم يفعل الكثير.
إنّ أيام العمر سوقُ رائجة رابحة ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى تَحْزَنٍ شَيْئَكُمْ﴾ [الصف: ١٠]؛ فمن
لم يشترِ نديم، ومن اشترى نديم [قائلًا]: لماذا لم أشتري أكثر، ولماذا خفتُ من الحيف في هذه
الحضرة العديمة الكيف. والحمدُ لله الذي أعطى أميرنا - مدّ الله علوه - خِلة التوفيق
وتاج الصّدق ونطاق الاجتهاد، زادها الله كلّ يومٍ وأطلق الألسنة بالدعاء بالخير له
وجعل القلوب متفقة على محبته!

إنّ حامل تحيّننا، السيّد زكي دامت بركته، من أهل الصّلاح وأهل القرآن. وقد
أخذ دكانًا لجماعة من الأصدقاء من مستغلات السلطان - ضاعف الله دولته - والتزم
[١٧٢] بإظهار أمر الأصدقاء. والآن هم يطلبون إعفاءهم. والمؤمل من صدقات

الأمير التقى - أدام الله علوه - أن يُعنى بهؤلاء الدراويش لكي يقترن ذلك بالخيرات

المتقدمة ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

نذكرُ بالترقاع إذا تُسِينَا ونكتبُ حينَ يمطُلُنَا الكرامُ
فلإنَّ الأَمَّ لم تُرَضِّعْ غُلامًا على الإشفاق، مذ سكتَ الغلامُ

—

من قاسَ جدواكَ يومًا بالسُّخْبِ أخطأَ مَذْحَكُ
السُّخْبُ تعطي وتبكي وأنتَ تُعطي وتضحكُ

—

لكي تصبحَ أهلاً للمدح، امدخِ أهل المعنى

ولكي تُصبحَ أهلاً للإكرام، أكرمِ أهل المعنى

وقوله تعالى: ﴿وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ يَجْنَعُ النَّخْلَ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا﴾ [مريم:

٢٥]، أسقطَ البارئُ تعالى رُطْبَ نخيلِ العَدْلِ والرحمة على من لهم صفةُ مريم في المعرفة، والحمدُ لله رب العالمين.

الرسالة السعوية

[إلى واحدٍ من رجال الدولة في طلب

تنصيب أحدهم على مدرسة المرحوم]

جَنَّبَ اللهُ جَنَابَ الأميرِ الأَعلَمِ الأَعدَلِ، مربيَ الفضلاء، صفِيَّ الأخلاق، فخرِ

الآفاق، مدبرُ المُلْك، عمادِ المملكة، مغِيثُ الخلق، مختَصُّ الملوك والسلاطين - أدام اللهُ

علوه وإقباله وجنبه العُسرَى ويسره لليُسرى، ويلغيه المقامُ الأسنى، بحقَّ محمد وآله الطيبين الطاهرين.

يطالعُ السَّلامَ والدَّعاء، ويعلمُ أنَّ الأملَ باجتماع الحقائق والاختلاط بأسراره الطَّاهرة اللطيفة - زيدَ لطفًا - [١٧٣] غالبٌ؛ أمَّا العذرُ عن التَّقصير فهو نفاذُ التقدير. يُعرَضُ على الرأي العالي بطريق الطَّلَبِ والالتئاس، للضرورة. رافعُ التَّحية فلانٌ - دامت سعادته - الذي ازدانَ بأنواع الأهلية وتحصيل العلوم، المؤمِّلُ أن يشمله اللَّطفُ والعناية اللذان هما ظلٌّ ظليلٌ على الفقراء والعلماء والغرباء كافَّةً، ويعيَّنَ في مدرسة المرحوم - تغمدَه اللهُ بمغفرته وتقبَّلَ حسناته. فإنَّ استحقاقه زائدٌ كثيرًا على استحقاق الآخرين، استعدادًا وتحصيلًا وسهرًا واجتهادًا. وبذلك تكون على هذا الدَّاعي مِنَّةٌ عظيمة، ويتقدَّمُ هذا على الإحسانات السابقة، وهكذا يتفضَّلُ على هذا الدَّاعي تفضُّلاً خاصًا. دمت مغنيًا للخلائق وبريدًا للحقائق، آمين يا ربَّ العالمين.

الرسالة المحادية والتسعون

[إلى واحدٍ من رجال الدولة في التوصية

بليت الدين ليجعله المخاطبُ بالرسالة

جزءًا من خدامه]

على الدَّوام يترامى إلى أسماعنا ذِكْرُ إحسانِكُم وإنعامِكُم ولطفِكُم بالدَّراوِشِ وشكْرُ هذه الصنائع، فنَدعو لمزيد التوفيق - وفقكم اللهُ وأيدكم ونصركم وللخير يسركم.

حاملُ التحية، الابنُ العزيزُ المخلص، ليثُ الدِّين - دامت سعادته - حبيبٌ ونسيبٌ، وقد أصبح الآن مُعيلاً، وقلّت لديه أسبابُ الدُّنيا فـ «المالُ غادرَ ورائح»:

لا تغترَّ بالمال، ولا تسرَّ بالحياة فالمالُ ماءٌ جارٍ، والحياة ربح
وهو يريد أن يغدو من جُملة عبيدِ سيّد الأُمراء - دام علوه - وخَدَمِه وملازميه،
ويلجأ إلى ظله. والمؤمِّل من لُطف هذا الفذِّ الفريد وكرمه وإكرامه للعبيد ورعايته
للدراويش أن ييسط ظلُّ العناية والقبول على رأسه وينصِّبه في الخدمة اللّائقة به؛ لكي
يُشرف بتلك الحضرة ويفتخر على أقرانه وإخوانه؛ ابتغاء أن يدخر الثواب الجزيل
والثناء الجميل. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «الخالقُ عيالٌ الله فأفضلهم أنفعهم
لعياله»، ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَجَلَ الْمُوْهَبَ

لا بدَّ أن تُعطي كُلَّ عطيةٍ جديرةٍ بالعطاء

﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَحْرِيرِ تُبَيْعِكُمْ﴾ [الصف: ١٠].

[١٧٤] إذا كنتَ الآن في هذا الوقت ههنا تتأذى وتتألم

فما أجمل رأسَ المالِ والرَّبحِ اللذين سترهما غداً من ذلك الأذى والألم
فأكبرُ ذلك الضيفَ العلويَّ

لكي تجده مضيئاً عندما تخرج من هذه الدُّنيا

أن تستعبد حُرّاً واحداً بإحسانك

خيرٌ لك من أن تُحرِّر ألفَ عبدٍ

أَيَّدَهُ اللهُ وَنَصَّرَهُ وَأَرْشَدَهُ وَأَهْمَمَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا سَدَّدَ وَأَهْمَمَ وَنَصَّرَ أَوْلِيَاءَهُ
وَعِبَادَهُ الصَّالِحِينَ؛ إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

أَحْرَمُ الْكَلَامَ مَعَ النَّاسِ

وَعِنْدَمَا يَأْتِي حَدِيثُكَ أُطِيلُ الْكَلَامَ.

الرسالة الثانية والثمانون

[في الظاهر إلى السلطان عز الدين]

كيبكوس في الاعتذار عن عدم القدرة

على الزيارة

زاد الله سعادة الملك العادل، فخر آل داود، الملك سليل الملوك - أدام الله علوه -
إلى أبد الدهر وأقصى العصر، في كمال الإجلال المناسب لتلك الهمة، اللائق
بذلك الكرم، الموافق لذلك اللطف ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾
[الرحمن: ٦٠].

يطالع السلام والدعاء، ويعلم أن ذكر المليك المكرم ولي الأيادي والنعم لا يغيب
عن القلب، وخیاله لا يغيب عن العين، واسمه المبارك لا يبارح الفم، آناه الليل
وأطراف النار.

أفادتكم التعماء مني ثلاثة: يدي ولساني والضمير المحجبا
إن شكر الإحسانات الملكية لذلك الملك لا يتسع له بيان، ولا يقدر عليه قلم

وبنان. وإنَّ عالمَ السِّرِّ والخفِيَّاتِ، وليَّ الإحسان والمجازاة - تبارك وتعالى - سيكافئ تلك الإحسانات من خزائن ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣]، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، و﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَفَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

[١٧٥] المرجو أن يعذر هذا الضعيف إن لم يُجِبْ دعوة ذلك الملك والتماسه، فقد كان ثمة أسباب وموانع حالت دون الكتابة. وإن ساعد القدرُ وتنحت أيامُ الفراق تحدث مشافهةً إن شاء الله، ويعدُّ نفسه غيرَ قائلٍ؛ لأنَّ القلبَ المنير والفِراسة الصّافية والإدراك الكامل التي يتمتع بها ذلك الملك - أدام الله علوهم - تدرك عُذْرَ الدراويش؛ ذلك لأنَّ الدراويش في بحر تصرّف الحقّ وليس في تصرّف نفسه.

..... تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

إنَّ يدَ تصرّفِ عزّةٍ يقبلُها كيف يشاء، أعظمُ من أن تُبقي للدراويش قدرةً واختياراً فليس في الدّار غير الله ديارُ، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]. لا تسأل عن الأحوال، إنَّ هذا خطأ منك،

فامض وانظر إلى عيّا شهم تجد المشكلات قد حُلّت

إنَّ كلَّ من يرى نورَ وجهه ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] لا يبقى في جِبَلْتِه أيُّ اعتراض، ويرحمُ الخلائقَ جميعاً، مثلما قال غلامٌ لسيّده: اجلس عند باب المسجد حتى أدخلَ فأصلي وأخرج، أحمِلُ الطّاسَ معك إلى الحمام، إن كنت محتاجاً إلى

الحِثَام. قال السيّد: نعم، وجلس خارجَ الباب. تأخّر الغلامُ في المسجد. فصاح السيّد: أيّها الغلامُ، اخرجْ، فقد تأخّر الوقتُ من أجل الذهابِ إلى الحِثَام. فصاح الغلامُ: انتظرْ، لا يتركونني أخرج من المسجد. فقال السيّد: ليس في المسجد إلا أنت، فمن يمنعُكَ من الخروج؟ - قال: عيْنُ الشَّخصِ الذي يمنعُكَ من أن تدخل المسجد. وهكذا لم تبقْ شكوى من أيّ منهما. وفي هذا المعنى قيل: «الشَّكَايَةُ من الخَلْقِ شَكَايَةٌ من الخالقِ».

كُلُّ مَنْ عَلَّمَهُ أَسْرَارَ الْغَرَامِ

خَاطَرُوا مِنْهُ الْفَمَ عَنْ لَفْظِ الْكَلَامِ

الرسالة الثالثة والثمانون

[إلى تاج الحكماء، أكمل الدّين، في تسليم

مدرسة فخر الدّين أرسلاند غمش بعد

شمس الدّين المارديني إلى أفصح الدّين]

ضاعفَ اللهُ وزادَ سعادةَ الابنِ المخلصِ الحسَنِ الاعتقادِ المتفَنِّ، مَلِكِ الْأَطْبَاءِ،

تاجِ الحكماء، أكملِ المِلَّةَ [١٧٦] والدّين - أدام اللهُ فضلَه، على تقادمِ الأَيَّامِ وترادفِ

الأعوامِ، وأيدَ وسدّدَ روحَه الطاهرَ الطالبَ العاشقَ العارفَ العزيزَ، بروحِ القدس.

يطالعُ السَّلامَ والدَّعاءَ من هذا الدَّاعي المخلصِ ويَعْلَمُ أَنَّ الاشتياقَ غالب.

الأنطاف التي أداما بظهر الغيب يصل جزاؤها من خزانة اللطف الإلهي الذي ﴿يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]، و﴿وَوُثِّقَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ﴾ [هود: ٣]،
و﴿إِنْ تَكُ إِشْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا
اللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦].

إِنَّ شُكْرَ إِحْسَانِكُمْ لَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ قَلَمٌ

فيا لها قصة في شرحها طولٌ

يُعَلِّمُ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ تُفْتَحُ مَدْرَسَةُ الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ فَخْرِ الدِّينِ أُرْسِلَانْدَغْمَشُ -
أدام الله علوه وتقبل حسناته - وينتقل إليها الصِّدْرُ الْكَبِيرُ، أستاذ الفضلاء، شمسُ
الدِّينِ المارديني، دام فضله. وإنَّ جماعةً من أبنائنا - الذين يأخذون أجورًا في مدرسة
قرطاي - خائفون من أن يأتي إلى مدرسة قرطاي - رحمه الله - مدرّس غريب فيتعرّض
لهم، ويعاملهم هذا الغريب بعكس المداراة والمواساة التي كان يعاملهم بها سيّدُ
المدرّسين، شمسُ الدِّينِ.

ومعلومٌ لديكم أنّ الفقراء لا يستطيعون شغلَ وظائف التعليم بجديّة، وأنَّ أغلب
النَّاسِ أعداءُ لهذه الطائفة حسدًا. ويؤمّلون أن ترتّب الأمور على أن تُحوّل مدرسة
قرطاي من الصِّدْرِ شمسِ الدِّينِ إلى الصِّدْرِ الْكَبِيرِ، سيفِ النظر، فخير المدرّسين،
أفصح الدِّينِ، دام فضله، الذي له فضلٌ على الآخرين في مختلف الأمور وله اطلاعٌ على
آلام الفقر والفقراء، وهو أبُّ مشفقٍ لجماعة الفقراء وأبنائنا كأتهم نفسه وأقرباؤه، لكي
تسير الأمور بسعيكم على هذا النهج المثالي، ابتغاءً أن يصل ثوابُ ذلك إلى عهد ملكٍ

العالم، وإلى هذا الابن المخلص ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾
[البقرة: ١١٠].

يبحث إليكم ملك المشايخ، أمين القلوب، إمام الهدى، حُسام الحق والدين - أدام
الله بركته - بالسلام والدعاء، ويشدد في هذا الشأن في التوصية، من جهة أن اللطف
كفايتكم، على أنه بعد انتقال شمس الدين لا يطمع شخص آخر بمدرسة قرطاي -
قدس الله روحه - وتكون لأفصح الدين. وإذا لم يُتَقَيَّدَ مثلاً بذلك بذريعة أنه أيلقُ بعد
فلان أيضاً؛ فلأن المدرّس شمس الدين المارديني راضٍ بذلك ومسروّرٌ، لأنها قريبان،
وليس بينهما فرق. ويَعْذُرُ على هذه الوقاحة؛ لأنّ المشرب العذب كثيرُ الرّحام. دمت
منوراً ومعطراً ومفضّلاً ومقدّماً. آمين يا رب العالمين.

الرسالة الرابعة والثمانون

[في الظاهر إلى السلطان عزّ الدين
كيكاس الثاني، توصيةً بفخر التجار
شمس الدين لأن أمير الأكادشة في
سيواس يطالبه بحقوق ديوانية كثيرة]

[١٧٧] زاد الله وضاعف سعادة الابن المخلص، فخر آل داود، الملك سليل
الملوك - أدام الله علوهم - على تقادم الأدوار وتجدد الأطوار أولياؤه منصورون

وأعداؤه مهجورون، وكان البارئ جلّ جلاله - مُرْشِدًا له ومسدّدًا وملهم خير وناصرًا في جملة أحواله وأقواله وأفعاله، بحقّ محمّد وآله.

يطالعُ السّلام والدّعاء من هذا الدّاعي المخلص، ويَعْلَمُ أنّه شاكرٌ للنّعم وذاكرٌ لذلك الكرم. جعل الحقّ - جلّ جلاله - مكافأةً تلك الإحسانات والإنعامات الملكية موقاةً وموقرةً من خزانة ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢] التي لا نهاية لها ولا حدّ؛ إنّهُ كريم مجيب.

يَعْلَمُ أنّ حاملَ التّحية، الابنَ المخلص، فخرَ التجار، شمسَ الدّين - دامت سعادته - له حقوقُ البُنوّة، ودائمًا يغتنم خدمةَ الفقراء. وإذ إنّ أمير الأكادشة في سيواس يبالغ في مطالبته وأقاربه بحقوق ومصادرات ديوانية، فقد التمس كتابَ عناية من جنابكم إلى أمير الأكادشة لكي يخفف عنهم ويسهل عليهم؛ لكي يُعدّوا من خدَمِكُم وملتجئين إلى كرمِكُم؛ فينشغلوا بتفرّغ بالدّعاء لتلك الدولة واستمرار تلك السّعادة، ويكونَ بذلك مِنّةٌ على هذا الدّاعي، تُضمُّ إلى الأفضال السابقة - التي لم تُنسَ ولن تُنسَى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

ومن عندنا كلّ المحيّن صغارًا وكبارًا، من أبنائنا الغرقى بتلك النّعم والعُتقاء لذلك الكرم، منشغلون بالشكر والدّعاء وبلغونكم السّلام والطّاعة، وهم يتظنّون اتفاقًا ساهوياً يجمع الخلائق من الأماكن البعيدة بأسباب مستورة، فإنّه ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَكُم﴾ [الأنعام: ١٢]، إنه ﴿عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]؛ إنّهُ جامعُ الشّتات وسامعُ الأصوات ومؤلّفُ التّرميم والرّفات

ومُحِبِّي الأَمْوَاتِ، وَلَهُ التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ. دَمَتْ
بَاسِطًا لِلْخَيْرِ وَمَغِيثًا لِلْخَلَائِقِ. وَالسَّلَامُ.

الرسالة الخامسة والثمانون

[في الظاهر إلى السلطان عز الدين
كیکاوس مباركةً بالزواج، وتوصيةً
بصنِّد الدين بن حُسام الدين جلبي]

[١٧٨] السَّعَادَةُ وَالْإِقْبَالُ قَرِينَا زَمَانٍ فَرِيدِ الْعَالَمِ، فَخِرِ آلِ دَاوُدَ، صَفْوَةِ الْوَرَى،
قِبْلَةِ الشَّرَى، مُغِيثِ الْمَظْلُومِينَ، مُجِيرِ الْمُحْرُومِينَ، افْتَخَارِ السَّلَاطِينِ، بَحْرِ الْمَكَارِمِ، الْعَابِدِ
لِلَّهِ، الْمُتَلَطِّفِ بِالرَّعِيَّةِ، الْبَاسِطِ لِلْإِحْسَانِ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُمْ، وَدَمَّرَ عَدُوَّهُمْ، وَعَصَمَهُمْ
وَكَلَّاهُمْ وَرَعَاهُمْ، وَمَنْ الْخَيْرُ لَا أَخْلَاهُمْ. وَكَانَ اللهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - حَافِظًا لَهُ وَمُلهِمًا
الْخَيْرَ وَمُرْشِدًا فِي جَمَلَةِ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ.

يَبْلُغُ السَّلَامَ وَالِدَعَاءَ وَالتَّحِيَّةَ وَالتَّنَاءَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْاِشْتِيَاقَ غَالِبٌ. يَجْعَلُ الْحَقُّ
تَعَالَى لِلْقَاءِ سَبَبًا فِي الْعَاجِلِ؛ إِنَّهُ مُجِيبٌ سَمِيعٌ.

تَرَامِي إِلَى الْأَسْمَاعِ نَبَأَ الْمَصَاهِرَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمِيمُونَةِ، وَقَدْ قُدِّمَتْ الْمُبَارَكَاتُ، وَدُعِيَ
بِأَدْعِيَةِ الْخَيْرِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى فَضْلِهِ قَدْ وَصَلَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ

الملك - جلّ جلاله - الجامع للخلائق يربط المنيين إلى جنبه والمتوكلين في طريق رحمته بما هو سبب لمزيد السعادة في الدارين ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ﴿[الطلاق: ٣]﴾، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ لَدَيْهِ تَوَكَّلَ واعتماداً على الحق - تعالى وتقدس - ويكون متوجّهاً إلى حضرته المقدسة الأزليّة، معاداً الله أن نضلّ، لا يمكن أن يقدم له الحق تعالى شيئاً سيئاً، بل يقدم إليه آلاف صور الإحسان، ذلك لأنّه ضيفُ الله، وهو الذي لا يؤذي ضيفه. وكلّ من يتوجّه إلى الحق وإلى عباده الخاصين، يقدم له ما يكون سبباً لسعادته، وبرغم أنّه يحصل لحاله غمّ من ذلك، يزول ذلك الغمّ وتتواتر السعادات.

رضيتُ بما قسمَ اللهُ لي وفوضتُ أمري إلى خالقي
لقد أحسنَ اللهُ فيما مضى كذلك يُحسنُ فيما بقي

قال الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه حين يذكرني. من ذكرني في ماله ذكرته في مالي، ومن ذكرني على ملا ذكرته على ملا، ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي.

يسر الحق - جلّ جلاله - وقبض كلّ سعادة هي الأكثر وكلّ إقبال هو الأسنى لذلك العزيز! إنّه مجيب الدّعاء.

إنّ حاملَ التحية، الابنَ المخلص، قُرّة العين، الشّريفَ الأخلاق، الكريمَ الأعراق، الحسيبَ النسيب، [١٧٩] صدرَ الدّين بن الشيخ أمين القلوب، جنيّد الوقت، أبي يزيد الزمان، مفخر المشايخ، قائد السالكين، حُسامِ الحقّ والدّين - متع الله المسلمين بطول بقائه - متوجّه إلى جنابكم؛ وإنّ من هو منجمُ اللّطف والإحسان

والهمة العالية والعطاء الملكي، لا يحتاج إلى وصية.
ولكن رأيتُ السيفَ من بُعدٍ شحذِهِ إلى الهزِّ محتاجًا وإن كان ماضيًا
إنَّ ملاطفةَ الدراويش ورعايةَ الضعفاء لدى هذا الفريد - أبقاهم الله في دولة
صافية ونعمة كافية - أظهرُ من الشمس عند أهل الدنيا والقاصدين لذلك الجنب؛
«والشمس لا تخفى بكلِّ مكان». وهذه الوصية من أجل أن يكون لنا نحن أيضًا حَظٌّ
من ثواب ذلك الإحسان، فإنَّ «الدَّالَّ على الخير كفاعله». فلا أخلُ البارئُ تعالى وجهه
البسيطة من وجود ذلك الذي هو فريدُ العالم، ومن إحسانه الذي ليس له حدود، آمين
يا ربَّ العالمين.

الرسالة السادسة والثمانون

[إلى معين الدين پروانه، في طلب جَبَر
خسارة نظام الدين، صِهْرِ حُسام الدين
جلي]

جعلَ الله السَّعادةَ والإقبالَ دائِمًا ملازِمَيْنِ لحضرةِ مَلِكِ الأمراء، العالمِ العادل،
المؤيِّدِ المظفَّرِ المنصور، تاجِ الأيامن، عُمدةِ الممالك، عمادِ السُّلطنة، مربِّي العلماء، مغِيثِ
المظلومين، باسطِ العَدْل، ناشرِ الإحسان، مؤسِّسِ الخيرات، مُستحقِّ الكرامات، ذي
الهممِ العالية، أُلغِ قُتْلُغ [بالتركية بمعنى: الكبير المبارك]، أَلْب [بالتركية بمعنى المقدام]
الخاص، العاليِ الهمة، المؤيِّدِ بروح القدس، پروانه بك - أدام الله علوه، وأهلك عدوه،

وسره لليسرى، وجنبه العسرى، وأصلح أموره، وشرّح صدره، وأيده بروح منه.
السلام والدعاء ليلاً ونهاراً، لأنهما من الواجب، أوديهما وأرسلهما بيد الصبا
فريح الصبا مني إليك رسول

ومن المعلوم النصيحة وإرادة الخير والمحبة وحفظ الغيب لدى هذا الداعي،
خاصة إزاء ذلك الذي هو ولي الإنعام والإحسان «والبادئ بالخير لا يكافأ».

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاهها، فقلت: الفضل للمتقدم
والمتقدم في الإحسان وملاطفة الفقراء ومواساة المحتاجين هو تلك الحضرة،
وتلك الشجرة التي ألفت الظل اليوم في هذه الصحراء التي لا ملجأ فيها، حيث يفر
إلى ذلك الظل المحترقون بشمس الآفات [١٨٠] لأنه ظل الله «خير الناس من ينفع
الناس، وشر الناس من يضر الناس». اطلبوا الخوائج من سُمحاء أمتي، فلأي وضعت
فيهم الرحمة.

حامل التحية، الابن المخلص المعتقد، نظام الدين - نظم الله أموره - من الداعين
لتلك الدولة والمحيين لها، واليوم هو ابن الدراويش، وكل ما يملكه ينفقه على الفقراء،
وذلك مما لا يخفى عليكم. وعلى امتداد مدة مديدة نصيبه الواقعة إثر الواقعة والضرر
إثر الضرر «مَنْ تَخُنْ دينه تَخُنْ بلاؤه، وَمَنْ رَقَّ دينه رَقَّ بلاؤه». والمؤمل من الرحمة
العامة لهذا الفذ، الذي له صفة الشمس وكرم السحاب وعطية البحر، أن ينظر إليه
بعين الرعاية والعطف. واليوم فإن نفس فخر المشايخ، أمين القلوب، جنيّد الزمان، أبي
يزيد الوقت، بقية السلف، مقدّم الحلف، حُسام الحق والدين - متّع الله المؤمنين بطول
بقائه وبارك في أنفاسه - متعلق به، ومن الصغر هو ابن لهذا الداعي. والمتوقع الذي هو

أكثر من التوقع أن يُكرمه ويُحييه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، لكي يكون من ذلك مِنَّةٌ على هذا الداعي وعلى الفقراء. دمت مغنياً للخلائق - آمين يا رب العالمين - وينضم هذا إلى الإحسانات والإشارات السابقة المقبولة عند الله ﴿تَوَرَّ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

الرسالة السابعة والسعون

[إلى واحد من الوزراء، لعله معين الدين

براونه، في التوصية بأمير العالم جلبي]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اطلبوا الخوائج من السُّمحاء؛ فلإني جعلتُ فيهم رحمتي؛ ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فلإني جعلتُ فيهم سخطي». جعل الله بركات الكلمات النبوية والإشارات المصطفوية قريباً ومُعِيناً للزمان السعيد للصاحب الأعظم، ملك الوزراء، نظام الملك، مُغيث المظلومين، الناصر للخيرات، المؤسس للحسنات «المشفق على خلق الله، المعظم لأمر الله» - أدام الله علوه وتقبل حسناته وتجاوز عن سيئاته وآمنه من الفزع الأكبر - دائماً أبداً.

قرن الله التوفيق الذي له في الخيرات بالتوفيقات الآخر. ولا شك في أن الإنسان مركَّب من جسد في غاية الخسَّة، ومن رُوح في غاية الشرف. وقد جمع الحقُّ تعالى بكمال قدرته بين هذين الضدين؛ ويظهر من ذلك الروح الشريف منه ألف حكمة، ويظهر

من هذا الجسم الكثيف مئة ألف ظلمة، ومن جهة ذلك قال: ﴿إِنِّي خَلِيقٌ بِشْكْرًا مِّنْ صَلَافٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْتَوٍ ۝١٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَكِينًا ﴿[الحجر: ٢٨-٢٩]. نَسَبَ [١٨١] الجَسَدَ إِلَى الطَّيْنِ الْمُظْلِمِ، وَالرُّوحَ إِلَى نَفْخَةِ رُوحِهِ، لَكِي يَجْعَلَ ذَلِكَ النُّورَ وَتِلْكَ النَفْخَةُ الرَّبَّانِيَّةُ هَذَا الطَّيْنُ الْمُظْلِمُ أَكْتَهَمَا فِي الإِصْلَاحِ وَالْعَدْلِ وَحَفِظَ أَمَانَةَ اللَّهِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلنَّجَاةِ وَالرَّفْعَةِ وَالذَّرَجَاتِ، لَا أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الطَّيْنُ الْمُظْلِمُ ذَلِكَ السَّرَاجَ، بِالطَّمَعِ بِنُورٍ «نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»، أَلَّا لَهُ فِي الْغَدْرِ وَاللَّصُوصِيَّةِ.

... .. إذا جاء اللصُّ حاملاً السراجَ حملَ الأحسنَ من المتاع

بل إن سراجَ روحٍ ﴿نَفَخْتُ﴾ [الحجر: ٢٩] يعطي لطينَ الجسدِ نورًا دينيًا ويحوِّله عن طبع الطين والجهل والثقل «فمن غلبَ عقله شهوته فهو أعلى من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو أدنى من البهائم».

يطالعُ السَّلامَ والدَّعاءَ على نحو متجدِّد. والاشتياقُ إلى لقائه المبارك ليس له حدود. ويهيئُ البارئُ تعالى وتقدَّس سببًا لتوفيقِ اللِّقاءِ دونما إبطاء - إنه مجيبٌ سميعٌ. وقد جاء الخبرُ في شأنِ أن الرِّكَّابَ الميمونَ - أعزَّ الله نصره - سيأتي إلى هنا. فسرَّ الأَصْحَابُ جميعًا ببشارة اللِّقاءِ، لكنَّ هذا الخبرَ فتر.

... .. وأني نعيمٌ لا يكدره الدَّهرُ

وإن شاء الله، يكون الرجوعُ في أبركِ زمانٍ وأسعدِ وقتٍ، جعلنا الله إخوانًا، وجمع

بيننا ﴿وَهُوَ عَلَى جَمِيعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

إِنَّ حَامِلَ التَّحِيَّةِ، أَمِيرَ الْعَالَمِ - عَلَّمَهُ اللَّهُ - يَلْجَأُ إِلَى الْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ الْعَامِّ لِمَنْ لَهُ صِفَةُ الشَّمْسِ، الصَّاحِبِ الْأَعْظَمِ، مَدَّ اللَّهُ عُلُوَّهُ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ قَدْ صَارَ مُعَيَّلًا الْآنَ، وَقَدْ تَعَرَّضَ لِأَضْرَارٍ كَثِيرَةٍ، وَقِلَّةُ الْحِظِّ فِي الدُّنْيَا مَانِعَةٌ مِنْ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ. فإِذَا مَا أَكْرَمَهُ الصَّاحِبُ الْأَعْظَمُ، عَلَى قَاعِدَةِ عُنْصُرِهِ الطَّاهِرِ وَكَفِّهِ الْكَرِيمَةِ، وَأَحْيَاهُ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فَلَنْ يَكُونَ أَبَدُغٌ مِنْ هَذَا اللَّطْفِ الَّذِي لَا حُدُودَ لَهُ ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. دَمَتْ مُحْسِنًا وَمُنْعِيًا وَنَاشِرًا لِلْخَيْرِ! آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الرسالة الثامنة والتسعون

[إلى شمس الدين يوتاش في التوصية

بأخي أحمد]

تَقَبَّلَ اللَّهُ الْخَيْرَاتِ وَالْحَسَنَاتِ وَالْاجْتِهَادَ وَالتَّعَبُّدَ وَالطَّلَبَ مِنَ الْابْنِ الْمَخْلُصِ، الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ، الْأَمَجِدِ الْأَفْخَرِ الْأَسْعَدِ، الْعَالِمِ الْعَابِدِ [١٨٢] الْعَادِلِ، الْمَشْفِقِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، الْمَعْظُمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، مَخْتَصِّ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، الْمَفَكِّرِ بِالْعَوَاقِبِ [الموصوف بـ]

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ١٧ ﴿وَالْأَنْصَارِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]،
شمس الملة والدين - أدام الله علوه. الله تعالى، رزاق الرزق بغير حساب، وعلام العلم
بغير كتاب، ناصر له وحافظ وحارس ومؤيد ومعين في كل أحواله وأزماته وسفره
وحضره وخلوته وعزلته - بحق محمد وآله .

سَلامٌ على أهلِ نادِيكُمْ وَمَنْ حَلَّ يَوْمًا بِوَادِيكُمْ
آلافُ التحياتِ والأدعية، هي من الأمور اللازمة، تُرسل إلى جنابه، ويعلم أن
اشتياقًا، كاشتياق العطشان إلى الماء والمهجور إلى اللقاء والمحبوس إلى الفضاء، غالب
وباعث. جعل الحق جل جلاله - جامع الشتات ومخرج النبات ومحيي الأموات وسامع
الأصوات - اللقاء ميسرًا ومهيأ على أحسن حال وأيمن فال، إنه ولي الإجابة.

يؤمل أن ييسرَ ظلَّ العناية، وفق عنصره الكريم الرحيم المحسن المحترف
للإحسان، على حاجات الابن المخلص العزيز المعتقد المجتهد، أخي محمد - سلمه الله
وأبقاه ومن الخير لا أخلاه - لكي يكون شاكراً للنعم وغريقاً لذلك الكرم، ويكون على
هذا الداعي من كثرة. ويصل سلامٌ هذا الداعي إلى حضرة ملك الأمراء، الصاحب
الأعظم، المشهور في خراسان والعراق، ولي الأيادي والإنفاق، عضيد الإسلام
والمسلمين، معدي الأخلاق الشريفة والصفات المنيفة، تاج الحق والدين، أدام الله علوه
وتقبل حسناته وأيده ونصره. وما يعلمه، من المساعدة والمنصرة، لا يمتنع عنه في
الوضوح والخفاء - الله تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

وبرغم أن لطيف عنصركم غير محتاج إلى الوصية
ولكن رأيت السيف من بعد شخذه إلى الهز محتاجاً وإن كان ماضياً

الله، الله، هناك توقّع للإحسان الذي قد أنجح دائماً مطالب هذا الداعي من
حضرتة ووصل إلى حُسنِ الإجابة - تقبل الله حسناته وضاعف أجره.

إن سقيت الغرسة، فأنت الذي غرستها

وإن وضعتها، فأنت الذي رفعتها

«إنما المعروف خيرٌ من ابتدائه».

ترامى إلى سمعي أنكم قد شرعتم بالاشتغال التام بأمر الآخرة، فمبارك لكم
ذلك، أولاً وآخرًا - وأعانكم الله ونصركم، ويسّر لكم اليسرى وجنبكم العسرى
﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

[١٨٣] من هنا، الإخوان والفقراء جميعًا مشتاقون إليكم، ويبعثون إليكم
بالسلام والدعاء. دمت مغنيًا للمظلومين، بمحمد وآله.

الرسالة التاسعة والتسون

[إلى معين الدين پروانه، طلب تفويض

وظيفة إلى الشيخ حسام الدين]

أدام الله الحياة الطيبة المتصلة للملك الأمراء والأيامن، مغنيًا المظلومين، المجتهدي في
طاعة الله، الحريص على عبادة الله، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ١٧ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨] ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِسْمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

[آل عمران: ١٩١] ﴿وَلَا يَخَافُونَ تَوَمَّةً لَا يُمِرُّ﴾ [المائدة: ٥٤]، مربي الفضلاء الربانيين،
أنيس الفقراء الروحانيين، مُعين الدولة والدين - أدام الله علوه.

يُبعث بالسلام والدعاء. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ
وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥] ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾
[يس: ٥٨]، واشتياقنا كاشتياق مقطوع الجوارح إلى أعضائه وأجزائه، ف«المؤمنون
كنفُسٍ واحدة، إذا اشتكى منه [كذا] عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر
﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، إن الله على جَمْعِنَا إذا
يشاء قدير (مستوحى من الآية ٢٩ من سورة الشورى)، ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ
لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢] جعلنا الله ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:
٤٧] - آمين يا رب العالمين.

حامل التحية، الابن المخلص الكافي الوافي، الشيخ حُسام الدين - سلّمه الله - قد
توجه إلى مقام كعبة الآمال وقبلة السؤال - لا زال مُفضِلاً على الوفود ومطلباً للعطاء
والجود. المتوقّع من الإنعام العديم العلة لجناب ذلك العزيز - لا زال عزيزاً -
﴿إِنَّمَا نَطَلَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تَرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]، أن ينصبه في الخدمة
اللائقة به؛ لكي يكون من خُدام ذلك الولي للإنعام ومن يواسيهم.

أنعم علي أيها الملك، اعمل عملاً من أعمال الإنسانية،

لكي أناخر بآثني رأيت السعادة

يا مليك الزمان، ماذا ينقُصُ من سلطانتك، إذا ما سُرَّ إنسانٌ من إحسانك؟
 [١٨٤] وإنَّ خيرَ صنعةٍ وعملٍ لذلك الفَدَّ في سُوقِ العالَمِ ملاطفةُ الدَّراوِشِ
 وجَبْرُ كسرهم - زادكَ اللهُ توفيقًا على توفيق، وتأيدًا على تأيد! «الخلقُ عيالُ اللهِ
 فأفضلُهم عندَ اللهِ أنفعُهم لعياله». «خيرُ النَّاسِ من ينفعُ النَّاسَ»، لكنَّ منفعةَ ذهبِ
 الدَّراوِشِ الأحمرِ ليست كمنفعةِ الفِضةِ، ومنفعةُ الفِضةِ ليست كمنفعةِ العُملةِ
 النحاسية؛ وبرغم أنَّ «النَّفْعَ خيرٌ كُلُّهُ»، هناك فرقٌ بين نفعٍ ونفع. الأبُّ والأمُّ جاءا
 بالإنسانَ إلى سِجْنِ هذه الدُّنيا، ونَفَعُ الأنبياءِ حرَّرَ الخلقَ من سِجْنِ هذه الدُّنيا
 وأوصلَهم إلى فضاءِ عالَمِ الغيبِ. وليس لهذا الكلامِ نهاية. جعل اللهُ ثوابَ مَلِكِ الأمراءِ
 ومددَ توفيقه من دونِ نهاية!

والدَّاعي المخلصُ معتادٌ على عَرَضِ حاجاته على تلك الحضرةِ الكريمة، وتلك
 الحضرةُ معتادةٌ على إنجاحِ حاجاتِ العاشقين وإتمامِ مطلوباتهم.

إِكْرَامُ أَهْلِ الهَوَى مِنَ الكَرَمِ وأُمَّةُ العِشْقِ أضعفُ الأُمَمِ
 دَمَتَ محسِنًا، آمين يا رَبَّ العالمين.

والدَّاعي في هذا الإحسانِ سيكون متحملاً منَّةً عظيمة، وسينضَمُّ ذلك إلى
 الألطافِ القديمة. والسلام.

الرسالة المرسلة

[إلى الصّاحب الأعظم تاج الدّين
في التّوصية بأخي محمّد]

أطال الله حياة المجلسِ العالي للصّاحبِ الأعظم، ملكِ الأمراء والأيامن،
مُنغِيثِ الملهوفين، غياثِ المظلومين، مشهورِ الآفاق، فخرِ خراسان والعراق،
مؤنسِ الفقراء، مربّي الفضلاء، الذّابّ الخصيم عن حريم الإسلام، كهفِ الأنام،
تاجِ الدّولة والدّين - أدام الله علوّه - على مذاقِ ذلك الاستحقاق، والسّعادة
اللائقة بذلك الإشفاق، والعطيّة الملائمة لتلك الهمة، والمكافأة والمجازاة اللائقة
بتلك النّية. الإقبال ساعِدٌ والزمانُ مُساعِدٌ، والله - عزّ وجلّ - في كلّ المساعي
راضٍ وراعي.

إنّ عالمِ الأسرار مطلّعٌ على أنّ هذا الدّاعي لم ينسَ أبدًا حقوقَ الإحسان
السّابق والإنعام والأيادي التي تفضل بها ملكُ الأمراء - أدام الله علوّه - ويتذكّرها
ويشكر تلك النّعم؛ جاذبيّةُ تلك الألفة تستمرّ كلّ يومٍ وتكثر. وإنّني أعلم، على
الحقيقة، أنّه من تلك الناحية أيضًا يزدادُ الاعتقادُ والاتصالُ في كلّ يومٍ، [١٨٥]
ذلك أنّه «من القلب إلى القلب رَوْزَنَةٌ»، و«القلوبُ تتشاهدُ». ويُسْتَوْجَبُ
في قضية العقل والدليل أنّه لا بدّ للمحبّة من أن تكون من الطرفين كليهما،
وأن يكون محرّكُ الشوق وداعيّةُ التّوق من الناحيتين؛ ذلك لأنّ محبة الحقّ والخلق
لا تكون أبدًا من جانب واحد ولا تُتصوّر؛ فالصّوت لا يعلو من يدٍ

واحدة، والرقص لا يأتي من قدم واحدة ف ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ لا يكون من دون ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، و ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لا يكون من دون ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

يطالع السَّلامَ والتَّحِيَّةَ عن صِدْقٍ وصفاء. والاشتياقُ إلى سعادة ذلك اللقاء الشريف، ليس من ذلك القليل الذي يمكن أن يكون للعقل القصيرِ النظر نصيبٌ من إدراكه، أو يكونَ للصبرِ الفرارِ ثباتٌ برغم غلبته. وفي الغيب عجائبٌ، والليالي حُبلى، تظهر نتائجها وآثارها في العالم، وفي القلوب أشواقٌ، وفي الرؤوس ميولٌ شديدة تطلب تلك النتائجَ وتجذب وتتضرع لكي يأتي إلى الوجود والظهور ذلك المكتومُ في الغيب وذلك الذي الليالي حُبلى به، ويصور. ذلك لأنَّ الحقَّ - جلَّ جلاله - في هذه الدنيا وفي تلك الدنيا، سيخلق لكلِّ فكرة لا تراها العينُ صورةً تراها العينُ، لائقةً بتلك الفكرة، وسيفرُن تلك الصورةَ بالفكر الذي فكَّر بهذه الفكرة: «إن كان كريماً أكرمهُ، وإن كان لئيماً أسلمهُ». وإنَّ ملكَ الأمراء - أدامَ الله علوه - بحمد الله تعالى عرَفَ تلك القضيةَ واعتقد بها. وصار كلُّ فكره حقاً تعظيماً أمرِ الله والشفقة على خَلْقِ الله؛ كلُّ سَمْعِهِ متوجّه إلى أنين المظلومين، وكلُّ بصره بكاءً على المعتدى عليهم، ابتغاء أن يداوي جراحهم ويمدَّ يدَ العون لهم. زاده الحقُّ تعالى كلَّ يوم وكلَّ لحظة توفيقاً على توفيق وتأييداً على تأييد آمين، يارب العالمين.

الابنُ العزيزُ المعتقِدُ المتعبّد، أخي محمّد - أعزه الله - من الحُدّامِ القدماء والدّاعين والمريدين لتلك الحضرة، وهو ربيبُ تلك الرّحمة ورضيعُ تلك النّعمة، وقد توجّه إلى

حضر تكم على أمل تلك الرحمة الملكية. والمؤمل أنه بعد اليأس التام والحيرة والحرمان ومحنة فراق ذلك العظيم، إذ كان مغضوباً عليه، يُشَرَّفُ ويحيا بعفو ذلك العزيز وقضله ويُقَبَّلُ دعاؤه ب ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا ﴾ [الأعراف: ٢٣]، لدى حضرة الكريم [المتحلي بوصف] ﴿ وَالْكَظِيمِ الْقَيْطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، أدام الله علوه. ومن جديد يصل إلى حلقة الخدام، ويغدو من مجاوري كعبة ذلك الإقبال، التي كثيرون من أمثاله عاشقون لها وهائمون بها.

كأنا من بشاشتينا ظللنا يوم ليس من هذا الزمان
وهو الآن لا يعلم ولا يريد ملجأً وملاذاً غير هذا المحل للملاطفة والإكرام.

أيها الساقى، من تلك الخمرة التي أعطيتها في الأول،
أعطني رطلاً أو رطلين، وزد السرور

[١٨٦] فإما أن لا تذيبني البتة

وإما أن تجعلني ثملاً وخرباً، إذ فتحت الدن

ربط محبة تلك الحضرة بأذن الروح، وسحب كُحْلَ الأمل في عين الحاجة، وها هو يأتي إلى تلك الحضرة وليس لديه هدية سوى تلك الرحمة التي لا تنتهى لها بشفاعة هذا الداعي المخلص، الذي لم يرد عن تلك الحضرة. والمؤمل من إحسان ذلك الذي هو فريد العالم وتفضله وملاطفته للدراويش التي لا حدود لها، أن يرتب أحواله المبعثرة، ويحييه بالناية والرعاية، ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[المائدة: ٣٢].

أَنْ تَسْتَعْبِدَ حُرًّا وَاحِدًا بِإِحْسَانِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَحْرَرَ أَلْفَ عَبْدٍ

الرسالة الأولى بعد الرسالة

[إلى معين پروانه، توصية بشمس الدين

وطلب تعيينه في عمل ديوانياً]

أدامَ اللهُ السَّعَادَةَ الْمُخَلَّدَةَ وَالْإِقْبَالَ الْمُؤَيَّدَ مِيسَرَيْنِ وَمَقِصِّينِ لِلْمَلِكِ الْأَمْرَاءِ، مَغِيثِ
الْمَظْلُومِينَ، مُؤْنِسِ الْفُقَرَاءِ، ذِي الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّافِيَةِ، الْمَعْظَمِ لِأَمْرِ اللَّهِ،
الْمَحِبِّ لِمَا يَحِبُّ اللَّهُ ﴿ تَنْجَافِي جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَصَاحِجِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾
[السجدة: ١٦]، الْعَالِمِ الْعَادِلِ، الْأَكْرَمِ الْأَنْجَبِ الْأَسْعَدِ، وَلِيِّ الْأَيَادِي وَالنُّعَمِ، مُعِينِ
الدَّوْلَةِ وَالذِّينِ، عُضْدِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، الْغِ قَتْلَغِ [بِالتركية بمعنى: العظيم المبارك]،
دَلَكَا بَلْكَا أَلْبِ [بِالتركية بمعنى: الفصيح العالم المقدم]، التَّقِيِّ، پروانه بك - أدامَ اللهُ
عُلُوَّهُ، وَكَبَتْ عَدُوَّهُ وَأَيْدَهُ وَنَصَرَهُ وَطَرِيقَ الْخَيْرِ لَهُ يَسْرَهُ. وَجَعَلَ كُلَّ الْخَيْرَاتِ الَّتِي
يَفْعَلُهَا وَيَضَعُهَا الْأَسَاسَ وَيُنَوِّهَا مَقْبُولَةً وَمَبْرُورَةً ﴿ أَنْ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: ١٠٤]. آمين يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

يَطَالُعُ السَّلَامَ وَالِدَعَاءَ وَالنَّشَاءَ مِنْ هَذَا الْمَخْلُصِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْإِشْتِيَاقَ لِلْقَاءِ مُكْرِمِ
الدَّرَاوِشِ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ، الَّذِي يَحِبُّ لِلنَّاسِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَخْتَارُ لِلنَّاسِ مَا يَخْتَارُ
لِنَفْسِهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ غُرَى الْإِيمَانِ، غَالِبٌ رِبَاعَثٌ وَشَدِيدٌ. يَجْعَلُ الْحَقُّ - جَلَّ جَلَالُهُ -

جامعُ الشَّاتِ رَحِمِي الأَمْواتِ وسامِعُ الأصْواتِ [١٨٧] ومَجِيبُ الدَّعْواتِ، سَبِيًّا سَرِيعًا لِلْقَواءِ، إِنَّهُ مَجِيبٌ سَمِيعٌ.

رافِعُ التَّحِيَّةِ، الابْنُ المَخْلُصُ الكافي البارِعُ، شَمْسُ الدِّينِ - دامت سعادَتُهُ - من أَقرباءِ هذا الدَّاعِي، ومنذُ وقْتٍ وهو يُؤمِّلُ أن يُشَرَّفَ بِخِدمةِ ذلك الجَنابِ بوسيلةٍ من الوسائِلِ، ويكوُنَ من جُمْلَةِ خَدَمِ تلكِ الحُضرةِ وعبيدِها - أَجَلُها اللهُ؛ وكان يُبْعَدُ الإِزعاجُ عن ذلك الجَنابِ العالِي، إلى أن وصلَ الاِشتياقُ والمُحَبَّةُ إلى غايَتِهما.

الصَّبْرُ لا يَقْدِرُ على الصَّمودِ أمامَ العِشْقِ

والعَقْلُ لا يَقْدِرُ على أن يكوُنَ مُعِينًا

المتروِّقُ من مكارِمِ أخلاقِ شَمْسِي الصِّفَةِ، عامٌّ المنفَعَةِ، متَّصِلُ العَطِيَةِ، أن يَقْبَلَ هذه الشِّفاعَةَ، لكي يَدْخِرَ ثَناءً من دونِ حَدٍّ، ودَعاءً من دونِ عَدٍّ، وثَوابًا من دونِ غايَةٍ. ویرغم أن رَحمةَ ذلك الكَبيرِ وسلطانَه لا يُرْجِعانِ طالِبًا محرومًا، لَكِنَّهُ قد شَفَعَ احتِياطًا. اعرَفُ أنا أَنَّهُ لا يَأْتِي خَطأً مِنْكَ، لَكِنَّ قُلُوبَ العُشاقِ سَيِّئَةُ الظَّنِّ دَمَتْ مَغِيثًا لِلخَلاتِقِ، آمين، يا رَبَّ العالمين.

الرسالة الثامنة بعد المئة

[في الظاهر إلى السلطان عز الدين

كيكوس، في إجابة رسالة السلطان]

جَعَلَ اللهُ الإِقْبَالَ والدَوْلَةَ، اللَّذَيْنِ هُمَا مَقْصُودُ الْمُقْبِلِينَ الأَبَدِيِّينَ والسَّابِقِينَ السَّرمَدِيِّينَ، المَلازِمَيْنِ والمُناصِرَيْنِ والمَهازِجَيْنِ لِلذَّاتِ الشَّرِيفَةِ لِفَرِيدِ العالَمِ، فَخِرِ المُلُوكِ

والسلاطين، افتخار آل داود، ذي المحامد الفاخرة، باذل الدنيا للأخرة، متعهد قلوب
 الفقراء، أسوة الأيامن والكبراء، مخلص الأرواح، سرور الأشباح، مغيث أهل المحن،
 معدين كل حسن، ينبوع النفائس، أشرف النفوس، ذي النور الفطري والأدب
 الغريزي - أدام الله علوه - مؤيدني^(*) ومسددني له! أولياء تلك الدولة الباهرة دائماً
 مسرورون ومنصورون، وأعداؤها مبتورون ومقهورون.

سَلامٌ عليكم لا سلامٌ مودّع ولكن سلامٌ لا يزال جديداً

—

سلامٌ على أهلِ ناديكُم ومن حلَّ يوماً بواديكُم

—

[١٨٨] أسلم عليك لأنك في الضمير

وإذا كنت غائباً عن العين، فأنت في القلب حاضر

فيا أيها الغائب عن العين، الحاضر في القلب

سلام على الغائب الحاضر

تُبعت أروادُ السلام والتحية عن صديقي وصفاء، ووفور ولاء، وأسأل دائماً
 الصّادِرَ والواردَ اشتياقاً وتوقاً عن أخبار كمال تلك الدولة وإشراق ذلك الإقبال الذي
 هو ملجأ الضعفاء، ومحلّ ارتياح المظلومين والملهوفين، أدامهما الله سنين لا حصر لها،
 وأبحثُ وأتفحص على أملٍ أنه على حين غرة يأتي مبشّر سارٌّ يحكي خبر الرجوع

* المفعول الثاني - جعل، في مطلع الفقرة [الترجم].

المبارك والعودة الكريمة لتلك السعادة ويوصله، ويُبهِج أولئك المشتاقين. وإلى الآن لم يُطْلِعْ مثُلُ هذا الصُّبْحِ الصَّادِقِ، لكنّه بالأراجيف الجميلة والصباحات الكاذبة، في شأن الإخبار بمجيء تلك الخلاصة الملكية والصفوة الإلهية، حصَّلَ سرورٌ كبيرٌ «فَعِدُونِي وَأَخْلِفُوا، بَشِّرُونِي وَلَا تَفُوتُوا»، وَقَنَعَ الْقَلْبُ.

هَيْئاً اللهُ اللِّقَاءَ الْمَفْرُوحَ الْمُشْرِفَ والاتصالَ الظريفَ الشريفَ - ضاعفه اللهُ شَرْقاً وَعِزّاً - في أسعدِ وقتٍ وأهنأِ ساعة! وعلى الدَّوامِ يُتْلَى ذِكْرُ إِحْسَانِكُمُ الْمَلِكِيِّ وَعَشِيقِكُمُ السُّلْطَانِيِّ، وَإِنَّ أَصْدَقَ دَلِيلٍ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى مِلْكُ الْمَشَائِخِ، أَمِينُ الْقُلُوبِ، جُنَيْدُ الزَّمَانِ، أَبُو يَزِيدِ الْأَوَانِ، خَاصَّةُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، حُسَامُ الْحَقِّ وَالذِّينِ، عَلَمُ الْهُدَى وَالْيَقِينِ - مَتَعَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ، وَأَنَارَ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ بِنُورِ لِقَائِهِ - فَهُوَ الرَّفِيقُ وَالْمَعِينُ فِي طَرِيقِ الدَّعَاءِ بِالْخَيْرِ لَكُمْ وَاسْتِزَادَةِ السَّعَادَةِ وَالدَّوْلَةِ لِمَنَابِكُمْ. اسْتَجَابَ اللهُ دَعَوَاتِ الْخَيْرِ فِي دَوَامِ ذَلِكَ الْإِقْبَالِ وَمُضَاعَفَةِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ وَفِيضِ ذَلِكَ الْفَضْلِ الْإِلَهِيِّ وَالْعَنَاءِ السَّمَاوِيِّ. وَاللهُ وَلِيُّ الْإِجَابَةِ، وَدَعْوَةُ الْمَخْلُصِينَ مُسْتَجَابَةٌ.

مِنْ هُنَا، الصِّغَارُ وَالْكَبَارُ وَجَمَاعَةُ الْفُقَرَاءِ، الَّذِينَ هُمْ إِخْوَانُنَا، يَدْعُونَ لِتِلْكَ الدَّوْلَةِ حَالِ الصَّلَوَاتِ وَالْخُلُوتِ، سِرّاً وَجَهْراً، وَيَسْأَلُونَ قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَدَافِعَ السَّيِّئَاتِ وَوَلِيَّ الْحَسَنَاتِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَزِيدَ الدَّوْلَةِ وَكِمَالَ الرَّفْعَةِ؛ ابْتِغَاءً أَنْ تَوْصَلَ مُرَادَاتُ فَرِيدِ الْعَالَمِ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ - وَخُدَايِهِ وَأَحْبَائِهِ، بِالْحَصُولِ. إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

يَسْلُمُ عَلَيْكُمُ الْعَبِيدُ وَالْخُدَّامُ وَالْمَجَاوِرُونَ لِذَلِكَ الَّذِي هُوَ جِوَارُ الْعِصْمَةِ، وَالْمَقِيمُونَ فِي ذَلِكَ الَّذِي هُوَ حَرِيمُ الْحِمَاةِ، الْمُشْرِفُونَ بِالظِّلِّ الْمَبْسُوطِ. دَمَتَ مَغِيثًا

للخلائق وملجأ للفقراء، آمين، يا رب العالمين.

وقد وصلت مشرفة المكرم للقلب المعين للضعفاء، فزادت المسرات - لا زال محسناً.

الرسالة الثالثة بعد المئة

[في الظاهر إلى السلطان عز الدين]

كيكاوس في إجابة رسالة السلطان

ورسالة محبة].

[١٨٩] الله يجمع بيننا ويرفع البعد من بيننا

الله الذي أظهر لنا طريق المهجران أمل أن يسر طريق الوصال

رضينا من وصالك بالكلام وكفيننا الإشارة بالسلام
فيوم لا أراك كالف شهر وشهر لا أراك كالف عام

بالله الذي ملأه من العظمة لا يتسع له سقف السماء،
إن كلامي لا يتسع له فمي من الفراق والاشتياق

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِی بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَیَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ٨٠]. لو كانت السعادة
مُعِينًا لِي، أو كان لجسدي جناح مثل قلبي، لطيرت بمئة جناح إلى الجناح المستطاب
للمولى، افتخار الملوك، تاج آل داود، عالي الهمة، المستبصر للعاقبة، الخائف من الله،
المهتم بالرعية، الحليم الكريم، المشتاق إلى لقاء ربه، الروح العلوي والضمير السماوي -

أدام الله علوه ودولته.

لَوَ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ تَشَبَّثْتُ بِأَذْيَالِ الرِّيحِ
وَكَدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ

—
إِنْ قَدَرْتُ، أَيْتُهَا الصَّبَا، فَمُرِّي لَيْلًا بِنَاحِيَتِهِ

وَأَنْ مَرَرْتَ فَاحْمِلِي مِنِّي رِسَالَةً إِلَيْهِ

وَأَنْ رَأَيْتَ قَلْبِي هُنَاكَ فَقُولِي لَهُ: حَرَامٌ عَلَيْكَ رِيحُ الْوَضَلِ

أَنَا هَكَذَا مَهْجُورٌ، وَأَنْتَ دَائِمًا جَلِيسُهُ

[١٩٠] الْحَقُّ عَلِيمٌ ﴿وَكَلَّمْنِي يَأْتِيهِ﴾ [النساء: ٧٠] أَنْ خَيَالَ ذَلِكَ الَّذِي

هُوَ شَمْسُ الْحُسْنِ، نَهَارًا وَلَيْلًا، فِي الْيَقَظَةِ وَفِي الْمَنَامِ، فِي عَيْنِ هَذَا الضَّعِيفِ الدَّاعِيَةِ.

وَمِنْ طَوْلِ التَّفَكُّرِ كُلِّ يَوْمٍ رَأَيْتُكَ كُلَّ لَيْلٍ فِي الْمَنَامِ
أَحْسَدُ الصَّادِرِينَ عَنْ تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْوَارِدِينَ عَلَيْهَا، وَنَارُ الْإِشْتِيَاقِ لَا
تَنْطَفِئُ بِكُتَابَةِ الرِّسَالَةِ وَابِلَاغِ السَّلَامِ.

أَنَا لَا أَشْبَعُ مِنَ الشُّرْبِ إِلَّا إِذَا أَلْقَيْتَنِي فِي نَهْرِكَ

—
أَعَانَقُكُمْ وَالنَّفْسُ بَعْدُ عَشِيقَةٌ إِلَيْكُمْ، وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانٍ

كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَيْنِ يَمْتَزِجَانِ

اجْتَهَدْتُ كَثِيرًا وَتَضَرَّعْتُ كَثِيرًا لَكِي يَتَبَسَّرَ الْمَجِيءُ إِلَى حَضْرَتِكُمْ مِنْ جِهَةِ

الصُّورَةِ، ثُمَّ يَقْضِي حَاكِمُ التَّقْدِيرِ بِالتَّوَقُّفِ وَالتَّأْخِيرِ.

إن بقيتُ حيًّا خطيئٌ ذيلُ الثوب الذي انشقَّ من الفراق
 وإن متُّ فاقبل عذري فما أكثر الآمال التي صارت ترابا
 لا لا، فأنا مخطئ؛ لأنَّ أملَ أهلِ الدين والمعرفة، الذي يكون من أجل الله لا من
 أجل الهوى، لا يغدو ترابًا أبدًا، بل يغدو ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]،
 ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
 وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ [آل عمران: ٣٣-٣٤].
 تعالَ تعالَ، إلى متى سوء الطبع هذا،
 عندما تكون أنتَ أنا وأنا أنتَ، إلى متى أنا وأنتَ؟

—

أنا وأنتَ جعلتَ الإنسانَ اثنين
 ومن دون «أنا وأنتَ، تصيرُ أنتَ أنا وأصيرُ أنا أنتَ
 ومتى انفصلتَ ذواتنا
 ذهب أنا وأنتَ، وبقي الله

[١٩١] ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣٦) وَلَنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣١-٣٢].
 وهكذا فإنَّ أرواحَ أعزائنا وأئمتنا - برغم أنها غابت عن أنظارنا - لم تصرْ عدَمًا،
 بل هي مثلُ النجوم، توارت اليومَ في نورِ شمسِ الحقِّ، فهي موجودةُ الذاتِ معدومةُ
 الوصف. وليس لهذا الكلام نهايةٌ «مانفدتَ كلماتُ الله» أي الأرواحُ (مستوحى من
 الآية ١٠٩ من سورة الكهف) وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

ولو صارت بحارُ العالمِ مداذاً وأشجارُ الغاباتِ كلَّها أقلاماً وذراتُ الهواءِ كلَّها
كُتَّاباً، لما استطاعت وصفَ لقائهم واتصالاتِ أرواحهم الطاهرة الرَبَّانية وحكاياتِ
محبَّتهم، ولم يتأتَّ ذلك لِقَلَمٍ.

أيُّها القلبُ، لن تغدو خاسراً في العشق
أنتَ من دون روح، فمن أين لك أن تغدو روحاً
في البُذءِ جنَّتْ إلى الأرضِ مِنَ السَّماءِ
وفي النهاية ستذهبُ مِنَ الأرضِ إلى السَّماءِ
أبعثُ بمئة ألف سلامٍ ودعاء، على الدَّوامِ والتواتر، صباحاً ومساءً. أنشد لحظةً
أتى فيها أنا بدلاً من السلام ﴿وَأَتُوْنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].
وبرغم أنَّه على اللسانِ كُلِّ شَرْحِ شُكْرِهِ، وفي العينِ كُلِّ خيالٍ وصاله، وفي القلبِ كُلِّ
ذِكْرِهِ والتفكيرِ فيه، فإنَّ الرُّوحَ مُستسِقٍ للاشتياقِ إلى ذلك المولى، لا ترويه هذه. أمَلُ
الوائقِ من خالقِ الدُّنيا صانعِ المؤمنين أن يسرَّ ويهيئَ على العجلِ قَبْلَ حلولِ الأجلِ
المشاهدةَ المنعشة السريعة لذلك المولى، نادرة الزمان، مُنَوَّرَ الجنان - أدامَ اللهُ علوَّهم في
دولةِ صافية ونعمة وافية وعصمة كافية؛ إنه كان للدَّعاء سميعاً ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ
رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

لا تقنطُ، وأمَلُ أيُّها القلبُ إنَّ في الغيبِ عجائبَ كثيرة، أيُّها القلبُ

لا تغتمَّ أيُّها الرُّوحُ، بسبب أن ظلَّ الحبيبِ بعيداً عنك

فَالرَّمَنُ بِرَغْمِ أَنَّهُ يَكُونُ طَوِيلًا، يَمُرُّ فِي الْحَلْفَةِ

—

أَحْرَمُ الْكَلَامَ مَعَ النَّاسِ وَعِنْدَمَا يَأْتِي حَدِيثُكَ أَطِيلُ الْكَلَامِ
لَا تَتَمُّ مَنَاجَاتُنَا أَبَدًا ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ مَّدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. دَمَتِ قِبْلَةُ
لِلحَاجَاتِ وَمَضْعَدًا لِلْمَنَاجَاةِ، آمِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
مِنْ هُنَا، جَوَارِيكُمْ، اللَّائِي هُنَّ أَخَوَاتُنَا وَبَنَاتُنَا، يَبْعَثُنَّ بِالتَّذَلُّلِ وَالطَّاعَةِ وَهِنَّ
[١٩٢] مَتَعَطِّشَاتٌ لِلْقَاءِ، وَالْمَلَاذِمُونَ لَتِلْكَ الْخِدْمَةِ يَسْلَمُونَ عَلَيْكُمْ. وَقَدْ وَصَلَتْ
الْمَشْرِفَةُ [الرَّسَالَةُ] الشَّرِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ الْجَنَابِ الْمَنِيفِ إِلَى هَذَا الضَّعِيفِ، فَضَاعَفَتْ نَوْرَ
الْعَيْنِ وَسُرُورَ الْقَلْبِ، مِثْلَمَا أَعَادَ قَمِيصُ يَوْسُفَ الْبَصَرَ لَعَيْنِ يَعْقُوبَ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ
رِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَنْ تُغْنِدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤].

الرَّسَالَةُ الرَّابِعَةُ بَعْدَ الْمَرْثَةِ

[إِلَى جَمَالِ الدِّينِ [؟] فِي شُكْرِ الْفَضْلِ

وَالْإِحْسَانِ]

مَدَّ اللَّهُ حَيَاةَ الْإِبْنِ الْمَكْرَمِ الْمَخْلِصِ الْمَشْفِقِ، الْمُعْتَقِدِ الصَّادِقِ الصَّدِيقِ، نَادِرَةِ
الزَّمَانِ، الْعَالِيِ الْهَمَّةِ، الْمَلِكِيِّ الصِّفَةِ، جَمَالِ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ، فِي رَفْعَةٍ تَجْعَلُ الرَّأْسَ
فَوْقَ السَّمَاءِ وَالرَّجَّةَ فِي الْمُلْكِ الْخَالِدِ؛ وَصَقَّلَ وَجْهَ قَلْبِهِ الْمَشْرِقِ بِالْفَضَائِلِ كُلِّهَا مِنْ
غُبَارِ الْوَسْوسَةِ وَغُبَارِ الْغَفْلَةِ؛ لِيَكُونَ مَعْلًا لِلْإِلْهَامِ الرَّبَّانِيِّ وَفَيْضِ الرَّحْمَةِ السَّمَاوِيَّةِ؛

آمين، يا رب العالمين.

يقرأ السَّلامَ والدَّعاءَ وَيَعْلَمُ الاشتياق، «ومن القلوب إلى القلوب رَوَزَنَةٌ»

يقال إن هناك رَوَزَنَةٌ من القلب إلى القلب

كيف الرَوَزَنَةُ ولم يبق أيضًا جدارًا؟

زَيْنَ الْحَقِّ تعالى قلبَ ذلك الابن بسرورٍ وراء سرورِ العالمِ الفاني، وأوصله إلينا بالسَّلامِ والمراد في أيمن الأحوال وأقرب الأزمان؛ إنَّه على ذلك قديرٌ وبالإجابة جدير. الإخوانُ جميعًا يبعثون بالسَّلام وهم مشتاقون. وَيُبْعَثُ بالسَّلام والدَّعاء إلى جناب آصِفِ الزمان، مَلِكِ الوزراء، منشئ الخيرات، مغيث الخلائق، نظامِ مُلْكِ الزمان - أدامَ الله علوه - وإلى خاصَّته. ويعلم بأننا مشتاقون وشاكرون للنعم، فإتانا لم ننسَ أفضاله وإحسانه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِنْهُ نَسَايَ حَبْرٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦].

مثلما ظهرَ في المنام لذلك العزيز عندما قال له أحدهم: كُلُّ ما يظهر لك يأمرُك الله بأن تحفر [١٩٣] الأرضَ وتدفنه وتغطيه، وفي الرؤيا أيضًا تجاورَ ذلك المكان، فرأى طستًا ذهبيًا في وسط الصَّحراء كان يتلألأ ويلمع، فتذكَّر تلك الوصية؛ وفي الحال حفرَ الأرضَ، ودفنه على عمق ذراعين تقريبًا، وهكذا مرَّات. حتى عجز، فقال: أُمِرْتُ بأن أفعلَ ذلك مرَّة واحدة، وقد فعلتُ ذلك مرَّاتٍ، فانتَهى من تلك الرؤيا ومضى. فرأى ذلك الشخصَ الذي كان قد وصَّاه. وفي الحال كرَّر له ما حدث. فقال: اعْلَمْ بأن تلك صورةُ الإحسان والفضل الذي يقوم به الإنسانُ من أجلِ الله، فإنَّه كلِّما أخفي صار

واضحاً جلياً. ولو مضت مئة سنة، برغم طول مدة تغطية الأشياء، هذا الشيء لا يُغطى، والحقُّ تعالى تفضلاً منه يُظهره ويجليه. وإن كان لأحد شكُّ في ذلك فقل له انظر إلى المآذن العالية وأذان المؤذنين والمنابر المرتفعة ووعظِ الواعظين ومدارسِ الأطفال وغير ذلك، فإن هذه جميعاً آثارُ إحسانِ محمد صلى الله عليه وسلم وسعيه وصيره على أذى الكافرين وقصدهم إتياء بالإزعاج، التي كان الحقُّ تعالى قد وعده بأن يظهرها ويحفظها. وبرغم أنه ليس لك [يا محمد] وارث، فإنني أنا وارثُ المحسين ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝ [الضحى: ٤ - ٥]، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝﴾ [الكوثر: ١]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩].

الإحسانُ الذي يكون من أجلِ الله خيرٌ من ضياء الشمس ومن نور القمر. الجسدُ يمضي في القبر، أما النورُ فلا يمضي إلى أسفل القبر. جَرَبُ: أدخل نورَ الشمس في القبر، يرجع إلى الأعلى. وليس لهذا الكلام نهاية ﴿قُلْ لَوْ كَانَ آلِ الْبَحْرِ مِثْلًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي ۝﴾ [الكهف: ١٠٩].

زادكم الحقُّ تعالى توفيقاً فوق توفيق، وجداً فوق جد، وجذبةً فوق جذبة، ودعوة فوق دعوة، وهدايةً فوق هداية!

أحرمُ الكلامَ مع الناس وعندما يأتي حديثك أطيلُ الكلام
دمت طالباً وعاشقاً آمين، يا رب العالمين.

الرسالة الخامسة بعد المئة

[إلى من اسمه جمال الدين - رسالة

عرفانية]

نظّم الله حياة الابن المخلص المعتقّد، نادرة العالم، طالب الحقّ تعالى، العليّ الهمة، المحترّف الإحسان، المفكّر بالطاعات، اللطيف الجوهر، الطاهر العنصر، مؤنس الفقراء، محبّ الأولياء، جمال الدولة والدين - أحسن الله عاقبته - في اقتناء^(*) أسباب السّرور، والاعتناء باكتساب السيرة الحسنة، وتيسير مقاصد [١٩٤] الدّولة العالية! ورّةً له صحيفة السّعادة والتوفيق إلى الخير، الذي هو أضلّ كلّ الرغبات، وكيماؤ كلّ المرادات، بأرقام الفضل الإلهي، ورفع له أوج المعرفة والاعتقاد، وجمع له فوج الاجتهاد والميل إلى عبادة ربّ العباد وحلاوة الطاعة، وقرّن له الزمان المبارك، الذي هو رأس مال سعادة الدّنيا، والمُلْك الخارج عن الزمان، بنشاط العقل وتجديد الإيمان.

عقل المسكين وروح كلّ مسكين متحيّران في النظر إلى عجائب صنّع الحقّ تعالى وتصريفه وتفريقه، فإنّ الأرواح مثل حمام الكعبة قد اجتمعت على سطح الأمل في بيت الحق، مرفقةً بأجنحتها. بعضها يحرك جناح الخوف، أي جناح الشكر والشكر؛ وصنّعه، مثل اللّعب بالحمام، يتمثّل في أنّه فوق هذا السطح العلي، من دون إلهام وتفكير وتخويف ورجاء، يرسل كلّ حمامة من حمام الروح إلى ناحية مناسبة لجوهر تلك

* الجاز والمجور هنا متعلقان بالفعل «نظّم» في مطلع الفقرة [المترجم].

الحمامة، وتُرسل إلى المُدُن. يرسلُ بعضُها في طريق غير آمنة فتصبحُ أسيرةً في مِغْلَبِ الباز. فيسمعُ صياحُ الحمام قاتلة: ابتُلينا بنكبة. فإذا كان قد تقدَّم منا سوءُ الخدمة، فلن نفعل ذلك مرةً أخرى ولن نحرك جناح الجراءة والوقاحة. يسمعُ مناجاةَ صياحها في مِغْلَبِ الباز. يخلصُ بعضُها، ويلقي في قلب الباز الهيبةَ والمرحمة، ويجب بعضُها بالقول ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح: ١٤]، أي إن أهل السماء جميعاً يرتجفون، وكذلك أهل الأرض. مثلما حدثَ عندما سأل المصطفى جبريلَ عليهما السلام عن حاله، فقال: في ساعةٍ لا يتسع الوجودُ كُلُّه لجناحي، وفي ساعةٍ أخرى تحسبني صُعُوةً من الهيبة والعظمة. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلّم: لماذا لديك خوفٌ وأنت عَقْلٌ صِرْفٌ ونورٌ مطلقٌ، ولستَ أسيراً للنفس الأمارة، ولستَ جازاً للطبيعة العنصرية؟ - قال: تلك العظمةُ لذلك الأعظم الذي هزَمَ عزازيلَ (*) بلعبة واحدة، وأنزلَ هاروتَ وماروتَ بفكرة واحدة من أوج الفلك وحسبهما في بئر بابل، وأتى إبليس من زمزمة التسبيح إلى دمدمة الوسوسة، وألقى هاروتَ وماروتَ في لجلجة السَّخَرِ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَاقِلُونَ﴾ [القلم: ١٩].

* اسم ملكٍ يرد في التراث الصوفي على أنه ثالثُ هاروت وماروت حيناً، وعلى أنه اسمُ لإبليس قبل الضلال حيناً آخر [المترجم].

ذلك المكان الذي كان فيه المعشوق مع الأحبة في بستان

صار مكانًا للذئاب والثعالب، غدا وطنًا لليوم والنسور

عصمنا الله وإياكم وأمتنا من الفزع الأكبر، وجمع بيننا ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ

مُنْفَصِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، إنه يعطي النعم قبل استحقاقها و﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ

مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨].

الإخوان والأخوات واحدًا واحدًا يقرؤون عليكم السلام؛ ومن هنا، جملة

الإخوان والأخوات يسلّمون عليكم، وهم مشتاقون إليكم، والسلام.

الرسالة التاسعة بعد المئة

[إلى أحد الصدور - في التوصية

بشخص لم يذكر اسمه في الرسالة]

[١٩٥] عندما بدأ موكلّ الضرورة والعجز بالتعجب، وتحمل القلب كثيرًا، ضاع

رأس خيط الصبر والتمالك، وجلب إزعاجًا كبيرًا لجناب ذلك المكرّم الجليل. المرجو،

وفقًا لعادة إكرام الدراويش ورعاية المساكين وجبر كسرهم، التي هي طبع الكبار

والمقبولين والسابقين والصادقين، ومعهودة ومرسومة في عهد ذلك الفريد أدام الله

علوه، أن يرسله إلى الداعي شاكراً وذاكراً. وبرغم أن إزعاج الداعي قد زاد وكثر، فإن

التعامل - بحمد الله - مع العالي الهمة، الأمر الذي تكون فيه هذه الوقاحة، ومئة ألف

فوقها، زورقاً أمام قلبه الواسع كالبحر. وإن استسقاء الأسماك لا يجعل لجثة ذلك البحر مملولة «حدث عن البحر ولا حرج». أدام الله ذكر إحسانه على كل لسان، وجعل شكره الذي ليس له نهاية في كل روح. آمين، يا رب العالمين.

وبناء على مقولة «الإناء يترشح بما فيه» من غير العجيب مداومة ذلك الذي هو فريد العالم، رئيس الأكابر في الخيرات وإمام المحسنين، ومنشئ الخيرات والكرامات، ومليك الأمراء والأيامن، لكي يتشر إخلاصه المسكيني الرائحة في العالم، ويحرض الآخرين ويرغبهم بأعمال البر ﴿هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ قِيَمَتِكُمْ﴾ [الصف: ١٠]. وإذا ما حدث سهو - والعياذ بالله - في المسابقة إلى الخيرات استيقظت المهمة العالية سريعاً ﴿إِذَا مَسَّهُمُ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وأمسكت سريعاً بتلابيب القلب وتعلقت تعلقاً قوياً بأذيال الندامة والاستغفار، وأخذت تتفحص عن سبب ذلك التغافل والتكاسل، وعن مصدر ذلك الإمهال والتثاقل في طاعة ذي الجلال، فسدت تلك الثلمة وتداركت ذلك الكمين من كمائن الشيطان؛ لكي تكون دار الملك آمنة من مثل هذه الفتنة. وعندما عقد العبد [يريد نفسه] عقد الأمل بتلك الحضرة، ووضع الأساس لخدمة جابر الكسر وطاعته على أمل أن يظهر بالكمال، وانتطق بنطاق الخدمة - النطاق الذي يتخذ وسيلة ثمر نتائج القبول، عندما ضعف هذا النطاق الذي انتطق به المتعبد، لا بد من أن يقع الخوف، ولا بد من تدارك ذلك.

إذا طرّف من حبلِك انحَلَّ عَقْدُهُ تداعى وشيكاً بانحلالٍ مرائره
يحصلُ تهاونٌ في السُّنة فيطمع الشيطانُ في الفرائض، ويحصل تهاونٌ في الفرائض

فيطمع الشيطانُ في الإيمان.

[١٩٦] فاحذَرِ صِغَارَ الشرِّ قَبْلَ كِبَارِهِ إِنَّ الْكِبَارَ بَدَأَ بِهِنَّ صِغَارُ

—

بَدَأَ المنارة من آجُرَةٍ واحدة فإِهمالكِ الآجُرَةَ شَيْءٌ قَبِيحٌ
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. ولا بَدَأَ من تدارك الأمرِ قدرَ الإمكان
لكي يُحكَمَ من جديد نطاقُ الخدمة على الوسط، هذا برغم أن تلك الخدمة أكثرُ في
الفضيلة، إلى درجة أنك لو عقدتَ مئة نطاقٍ مثل خيمة التُّرك [الفقراء]، لَبقيتَ
مَقْصُراً؛ ولو غدت كلُّ شعرة لساناً لَبقيتَ مَقْصُراً في الشكر والثناء.

ولو أن لي في كلِّ منبتِ شُعرة لساناً لَشُكْرِكَ مِنْكَ كَانَ مَقْصُراً
زَيْنُ اللَّهِ تعالى صَدَرَ ذَلِكَ الصَّدْر، والضميرُ المنيرُ لذلك الأمير - أدامَ اللهُ علوّه -
بنور الإخلاص، الذي أخفاه وهابُ الإخلاص - جَلَّ جلاله - للمخلصين لحضرته في
خزانة الغيب، وجعلَ قضاءَ حقوقه التي لا حدَّ لها، وهو فرضُ عينٍ وعَيْنُ الْقَرَضِ،
إكراماً للفقراء، لكي يبقى دائماً في مجازاة ذلك الاصطناع والإحسان الذي لن يُجَازَى
بالمجازاة.

وهذا دعاءٌ لو سَكَتَ كُفَيْتُهُ
.....

وقد وصلت رسالة ذلك العزيز واحترامه لي في الغيب إلى هذا الداعي، فحصل
من ذلك السرور.

أراحَهُ اللهُ، فمنه الراحةُ للخلْق

ولا يمكن للخلق راحةً إلا من روح طاهر

وقد طبخ مئة ألفٍ قِذْرٍ حلوى ذلك اللطيفُ الفَعَالُ
وأخذ منه المغتَمَ مئة ألفِ كأسِ خمرة

الرسالة السابعة بعد المئة

[إلى تاج الدّين معترّ في التّوصية بجلال

الدّين، في الظاهر في شأن دّين]

اللهُ يجمع بيننا، ويرفع البُعْدَ من بيننا. قال النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَهِ عِبَادًا
أَعْبَادًا [١٩٧] مَحْلُومٌ فِي الْأَرْضِ كَمَحَلِّ الْمَطَرِ: إِنْ وَقَعَ عَلَى الْبَرِّ أَخْرَجَ الْبَرَّ، وَإِنْ وَقَعَ
عَلَى الْبَحْرِ أَخْرَجَ الدَّرَّ». «الْخَلْقُ عِيَالُ اللهِ، فَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ». الْحَمْدُ لِلَّهِ،
الْيَوْمَ فِي هَذَا الدَّورِ، الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي تَفْعِ الْعِبَادِ وَإِكْرَامِ الْفُضْلَاءِ وَالْعَنَايَةِ بِالْفُقَرَاءِ وَإِنْشَاءِ
الْخَيْرَاتِ تَقَبَّلْ - اللهُ مِنْهُ - هُوَ مَلِكُ الْأُمَرَاءِ، الدُّسْتُورُ الْأَعْظَمُ، نِظَامُ الْمُلُوكِ، فَخْرُ
خِرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ، اللَّطِيفُ الْفَعَالُ وَالْأَخْلَاقِ، الْأَمِيرُ التَّقِيُّ، وَلِيُّ الْأَيَادِي وَالْإِنْعَامِ،
الذَّابُّ [الْخَصِيمِ] عَنْ حَرِيمِ الدِّينِ وَبِيضَةِ الْإِسْلَامِ، تَاجُ الْحَقِّ وَالْدِّينِ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ،
وَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ عَاقِبَتَهُ، وَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِهِ، وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، وَأَمْنَهُ مِنَ الْفِرْعِ
الْأَكْبَرِ، آمِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَبْعَثْ بِالسَّلَامِ وَالِدَعَاءِ، لِلَّذِينَ هُمَا مِنَ الْوَاجِبِ، وَالِاشْتِيَاقُ إِلَى لِقَاءِ الْحَقَائِقِ
غَالِبٌ وَبَاعِثٌ. يَسِّرَ اللهُ الْمَيْسِرَ لِكُلِّ عَسِيرٍ، وَالْمُسَهِّلَ لِكُلِّ صَعْبٍ، وَالْمُعْطِيَ النِّعَمَ
قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، الْقَدِيمُ الْإِحْسَانِ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَسْبَابَ اللَّقَاءِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ،

إنه على ذلك قدير.

معلوم لدى الرأي العالي أنه إن ناسب الاشتياق والارتباط أن تُكتب رسالة، كُتبت كل يوم على التجديد رسالة جديدة. لكنه اجتماع الحقائق والتقاء القلوب، ولا أريد أن أزعج ذلك العزيز بقراءة الرسالة؛ لكنه مثلما يطلب الأعزاء، أكتب لتلك الحضرة تذكرة، وهو في ذلك أيضًا معذور فإن «المشرب العذب كثير الزحام».

الابن العزيز المخلص، سيد المدرسين، تاج الخطباء، العالم الفاضل المتفنن، جلال الملة والدين، الإمام ابن الإمام ابن الإمام - رضي الله عنه وعن أسلافه الكرام - دائماً شاكراً وذاكراً لإحسان ذلك العظيم وتربيته وإكرامه، وهو رطب اللسان بشكركم. ويُعلم الآن أنه قريب هذا الداعي وعزيز عليه جداً. وكل مزيد إحسان وعناية ونظر ملكي في شأنه، يكون هذا الداعي ممتناً له، بل إن ذلك الإحسان على الحقيقة يكون قد وصل إلى هذا الداعي. وإن الصدر الكبير، المرحوم ملك الأفاضل، ركن الدين - تغمده الله برحمته - له حقوق متنوعة على هذا الداعي. تقبل الله منه ومنكم ومن كل محسن، والله لا ينسى من أحسن عملاً، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]، «الدنيا مزرعة الآخرة». طوبى لمن اغتنم وزرع وأقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له. وإن يقظة قلبكم وانهاض هممكم العالية وشغفكم بالخيرات مستغنية عن تلك التحريضات.

ولكن رأيت السيف من بعد شحذه إلى الهز محتاجاً وإن كان ماضياً دمت محسناً، وحباك الله توفيقاً فوق توفيق، وتسديداً فوق تسديد، وقبولاً فوق قبول. آمين، يا رب العالمين.

الرسالة السابعة بعد المئة

[إلى فخر الدين علي صاحب العطاء،
طلب تفويض خاتمه أخيه كهرتاش إلى
الشيخ جمال الدين]

[١٩٨] بسطَ اللهُ ظِلَّ عَذْلِ مَلِكِ الوزراء، آصِفِ الزَّمان، نظامِ المَلِكِ الحَقِيقِي،
الصَّاحبِ الأعظم، دستورِ العالمِ العادل، المفضَّلِ الكريم، منشئِ الخيرات، منبعِ
الكرامات، الموفقِ من السماء، المؤيدِ من الرضا، فخرِ الحقِّ والدين - أدامَ اللهُ علوه
وأحسنَ عاقبته، وتقبَّلِ حسناته، وتجاوزِ عن سيئاته، وأيده ونصره، ولليسرَى يسره،
إنه كريم مجيب.

يُبعثُ بالسَّلام والدَّعاء، للذين هما فرُضُ عينٍ وعينُ الفَرَض، والاشتياقُ إلى
لقائه العزيز متوافر، وإثني على الدوام مستَشِيقٌ ومتَشَمِّمٌ للأخبار السَّارة. وعندما
يترامى إلى سمعي أنه في كلِّ يومٍ أكثرُ حرصًا على الخير والإحسان، وأكثرُ رغبةً في
الأعمال الصالحة، وأكثرُ يقينًا بحقائق الدين، أغدو مسرورًا، وأطلبُ له من مجيب
الدَّعوات - جَلَّ جلاله - مزيدَ التوفيق والتأييد والرضى والقبول. استجابَ اللهُ لذلك.
أريدُ أن أسجِّلَ شكرَ إحسانكم؛ ولأنَّ القَلَمَ عاجزٌ عن الكتابة، أحلَّتْ مكافأةُ
ذلك إلى الحقِّ تعالى - جَلَّ جلاله - إنه خيرُ مُجَازٍ ومكافٍ.

حاملُ الرِّسالة، الابنُ العزيز، الشيخُ الصَّالحُ القانع المتَّسِّك، جمالُ الدين - أيَّده
الله - درويشٌ عزيز، مشغولٌ بالأوراد والخلوات. ولمدةٍ مديدة عاش في قِلَّةِ منالٍ وكثرةِ
عيالٍ، حتى جعلَ الصَّبْرَ حرفته، والقناعةَ قِبلته، مثلما كانت سيرةُ الدراويش المتقدمين،

رضي الله عنهم، إلى درجة أنّ الخانقاه الذي كان في عهده، أخذته منه الآخرون، ولم يراجع أحداً ولم يدافع عن نفسه، من فزط قناعته. والآن ازداد عياله، وليس لديهم الطاعة والقناعة والصبر. وأنتظر من رحمة ملك الوزراء آتة، على عادة ملاطفته للدراويش، يزاول سلطنته ويسلم خانقاه أخي گهرتاش - رحمه الله - إلى الشيخ جمال الدين؛ لكي يتفرغ هو وعياله لخدمة الحق وطاعته ويدعوا لكم. ودعاؤه لئلكم السعادة والدولة أمر حسن ومستجاب؛ وستكون على هذا الداعي منة عظيمة، إذ يكون قد فعل ذلك الإحسان لمصلحة هذا الداعي، ويكون قلب الداعي دائماً متطوعاً إلى أحواله، وتستحق أفعاله الحسنة وأخلاقه أن تكون الخواطر متعلقة بمساعدته وعونه. وقد كان ملك الوزراء دائماً متفقاً للدراويش والمستحقين، وتحت ظل شجرة ملك الوزراء استراح كثير من أهل الخير. والمؤمل أن يكون الشيخ العزيز جمال الدين شاكراً وذاكراً لذلك الإحسان. دمت ملاذاً لأهل الخير، آمين، يا رب العالمين.

الرسالة التاسعة بعد المئة

[إلى شمس الملة والدين، في إظهار شكر

السيد الأجل لإحسانه]

[١٩٩] زاد الله كل يوم مسابقة الأمير الأجل، العالم العادل، الملك الخليفة،

الناظر إلى العاقبة، الكريم الأخلاق، الطاهر الأعراق، الحريص على الخيرات، الرّاغِبِ إلى الحسنات، شمس الدولة والدين، ضياء الإسلام والمسلمين - أدام الله علوه ووفقه

وسدده - على تقادم الأدوار، ومسارعتة ومنافسته ومبادرته (*) إلى الخيرات والحسنات وطلب مرضاة رب السماوات يسر الله له اليسرى وجنبه العسرى. وأبعث بالسلام والدعاء.

سَلامٌ عليكم لا سلامٌ مودّع ولكن سَلامٌ لا يزال جديداً
يتراعى إلى أسماعنا أن توجّهه إلى الله تعالى وتبثله وفعله للخيرات تزداد كلّ يوم،
فيزداد السرور، إلى أن وصلت المشرفة العزيزة متضمنة أنواع المواساة واللطائف،
فاستقبلت بالروح والقلب، وعلمنا بالعزم المبارك؛ وإن شاء الله تعالى يوفق إلى كلّ ما
هو أجل وأحسن وأنفع أولاً وآخرًا. نستجيرُ الله تعالى، إنه خيرُ هادٍ وأحسنُ مرشد.
ومعلومٌ أن الداعي لم ينس إحسانكم؛ فإن «شكرَ المنعم واجب»، وأشكالُ
المواساة التي قدّمت للفقراء وأهل الخير ستكون شفيعاً لكم لدى حضرة الحقّ تعالى؛
ذلك أن الحقّ تعالى يعطي كلّ عمل من أعمال الخير صورةً حسنةً ويجعلها مستغفرةً
وداعيةً لذلك الشخص الذي فعل ذلك الخير ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].
وإن السيّد الأجلّ التقيّ، الحسيبَ النسيب، الموفق إلى الخيرات - أدام الله بركته -
شكّرَ حضرتكم وتحدّث عن حسن سيرتكم واجتهادكم في الخيرات والنيات الصالحة
والمقاصد الطيبة، ونعمَ القرينُ هو؛ فازداد سرورنا وقدّمنا الشكر. جعل الله ذلك في
ازدياد!

* هذه الكلمات معطوفة على «مسابقة» في مطلع الفقرة [الترجم].

الرسالة العاشرة بعد المئة

[للى واحد من الصدور في تخفيف غرامة

السيد فخر الدين يوسف]

مدَّ اللهُ حياةَ المجلسِ العاليِ الملكيِّ، في اقتناءِ أسبابِ السَّروَرِ والاعتناءِ باكتسابِ
الذِّكْرِ الحَسَنِ [٢٠٠] ونيسيرِ مقاصدِ الدَّولةِ على التَّمامِ، عددًا ما لا يُحصى من السَّنِينَ.
وجعلَ سِلْكَ المعاليِ منظومًا بوفورِ الدَّولةِ العالِيَةِ، وصحيفةَ السَّعادةِ مرقومةً بأرقامِ
الفضلِ الإلهيِّ، وأرجَ الحشمةَ مرتفعًا، وفوجَ النعمةِ مجتمعًا، والعهدَ المباركَ مقروئًا
بالنشاطِ والسَّعادةِ.

وإنَّ الدَّاعيَ متحيرٌ ومتفكِّرٌ جدًّا في الكيفِيَةِ التي يشرحُ بها الاشتياقَ إلى لقاءِ وليِّ
الإنعامِ والأيادي، وفي اللغةِ التي يمهدُ بها شُكْرَ تلكِ المواهبِ الجسيمةِ والاعتذارِ
لتلكِ اللطائفِ العميمةِ التي فاضتِ عليه من الجَنابِ الكريمِ، «فيا لها قصَّةٍ في شرحها
طولٌ».

ولكنَّ لَأَنَّ شَرْحَ ذلكِ يعجزُ عنه البيانُ والبنانُ، يرى أنَّ كَفَّ اليدِ عن ذلكِ
والانشغالِ بالدَّعاءِ للدَّولةِ العالِيَةِ أقربُ إلى الصوابِ. زاد اللهُ تعالى تلكِ الدَّاتِ
الشريفةَ، التي هي طرازُ كسوةِ المعاليِ وزينةُ الأَيامِ والليالي، علوًّا.

وبعدَ إيرادِ السَّلامِ والدَّعاءِ يُعرَضُ أنَّ جماعةً من الدراويشِ الأعزَّاءِ - الذين
دعأوهم للحضرةِ مستجاب - التمسوا من هذا الدَّاعي المخلصِ شفاعَةً في شأنِ السيِّدِ
فخرِ الدِّينِ يوسف، الذي هو غريقٌ نَعَمٍ مِلِكِ الوزراءِ وعتيقُ كرمه منذ القديم. فإنَّه
بسببِ جورِ الأَيامِ تأذى كثيرًا ولحقَ به ضررٌ كبيرٌ، وقد خجلَ من حضرتهِ في شأنِ

الغرامة، وإن صدقات ملك الوزراء ومواهبه - أدام الله علوه - تصل الآن إلى أهل الدنيا. والمؤمل أن يُخفف ما في ذمته ويُغاضي عنه؛ لكي تصل مكافأة ذلك الإحسان من رب العالمين أضعافاً مضاعفة، وتكون منةً على هذا الداعي، وينضم ذلك إلى الأفضال السابقة. والسلام.

الرسالة الحادية عشرة بعد المائة

[إلى سيف الدين والي بك، في التوصية

بنظام الدين]

جعل الله حياة المجلس العالي للأمير الأجل العالم العادل، مؤسس الخيرات، مقدم الحسنات، قاصم الظلمة، معين المظلومين، مربّي العلماء، محب الفقراء، سيف الدولة والدين، الغ قتلغ [بالتركية بمعنى: العظيم المبارك]، التقّي العالي الهمة، والي بك أدام الله علوه - قرينة(*) الإقبال والدولة والسعادة والتوفيق والسرور! كان الله تعالى، في السفر والحضر، موقفاً له ومسنداً وناصراً ومعيناً، بحق محمد وآله.

يطالع السلام والدعاء والثناء عن صديق وولاء ووفور محبة وهوى، ويعلم أن الاشتياق إلى لقائه المبارك وافر. هياً الله أسباب اللقاء على أيمن حال وأحسن فال. عندما أسمع عن حرص ذلك العزيز على الخيرات والصدقات والصلوات أظهر السرور [٢٠١] وأطلب من الحق تعالى مزيد ذلك التوفيق وأن يكون النجاح الكلي

* المفعول الثاني للفعل «جعل» في مطلع الفقرة [المترجم].

حاصلًا لذلك الحبيب المخلص. زاده الله يُعْمَنَّا وكرامة.

إنَّ حاملَ التحية، الابنَ العزيزَ المخلصَ، نظامَ الدِّين - نظمَ اللهُ أموره - شكَّرَ حضرتكم ودعا لكم. وأثنى على مواساتكم ورعايتكم للمظلومين أضعافًا مضاعفة. ومعلومٌ لديكم أنَّ خاطِرَ الدراويش متعلِّقٌ جدًّا بحالة نظام الدِّين. وكلُّ ما هو موجودٌ لدى نظام الدِّين هو فداءٌ للفقراء. ومنذ الطفولة إلى زمان الناس هذا هو ابنٌ للفقراء. وكلُّ ما يُقدِّم له يكون قد فُعل من أجل الفقراء، خصوصًا في هذا الوقت الذي صار فيه الأذى أنواعًا، ومن كلِّ ناحية أُملُ النفعُ ظهر الضرُّ وراء الضرر؛ وبرغم هذا فإنَّ لكلَّ انخفاضٍ ارتفاعًا، ووراء كلِّ عُسرٍ يُسرًا:

فلا نحسبنَ آنا على الدهرِ ضيِّعُ فللدهرِ من بعد العِثارِ نُهوُضُ

—

هكذا كان شأنُ العالم منذ أن كان: راحةٌ بعد عناء، وسرورٌ بعد غمٍ لكنه ليس لدى كلِّ إنسان قدرةٌ على أن يصبرَ إلى أن ياتي الفرجُ إليه، وهو يؤول إلى الفرج؛ الصعوبةُ في هذا. ولكن طوبى لذلك الإنسان الذي، مثل الأمير التقي العظيم وإلى بك - أدامَ الله علوه - يُساعدُ المساكينَ والجازعين ويلطفهم، من أجل الله تعالى. أوُمِّل أن تُكملوا اللطفَ الذي بدأتموه في شأن نظام الدِّين وترفعوه من هذه الحال؛ لتكون مِنَّنٌ على هذا الداعي، ويسَّرَ اللهُ أحبَّاءكم ويُعمي أعداءكم ويجعل دولتكم في الآخرة، لكي تكونَ أميرًا في هذه الدنيا وفي تلك الآخرة.

الله الله، فهذا أوانٌ رَقَّةٍ، ووقتُ شفقةٍ، وقد وصلَ السَّكينُ إلى العظم. في هذه السَّاعة يكون الواحدُ ألفًا، ويكون الثوابُ من دون حساب، وينضمُّ إلى الإحسان

السابق - وفقه الله وسدده وأيده وكلاه ورعاه، ومن الخير لا أخلاه. ونحن أيضًا مستعدون للدعاء له، وأحبّاؤنا وإخواننا مستعدون للدعاء له بالخير.

فخز المشايخ، جُنيد الزّمان، حسام الحقّ والدين، يبعث إليكم بالسّلام والدّعاء، وهو مشتاقٌ إليكم. والسّلام.

الرسالة الثانية عشرة بعد المئة

[إلى الأمير بهاء الدين أمير السّواحل، في

طلب المساعدة لأمير العالم جلبي]

[٢٠٢] أدامَ اللهُ أَيّامَ الأميرِ التقيّ العالی الهمة، الرّوحانيّ الرّبّانيّ، المتقيّ لله، المكرّم للدراويش، المغيث للمظلومين، مختصّ الملوك والسّلاطين، ملك السّواحل، أمين الرّواحل والمراحل، المتأمل للعواقب، الحليم الكريم، «المعظم لأمر الله، المشفيق على خلق الله»، بهاء الدّولة والدين، ظهير الإسلام والمسلمين - أدامَ اللهُ علوّه - في بسط^(*) الخير، ورعاية المظلومين، وخشية الله، ومجالسة خاصّة الحقّ. أولياؤه منصّورون وأعداؤه مقهورون. والحقيقة أنّ وليّنا هو عقلنا وعدوّنا هو نفسنا الأمّارة بالسوء. ومعلوم أنّ الإنسان - في الدّولة والرفعة - على مثال التّراب الذي تحتطفه الرّيحُ وتحمله إلى الأعالي ساعة، إذ «الدّنيا ساعة»، ثم تنزله بحضيض الأجل إلى الأرض. فطوبى لذلك التّراب الذي عندما يرتفع إلى الأعلى على مركب الرّيح لا ينسى نفسه، ويعلم أنّه ما يزال تُرابًا

* الجازّ والمجورر هنا متعلّقان بالفعل «أدام» في مطلع الفقرة [المترجم].

لا يَدُّ لَهُ وَلَا قَدَمٌ، وَأَنَّ هَذَا الارتفاعَ وَهَذِهِ الرِّيحَ عَارِيَّةٌ.

شعر

فَوْقَ الرِّيحِ أَلْقَيْتَ بِنَاءَ الْعَمْرِ كُلَّهُ،

وَمِنْ أَيْنَ لِلْبِنَاءِ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا فَوْقَ الرِّيحِ؟

فطوبى لذلك التراب الذي وهو في هذا الارتفاع يكون عارفاً نفسه ويقول: يا ربّي، أنا عينُ التراب، لم أخطئ في نفسي وأعلمُ أنك ربُّ والارتفاعُ لك؛ وأنا في هذا الارتفاع ذليلٌ وعبدٌ لك؛ لا أتعبُ أيَّ عينٍ بترابي قَصْداً. وعندما يكون كذلك، عندما ينزل هذا الترابُ عن مركب الرِّيح ويغدو ماثباً يجعله الحقُّ تعالى ممتطيّاً جوادَ نوره، ويعطيه، بدلاً من مركب الرِّيح، نُورَ الإرشاد، ويهمس في أذنه: إِنَّ قُرْطَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ هُوَ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

يقرأ السَّلامَ والدَّعاء، ويعلمُ الاشتياق. ﴿جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلِبِينَ﴾

[الحجر: ٤٧] ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

إِنَّ أَمِيرَ الْعَالَمِ، الْإِبْنَ الْمَخْلُصَ، مِنَ الدَّاعِينَ وَالشَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرِينَ لِإِحْسَانِ ذَلِكَ الْفَضْلِ. شَكَرَ كَثِيرًا الْخِدْمَةَ الَّتِي قَدَّمَهَا ذَلِكَ الْمَلِكُ وَالْإِكْرَامَ. نَرْجُو مِنْ جَنَابِ [الْقَائِلِ] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] أَنْ يَذْخِرَ حِجَازَةَ ذَلِكَ الْإِحْسَانِ ﴿أَضْعَفْنَا مُضْعِفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

ولا شك في أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى قَدْ خَلَقَ أَمِيرَ الْعَالَمِ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَةِ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] [٢٠٣]، لَكِنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْامْتِحَانِ وَقَعَ

في العبوديّة، مثلما وقع يوسفُ الصّديقُ - عليه السلام - لعدّة أيام في هذه العبوديّة وعبّدَ غير الحقّ وخدمَ المخلوق. كان ذلك امتحاناً، ثم عاد إلى أصله وإلى خدمة الحقّ تلك، وترك المخلوقات فإنّ «كلّ شيء يرجع إلى أصله». ولأنّه غريبٌ وصيّفٌ لديكم لعدّة أيام، مثل عزيز مصر، توصون به أركانكم وأعيانكم وعمالكم وعبيدكم خيراً ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَتَغَنَّيَ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]. والحقّ تعالى بعد عدّة قرون يحكي شكرَ عزيز مصر لهذا اللّطف الذي فعّله في حقّ يوسف الصّديق - عليه السلام - إذ وصّى به قائلاً «أَكْرِمِي مَثْوَاهُ». ويؤمّل من مكارم أخلاق ذلك الفذّ وحُسنِ إشفاقه وعبادته لله وملاطفته للدراويش أن يستعملَ السلطانَ ويسطّ ظلّ اللّطف السياديّ والأبويّ فوق رأس أمير العالم، لكي يغدو في شمس القيامة ظلّاً من الرحمة فوق رأسه. دمت مُكرِّماً للضعفاء.

الرسالة الثالثة عشرة بعد المائة

[إلى الأمير مهذب الدّين الديلمي، والد
پروانه، طلب توظيف شمس الدّين]

جعلَ الله مدارك الضّمير المنيرِ المقترنِ والمنصورِ بالإلهامات الرّبانية في الصّدر المبارك للأمير الأجلّ، العالم العادل، المحسّن الأجدّ الأسعد، مهذب الدّولة والدّين - أدامَ الله علوّه - كلّ يومٍ أصفى وأنور. وجعلَ السّعادة الأبدية المساعِدة، وتصاريّف

الزمان المضاعفة للسرور، ونواصي أعداء الدولة، مذلةً ومسخرةً في قبضة إقباله وسعاده. وجعل التوفيق إلى الخيرات، الذي هو أعظمُ نعمة وأسنَى كرامةٍ، مدارًا لا ينقطع من حضرة الفعّال.

يطالع السّلام والدّعاء والتّحيّة والثّناء من هذا الدّاعي، ويعلمُ بأنّي مشتاقٌ إلى ذلك الوصال؛ «والحريصُ محرومٌ»، ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْأَصْكَرُ﴾ [القصص: ٨٠]. يسّر البارئُ تعالى أسبابَ الملاقاة وأدواتِ الموافاة وقيضها؛ إنّه وليّ الإجابة، ودعوة المشتاقين مستجابة.

حاملُ الرّسالة، الابنُ العزيزُ الكافي، المعتقِدُ الفاضلُ الحسَنُ الأخلاق، شمسُ الدّين - دامت سعادتُه - من أقرباء هذا الدّاعي وأبنائه. وقد عقد نطاقَ الخدمة، ويريد أن [٢٠٤] يكون من جُملة خُدّام تلك الحضرة. وإنّ سُلطانكم وإحسانكم لم يرَدا راجيًا خائبًا ومحرومًا، ولا يليقُ ذلك بأياديها وحاشَ عن ناديها. المؤمِّلُ أن يُيسّطَ عليه ظلُّ الرّحمة وإكرامِ الفقراء ورعاية الضّعفاء؛ لكي يفاخرَ إخوانه وأقرانه وبباهيهم. وقد ثبت بالتّجربة أنّه جَلَدٌ في الأعمال والخدمات، وهناك اختلافٌ كبير بين خدمته وخدمات الحُدّمة الآخرين. فالأملُ أن يغدو مقبولًا لدى ذلك القبول. و«ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، يعود شاكرًا وذاكرًا، مثلما أنّ آلافَ المؤمّلين شاكرون وذاكرون لإحسانكم، «الحلّقُ عيالُ الله وأحبُّ النَّاسِ إلى الله أنفعهم لعياله»، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ويكون بذلك مِنّةً على الدّاعي. دمت محسنًا!

الرسالة الرابعة عشرة بعد المئة

[إلى مُعين الدين پراونه، توصية بإستناد

عمل إلى شمس الدين]

يَسِّرَ اللهُ السَّعَادَاتِ السَّاهِيَةَ وَالْكَرَامَاتِ الرَّبَّانِيَةَ وَقِيَضَهَا لِلرَّأْيِ الْعَالِي الْمَزِينِ لِلْعَالَمِ
مَلِكِ الْأَمْراءِ وَالْخَوَاصِّ، الْمَخْصُوصِ بِالْقُرْبِ وَالْإِيْناسِ، صَاحِبِ الدَّوْلَتَيْنِ، وَلِيَّ
السَّعَادَتَيْنِ، نَاشِرِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، ظَهيرِ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، قَامِعِ الْبِدْعَةِ الدَّيْنِيَّةِ، مُؤْنِسِ
الْفُقَرَاءِ، مَرْبِي الْعُلَمَاءِ، الْمُؤَيَّدِ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾
[الضحى: ٤]، مُعِينِ الْحَقِّ وَالدَّوْلَةِ وَالَّذِينَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ، وَأَيَّدَهُ وَنَصَرَهُ وَكَلَّاهُ
وَرَعَاهُ، وَمَنْ الْخَيْرَ لَا أَخْلَاهُ، وَأَحْسَنَ آخِرَتَهُ وَعَقْبَاهُ. يَطَالُعُ السَّلَامَ وَالِدَعَاءَ الْكَثِيرَ مِنْ
هَذَا الدَّاعِي الْمَخْلِصِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْاِشْتِيَاقَ إِلَى كَرَامَاتِهِ وَسَعَادَاتِهِ الْعَزِيزَةِ - جَعَلَهُ اللهُ دَائِمًا
مِنْ دُونِ انْقِطَاعِ مَحْفُوظًا بِحِفْظِهِ تَعَالَى وَمُسْتَبِشِّرًا - غَالِبٌ وَبَاعِثٌ. وَيَسِّرَ اللهُ وَهَيَّا
التَّوْفِيقَ إِلَى لِقَائِهِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُبَسِّرُهَا حَضْرَةُ مَنْ كُلِّ عَسِيرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى
الْبَيَانِ وَالتَّفْسِيرِ. وَإِنَّ الْأَلْطَافَ وَالْأَفْضَالَ الْمَلَكِيَّةَ وَحِفْظَ الْغَيْبِ الَّتِي يَتَفَضَّلُ بِهَا فِي
مَوَاسَاةِ هَذَا الضَّعِيفِ، لَا يَسْتَطِيعُ قَلَمٌ شَرْحَهَا وَلَا تَسْتَوْعِبُهَا لَهْجَاتُ لِسَانٍ. وَشُكْرُ
ذَلِكَ وَمُكَافَأَتُهُ مُوَكَّوْلَانِ وَمَفَوَّضَانِ لِحَضْرَةِ خَيْرِ النَّاصِرِينَ، وَنَعَمِ الْمَجِيبِ الْقَرِيبِ،
الْقَدِيمِ الْإِحْسَانِ، الْمُعْطِي النُّعْمَ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا؛ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ بَعْدَ اسْتِحْقَاقِهَا - جَزَاهُ اللهُ
أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ مُحْسِنًا. آمِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إِنَّ حَامِلَ الرِّسَالَةِ، الْاِبْنَ الْعَزِيزِ الْكَافِي، الْفَاضِلَ الْمُعْتَقِدَ، الْكَامِلَ الْكَفَايَةَ، شَمْسَ

الدين - دامت سعادته - متوجه إلى حضرتكم، وهو مُعِيلٌ ومستحقٌ وصِفْرُ اليدين، وحسنُ الأخلاق، وكَفِيٌّ وَجَلَدٌ [٢٠٥] في الخدمة. وهو يريد أن يظفر بشرف ذلك القبول، وأن يُشَرَّفَ بخدمة ذلك الفذِّ، ويُعَدَّ من جُملة خَدَمَةِ تلك الحضرة، ويفاخر إخوانه وأقرانه وبباهيهم. وإنَّ الكَرَمَ الملكيَّ لذلك العظيم - أدامَ الله علوه - متَهَضُّ لإنجاز حاجات المحتاجين والزَّاجين. المرجوُّ أن يتفَضَّلَ عليه بإنعامٍ ملكيٍّ وإكرامٍ سلطانيٍّ؛ فيكون ذلك منَّةً على هذا الدَّاعي، ويُضَمَّ إلى الإحسانات القديمة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. دمت مغنياً للخلائق!

الرسالة الخامسة عشرة بعد المئة

[في الظاهر إلى معين الدين پروانه،

توصية بطفل مظلوم اسمه سعد الدين،

وطلب مسند القضاء لتاج الدين]

جعلَ اللهُ سعادةَ الدارينِ قرينةَ زمانِ ملكِ الأمراءِ وليِّ الإنعامِ - أدامَ اللهُ علوه - .
وجعلَ الإكرامَ والألطفَ ودقائقَ المواساةِ والإحسانِ إلى الدراويشِ التي يتفَضَّلُ بها مقبولةٌ مبرورةٌ لدى حضرةِ القائل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وعن قريبِ تصل ثمراتُ تلك الخيراتِ ﴿سَأُورِيكُمْ ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

رافعُ الرسالة، الابنُ المخلصُ، سعدُ الدين، من أقرباء هذا الدَّاعي، وهو طفلٌ

مظلوم. وقد اشترى نصفَ بستانه أطفالكم والمتعلقون بكم. المؤمل أن يوصي الخدمة بأن يُنظر إليه بلطف ويُعدَّ من خدَمَتكم. والآن تصلُّ عنايتكم ولطفكم الملكيَّ إلى أهل الدنيا، وقد ادَّخر الحقُّ لكم ما يناسبُ ذلك الإكرامَ ويليقُ بذلك الإفضال من الطَّيِّبات والخِلاص، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]. والدَّاعي، حيثما كان، استعدَّ لهذا الدَّعاء، وهو مدينٌ بالدَّعاء بالخير لذلك العزيز وشاكرٌ لإحسانه. مدينٌ، أينما ذهب ووُجد، يظلُّ مدينًا ويكون قضاءُ تلك الحقوق بالدَّعاء واجبًا عليه. ولي جسدٌ غير ملائم أبعدُ عن الجَنابِ العالِي إزعاجه، لكنني أبعثُ لخدمته الضميرَ والقلبَ الخفيف.

إن رأيتَ قلبي هناك فقلْ له: حرامٌ عليك ربحُ الوصل،

أنا مهجورٌ هكذا، وأنتَ دائماً جليسه

دمتَ مرتدياً حُلَّ التوفيق ومغيثاً للخلائق وقريناً لبستان الحقائق! آمين، يا ربَّ

العالمين.

لا تظنَّ أنني أراك قليلاً

أراك في كلِّ لحظةٍ، ولكن من دون إزعاج العين

[٢٠٦] ومع هذا، لأنَّ عنايتكم وإكرامكم لهذا الدَّاعي قد صارا مشهورين،

يتشفعُ لدى الدَّاعي الإمامُ الأجلُّ العالمُ خيرُ القضاة، تاجُ الدين أدامَ اللهُ فضلَه - أن يُكرِّمَ مرةً أخرى، ويسلِّمَ إليه منصبُ القضاء؛ لأنَّه لا ملجأ ولا مخلصَ لأهلِ الخيرِ اليومَ غير ذلك العظيم، أبقى اللهُ له المعين. وسيكون ذلك مِنَّةً عظيمةً على هذا الدَّاعي،

نُضمُّ إلى المنن السابقة، إن شاء اللهُ تعالى.

الرسالة السادسة عشرة بعد المئة

[إلى معين الدين پروانه، طلب

إصلاح حال نظام الدين السيئة]

الحقُّ تعالى عَلِيمٌ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] - بأتني في غاية الخجل
بل في أكثر من الغاية، من إزعاج المكاتبات لحضرة مَلِكِ الأمراء، المشرفِ بالعلم،
المزِين بالحلم، الحَسَنِ الخلق، اللطيف الخلق، المقتدي بسيرة النبي، قاهرِ الشيطان
الأبي، سراجِ القلوب، ساترِ العيوب، سائس الشاردين، ساقِي الواردين، منبعِ الأدب،
مُنْجِحِ الأرب، ارتياحِ الفؤاد، ينبوعِ الوداد، وليّ الإحسان، خلاصةُ نَسْلِ الإنسان،
مُعِينِ الدولة والدين - أدامَ الله علوه، وخلّدَ في سلامة الأيام رفعتَه، وحرّسَ من الغير
دولته، وظاهرَ عليه إحسانه ونعمته، ومواهبَه وقسمَه، وزادَ فيها خوَلَه، وختمَ بالحسنى
عملَه، وأعطاه من خير الدارين سؤلَه وأملَه.

أطالَ اللهُ عَمْرَكَ في سُورٍ وعادَ عليكَ عيدُكَ أَلْفَ عامٍ
ولا زالتْ نفوسٌ من أناسٍ تحمِلُ عنكَ محذورَ الحِمامِ
يطالعُ السَّلامَ والتَّحيّةَ، واشتياقًا كاشتياقِ الحبيبِ إلى حبيبِه، والعليلِ إلى طبيبِه،
وتوقّانًا إلى رؤيته وأخلاقه المرضية لا يمكن كتابته، ولا تُقاومُ أشجائه. يسرّ البارئ
تعالى اللقاءَ بأسرع الزّمان وأيمن الأحوال. ليس عندي صفةُ المرأةِ في اللطافة، لكنّه
لديّ تمامًا وجهُ المرأةِ في الوقاحة والإزعاج. وأملُ، لأنّه من أجل الله - جلّ جلاله -
خالصًا مخلصًا، أن لا يأتي على الخاطر العزيز الشريف ثقیلاً مزعجًا؛ وإذا ما جاء

كذلك، يسبكه [٢٠٧] بأمل خفة الرحمة الإلهية ومجازاة الثواب غير المتناهي؛ إنه موفق من رب التوفيق.

يُغَرِّض، مرةً أخرى، حالة الابنِ المخلصِ نظامِ الدين - نظمَ الله أموره - الذي ابتلى بالاتفاقات السيئة التي لا تستطيع العقول بتدبيرها أن تسلم من مغالبها - ولو كان ممكناً بتدبير العقل الاحتراز من الضرر لما قال خالقُ العقل لسلطان العقلاء وسلطان العقل: ﴿قُلْ لَا أَمَلُكَ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَغْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وعندما تكون الشمس عاجزةً ومضطربةً في النفع والضرر في ذلك الجنب، ماذا تقول الذرة وماذا تدعي؟

المتوقع من مكارم الأخلاق الفطرية الأصلية لا المستعارة المصطنعة بل ﴿ذُرِّيَّةٌ بِضَئِهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]، بتأثير ميراث صفة الكرم والرحمة والاعتماد على فضل الحق والتوكل عليه، تقديم الخيرات الذي هو متوارث للذريات الطيبة من أصولها الطاهرة ﴿لَعَلَّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، وأن يمدَّ نظراً العناية الملكية في شأن أحواله المضطربة المزعجة؛ لكي يكون في ذلك إحياءه، وتكون على هذا الداعي مئة عظيمة؛ لأن الابن العزيز له حقوق الخدمة وحقوق البؤنة منذ الصغر. أتطلع إلى أن يجعله كرم ذلك العظيم مستغنياً بعد هذا عن الأشخاص الذين لا يرون الإحسان من أجل الله فعلاً ﴿بَتَّخِذْ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ [التوبة: ٩٨]؛ ليكون في بقية العمر مرفهاً متخلصاً من الغرامات المتواصلة، وتحول له الغرامات إلى عنايات وكرامات من

ذلك الوليِّ للنَّعم، وليختَمَ العمر بالدَّعاء لكم بسعادة الدارين مع الدَّاعين الآخرين.
وقد مرَّ وقتٌ على إرادة إيصال رسالة الطَّلَب هذه إلى جناب منبع المكارم - لا زال قِبلةً
للآيين - وتوقَّف ذلك إلى أن ترجع الرِّكابُ المباركة - صاحبُها السَّعاداتُ السَّماوية -
باليُمن والسَّعادة.

والحمدُ لله، صار رجوعُ ذلك العزيز مبشِّرًا للقلوب والأشباح ومفرِّجًا للعقول
والأرواح.

الحمدُ لله على فَضْلِهِ قد رجَّع الحقُّ إلى أهله
﴿ اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]

الرسالة السابعة عشرة بعد المئة

[إلى واحد من رجال الدولة، طلب

تفويض التدريس في المدرسة الكبيرة أو

مشيخة الخانقاه الكبير إلى سراج الدين]

الحمدُ لله تعالى الذي جعلَ التوفيقَ إلى الخيرات وتوفيرَ الصَّدقات وإكرامَ
الدرائش وعبادةَ الله [٢٠٨] والنظرَ إلى العواقب والتفكيرَ في الخير، قرينةَ
القلبِ الطَّاهر لذلك الفريد في هذا العصر، الكريمِ المحسن، وليِّ الأيادي
والإكرام - زاده الله.

يبلغكم الدَّاعي المخلصُ السَّلام، وهو منشغلٌ بالدَّعاء لكم بالخير والكرامة
والسلامة، حالةَ الصَّلوات والخلوات. وأنا في غاية الخجل مما تفضلتُم به من الإيثار

والصلة والإحسان. والحقيقة أن هذا الداعي لم يشأ إزعاج أولئك الأعزاء - تقبل الله منهم، وعوضهم أضعافاً مضاعفةً من خزينته الإلهية، وجعلَ المزيدَ والمددَ في الدين والدولة والدنيا والآخرة لأولئك الأعزاء ﴿وَيُؤْتِي مِنَ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

ويُعلم كذلك أن الابنَ العزيزَ المخلصَ، العالمَ الزاهدَ العابد، العارفَ وليَّ الله، سراجَ الدين - أدامَ الله بركته - في صدد أن يكون مدرّسَ المدرسة الكبيرة أو شيخَ الخانقاه الكبير، لكنَّ غيرةَ الحق شغلته بطاعته، فانقطع عن الدنيا. ولكن لأنَّ جسم الإنسان ضعيفٌ كالشجرة الضعيفة، خاصةً أن ثمار العلم والمعرفة والموارد الغيبية تنزل عليه، يُحشى أن تتكسر أفرعُ تلك الشجرة، وهي محتاجةٌ إلى دعائمٍ لكي تظل قائمة. وكلُّ عبدٍ لله يظفر بالتوفيق إلى خدمة شجرة السعادة هذه ورعايتها بالإسناد بالدعائم ومعالجتها، يكون عبداً مقبلاً، وذلك الخيرُ يكون فوق الصلاة والصيام والحجّ والصدقات الأخرى؛ ذلك لأنَّ الصدقةَ كالسقي بالماء. فأن تأتي بالماء إلى أرضٍ روضٍ مليء بالأزهار خيرٌ من أن تأتي بها إلى أرضٍ شاكّة، برغم أن الشوكَ ضروريٌّ أيضاً، لكن هناك فرق كبير. ولذلك المقام الكبير مصلحةٌ بإعطاء الشيخ الأعزَّ سراج الدين - دامت بركته - لكي تظهرَ مئةُ ألف راحة ورحمة وقبول، ويكونَ هذا الداعي ممتناً. والسلام.

الرسالة الثامنة عشرة بعد المئة

[إلى مظفر الدين أمير العالم چلبی، في

رعاية احترام حُسام الدين چلبی]

جعلَ الله رأسَكَ أخضرَ وشفَتَكَ ضاحكةً على الدوام

وجعلَ قلوبَ أهل الدنيا مسرورةً بك على الدوام

السُّرورُ الذي ليس معه عِثارٌ، والسُّكُّرُ الذي ليس معه فُحارٌ، ملازمانِ للابنِ

العزیز، فخرِ البنين، مظفرِ الدین، أظفَره الله على [٢٠٩] كلِّ عدوٍّ من الحِنة والنَّاسِ،
وأيَّده وسدَّده وأرشدَه ووقفه لما يُحِبُّ ويرضى.

يقرأ السَّلامَ والتَّحيَّةَ، ويعلمُ بأنِّي مشتاقٌ، ويعلمُ أنَّ الابنَ العزیزَ الوفيَّ الحَسَنَ

العهد، حُسامَ الدِّين، له عليَّ وعليكَ حقٌّ كثيرٌ في الخدمة والإعانة «والبادئُ بالخير لا

يكافأ». وقد سُمع أنَّ ذلك الابنَ يتناقشُ معه في قول أصحابِ الأغراض ولا يحسبُ

بعضُ الأشياءِ ولا يسمُّعُها؛ وإنَّ حُسامَ الدِّين أمينٌ ومعتَمِدٌ وهو ابتداءُ القول قولُ

الأمين مع اليمين». ومن أجلِ قلبِ هذا الأبِ يُواسيه ويَعِدُّه بخُلعة ويهدئُ باله،

وذلك اللَّطفُ يكون قد فُعِلَ مع هذا الوالد. ومعلومٌ لكم أنَّ حُسامَ الدِّين قد شَبَّ في

كنفنا، وهو يعرفُ سوءه وحُسْنَه جيِّداً. فإذا كان ظَنُّكم وإذا كان قولُ إنسانٍ آخر، فعلى

الأحوال جميعاً مستبعدٌ منه أن يكون قد قصُرَ في النصيحة والإرادة الطَّيبة؛ فلا تقيسوا

هذا القياسَ ولا تظنُّوا هذا الظنَّ ﴿إِنَّكَ بَعْضُ الظَّنِّ لِأَمْرٍ﴾ [الحجرات: ١٢]، وذلك

الظنُّ من قبيل الظنون التي تجعلك تندم وترى الإثمَ.

ستعرفني إذا جربت غيري وتعلم أنني لبق نصح
الله الله، أن لا يعد هذه الوصايا في شأنه من قبيل التكلف والمبالغة، بل هذا
قليل من كثير وواحد من الألف. وكل زيادة في هذه المطالبة والمناقشة مطلوبة
لهذا الابن ومطموع بها، ما هي على الحقيقة خسارة وضرر، لكي يكون معروفًا.
وهذا مثل ما قيل من أن الملك أعطى لمقاتل جرح جواده جوادًا خاصًا كان خير
خيول الاصطبل، فركب المقاتل هذا الجواد. وعلى حين غرة جرح أيضًا الجواد
الثاني. فما كان من الملك إلا أن قال: وأسفاه. وفي الحال نزل المقاتل عن الجواد،
وبرغم أن الملك قدّم له جوادًا آخر رفض قبوله وقال: أنا لم أضن بروحي العزيز
في نصرة إرادتك ولم أقل: وأسفاه؛ وأنت من أجل دابة أعطيتني إياها قلت
وأسفاه؟ سأذهب لخدمة ملك يعلم قدر روعي، وأحمل هذا الجوهر إلى خير
بالجواهر. وأما الدعاء لكم بالخير والسعادة واستقامة الأمور وحصول ذلك من
حيث لا تتوقعون ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣]، فذاك علينا،
والإجابة من الله، والغوث والعون بلا كيف ولا كيفية حوالينا.

رضيت بما قسم الله لي وفوضت أمري إلى خالقي
لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يُحسِّن فيما بقي

[٢١٠] كل شدة عليك هي من غرورك

ولأن حياة المتساهل تضي سهولة

خَفُّوا يَخْفَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. وَالسَّلَامُ. وَإِذَا لَمْ أَسْمَعْ مِنْ حَسَامِ الدِّينِ شُكْرَكُمْ
فَسَأَتَأَلِّمُ الْمَاءَ عَظِيًّا.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

الرسالة التاسعة عشرة بعد المئة

[إلى تاج الدين معتز، في شكر إحسانه،

والتوصية بشمس الدين]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]. أدام الله

قلب الدولة الجديدة وروح الإقبال الضاحك للمساعي المباركة والاهتمامات الملكية
للمصاحب الأعظم، الدستور المكرم، المشهور في الآفاق، ولي الأيادي والإشفاق،
المحمدي الأخلاق، العابد الرباني، العالي الهمة، الوافر الرحمة، تاج الملة والدين،
الحبيب النسيب، الأصيل الجميل - أدام الله علوه . وعلى مر الأيام وتقادم الأعوام
تكون أمداد التوفيق في ازدياد وتضاعف، والأولياء والأحباب مسرورون - بحق محمد
 وآله، أهل الهدى والنور.

يُبْعَثُ بِالسَّلَامِ والتحية والثناء على التجديد، والاشتياق إلى اللقاء المبارك لا حد
له. يَسَّرْ جَامِعُ الشَّاتِ وَسَامِعُ الْأَصْوَاتِ أسبابَ اللقاء بأسرع زمن وأيمن وقت.
وجعل العوارض التي امتحنت الذات المباركة، سبباً للدرجات ووسيلةً للنجاة،
ومستجيلةً للثواب الأيوبي والخلاص اليعقوبي.

حاملُ التحية، الخادمُ القديمُ ورضيعُ ليانٍ نعمتكم، الابنُ العزيزُ المقبلُ المعتقدُ شمسُ الدين - دامت سعادته - توجهَ مرّةً أخرى إلى كعبةِ الآمالِ ومغْدِنِ الأفضالِ ومحطِّ رحالِ الرّجالِ، وقد استعدّ لتلك الخدمة.

والمشربُ العذبُ كثيرُ الرّحامِ

وإنَّ الصّاحبَ الأعظمَ هو من ذلك الأصل الذي عندما يعود الخدّامُ إلى حضرته حين لا يجدون ملاذًا آخر يردّون «الرّجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التّماي في الباطل»؛ وهم يعفون عمّا مضى، ويبدؤون تاريخَ الإشفاق على المرؤوسين من جديد؛ والصّاحبُ الأعظمُ من ذلك الأصل:

[٢١١] وحقٌّ على ابنِ الصّقر أن يُشبّه الصّقرا

﴿ بَرِّئِي وَرَبِّئِي مِنْ ءَالٍ يَعْثُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٦]. المتوقّع من الإكرام الوافر، المجموع من المكتسب والموروث، أن يبذل مرّةً أخرى ظلَّ المرحمة ونظر العاطفة في شأن هذا الرّاجي ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْكَ عَفْوَكَ ﴾ [الإسراء: ٢٥].

إن كان لا يرجوك إلّا مخسِنٌ فبِمَنْ يلوذُ ويستجيرُ المجرِمُ
فعلتُ ذلك من جهلٍ، مثلما يليقُ بي

وانتَ كريمٌ، فافعلْ ما يليقُ بالكريم

وفّقك الله دائماً إلى الخيراتِ والحسنات والأعمال الصّالحات وما يرضى به ربُّ السّماوات. آمين، يا ربَّ العالمين.

أنواعُ الإحسانِ التي قدّمت وتقدّم لا يقدّرُ على شكرِها تحريرُ قلمٍ وبيانُ لسان، ولا تُتصوّر مكافأتها إلّا من حضرة مَنْ ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢]،

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]. جعل الباري تعالى مكافأة ذلك الفريد من تلك الأنوار التي أذخرها في الخزانة التي لا نهاية لها من أجل المقبولين لديه! ﴿ وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

الرسالة العشرون والرمة

[إلى معين الدين پروانه (مجد الدولة
والدين) في التوصية بتاج المدرسين مجد
الملّة والدين]

طَلَعَ صَبْحُ السَّعَادَةِ عَلَى الدُّنْيَا وَوَصَلَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ إِلَى سُلَيْمَانَ

-

أَنْتَ الْأَمِيرُ وَإِنْ لَمْ تَوُتْ مَنْشُورًا فَالْأَمْرُ دُونَكَ إِنْ لَمْ تَوْثِقْ شُورِي
أمداد البركات والكرامات والعصمة الإلهية والتوفيق والتأييد الذي لا ينتهي،
مقيضة لرام الصدر الكبير المعظم سيّد الوزراء، آصف الزمان، نظام الملوك، معدي
العدل والإنصاف، شريف النعوت [٢١٢] والأوصاف، العالم العادل المحسن، مؤنس
الفقراء، مربّي العلماء، صاحب الدولتين، مجد الدولة والدين، علاء الإسلام
والمسلمين، أب الملوك والسلاطين، علم الهدى واليقين - أدام الله علوه وإقباله، وحقّق
مرجوّه وآماله، ولا زال السعد له ناصرًا وعين الكمال عن جلاله قاصرًا [كذا]. كلاه
الله ورعاه، ومن الخير لا أخلاه، وأتمّ مكارم دينه ودنياه.

يُطَالَعُ السَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ مِنْ هَذَا الدَّاعِي الْمَخْلِصِ الْمَشْتَقِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْاِشْتِيَاقَ إِلَى

اللقاء المبارك والمشاهدة السعيدة، التي هي هلال عيد المحتاجين والمظلومين وشمع جمع الفاضلين، غالبٌ ومحَرَّض. جمع الله بيننا أكرم جمع في أيمن ساعة يمتد إلى الأبد، اجتماعاً في الله والله، فإنه لا ينقطع. قال الله تعالى ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، يعني الذين تحالّلوا وجالس بعضهم بعضاً وتأخّوا لله تعالى، كالمهاجرين تأخّوا مع الأنصار، فتلك الصّحبة لا تنقطع لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأن سببها لا ينقطع، فتدوم بدوام سببها. قال النبي عليه السلام: «كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ يَنْقَطِعُ إِلَّا نَسَبِي وَسَبَبِي؛ أَي سَبَبٌ وَضَعْتُهُ أَنَا، وَنَسَبٌ وَأَخَوَةٌ وَضَعْتُهَا أَنَا، بِإِذْنِ اللَّهِ لَا تَنْقَطِعُ. الصَّاحِبَانِ فِي اللَّهِ يُعِينُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ عَلَى الْخَيْرَاتِ غِيَّةَ بَخْيَالِهِ، وَحَضْرًا بِمَقَالِهِ. فَإِذَا خَرَجَا مِنَ الدُّنْيَا تَلَاقَى رُوحَاهُمَا، فَكَلَّمَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ بِلِسَانِ الرُّوحِ، كَمَا يَتَكَلَّمُ الرُّوحُ فِي الْمَنَامِ، بَلْ وَأَظْهَرَ. لِأَنَّهُ فِي النَّوْمِ يَتَجَرَّدُ الرُّوحُ الشَّرِيفُ عَنِ الْجِسْمِ الْكَثِيفِ النَّاسِي الثَّقِيلِ الْجَمَادِيَّةِ الْمُظْلِمِ، فيَقُولُ الرُّوحُ لِرُوحِ صَاحِبِهِ: نِعَمَ الْأَخُ وَالصَّاحِبُ لِي أَنْتَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .. إِلَى آخِرِ مَا يَقُولَانِ. «وَالْعَاقِلُ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةَ، وَحِفْظَهُ تَكْفِيهِ لَتَعْرِيفِ الْبَيْدَرِ».

حاملُ التّحيّة، الابنُ المخلّص، الإمامُ الفاضلُ المتفنّن، الحسيبُ النسيب، تاجُ المدرّسين، مجدُ الملة والدين - أدام الله فضلَه وأيده بروح منه - ولا حاجة إلى تعريفه لحضرتكم، لأنّ النظر العالِي مَطْلَعٌ على ضمائر الغرباء «اتّقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، خَاصَّةً أَحْوَالَ حَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ وَنَجِّبِهِ وَالدَّاعِي لَهُ ﴿سَيِّمَاهُمُ فِي وَجْهِهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكلماته في لَحْنِهِ تَدَلُّ عَلَى خِصَالِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ - زَادَهُ اللَّهُ قُرْبًا إِلَيْكُمْ،

ولا فرق بينكم ظاهرًا وباطنًا - كان متوجهًا^(*) إلى حضرتكم. وقد جاء بهذه المباركة معه، جعلها الله مستجابةً ومستدامةً على مرّ الأيام. آمين، يا ربّ العالمين. ولأنّ حاملَ الرّسالة من المخلصين القدماء لتلك الحضرة ومن أهل البيت، يُكتفى بهذا المختصر المكتوب؛ والباقي يُعرض على الحضرة مشافهةً. والسّلام.

الرسالة الحادية والعشرون والرّابعة

[إلى مجد الدّين في زمان وزارته في

التوصية بصنّ الدّين بن حُسام الدّين]

[٢١٣] جَعَلَ اللهُ دائِمًا أَيَّامَ مَلِكِ الوُزراءِ، أَصِفِ الزمانَ، نظامِ المَلِكِ، الدُستورِ الأعظمِ، أَبِ المَلُوكِ والسُّلاطينِ، ناسِرِ العَدْلِ والفضلِ والإحسانِ، مَجِدِ الدَّولَةِ والدِّينِ، علاءِ الإسلامِ والمُسلمينِ، مغيثِ المَظْلومينِ، قاصِمِ البُغاةِ والمُتمردينِ - أدامَ اللهُ علوَهُ - مُستغفِرَةً^(**) ومُصْرِفَةً بِالْخَيْرَاتِ والحِساناتِ وتَعْظِيمِ أمرِ اللهِ، والشَّفَقَةِ على خَلقِ اللهِ، والحبِّ لله والبغضِ لله والإعطاءِ لله والمنعِ لله والإخلاصِ لله. أولياءُ تلكِ الدَّولَةِ وذلكِ الإقبالِ منصورونَ، وأعداءُ الحضرةِ مَقهورونَ. والله - جَلَّ جلالُهُ - صاحبٌ وحافظٌ ومرشِدٌ ومُسَلِّدٌ وغَفُورٌ وشكورٌ في الأفعالِ والأحوالِ كُلِّها وفي الحُضرِ والسُّفَرِ - بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وآلِهِ.

* هذه الجملة في موقع الخبر - حامل - في مطلع الفقرة [الترجم].

** المفعول الثاني للفعل «جَعَلَ» في مطلع الفقرة [الترجم].

يطالعُ السَّلامَ والحِذْمَةَ، ولا يملّ من تكثير المراسلات من أجل حوائج الخلق فإنَّ

المُشَرَّبَ العذب كثيرُ الزحام

جعلهُ اللهُ دائماً وأبداً المشارَ إليه بالبنان في اللطيف والإحسان والإجمال وكعبة

الرَّكبان والرُّجَال.

إنَّ حاملَ التَّحِيَّةِ، الابنَ المَخْلِصَ المتفَنِّ، صدرَ الدِّينِ - شرَحَ اللهُ صدرَه - ابنُ سيِّدِ المشايخ جُنَيْدِ الزمان، أبي يزيد الوقت، أمينِ القلوب، شمسِ الحقائق، حُسامِ الحقِّ والدِّينِ - أدام اللهُ بركته ومتَّع المسلمين بطول بقاته - متوجِّهٌ إلى حضرتكم. والأملُ من اللطف الميسور والكرَم المشهور للملك الوزراء، على عادته في ملاطفة الدراويش ووفقاً لعنصره الشريف الظريف، أن تُقدِّمَ المعاونةَ الملكيةَّ والملاطفةَ السياديةَ إلى الابنِ صدرِ الدِّينِ - شرَحَ اللهُ صدرَه - لكي يحصلَ الدَّعاءُ والشُّكْرُ من صميم القلب والروح، ويكونَ على هذا الدَّاعي المَخْلِصِ امتنانٌ كبير، فإنَّ لهذا الدَّاعي في هذه المدينة ضياءً ومؤنسٌ في اللَّيْلِ والنَّهار ومزيلٌ للغمِّ وقريبٌ وقبيلة. الأملُ أن يعود من الحضرة شاكراً وذاكراً، لكي يحصلَ الثناءُ الجميلُ والثوابُ الجزيلُ والمجازاةُ والمكافأةُ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. ولا يوضَعُ هذا الإحسانُ إلى جانب أنواع الإحسان الأخر ولا يُعدُّ مثل أنواع الرعاية الأخر وأنواع إكرامات الدراويش الأخر «شتانَ بين محمد وجدنَّ دل»، ذلك لأنَّه من نواذر أسرارِ الله في الأرض، أن يأتي في كلِّ خمس مئة عامٍ واحدٌ من أمثال هذا العبد. ولا بدُّ من اغتنام مثل هذا الخاطر. «إذا أحببتُ عبداً كنتُ له سَمْعاً وبَصْراً ولساناً حتَّى بي يسمع، وبى يبصر،

وهي ينطق، وهي يبطش»، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِيتِ﴾ [العنكبوت: ١٨].
 دامت الفِرَاسَةُ الطَّيِّبَةُ لِلْمَلِكِ الْوُزَرَاءِ الْمُؤَيَّدَةِ بِتَأْيِيدِ الْمُؤْمِنِ يُنْظَرُ بِنُورِ اللَّهِ، الْمُدْرِكَةُ لِحَقَائِقِ
 الْحِكْمِ [٢١٤] السَّاهِيَةِ وَدَقَائِقِهَا وَحَدَائِقِهَا. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
 كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

الرسالة الثانية والعشرون والرابعة

[إلى أكمل الدين الطيب،

في التوصية بأمر العالم جلبي]

أدامَ اللهُ جَواهِرَ بحرِ المعرفة نِثَارَ الروحِ السَّبَّاحِ السَّيَّاحِ لِلْمَلِكِ الْحَكَمَاءِ، افْتِخَارِ
 الْأَطْبَاءِ، جَالِينُوسَ الْفَضْلِ، أَفْلَاطُونََ التَّدْبِيرِ، نَادِرَةَ الزَّمَانِ، طَالِبَ الرَّحْمَنِ، أَكْمَلَ الْحَقِّ
 وَالَّذِينَ - أدامَ اللهُ علوَّهُ، وجعلَهُ في مهيعِ ﴿الْصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
 ﴿[الفاتحة: ٦ - ٧] مهتديًا وسابقًا وسائقًا، وبالمرادات والغنائم والأرباح الروحانية
 لاحقًا - بمحمد وآله.

يُبْلَغُ السَّلَامَ وَالذِّعَاءَ؛ وَحَفَظَ الْغَيْبَ وَالْأَلْطَافَ الَّتِي يَتَفَضَّلُ بِهَا تَبَاعًا تَصِلُ إِلَى
 هَذَا الذِّعَاءِ - جزاء الله خير ما جزى به محسنًا:

كُلُّ مَنْ يَذْكُرُنَا بِالْخَيْرِ جَعَلَ اللهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا بِالْخَيْرِ
 مِنْ دِيوَانِ «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ لَهُ [كَذَا]»، مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي
 فِي مَالِهِ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُ؛ أَنَا الدَّيَّانُ أَجْزِي

بالحسنة وأعفو عن السيئة». كل بذرة طاهرة يزرعها وكل فسيلة خير يغرُسها جعلها الله مستكملة ومثمرة ومستوية. برغم أنني خجل من تواتر الإزعاجات لتلك الذات الحسنة الصفات التي تجاوزت الحد، ولكن: المشرَّب العذب كثير الزحام، وحائِم أولي بالبذل والإكرام.

يُعرض أن الابن العزيز، أمير العالم - أسعده الله - ينتظر من لطفكم أن تُقرَّح عناية ومعونة في شأن معيشته على حضرة ملك الأمراء، نظام مُلك العدل، أصِف الكفاية، افتخار الأيامن، ناشر الإحسان، شريف الأفكار، زكي الأسرار، الكبير العالي الهمة، العابد، معاذ العالم، پروانه بك - أدام الله علوه وجعل عقباه خيراً من أولاه، وآخرته خيراً من دنياه. وتعرض من هذا الداعي أنواع الشكر والعذر التي يعرفها؛ برغم أن ذلك عصي على العرض، «وما لا يدرك كله لا يترك كله». المنتظر أن تُنجز مهمة أمير العالم بسعيكم المبارك وبيد [٢١٥] ملك الأمراء السخية المتلطفة بالدراويش، صاحب السعادتين، مكين الدولتين - أدام الله علوه - فقد صار ذا عيال وكثر إنفاقه؛ وذلك لكي يتلو الدعاء لتلك الدولة بفرغ بال، في الخلوات والصلوات. «الخلق عيال الله فأفضلهم أنفعهم لعياله».

لم يكن فريدون المبارك ملكاً لم يكن مجبولاً من المسك والعنبر
وببذله أدرك ذلك الجمال فابذل أنت بذله تكن فريدون
«السَّخَاءُ شجرةٌ في الجنة أغصانها متدلّية في الدنيا، فمن استمسك بغصنٍ من أغصانها رفعه إلى الجنة».

فأد زكاة الجاه واعلم بأنها كمثل زكاة المال تم نصائبها

وبرغم أنّ الإحسانَ شعارٌ لأولئك الموالى، والإكرامَ دثارٌ، وهم غير محتاجين إلى الوصية،

ولكن رأيتُ السيفَ من بعدِ شغلِهِ إلى الهزِّ محتاجاً وإن كان ماضياً
هذه هي السُّنَّةُ في الحركاتِ بركاتٌ، ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ يَمْنَعُ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ
رُطْبًا جَنِينًا﴾ [مريم: ٢٥].

نُذَكِّرُ بِالرِّزَاعِ إِذَا نُسِينَا وَنَكْتُبُ حِينَ يَمْطُلُّنَا الْكِرَامُ
فَإِنَّ الْأُمَّ لَمْ تُرْضِعْ غَلَامًا عَلَى الْإِشْفَاقِ مُذْ سَكَتَ الْغَلَامُ
ولهذا قال ربُّنا تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]،
﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]. دمت محببًا.

الرسالة الثالثة والعشرون والرابعة

[إلى شمس الدين گنجي (٢)]

في التوصية بتاج الدين رينته گرجي

أدامَ اللهُ سعادةَ الدارين وإقبالهما نثارًا لزمان الأمير المحسن المنعم المكرم، الحسن
السيرة، الطاهر الاعتقاد [٢١٦]، المفكر بالخير، المحترف للإحسان، المجير للفقراء،
المعين للمظلومين، عزيز الملوك والسلاطين، شمس الدين - أدامَ اللهُ علوه وأحسنَ
عاقبته وأبدَه بروج منه، وزاد توفيقه إلى الخيرات، التي هي خير السعادات، وأسمى

الكرامات.

يطالعُ السّلام والدّعاء من هذا الدّاعي المخلص، ويعلمُ بشديد الاشتياق، «سلام من غاب شخصه وحضر ذكره».

أَمَلْتُ عَلَيْكَ لِأَتُوكَ فِي الضَّمِيرِ

وإذا كنتَ غائبًا عن العين، فأنتَ في القلبِ حاضر

يسّر البارئُ تبارك وتعالى، الجامعُ للشتات والسامعُ للأصوات والقاضي للحاجات، أسباب اللقاء على أحسن الحال وأكرم الآن؛ إنه وليّ الإجابة.

يُعلمُ أن حاملَ التحية، السيّد العزيز المنعم المكرم، تاج الدّين، فخر التجار، ربحته گر - أدام الله علوه وصانه عن مكاره الزمان - يأتي إليكم بأدوات نحاسية. فإذا كانت مرغوبة لدى حضرات أولئك الملوك - أدام الله علوهم وأيدهم ونصرهم في الدارين - واشتريت، فالمؤمل أن يُعجل في إيصال أثمانها ولا يُتأخر. تسعون السعي الجميل وتظهرون الكرم واللطف من أجل أن يصل إليه ثمنها سريعًا من دون تأخير، لكي يعود بمراده ويدعو لتلك الدولة.

ومن هنا، الأبناء جميعًا يسلمون عليكم ويسألون عنكم. أبناءكم الأعزاء يقرؤون عليكم السّلام، ويُعلمون بالاشتياق - الله يجمع بيننا ويرفع البُعد عن بيننا ويجعلنا ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. جمعنا الله وإياكم على موائد الخلد خالدين ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِي إِلَى رَيْكِ رَاضِيَةً مُرَضِيَةً ﴿[الفجر: ٢٧-٢٨].

اجتهد من أجل آتة عندما يسرعُ الأجلُ تصل رائحةُ روحك إلى ناحيته

﴿ فَمَنْ يَمْلِكْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧]، «الدنيا مزرعة الآخرة». كل من يتكاسل ويضعف إبان الزرع، يندم إبان البذر والحصاد، ولا تفيد الندامة عندئذ. والآن إذ الأمور بيدك، لا تتوان واغتنم؛ فإن كل نفس من أنفاسك كنز وكيمياء، فاصرفه في ذكر الحق وطاعته على قدر المستطاع، ولا تقنط ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُ مِنْ رَجِّ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]. زادك الله كل يوم ضياء وسعادة وتوفيقاً.

الرسالة الرابعة والعشرون والرمة

[إلى علم الذين قبصر، رسالة مودة

وموعظة]

[٢١٧] أدام الله حياة الابن المخلص المعتقد الحسن السيرة، النقي السريرة، فخر الأولاد، علم الدين - دامت سعادته وأيده بروح منه - في سرور وانشراح صدر وتوفيق إلى الطاعة وإلى الصراط المستقيم، وبسط ظل الفضل الإلهي على أحواله في الدارين!

يطالع السلام والدعاء من هذا الداعي، ويعلم بالاشتياق. هيا البارئ تعالى أسباب الملاقاة وشرائط الموافاة على أحسن الحال وأيمن الفال. علامات قبول الطاعات أن تستجيب الطاعات الأخرى وتجذب الحرص على الخيرات على التالي ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾

[آل عمران: ١٣٣].

قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَجَلَ الْمَوْهُوبَ

لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ عَطِيَّةٍ جَدِيرَةٍ بِالْعَطَاءِ

الدُّنْيَا سَوْقٌ حَامِيَةٌ لِلْخَيْرَاتِ ﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَحَرُّرِ تُجَيْكُمْ﴾ [الصف: ١٠]. وفي

سوق الدنيا، أيُّ تجارةٍ من أجل سوق الآخرة لا ندامة فيها. السوق حاميةٌ. ومن لا يشتري متاع الخير نادماً، ومن يشتري نادماً، [قائلاً] لماذا لم أشتري أكثر.

فِي الدُّنْيَا حَسَنَاءُ فَاتِنَةٌ وَنَحْنُ مُتَفَرِّغُونَ

وَفِي الْقَدَحِ جَرَعَةٌ وَنَحْنُ صَاحِبُونَ

وَمِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا، سَنُظَلُّ مُمْسِكِينَ بِالْحَبِيبِ

وَمِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا، سَتُظَلُّ حَلَقَةُ الْحَبِيبِ فِي أُذُنِنَا

هِيََا انْهَضْ لِنُزِيلَ عَنَّا الْحَيَاءَ وَالْخَجَلَ

فَإِنَّ رِيحَ هَذِهِ الْأَرْضِ غِدَارَةٌ

نَكْرٌ وَنَفْسٌ، تُغَيِّرُ وَنُكْفَى

إِنَّ لِلنَّفْسِ الزَّنْجِيَّةِ الْمَزَاجِ سُوقًا

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ نَادِيكُمْ وَمَنْ حَلَّ يَوْمًا بِوَادِيكُمْ

آمِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الرسالة الخامسة والعشرون والرابعة

[إلى سوباشي بك، في إجابة

رسالته، وشكر إحسانه]

[٢١٨] «خيرُ الناسِ من ينفعُ الناسَ»، كلامٌ مكتوبٌ على ناصية إقبال الأمير الأجل الكبير، العالم العادل المؤيد، المنصور المجاهد، فلان الدين، ناصر الهدى واليقين، ناشر الخيرات في العالمين، مربّي العلماء، مؤنس الفقراء، قانع البُغاة، زعيم الجيوش والغزاة، نصير المجاهدين، عضد الملوك والسلطين، المبارك الكبير البطلي الأعظم، سوباشي بك - أدامَ الله علوه، وكتبَ على قلبكم المقدس المطهر الموفق ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وجعلكم موسومين بذلك. وهو يعلمُ حقاً أنَّ دولة الدنيا هذه آلهُ صيدٍ للآخرة. ويجهتدُ ويظفرُ بصيد الخيرات ليلاً ونهاراً نفساً ومالاً غليظاً في ذلك لوجه الله ﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نِيْذُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩] من أجل أنه عندما يؤخذ منه المنصبُ والمالُ، اللذان هما آلهُ الصيد، لا يتحتر عليه قاتلاً ذهب الفخ ولم أظفر بالصيد. ولا شك في أنَّ الطاعة هي خيرُ الأشياء، لكن ما سيظفر به عوضاً عن الطاعة خيرٌ من الطاعة ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩]. أعطِ الشَّبهَ (*) تظفر بالذرّ؛ وأعطِ الفاني تأخذ الباقي؛ وأعطِ الميت تأخذ الحي. الحمدُ لله أنَّ العنايةَ الالهية العظمى قرينةٌ لذلك الفريد في

العالم. زادها الله دوماً! الناطقون يذعون لكم، والصّامتون يدعون لكم: ويقول المأل: كنتُ فانيًا فأبقيتني، وكنتُ ضائعًا فأديتني. وصلتِ المشرقة [الرسالة من العلية] الشريفة، والإحسان الذي تفضّلتم به مناسبٌ جدًا للوقت. جعله الله مقبولا ومبرورا، آمين، يارب العالمين.

الرسالة السادسة والعشرون والرّابعة

[إلى جلال الدين قرطاي أو مستوفي، في

طلب تسليم خانقاه ضياء الدين إلى

حسام الدين]

صَرَفَ اللهُ قَدُومَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ وإِقْدَامَهُ وَقَدَمَهُ وَنَفْسَهُ الْمُبَارَكِ، هَذَا الصَّدْرُ الْكَبِيرُ، الْعَالِمُ الْعَادِلُ، الْمُتَّقِي اللهُ، الْمَفَكِّرُ فِي الْمَالِ، الْعَالِي الْهَمَّةِ، الشَّامِلُ الرَّحْمَةِ، صَاحِبُ الْأَلْقَابِ الشَّرِيفَةِ الْعَالِيَةِ، طَالِبُ الْأَوْصَافِ الْبَاقِيَةِ الدَّائِمَةِ - وَحَقًّا لَدَيْهِ لَقَبٌ حَسَنٌ هُوَ أَنَّهُ يُلَحَّ عَلَى اللَّقَبِ الْبَاقِي وَيَجْعَلُ مِنَ اللَّقَبِ الْفَائِي - الْأَخُ الْأَعَزُّ، فَلَانِ فِي الْمَمَالِكِ، الْمُسْتَوْفِي وَذُو الْفَضْلِ الْمُسْتَوْفِي - أَدَامَ اللهُ فَضْلَهُ وَعُلُوَّهُ - دَائِمًا [٢١٩] لَيْلًا^(*) وَنَهَارًا، فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الطَّيِّبَاتِ؛ لَكِي تَظَلَّ آثَارُ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ وَثَمَرَاتُهَا وَنَتَائِجُهَا إِلَى أَبَدِ الْأَبْدِينَ تَطُوفُ حَوْلَ رُوحِهِ الطَّاهِرِ خَادِمَةً، قَائِلَةً: أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّاهِرُ، طُفَّتْ حَوْلَنَا بِقَدَمِكَ فِي تِلْكَ

* الكلامُ بدءًا من هنا متعلّق بالفعل «صَرَفَ» في مطلع الفقرة [الترجم].

الصورة وكنت طالباً لنا، وسنؤذي نحن في هذه الصورة إلى الأبد حق ذلك.

يطالع السلام والدعاء من صحيفة ورقنا، بل من صحيفة قلبنا الصافي، التي هي محل كتابة ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وإن التقصير الذي يحصل في رسوم الزيارة يعلم عالم الأسرار أنه ليس ناشئاً عن نسيان وكسل، ولم تُنس الحقوق السابقة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وفي هذا الوقت فإن خائفه ضياء الدين الوزير - رحمه الله - مفوض إلى الشيخ الأجل الكبير، أمين القلوب، جُنيد الزمان، ولي الله، حُسام الحق والدين - أدام الله بركته - ومعلوم أن الخائفه وأبنية الخير التي تُبنى في الدنيا إنما تُبنى من أجل أن عبد الحق لا عبد الدق، ورفيق الخاصة لا رفيق القصعة، وعاشق الوصال لا عاشق المال، والدرويش القوي لا الدرويش الأكل للخبز، يمر يوماً مصادفةً لحسن الحظ بهذا البناء، فيطمع بأن يقيم فيه. والآن عليم هذا الداعي بأن ضياء الدين المرحوم قبلت نيته في أن فوض هذا المشروع الخيري إلى مثل هذا العبد، وهناك حيث يكون روحه يعلم ربُّ الأرواح كم هو مسرورٌ بهذا، ولو كان يعلم لوضع كل لبنه لبنه من ذهب. والآن فإن بعضاً من قصار النظر يتحكمون في ذلك المكان، ولا يرضون بحكم ضياء الدين؛ لأنه لا طاقة لديهم على التعامل مع حكمه. والمؤمل أنه عندما يطالع الحكم يكف أيديهم عن ذلك الرجل من رجال الحق أخوةً ومحبةً. ذلك لأن هؤلاء المزورين كانوا خاضعين لأهل التزوير. نسأل الله أن يتحقق ما يرضى به قلبه ويسر. وهذا الداعي ضامن أن ضياء الدين ورب ضياء الدين سريضان عن هذا. لتكون من ذلك منة على هذا الداعي وعلى جماعة الأصحاب. ويؤخذ من حضرة سلطان الوقت -

عظم الله دولته - حُكْمٌ وفقَ هذا المقتضى . ويكون ثوابُ هذا كله لكم ويُضَمُّ إلى المِنَنِ السابقة، ويكون ذخيرةً ليوم الجزاء - إن شاء الله تعالى.

الرسالة السابعة والعشرون والرسالة

[في الظاهر إلى القاضي سراج الدين
شكرًا وإظهارًا للمودة]

شَرَحَ اللهُ صَدْرَ مولانا، قاضي القضاة الذي استحقَّ الصَّدْرِيَّةَ بِشَرْحِ الصَّدْرِ
ولإشاعة الفضل [٢٢٠] والخير، العالمِ الفاضلِ العادلِ المتقي، البارِعِ الورعِ، منبعِ
الحكمة، قامعِ البدعة، محيي السُّنَّةِ - أدامَ اللهُ علوهَ وفضلَه وأتمَّ مراده، وقضى حوائجه،
وأحسنَ عاقبته، وأكرمَ في الدارين منزلته ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

يَقْبَلُ السَّلَامَ والاحترامَ من هذا الداعي. والله إنني دائماً مشتاقٌ لزيارة حضرتكم
والاستفادة منها، لكنَّ أعذارَ هذا الداعي معلومةٌ لدى مولانا «ويقلِّبها كيف يشاء»
﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٥٩]
﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]. لكن حقاً، على هذا التلاقي والفراق، القلبُ ليس
خالياً من محبته، واللسانُ ليس خالياً من ذِكْرِهِ، والعينُ ليست خاليةً من خياله المبارك.
وحقوقُ النِّعمِ التي وصلت قبل هذه، من العناية والألطف السَّيادية، لا تُنسى أبداً.

جَعَلَ الْبَارِئُ تَعَالَى ثَوَابَ ذَلِكَ وَأَجْرَهُ وَمُكَافَأَتَهُ مِنْ أَوْفَرِ الْأَعْوَاضِ وَالْأَجُورِ، وَيَزِيدُ مِنْ لَدُنْهُ فَضْلًا عَظِيمًا.

الرسالة الثامنة والعشرون والرّابعة

[كُتِبَتْ إِلَى سَيِّدَةٍ فِي طَلَبِ الشِّفَاءِ لَهَا

مِنْ مَرَضٍ]

صَحَّةٌ فَلَانَةٍ، الْحَسَنَةُ الْأَخْلَاقُ، الْمَلَكِيَّةُ الصِّفَاتُ، الْحَيَّةُ الْقَلْبُ، الْمَشْرِقَةُ الضَّمِيرُ، فَخِرُ الْعِبَادِ، زَيْنُ الزَّهَادِ، الْعَارِفَةُ لِلَّهِ، النَّظَّارَةُ إِلَى الْعَاقِبَةِ، الْمَعِينَةُ لِلْفُقَرَاءِ - أَدَامَ اللَّهُ عَصَمَتَهَا وَزَادَ كَرَامَتَهَا ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، أَسْأَلُ الْحَقَّ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَنْ يُرْسِلَ مِنْ صِبْغِيَّةِ اللَّطْفِ الدَّائِمِ وَمِنْ خَزِينَةِ كَرَمِهِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي لَا نِهَآيَةَ لَهُ إِلَى تِلْكَ الْفَرِيدَةِ الْعَزِيزَةِ شَرْبَةً شِفَاءٍ وَدَوَاءٍ لَصَحَّةِ الْجَسَدِ وَالْقَلْبِ وَالذِّينِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ وَجُودَهَا الْعَزِيزَ مُؤَنِّسٌ لِلْفُقَرَاءِ وَمُلْجَأٌ لِلدَّرَاوِشِ وَإِرْشَادٌ لِسَالِكِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ بِالنَّصِيحَةِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْعَوْنِ. فَقَدْ سَعَتْ بِالنَّفْسِ وَالْقَدَمِ وَمَا كَانَ فِي وَسْعِهَا دَائِمًا فِي الْخَيْرَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ وَالصَّلَوَاتِ وَالْخَلَوَاتِ وَالْمَنَاجَاةِ. فِي حَضْرَةِ مَنْ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ نَفْسٌ، لَا يُنْسَى مِثْقَالُ ذَرَّةٍ عِنْدَ جَنَابِهِ أَبَدًا، وَيَجْعَلُ ذَرَّةَ الْحَسَنَاتِ جَبَلًا، وَجَبَلَ التَّقْصِيرَ ذَرَّةً، إِذْ يَقُولُ: جِئْتُ بِالْخَلَائِقِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَأَعْطَيْتُهُمُ الْعَمَرَ وَالْعَقْلَ وَالْأَسْبَابَ، وَلَمْ أُعْطِهِمْ لَكِي أَنْتَفَعُ مِنْهُمْ فِي تِجَارَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَعْمَالِ غَيْرِ الصَّالِحَةِ وَزَرَاعَتِهَا؛ ذَلِكَ لِأَنِّي مَنَزَّةٌ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ؛ بَلْ خَلَقْتُهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَنَفَعُوا مِنِّي

ويظفروا بالسيادة ويحصلوا على السعادة الأبدية. والحمد لله أن هذه المعاني قد ظهرت [٢٢١] لتلك السيدة الفريدة، ووقفت أمام عينيها عياناً من دون حجاب. وما هو عند الآخرين تقليدٌ وظنٌّ من دولة الآخرة، هو عندها تحقيقٌ ويقين. لكنّه عندما تُبلى السرائر وتعرض البضاعة على الله، يأتي ذلك إليها في صورة أحسن.

وإن سبب عدم كتابة الرسالة لكم معلوم؛ ذلك لأنّ المقادير كلّها بيد الله، ومن دون إذن حضرة الحق لا يكون حتى نفس ممكناً. وإنّ مثال الخلق في بحر التقدير مثال السفن المضطربة، مسخرة بيد الريح، متحيرة. تصرخ أنت: أيتها السفينة، امضي في هذه الوجهة؛ فتجيب السفينة بلسان الحال: أنا محكومة بحكم ربح البحر، تأتي من جهة اليسار أو من جهة اليمين، أو من جهة الأمام أو من جهة الخلف. وإذا أنت لم تصدق بعجزك فانظر إلى آلاف الأمور التي تجري على عكس مرادك. فمن نافذة عجزك انظر إلى عجز العالم كله. ومن نافذة أنواع العجز انظر إلى القادر على الإطلاق. ذلك لأنّ الملك يجذب الزمام كلّ لحظة لكي يفهم الجواذ أن على منته فارساً وضع زمام العجز على رأسه. دمت يقظةً وصحيحة الجسم وصحيحة النظر.

الرسالة التاسعة والعشرون والرسالة

[إلى أحد السلاطين، رسالة]

مودة متضمنة نكات عرفانية]

يقرأ السلام والدعاء والشكر والثناء، ويُعلم بأنّ الاشتياق غالبٌ، ويُقبل الاعتذار، فلو أنّ عنان الاختيار ليس بيد التقدير الإلهي لجئنا لزيارة جنتكم؛ لكنّ

سُفِّنَ المَرَادَاتِ فِي خِصْمِ الْبَحْرِ أَسِيرَةٌ لِلرَّيْحِ، وَالْبِيَادَرِ فِي وَسْطِ الصَّحْرَاءِ تَنْتَظِرُ الرِّيحَ.

لَوْ أَنَّ مَحْوَلَ أَحْوَالِ الْعِبَادِ لَيْسَ اللَّهُ

لَمَا كَانَتْ مَجَارِي الْأَحْوَالِ عَلَى خِلَافِ الْأَهْوَاءِ

بلى، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْجَاذِبُ لِعَيْنَانِ خَيْرِ النَّاسِ وَشَرِّهِمْ

ولهذا السبب فإن تدابير الخلق كلها خطأ

تدور الأمور مثلما يصرف ريح التقدير السَّاوِي؛ فليس في أيدينا إلا آهات

الاشتياق وزفراءُ المحبة. والوصال والفراق بحكم الملك الخلاق، وهذه المعاني وهذا

الرثق والفتق والكون والفساد خفية على أغلب الخلق. يرون أحوالهم ولا يرون محول

أحوالهم. يرون [٢٢٢] ما خالف مرادهم، ولا يرون من يجعلهم لا يدركون مرادهم.

لِيَتَّهِمَ مَرَّةً وَاحِدَةً يَظُنُّونَ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤]. وَبِحَمْدِ

الله فإن الرائحة الطيبة لهذا العلم وأثر هذا الاعتقاد يأتيان من ناحية حضرة العظيم

العالي الهمة الملكيّ الأخلاق. وليس لديّ وصف أصف به ذلك الملك النير القلب،

المنور الروح، الحليم الكريم، فخر الملوك والسلاطين - أدام الله علوه - فقد استعملت

الألقاب في الوضع والرفع في الرسائل والمخاطبات، هذا برغم أن البحر لا يستعمل

حقيقة في الشخص، مثلما يقول القائل:

إِنَّ لُطْفَكَ هُوَ عِذْلُ السُّكَّرِ، وَهُوَ مَحَلُّ لَطْفِنِ الْخِصْمِ مِنَ الذُّبَابِ

فمتى يخفص ذلك الذباب قيمة عذل السكر؟

تَمَسَّكَ بِمَحَلِّ ذَلِكَ الْإِقْبَالِ الْقَدِيمِ وَبِعَتَبَةِ بَابِهِ. اللَّهُ اللَّهُ، قُوَّةٌ مُحْكَمَةٌ، تَمَسَّكَ بِأَحْكَامِ،

وليس في مقدور أحدٍ إبطال هذه القوة. وكل من تمسك بهذه القوة، أمسك بيده، ورفع

إلى الأعلى، وجُعِلَ مُعِينًا للعالم كله. بارك الله هَمَّتَكَ وباركَ نَظْرَكَ لَأَنَّكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ
المليء بالإزعاج وفي هذا البحر لم تُسَلِّمْ نَفْسَكَ إِلَى كُلِّ أَمْوَاجِ الْهَوَى وَالْهَوَسِ، بَلْ
أَمْسَكْتَ بِسَفِينَةِ نُوحٍ وَتَعَلَّقْتَ بِهَا بِأَحْكَامٍ. زَادَكَ اللَّهُ دَائِمًا قُوَّةً عَلَى قُوَّةٍ، وَتَوْفِيقًا عَلَى
تَوْفِيقٍ، وَمَدَدًا عَلَى مَدَدٍ، وَرَحْمَةً عَلَى رَحْمَةٍ. وَهَذَا الدَّعَاءُ فَرَضَ عَلَيْنَا عَقَبَ كُلِّ صَلَاةٍ
مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، بَلْ إِنَّ عَمَلَنَا تَجَاوَزَ الْخَمْسَ وَالسَّتَّ.

مَرُورُكَ بِإِنْسَانٍ عَيْنِي ضَرُورَةٌ وَخَبْرُكَ بِحَرَكَةِ هَذَا الْقَلْبِ ضَرُورَةٌ
الْمَامُولُ أَنْ تُخْبَرَ؛ لَأَنَّكَ طَالِبٌ لَذَلِكَ الْخَبَرِ. ذَلِكَ الْمَطْلُوبُ لَا يُرْجَعُ أَيُّ طَالِبٍ
مَحْرُومًا - تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. وَإِذَا لَمْ تُفْهَمْ كَلِمَاتُنَا فَإِنَّ تَهَامَ تَرْجَافِهَا الْعَشْقُ؛ وَإِذَا لَمْ يُعْلَمْ
ضَمِيرُنَا فَإِنَّ عَمَّاوَةَ الدَّالِّ عَلَيْهِ الْوَجْهَ الْأَصْفَرَ وَالدَّمَعُ؛ وَلَكِنْ ذَلِكَ الدَّمَعُ لَا يُظْهَرُ لِكُلِّ
عَيْنٍ خَشِيَةَ الْحَسَدِ، وَذَلِكَ الشَّرَابُ لَا يُسْقَى لِكُلِّ رَأْسٍ.

أَحْرَمَ الْكَلَامَ مَعَ النَّاسِ وَعِنْدَمَا يَأْتِي حَدِيثُكَ أُطِيلُ الْكَلَامَ
يَطِيلُ الْإِنْسَانُ الْكَلَامَ لِأَنَّ مَقْصُودَهُ يَعْزُّ إِظْهَارُهُ بِاللِّسَانِ؛ وَأَيُّ لِسَانٍ وَفِيمَ
يَسْتَرْعِبُ ذَلِكَ الْكَلَامَ الَّذِي لَا تَتَّسِعُ لَهُ لَا الْأَرْضُ وَلَا السَّمَاءُ «مَا وَسِعَنِي سَمَائِي وَلَا
أَرْضِي».

فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَجَدَ عَزِيزٌ شَجَرَةً، رَأَى أَفْرَعًا وَأَوْرَاقًا عَجِيبَةً، وَرَأَى فَاكِهَةً
عَجِيبَةً. كُلُّ مَنْ سَأَلَهُمْ مِنَ الْبُسْتَانِيِّينَ عَنْ نَوْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَنَوْعِ هَذِهِ الْفَاكِهَةِ، لَمْ
يَعْرِفُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَلَمْ يَعْلَمُوا اسْمَهَا وَلَا جَنْسَهَا. قَالَ: إِذَا كُنْتُ لَا أَعْرِفُ هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَإِنِّي أَعْرِفُ أَنِّي مَا دُمْتُ أَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ يَظَلُّ قَلْبِي وَرُوحِي نَضْرِبِينَ
مَشْرِقَيْنِ، فَهِيَ لَا جِلْسَ فِي ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ.

[٢٢٣] ماذا أقول، وماذا أكتب؟ - سأقتصر على الدعاء، والدعاء أيضًا ليس له نهاية؛ ذلك لأن الدعاء هو طلب الرحمة؛ ولأن رحمة مختلفة، متعددة الألوان، جاذبة للقلب، يشير ذلك اللطف في كل لحظة دعاء جديدًا من صميم الروح. الدعاء لا يتوقف، والداعون لا يتوقفون. ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢]. والإنسان الذي يسمع صوت ذلك المنتهى الذي لا منتهى له ويستقر في روحه كالقص في وسط الخاتم، يكون مثل الملك سائلاً وباحثاً ومقدماً للتأثر - ضاعف الله التوفيق، إنه كريم مجيب. وقرأ ضميره المشرق الملكي الباقي غير المكتوب ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢].

جعل الله سفرًا مباركًا، وجعل العودة من السفر أكثر بركة ونفعًا، ويسر مرادات القلب ورغباته الكثيرة. وما ترجونه يحصل من دون منة الخلق، بفضل الحق؛ ويحصل ما لا ترجونه ولم يمر بخاطركم ولم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يصل إليه أي مخلوق وفهمه.

وَصَلَّ الْقَلَمُ إِلَى هُنَا فَانكسرَ رَأْسُهُ

ووصلَ الطيرُ إِلَى هُنَا، فَانكسرَ جَنَاحُهُ

ما دامت لنا معرفة بك، فإن معرفة الآخرين صارت حقيرة في نظرنا؛ وما دمتنا نرى لطفك ووفاءك، فقد صارت ألطف الأحبة الآخرين ووفاءهم كاسدة عندنا، وما دام اعتقادكم ويقينكم يعطي نورًا، فإن اعتقادات الآخرين هوس ولعب. تلك الفضيلة التي أعطاها الله بشاره لكم ستكمل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ

اللَّهُ بَلِّغْ أَمْرِي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق: ٣].

وصلتِ المشرفاتُ [الرسائل] العزيزةُ وقرئت وحذت الشكرُ، وعملتِ معاملةَ التعاويذِ والرقي. برغم أنه قبل ذلك كانت الرسائل غيرُ المكتوبة تصل، وتُنقل الرسائل عن أحوالكم المباركة حالةً حالة؛ لأنه من القلب إلى القلب رَوْنَةً. يجعل الحقُّ تعالى سبباً سريعاً للقاء؛ إنه كريمٌ لطيفٌ، لقاء لا ينقطع أبداً للأبدین من إكرامه - تبارك وتعالى.

الرسالة الثلاثون والرمة

[إلى حُسام الدين جلبي، طلب قبول

دعوة أحد خاصّة الأصحاب]

سَلامٌ لآخِ كَالْبَذْرِ السَّنيِّ سَلامٌ فآخِ كَالوَزْدِ الطَّريِّ
[٢٢٤] سَلامٌ رَقٍّ نَشْرًا كَالخُزَامِي سَلامٌ طَابَ كَالرُّطَبِ الْجَنِيِّ

الحقُّ تعالى علّامُ الغيوبِ أشهدُه، برغم أنني أعلمُ بوَعْدِ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] أنه من دون إشهادي يشهد على كلِّ شيءٍ في وقته، خاصّةً في الأذن الملبئة بالنور لذلك السميع اللطيف اليقظ الذكي الكامل العلم، الكامل العمل في أقواله وأفعاله وأحواله، السامع اللامع، المضيء المشرق، الحليم الكريم، الشريف الظريف، الحاضر الناظر، الأبدِيّ الأحديّ، الذي هو ابني وأبي معاً، نوري وبصري معاً، منظوري ونظري معاً، حُسام الحقِّ والدين - أدام الله بركته ومتع العالمين بطول

عمره وعلو أمره - آتني (*) صباحًا ومساءً من دون انقطاع أبعثُ بالسلام والتحية وعَرَضُ الاشتياق إلى الرؤية بيدَ النسيم والصبا.

بِاللهِ الَّذِي عَزَّهٗ مِنْ عَظَمَتِهِ لَا يَتَسَعُّ لَهُ سَقْفُ السَّمَاءِ،
إِنَّ إِشَارَاتِ الْاِشْتِيَاقِ لَا يَتَسَعُّ لَهَا يَمَانُ الْبَنَانِ
لَكِنَّ مَرَكَبَ الْجِسْمِ هَذَا الْمَلِيءَ بِالْعِلَلِ، يَكُونُ حِينًا مَرِيضًا وَحِينًا حَزِينًا، حِينًا نَمْرًا وَحِينًا
هَامًا أَعْرَجَ، لَا يَمِشِي وَقَفًا لِمَرَادِ الْقَلْبِ أَبَدًا. حِينًا جَمَلًا قَصِيرَ الْقَوَائِمِ وَحِينًا جَوَادًا
سَرِيعًا، حِينًا قِيلَةً وَحِينًا ذُبُرَةً. لَا يَمُوتُ، وَلَا يَقْبَلُ الصَّحَّةَ. وَأُرِيدُ أَنْ أُبْعَثَ بِالسَّلَامِ
عَلَى الدَّوَامِ، وَأُبْدِي الْعُذْرَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ؛ وَلَكِنْ طَمَعًا فِي أَنْ أَظْفِرَ بِالْفُرْصَةِ وَبَسَبَبِ
طَبْعِي الْعَاجِزِ، آتِي بِنَفْسِي لَيْلًا وَفَجْرًا، وَأَحْضِرُ سِلْعَةً سَلَامِي بِنَفْسِي.

وَمَا غُلْظَتِ رِقَابُ الْأَسَدِ حَتَّى بِأَنْفُسِهَا تَوَلَّتْ مَا عَنَاهَا
وَبِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ فِي الْمَجِيءِ وَفِي السَّلَامِ، بِسَبَبِ آفَةِ الْأَيَّامِ وَغَيْرَةِ رَبِّ الْأَنَامِ،
يَحْصُلُ مَنَّةٌ تَأْخِيرٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ تَهْيِئَةٌ لِعُذْرِ يَحْزِفِ الْحَالِ. وَإِنَّ ضَمِيرَهُ الْمُنِيرَ مَطْلَعٌ مِنْ
وَرَاءِ التَّقْلِيدِ وَمِنْ وَرَاءِ الْاِسْتِدْلَالِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ اتِّصَالَ الْأَرْوَاحِ وَامْتِزَاجَهَا وَاتِّحَادَهَا
وَاخْتِلَاطَهَا، الَّذِي هُوَ مِنْ دُونِ كَيْفٍ وَمِنْ دُونِ شَكْلِ، وَرَاءَ أَشْكَالِ الْاِتِّصَالِ. وَنَحْنُ
وَاثِقُونَ، مِنْ فَضْلِ الْحَقِّ تَعَالَى، بِأَنَّ سَيْفَ الْمَوْتِ، الْقَاطِعَ لِكُلِّ الْأَسْبَابِ، لَنْ يَقْطَعَ ذَلِكَ
الْاِتِّصَالَ وَلَنْ تُبْلِيهِ ظُلْمَةُ اللَّحْدِ بِفَضْلِ الْأَحَدِ، وَلَنْ يَخْزِيهِ طُوفَانُ الْقِيَامَةِ، فَقَدْ لَقَّبَهَا
خَالِقُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْفَابِ [فَقَالَ]: ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّلَاحَتُ﴾ [الكهف: ٤٦].

* متعلق بقوله «أشهد» في مطلع الرسالة [المترجم].

في هذه الأيام تسمعون بأن مُخلصًا كان يدعو؛ وبرغم أن ذلك العزيز يفر من حضور الدَّعوات، رقةً ولطفَ مزاجٍ، لكنني ما كنتُ أريد أن يكون من دون حضوره المبارك «لا صلاةً إلا بحضور القلب».

[٢٢٥] أنا عبدٌ لذلك الذي هو جميلٌ من دون وجودنا

قرينٌ لغمٍّ ذلك الذي هو وحده جميل

يقال: أَيْسَةُ لِسْذَةِ فِي وَفَائِهِ؟

لا عِلْمَ لي بذلك، إن جفَاءه جميل

أيُّ حِلٍّ للجفَاء في ذلك الذي هو مغدُّ الصِّفاء والوفاء، الذي كان يفِي ما دامت القوَّة موجودةً في بدنه وجسمه، وظلَّ يعاونُ هذا الضعيفَ ليلاً ونهاراً. واليوم، إذ وهنَ العظمُ منه واستقوى روحُه المبارك على هذه الصِّفة التي يقول فيها القائل:

إنه فصلٌ غداً مباركاً ومثلٌ وضلَّ الحبيب

ومن موتِ الجسد، أضاء مصباحُ القلب

ولأنه بتأييد روحِ القدُس، تصلُّ مساعدته لهذا الضعيف ومعاونته والطفُ معاونته. «شكُّر المنعم واجب».

كنتُ أصطنعُ المعاذيرَ والتعلّلاتِ لصاحبِ الدَّعوة، وأقول: غداً وبغدَ غدٍ، على

أملِ القدومِ المبارك؛ ابتغاءً أن يحصلَ السرورُ بحضورِ صورتكم المباركة وتكونَ تلك الدَّعوة سائغةً بحضوركم وتبسمكم الخلو العذب. فلم يكن هناك نصيبٌ، وعندما كثرت المعاذيرُ والتعلّلات انكسر قلبُ ذلك الحبيب واتَّهمت المعاذير.

وعندما طال الأمرُ، كان لا بدَّ من أن نقنع بالخيال اللطيف الظريف الشريف

لذلك العزيز.

رَضِينَا بِبَعْضِ الْعَيْشِ إِنْ عَزَّ كُلُّهُ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءَ طَهْوَرًا تَسِيمًا
إِنَّ صُورَتَكُمْ خَيَالٌ لَتلك الحقيقة العظيمة. وقد قنعنا نحن بخيال ذلك الخيال،
أبقى الله هذا الخيال أبدًا دائمًا. وقد كُتبت هذه الكلمات القليلة التي لا قلب لها ولا يد،
وليست صاحبة ولا ثملة. ولا حاجة إلى الاعتذار؛ لأنه لديّ في ضميره المبارك
شخص حاضر هناك من دون واسطة يعتذر لي، وهو أفضل منّي وأفصح وأصدق
وأقلّ اتهامًا.

الله يجمع بيننا وراء الجمع جمعًا من عنده، فعنده وراء كل جمع جمع أعلى من الأول
وأسمى وأحلى إلى ما لا نهاية له ولا غاية. آمين، يا رب العالمين. ولولا آفة الإزعاج
 وخوف الإملال لكتبتُ في وصف أحوال القلب المذاب كاهلال؛ فلتقرأ غير المكتوب
بتأييد ونور سُبحات وجه ذي الجلال، فكن قارئًا أبدًا.

الرسالة المحادية والثلاثون والرسالة

[إلى حُسام الدين جلبي، رسالة

عرفان ومودة]

[٢٢٦] يُعَرِّضُ عَلَى حَضْرَةِ مَوْلَايِ الْمَعْلَى وَالْمُتَّصِلِ بِرُوحِي وَقَلْبِي، أَنَّهُ الْبَارِحَةُ

ثَنَى ضَعْفُ الْجَسَدِ عِنَانَ الْعَزْمِ عَنِ الْمَقْصُودِ. كَانَ الْعَزْمُ مُنْعَقِدًا وَمُؤَكَّدًا وَلَكِنْ

تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

ومعلوم أن ناصية كل مخلوق في قبضة الخالق ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦]. وفي قبضة قدرته أيضًا عنان الشمس، وكذلك عنان كل ذرة يمكن أن يكون وفقًا لمجاري الإرادة. واليوم أيضًا أثر ذلك الضعف ما زال موجودًا. لكنّه في مزاج المودة وجوهر المحبة والاتحاد والتعلق والاندماج بتلك الذات الشريفة الظريفة اللطيفة - لا زال ممتعًا بالكرامات السّماوية والعطايا الإلهية - لم يكن هناك بحمد الله أي فتور وضعف، ولن يكون؛ لأنّه عندما يكون الدّماغ والحقيقة محروسين من الآفات، فإنّ كلّ ضعفٍ يصيب الظاهر يعود إلى الصّحة من شعاع الدّماغ وقوّته. لا سمح الله بأن يدخل خللٌ في صميم حقيقة الدّاعي وضميره، الذي هو منزل محبة ذلك المحبوب؛ وبعد ذلك لا أريدُ الحياة ولا أقبلُ الدّنيا.

المقصود من العالم آدم والمقصود من آدم ذلك النّفس المقصود من الجسم أن يكون قوامًا للروح؛ والمقصود من الروح انتظام الجوارح والحواس؛ والمقصود من الجوارح والحواس كمال القلب؛ والمقصود من القلب مودة ذلك المخلص - مدّ الله علوه وضاعف سعادته ومتّع العالمين بطول بقائه وبارك في أنفاسه. وما أوصي به من إخفاء الأخبار عن كلّ مَنْ يمكن إخفاؤها عنه، أرى هذا الإخفاء لا زماً. أمّا عن ذلك الشخص المطّلع على شؤوني، فإنّ المكابرة معه إغراء له بزيادة الإظهار، إذ يجتدي في الإظهار؛ أي: اعلم بأنني مطّلع، اعلم أن إخفاءك عني غير ممكن. ويظنّ أنّه إذا تساهل سيثبت عليه الجهل، وآتة ضحك عليه، وأخفي عنه. وأغلبُ الخلق يسامون في الأمور ليس من أجل العملة المزيفة، بل من أجل أن لا يُغلبوا، ولا يُغبنوا في العقل والدّكاء. وهذا أيضًا شُحّ نفسٍ وليس لديهم علمٌ؛ ذلك

لأنَّ العقلَ شيءٌ آخر، وإذا لم تتخلَّ عن هذا العقلِ والدَّكاء، فلن يظهر ذلك العقلُ. ومادمتَ لستَ جاهلاً في هذا فستكونُ جاهلاً في ذلك. وهذا معلومٌ للرأي العالي. والآن فإنَّ هذا كافٍ للاعتذار. ومعكم، أقلُّ من هذا كافٍ أيضاً؛ فإنَّ لديَّ في ضميركم شخصاً يعتذِرُ، من الدَّاخِل، أحسنَ منِّي. وكلُّ من لديه، في داخل الحبيب، مقيمٌ ومراقبٌ يعتذر له، لا يفيدُه العذرُ الخارجِي. دمتَ محسِناً.

الرسالة الثانية والثلاثون والرمة

[إلى الصَّاحب الأعظم (٩) في الشكوى

من أهل الزمان ومن الصوفية المراتين]

[٢٢٧] اكتملَ فراغُ القلب، وذهبَ القلقُ، وتجددَ اجتماعُ الخاطر بالطفافِ ملكِ الوزراء - عَظَّمَ اللهُ ألقابه - الذي قال إنَّ اهتمامي وعنايتي معكم؛ فأفرِّغوا القلوبَ من مكر الأعداء وحسدِهم. وغدا واجباً الدَّعاءُ لدولة الدستور الأعظم بلسانِ آخر ويتضرَّع آخر في الخلوات والصلوات. وما أظهِرَ من أنَّ الدَّاعي ليس مقيماً هناك، برغم الملازمة الشديدة التي قام بها الدَّاعي في هذه المدة، فقد كنتُ في أغلب الأيَّام من الضحى حتى المساء مراقباً هناك، وفي وقت صلاة العصر أيضاً كنتُ أخرج، هو أيضاً من حسدِ نفرٍ من عبَّاد بطونهم، الذين لا عِلْمَ لديهم بلذة الحقِّ ويعدُّون الجميعَ مثلهم ولذلك ينظرون بحقد. وتلك الملازمة التي قمتُ بها في هذه المدة يُسألُ عنها الشيوخُ الذين كانوا في ذلك المقام قبلي: إن كانوا فعلوا نصفَ ذلك أو رُبْعَه. ولكن لآته كان

بعضهم من جنس بعض، لم يكن شيء من هذا الكلام. وبرغم هذا كله فالذاعي نفسه ملازم؛ لأنه ليس لدي في الدنيا أي عمل وشاغل؛ وشاغلي معي ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، دكالي معي، وفي كل يوم أؤدي الصلوات الخمس كلها جماعة وعشرين وزداً آخر، وكذلك يرون أنهم لا يكفون عن الماطلة والتعلل ويدبرون المكاييد والمصائد؛ لكي تعلموا أن مقصودهم شيء آخر. يريدون منهم أن يعبدوهم، وعباد الحق لا يستطيعون عبادتهم ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ١٠٢]. أولئك الجهلة يريدون أن يخدعوا عبادي، وأن يلوثوهم بصُحبَتهم. فكيف يخدعونهم؟ فقد خدعتهم بسلطان الأبد^(*). وإذا كنت أميل في مقام إلى ناحية اجتماع أهل الصلاح، فذلك لكي يجتمع رفاق الخير ويكون بعضهم مدداً لبعض.

ما أجمل ما قال الأذكىاء: الطريقُ للمنزل، والرفاقُ للطريق وكلما عظم الطريقُ ازدادت الحاجةُ إلى كثرة عدد الرفيق. مثلاً أن طريق الحج أعظم وأصعبُ فكان لا بد من قافلة كبيرة ورفاق كثيرين وأمير للحج. وهكذا حتى بيت الله مثل هذا الطريق ومثل هؤلاء الرفاق، حتى حضرة الله؛ لأن هناك حججاً كثيرة وصحراء وجبالاً وقطاعاً طريق. فكيف يلزم الرفاق وكل رسولٍ له تعامل مع الحق؟. قيل: لا، امضي واطلب الأصحاب والرفاق، دَعِ الخلوَةَ ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدْتَرِّزُ﴾ (١) ﴿فَرَأَيْنَاهُ﴾ [المدثر: ١-٢]، ومن أجل ذلك كان يفتح الحصون ويحاصر مكة، لا من أجل الملك.

* من منتهى الآية إلى هنا شرح من مولانا للدلول الآية بضمير التكلم للحق سبحانه [المترجم].

ومهما يكن فإنَّ مُلكَ السماء أكثر من مُلكِ [٢٢٨] الأرض. وقد عُرض عليه مرّات كثيرة: اقبل، فلم ينظر ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَنَ ﴾ [النجم: ١٧]. هناك فرقٌ بين إنسانٍ يطلب بقعةً وزاويةً طمعًا بلقمة الخبز، اليوم يُحمل إلى السقاية وغداً إلى القبر، وبين إنسانٍ يطلب بقعةً لكي يجتمع فيها أهل الخير، ويقطعوا طريقَ الآخرة بقوة بعضهم بعضًا، ويتخلّوا عن الخبز والروح. ولولا خشية ملالِ الخاطر لشرحتُ هذا. وهذا القدرُ أيضًا كُتب اعتيادًا على كمالِ الاعتقاد النقيّ لدى الصاحب الأعظم ومثله ورغبته وشوقه إلى أحوال أهل الحق. دمت مُعينًا ومربيًا لأهل الحق. آمين، يا ربّ العالمين.

الرسالة الثالثة والثلاثون والرّابعة

[في الظاهر إلى فخر الدّين علي صاحب

العطاء في أثناء أتاكيتيه، في موضوع

زواجه من حرم شمس الدّين يوتاش]

جعلَ الله الرّحمةَ والفضلَ والعنايةَ الرّبّانيةَ قرينةً لعهدِ ملكِ الأمراء والخوارج،
الأتاكِ الأعظم، أبِ الملوك والسلاطين، مغيث الإسلام والمسلمين - أدامَ الله علوه .
وجعلَ سراجَ الهداية وسَمْعَ الرّشاد رفيقَ فِكْرِهِ وتدابيره المباركة؛ لتكون كلُّ فِكْرِهِ
وتدابيره محمودّة العواقب مسعودة الخواتيم.

يتقبّل السّلامَ والاحترامَ من هذا الدّاعي المخلص، ويقبّل الاعتذار عن الإضجار.
وإن شاء الله ستصلُ ثمارُ كلِّ سعيٍ وتبجيلٍ يقوم به عن قريب إلى دولته، لا مقطوعة
ولا ممنوعة.

وإنَّ الدَّاعِي قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الرِّكَابُ المَيْمُونُ قَدْ وَصَلَ مِنَ السَّفَرِ إِلَى انْكَوْرِيَةِ (أنقرة)، سَمِعَ أَنَّ مَلِكَ الْأَمْرَاءِ قَدْ عَقَدَ مَصَاهِرَةً وَقَرَابَةً وَاتِّصَالًا بِحَرَمِ المَرْحُومِ شَمْسِ الدِّينِ يُونُاسَ، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ. وَقَدْ سُرِرْتُ بِهَذَا النِّبَاءِ، فَلَيْتَهُمْ أَبْنَاءُ الدَّاعِي، وَقَدْ كَانَ نَسَبُهُمْ وَأَصْلُهُمُ الْمُلُوكَ الْعَادِلِينَ - رَحِمَهُمُ اللهُ - «وَالْأَصْلُ لَا يَخْطِئُ». وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، هُمْ عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي يَرْضِيهَا مَلِكُ الْأَمْرَاءِ وَيُحِبُّهَا؛ وَفِي الْعِفَافِ وَالطَّهَارَةِ وَالتَّقْوَى وَعِلْوِ الْهَمَّةِ وَالْوَفَاءِ وَالسَّمْعَةِ الطَّيِّبَةِ وَالْعَقْلِ وَالزَّهْدِ، يَعَزَّ وَصْفُهُمْ. وَكُلٌّ مِنْ يَتَحَدَّثُ بِخِلَافِ ذَلِكَ حَسَدًا، عَلَيْهِ دِيَّةٌ حَقًّا، وَالبَحْرُ لَا يَتَلَوَّثُ بِلِسَانِ الْكَلْبِ. وَلَكِنَّ الْحَسَوَدَ لَا يَتَخَلَّى عَنْ نَفْسِهِ، وَلَوْ تَخَلَّى عَنْ نَفْسِهِ لَمَّا نَالَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْأَطْهَارِ. بَلْ طَعَنُوا فِي الْأَنْبِيَاءِ وَنَسَبُوا إِلَيْهِمْ أَشْيَاءَ كَانُوا بَعِيدِينَ عَنْهَا. وَمَنْ يَصِصِقُ عَلَى السَّمَاءِ [٢٢٩] لَا يَنْزِلُ بِصَاقِهِ إِلَّا عَلَى وَجْهِهِ. فَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُمْ قَدْ عَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْوُجُودِ وَأَحْرَقُوا سُرَّهُمْ. وَلَوْ اقْتَصَرَ الْأَمْرُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَكَانَ سَهْلًا، فَقَدْ بَلَغَ حَسَدُهُمْ أَنْ افْتَرَوْا عَلَى الْخَالِقِ ذِي الْجَلَالِ أَشْيَاءَ لَكِي يُسِيءَ مُحِبُّو اللهِ وَعِبَادُهُ الظَّنَّ بِخَالِقِهِمْ. وَأُولَئِكَ الْحَسَادُ نَوْعَانِ: الْأَوَّلُ أَنَاسٌ ظَاهِرُونَ مِنْ أَبْنَاءِ آدَمَ تَخْرُجُ النَّارُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ. وَأَنَاسٌ آخَرُونَ مُتَوَارُونَ، سُرَّهُمْ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ④ الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿[الناس: ٤] - ٥﴾، يُلْقُونَ فِي الْقَلْبِ فِكْرًا لَكِي يُسِيءَ أَحِبَّةُ الدِّينِ بَعْضُهُمُ الظَّنَّ بِبَعْضٍ، بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ الرَّأْيِ الْعَالِي لِلْمَلِكِ الْأَمْرَاءِ. فَقَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ، بِالْإِلْهَامِ الْمَلَكِيِّ وَالْعَنَایَةِ الْمَلَكِيَّةِ، نَهَارًا وَلَيْلًا، أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِقَلْبِ الْمَلِكِ الْأَمْرَاءِ وَخَاطِرِهِ وَعَيْنِهِ وَأُذُنِهِ، ذَلِكَ الْمُنْشَغَلُ بِالْخَيْرِ الْمُنْتَمِي لِلطَّاعَةِ، لَكِي يَكُونَ فِي أَمَانٍ مِنْ كُلِّ الْوَسَاوِسِ وَالْآفَاتِ

الخارجية والداخلية - إن شاء الله تعالى.

وعندما سمعتُ أنّ هذه المصاهرة المباركة تأخرت، انزعجتُ؛ إذ يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «الخيرُ لا يؤخر»؛ فإنّ في التأخير آفات. وإنّ ملكَ المشايخ والأبدال، البارِعَ الورعَ التقى، مفخرَ الزّهاد والعُباد، جُنيدَ الزمان، حُسامَ الملة والدين - أدامَ الله بركته - يأتي إلى جنابكم للتحقق من هذا الخبر. وقد شاء الدّاعي المجيء معه، ولكن لأنّ ملكَ الأمراء قال للدّاعي مرّاتٍ من قرط تواضعه وتديّنه: لا أريد أن تُتعب نفسك، وإذا كان هناك أمرٌ ادعني، وليس في وسعي أيضًا الوصولُ إلى هذا الحدّ، أوضحتُ في مناسبات كثيرة لحضرته أنّ كلّ ما يقوله ملكُ المشايخ حُسامُ الدّين، هو قولي، وكلّ ما يفعله هو فعلي، لا فرق بيننا. كلّ مَنْ رآه يكون قد رآني؛ وكلّ من جلّس معه يكون قد جلّس معي؛ وكلّ من نال منه أو أعزّه أو أحسن إليه، حقيقةً حقيقةً، يكون قد فعّلَ ذلك معي. وإذا استمع ملكُ الأمراء بسَمع القبول إشاراته المباركة في كلّ شأن وعدّ ذلك خيرًا في الأوّل والآخر وسببًا لسعادة الدّارين، فإنّ ذلك يكون من حساب الصدقات، ومن حساب الصّلوات والمناجاة؛ إذ يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «من خدَمَ عبدًا من عباد الله يومًا فكأنما عبدَ الله سنة». ابتغاء أن يكونَ ذلك سببًا لمزيد سعادة الدّارين وحصول الأمان فيهما، ويكون ملكُ الأمراء قد عدّنا صادقين وناصحين له وحسني الاعتقاد. دمت مؤيدًا بنور التوفيق. آمين، يا ربّ العالمين.

الرسالة الرابعة والثلاثون والرسالة

[إلى فخر الدين علي صاحب العطاء،

في التوصية بقوام الدين من عشرة

حسام الدين، وقد أصابه بعض القُرر]

[٢٣٠] جَعَلَ اللهُ العِنايةَ السَّماويَّةَ واللَّطْفَ الرَّبَّاني نِثارَ الأتابِكِ الأعظم، عمدةِ

السُّلطنة، عمادِ المملكة، أبِ الملوك والسلطين، ناشِرِ العَدل في العالمين، ملاذِ

المظلومين، مربِّي الفقراء والمساكين، فخرِ الدولة والدين - أدامَ اللهُ علَّوَه وأكرمَه في

الدَّارين، وجَعَلَ السَّعادةَ والإقبالَ مُلازمين لحضرته المباركة في كلِّ حال. وجعلَ أحبَّاءَ

دولته مسرورين، والمبغضين لِدِينه ودنياه مقهورين، بحقِّ مُحَمَّد وآله.

يطالعُ السَّلامَ والاحترامَ والدَّعاءَ ويعلِّمُ الاشتياقَ. وإنَّ سببَ التَّقصيرِ معلومٌ

لكم؛ فإنَّ التَّقديرَ الرَّبَّاني حاكمٌ لآمالنا ورغائبنا، ونحنُ محكومون لهذا التَّقديرِ.

والاختلافُ يتمثَّلُ في أنَّ بعضَ المحكومين لا يَعدُّون أنفُسَهُم محكومين، برغم أنَّهم

يقولون بالسَّتْهم: إنَّنا محكومون. الطَّائِرُ الَّذي يَعْلَمُ أنَّه محكوم وأسيرٌ لِفَتْحِ الحُكْمِ،

تكونُ أحوالُ ذلك الطَّائِرِ في ذلك الفَتْحِ ظاهرةً لطُيُورِ الجِوِّ، التي من دونِ خوْفٍ وعجزٍ

تكونُ عُلَّقةً بحُرِّيَّةٍ: يُجَعَلُ في قفصٍ أو يُحْمَلُ إلى مكان. الطَّائِرُ الأَسيرُ لا يقولُ أبداً إلى

أين أذهب وإلى أين أَطير بل يقولُ إلى أين أُحْمَلُ؟ - أكرمِ الباري تعالى، الحاكمُ المطلقُ

لطُيُورِ أرواحِ البَشَرِ، الأحبَّةُ باليقظة لهذا الفَتْحِ وبالتوفيق. إنَّه رؤُوفٌ بالعباد.

تُعَرِّضُ أحوالُ الابنِ العزيزِ الجليل، الحسيبِ النسيبِ، الفاضلِ الكافي الطاهرِ

الاعتقادِ، قِوامِ الدين - حَصَلَ اللهُ مرادُه - فإِنَّه من المحتاجين والمخلصين لِمَلِكِ الأمراءِ،

ومنذ أن كان، كان شاكراً وذاكراً لكرمكم. وقبل أن يصل إلينا ركابكم الميمون كان الابن قوام الدين دائماً يشكركم ويثني على أخلاقكم من أعماق قلبه وروحه. وقد كان لديه كلبية الرجاء والاعتماد، بعد فضل الله تعالى، على رحمة ملك الأمراء - زيد علواً - وعاطفته ورعايته للمظلومين. وفي هذا الوقت قطعت إقطاعه، ولكنه غير مغتم، لأنه برغم أن ذلك الباب قد أغلق، يظل باب إحسان ملك الأمراء ومرحمته وعنايته مفتوحاً دائماً للمحتاجين والمحيين، فإن «عَدَلَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ يُغْنِي النَّاسَ عَنِ الْخُصْبِ». يقول الرسول صلوات الله عليه إنه عندما يكون الملك عادلاً ورحيماً لا يضر الناس قحطُ السنة وانعدامُ البر؛ فإن رحمة الملك أنفع للناس من السحاب الممطر والأرض المنتجة. أدامَ البارئُ تعالى هذه الرحمة على الخلق وأرسل النُصرة والتأييد، بمَنه وجُوده.

المتوقعُ من رحمة ملك الأمراء أن يتفضل بالعناية والرحمة في شأن الابن قوام الدين، ذلك لأن الخدمة التي يقوم بها والنصيحة والفضل وإحسان الخدمة لا تأتي من الآخرين، خاصة أنه قريبُ سيد المشايخ، نادرة الزمان، أمين القلوب، خاصة الله في الأرض، حُسام الحق والدين [٢٣١] أدام الله فضله وبركته. وما يتفضل به في شأنه يكون قد تفضل به في شأن الداعي المخلص، ويتواصل مع المتن وضروب الإحسان الأخر التي تفضل بها. فقد حدث للابن قوام الدين أذى كثير، برغم أنه لا يُطلع حضرته عليه خجلاً منكم. دمت مغنياً للمظلومين، آمين، يا رب العالمين.

الرسالة الخامسة والثلاثون والرّسالة

[إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء، في
شأن مصادرة أموال صدر الدّين، ابن
حسام الدّين]

جعلَ اللهُ الخيراتِ والصّدقاتِ وحسَنَ الاعتقادِ التي يؤدّيها الأتابكُ الأعظمُ،
ملكُ الأمراءِ، الأميرُ العالمُ العادلُ، الزاهدُ العابدُ المتقي، الرّاعي للرّعية، الحليمُ
الكريمُ، المفكّرُ في العاقبة، المقوي للإسلام، الملاذُّ لأهل الإسلام، فخرُ الدّولة والدّين -
أدامَ اللهَ علوّه وأحسنَ عاقبته وأيّده بروح منه - مقبولةً (*) لدى حضرة القائل ﴿مَنْ
جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وجعلَ العناية والنورَ الذي لا
نهاية له هاديًا لفكره المبارك ورأيه وتدييره وحالًا لعقده وقيوده؛ لكي يرى كلّ شيءٍ
صحيح دونها خطأ، ولكي لا يأتي في الآخر نادماً [قائلاً]: لماذا نظرتُ خطأ، لماذا لم
أكمل النظر.

أبعثُ بالسّلام والدّعاء وأسمعُ من الأحبة الطّافَ الأمير الوَرع، التي يتفَضّلُ بها
على هذا الدّاعي، وأعلّمُ أنّه يتفَضّلُ بتلك اللطافِ والأفضالِ من أجل رضى الحقّ.
يسرّ اللهُ حاجاته ومراداته في هذه الدّنيا وفي تلك الأخرى. وهذا الدّاعي أينما حلّ في
الخلوات والصلوات مشغولٌ بالدّعاء بالخير.

* المفعول الثاني للفعل «جعلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

وقبل هذا التمس أن يُعتنى بأمر الابن المقبل الكافي الفاضل المتورع، صدر الدين بلغه الله الدرجات، فإنه من دون جرم ومن دون تقصير قُطعت موارده. ومنذ مدة وهو ينتظر الرحمة الملكية للأمير الورع.

المرجو من ناحية صدقة الجاه والدولة ومن جهة دوام الأمن والأمان وذخيرة الآخرة، أن يُطيب خاطره؛ لكي يحصل من ذلك من كثير؛ لأنه لا أحد في هذه المدينة أعز منه لدى هذا الداعي ولا أقرب ولا أدنى، من هذه الساعة إلى الأبد. وكل ما يتفضل به عليه يعلم يقيناً أنه إنما يتفضل به على هذا الداعي. وفي ذلك اليوم الذي جئت فيه لزيارة الأمير التقي - أيده الله - إنما جئت قاصداً هذه التوصية. ولم أجد فرصة إلا بالقدر الذي قلت: نحج جانباً فإنه من أعز الأعزاء. قال الأمير: عندما رأيت شهدي قلبي، ولو لم يكن قلب الأمير منوراً [٢٣٢] لما تصور أولياء الحق. والآن جعل الله مثلي ألف رحمة على قلب الأمير التقي الراعي للدراويش الملكي الصفة الذي شهد هذه الشهادة التي هي حق. أمل أن كل ما يعرضه الشيخ الأجل الأكمل العالم العارف، جنيذ الوقت، حُسام الدين، ولي الله في العالمين - أدام الله بركته - عن الأحوال يقوله ثانية أو يبعثه في رسالة، ويعده قولاً ورسالة لهذا الداعي، بل يعده قولاً ورسالة من الحق - تعالى وتقدس. وليس للداعي هدف في هذه الشهادة إلا سعادة ملك الأمراء - أيده الله بأنوار التوفيق. وكل من يقول لحضر تكم خلاف هذا يكون قد قام بقطع طريق الدين بسبب الحسد. وفي هذا الوقت الأمير هو نائب الحق، فوجب تعريفه بأهل الحق لكي لا يبقوا مسنورين عنه؛ ذلك لأن الإحسان إلى الأولياء كالإحسان إلى جناب الله من دون وسيط؛ فإن الحق تعالى اختار هؤلاء القوم من بين الخلق وقال: من رآكم فقد

رَأَيْتُ مَنْ أَعَزَّكُمْ فَقَدْ أَعَزَّنِي؛ مَنْ آذَاكُمْ فَقَدْ آذَانِي. جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ نَافِعَةً لِمَلِكِ الْأُمَرَاءِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

أَحَرَّمُ الْكَلَامَ مَعَ النَّاسِ وَعِنْدَمَا يَأْتِي حَدِيثُكَ أَطِيلُ الْكَلَامَ
«مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا كَثُرَ ذِكْرُهُ»، يُكْثِرُ الْعَطْشَانُ ذِكْرَ الْمَاءِ؛ خَاصَّةً مِثْلَ هَذَا الَّذِي هُوَ
مَاءُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيِّ الْأَزَلِيِّ الْبَاقِي الْمُنْعِشِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ الَّذِي لَا يَنْقُطِعُ عَنْ أَحِبَّاءِ الْحَقِّ.
وَالَّذِينَ يَتَعَلَّقُونَ بِأَذْيَالِ أَحِبَّاءِ الْحَقِّ يَصِلُونَ إِلَى ذَلِكَ الْإِقْبَالِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الرسالة السابعة والثلاثون والتممة

[إلى تاج الدين معتز في التوصية

بشخصي لم يذكر اسمه]

صَانَ اللَّهُ إِقْبَالَ الصَّاحِبِ الْأَعْظَمِ، مَلِكِ الْوُزَرَاءِ، مَشْهُورِ الْأَفَاقِ، الشَّرِيفِ
الْأَخْلَاقِ، الظَّاهِرِ الْأَعْرَاقِ، النَّاشِرِ الْإِحْسَانَ، مَعْدِنِ الْإِيثَارِ وَالْإِيْقَانِ، كَعِيَةِ الْأُمَالِ،
وَلِيِّ الْأَيَادِي وَالْأَفْضَالِ، مَرْبِيِ الْعُلَمَاءِ، مُنْسِيِ الْفُقَرَاءِ، مُؤَسِّسِ الْخَيْرَاتِ، مُغِيثِ الْأَنَامِ،
فَخْرٍ خِرَاسَانَ، تَاجِ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - مِنْ عَيْنِ (*) الْحَسَدِ وَمِنْ نَوَائِبِ
الْعَالَمِ الْغَدَارِ. أَوْلِيَاءُ دَوْلَتِهِ مَنْصُورُونَ وَمُسْرُورُونَ، وَأَعْدَاءُ دَوْلَتِهِ وَالْخَائِنُونَ لَهَا
وَمُتَّقِدُوهَا مَهْزُومُونَ وَغُذُولُونَ وَمَقْهُورُونَ - بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَرَايَاتِهِ وَالْقُرْآنِ وَأَيَاتِهِ.

* الجار والمجرور هنا متعلقان بالفعل «صان» في مطلع الفقرة [الترجم].

السَّلامُ ودُعاءُ الخير، اللَّذَانِ هما واجبان على الدَّاعي، اتَّعَهْدُ بهما، وأتَنَسَّم
 الْأَخْبَارَ السَّارَةَ من [٢٣٣] الصادر والوارد. وعندما أسمع أخبارَ انتظامِ تلك
 الدولة وانهزامِ المبغضين والخائنين أبتَهجُ وأفرح. وأشكُرُ البارئ تعالى؛ فإنَّ
 «الشُّكْرَ قَيْدٌ وَصَيْدٌ لِلنَّعَمِ»، «إِذَا سَمِعْتُ صَوْتَ الشُّكْرِ تَاهَبْتُ لِلْمَزِيدِ»، ﴿لَئِنْ
 شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. زَادَ اللهُ تلكَ السَّعَادَةَ دَائِمًا، وَأَهْلَكَ
 الْأَعْدَاءَ، ووقفك إلى الخيرات في كُلِّ الْأَوْقَاتِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ من بَطْءِ حَرَكَةِ
 الْعَالَمِ وتَقْلِبِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ وتَوَالِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، اغْتِنَامُ الْخَيْرَاتِ وَالْجِدِّ فِي
 زِرَاعَةِ بَذْرِ الْخَيْرِ، مِثْلَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِذَلِكَ الْعَظِيمِ، زَادَ اللهُ عَيْنَ يَقِينِهِ نُورًا؛ لِكَيْ
 يَجْعَلَ قَلْبَهُ مُسْتَفْرَقًا بِهِمِ الْآخِرَةِ، ابْتِغَاءً أَنْ تَتَحَقَّقَ مِرَادُهُ مِنْ دُونِ كُلْفَةٍ فَإِنَّ مَنْ
 جَعَلَ الْهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللهُ سَائِرَ هُمُومِهِ. إِنَّ الْإِبْنَ، فَلَانًا، مُتَوَجِّهٌ إِلَى
 حَضْرَتِكُمْ، وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ.

بِرَغْمِ أَنِّي أَنُوِي أَنْ لَا أَضَايِقَ ذَلِكَ الْجَنَابَ الْعَالِي بِالرَّقَاعِ، وَلَكِنْ لِأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى
 جَعَلَ حُسْنَ خُلُقِهِ وَلَطْفَهُ الْمَلَكِيَّ قِبْلَةَ الْحَاجَاتِ لَا مَنَاصَ لِلْمَصْلِيٍّ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى
 الْقِبْلَةِ. مِثْلَمَا قَالُوا لِلْمَجْنُونِ: ثُبِّ وَتَمَسَّكَ بِخَلْفَةِ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ الدَّعَاءَ مُسْتَجَابٌ فِي هَذَا
 الْوَقْتُ. قَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا: آمِينَ، حَتَّى أَطْلُبَ التَّوْبَةَ، وَأَدْعُو. بَعْدَ ذَلِكَ رَفَعَ
 أَقَارِبَهُ أَيْدِيَهُمْ، فَقَالَ الْمَجْنُونُ:

إِلَيْكَ أَتُوبُ يَا رَحْمَانُ مَّا جَنَيْتُ فَقَدْ تَكَاثَرَتِ الذَّنُوبُ
 وَإِلَّا عَنْ هَوَى لَيْلِي وَحُبِّي زِيَارَتِي فَلَئِنْ لَا أَتُوبُ

يقول منادي الأمل:

ليست توبتي صحيحةً، فاصمت اكسفِ مِنِّي بقلبٍ كسير
ما الحِيلُ والتدابيرُ التي لم يَقمُ بها ذلك الوقُحُ
لكي يصرف قلبي عن محبتك؟

بعزة عزة الله لن أفرّ من بلائه

فلم يفرّ عطشان قطّ من ماء الحياة

جعلَ الله اعتقاده الطاهرَ وصفاء إدراكه، اللذين هما بَيانٌ مرصوص وبرهانٌ
مخصوص، أثبت وأرسخ كل يومٍ في طريق الدين، بتوفيق رب العالمين، آمين، يا رب
العالمين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. اختطف الذئب ابنَ أحد
الأشخاص. [٢٣٤] وفي هذه الممعة قدّم درويش، وطلبَ رغيف خبز. فما كان منه
إلا أن قدّم للدرويش رغيفَ خبزٍ ساخن من الثّور، في سَنة قحط وجذب. وبعدئذ
توجّه نحو الجبل لعلّه يجد الذئبَ قد ترك عظام ابنه، فيدفنها في مكان ويعمل له قبرًا
يبكي عنده. وعندما تقدّم، رأى ابنه الذي كان يهبط من الجبل سالمًا. فصرخ وغاب عن
الوعي. فأخذ الابنُ يفرُّك قدّمي والده. وعندما صحا أخذَ يسأل الولدَ عن أحواله.
فقال: أتى بي الذئبُ إلى قارعة الطريق ورماني سالمًا وقال: لقمّة بلقمة، وانصرف.
والمستيقنُ أنّه لا تضيّع في طريق الدين ذرّة خير. طوبى لمن لا يستبدّ به اليأس أمام هذه
العتبة، مثلما أنّ العنصرَ النقيّ والعقل الدّراك لذلك الأمير التقيّ ساعٍ إلى الخير في كلّ
الأحوال.

الرسالة السابعة والثلاثون والرمة

[إلى معين الذين يرواونه، رسالة مودة

وأظهار السرور بدعوته]

رفعَ اللهُ راياتِ جيوشِ أهلِ الإسلامِ بعزمِ ملكِ الأمراءِ في العالمِ، قبلةَ الأكابرِ والأعاضِمِ، نظامِ الملكِ، نادرةَ الزمانِ، أعجوبةَ الدّورانِ، ملجأَ الخلايقِ، مشرقِ الحقائقِ، صاحبِ الدولتينِ، جامعِ السعادتينِ، كاملِ العقلِ والعِلْمِ في الدّينِ، مُغيثِ الضّعفاءِ والمساكينِ، البحرِ الزاخرِ والكنزِ الفاخرِ والطّودِ الرّاسخِ، معينِ الدولةِ والدّينِ، عامِرِ أركانِ الإسلامِ والمسلمينِ، يرواونه بك - حفظه الله من مكاره الزمانِ وطوراقِ الحدّثانِ، ونصرَه على أعدائه وأيّده لأوليائه - إلى انقراضِ الزمانِ وطَيِّ بساطِ الدنيا، وجعلَه عظيمًا ومنصورًا. وجعلَ عينَ العقلِ والروحَ مزيّنةً ومنورةً بأشعةِ شمسِ عدله ومرحمته، ومشامَّ الأرضِ والسّماءِ مشرّفةً ومعطرةً بفوائِحِ لُطفه ومكرمته.

لا زِلْتَ في دولةٍ عمّتْ محاسنُها بينَ الأنامِ وفي دينٍ بلا خَلَلٍ
تُحَفُّ الدّعاءُ والثناءُ وباكورةُ بستانِ خلوةِ السّحرِ التي تنمو في غُرْضةِ ربيعِ
الصّدرِ، المنزّهة عن صرصرِ خريفٍ ﴿يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥]، تُرْسَلُ إلى تلكِ الحضرةِ المعلاةِ والعتبةِ الشبيهةِ بالسّماءِ، بيدِ بريدِ القلبِ السّريعِ الذي لا تعرّفُه الجبالُ والقفارُ والبحارُ، ولا يمنعهُ فقدانُ الزادِ والمطيةِ.

يسافرُ الرّجالُ في الآفاقِ، مثلَ القلبِ

غيرَ مقيدينِ بالمنازلِ والأشْرجةِ والجِمالِ

[٢٣٥] كُلُّ مَنْ يُلْقَى عَلَيْهِ هُمَا (*) الْقَلْبُ ظَلَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَصُونًا وَمَحْرُوسًا مِنْ ضِيَاءِ شَمْسِ الْآفَاتِ، وَمَحْرُورًا مِنْ عِقَابِ مَخْلَبِ عُقَابِ الْحَوَادِثِ، وَكُلُّ مَنْ يُعْرِضُ عَنْ قَلْبِ صَاحِبِ الْقَلْبِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَغْدُو مَقْهُورًا وَمَنْكُوبًا. ذَلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ، جَلَّ جَلَالُهُ - قَدْ غَيَّرَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ بِشُعَاعِ قَهْرِ الْقَلْبِ وَلُطْفِهِ، وَإِنَّ حَدِيثَ الْمُصْطَفَى نَاطِقٌ بِهَذَا الْمَعْنَى: «جُزْ يَا مُؤْمِنُ؛ فَإِنَّ نَوْرَكَ أَطْفَأَ نَارِي».

إِنَّ جَنَّتَكَ وَنَارَكَ مَعَكَ، فَانْظُرْ فِي أَعْمَاقِكَ

لِكَيْ تَجِدَ النِّيرَانَ فِي كَيْدِكَ، وَتَرَى الْجِنَانَ فِي جَنَانِكَ

وَفِي هَذَا الزَّمَانِ، فَإِنَّ الذَّاتَ الْمُوصُوفَةَ بِمَحَبَّةِ أَهْلِ الْقُلُوبِ هِيَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ يُوسِفُ مِصْرَ الْبَشَرِيِّ وَسُلَيْمَانَ عَرْشِ الدِّينِ وَالِدَوْلَةَ أَيْدَهُ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَأَعَانَهُ وَحَفِظَ شَأْنَهُ عَمَّا شَأْنَهُ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْوُجُودِ لَا يَحِيطُ بِهِ شَرْحُ الْعَقْلِ وَضَبْطُهُ، وَوَصْفُهُ لَا نِهَايَةَ لَهُ. وَيَقِينًا اخْتَصَرَ وَفَقًا لِمَبْدَأِ «لَا تَتَمَّ مَدَائِحُهُ أَبَدًا»، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ابْتَهَجُوا بِعُودَةِ رُكَابِكُمُ الْمَيْمُونِ وَمُوكِبِكُمُ الْمُبَارَكِ،
وَيُقْبَضُ غُبَارُ الْفِتْنَةِ عَنْ بَسَاطَةِ الزَّمَانِ بِمَكْنَسَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ.

الْمَلِكُ الَّذِي اضْطَرَبَ صَارَ مِنَ الشُّؤْمِ شَيْطَانًا

* أَمَّا طَائِفَةُ خِرَاقٍ عِنْدَ الْفُرسِ، كُلُّ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ ظَلُّهُ يَصْبِحُ مَلِكًا وَيُسَمَّى «الْبُلُح» أَيْضًا [المترجم].

ومن جديد صار في تصرف سليمان، جعله الله دائماً كذلك

الرسالة الثامنة والثلاثون والرسم

[إلى فخر الدين علي صاحب العطاء،

رسالة مودة وحث له على الكرم

والإحسان]

شرف الله وكرم وزين دائماً مسند ديوان الوزارة وأريكة إيوان السيادة باتكاء
الصاحب الأعظم، الدستور المعظم، ناشر الخيرات، مظهر الحسنات، حاتم الزمان في
الكرم، خاتم الوزراء المقدم، معدي العدل والإنصاف، بحر المكارم والألطف، أصف
الزمان، نظام الملك، فخر الحق والدولة والدين، أب الملوك والسلطين - أيده الله
بتوفيق سرمدتي وعمر أبدي ودولة كاملة وحكمة شاملة - كما زين العين بالنور،
والصدر بالسرور. وصان مشرب إحسانه وكرمه العذب، الذي هو زمزم محرمي كعبة
الآمال وغيره عين الماء الزلال، من قذى الفتور وكدر القصور؛ بمحمد وآله.

[٢٣٦] أنت الذي بالمعالي مفخر الأمم

في العدل واللطيف والإحسان والكرم

يُبعث السلام والدعاء للذان لا انتهاء لهما، والتحية والثناء الكثيران من عالم
القلب والروح لا من اللسان، إلى ذلك الذي هو معدي الإحسان ومنبع الدين والدولة
من دون نقصان؛ ويُطلب من الحق - جلّ جلاله - في الخلا والملا، ترقى العظمة والمقام
والرفعة والجاه لتلك الحضرة. وفي الحقيقة تحصل الرفعة والعظمة للإنسان عندما يقدم

الرعاية والحماية لأهل الدين واليقين، ويبدُرُ حُبُّبُ الأنفاس والأفعال والأخطار في تربية الخير والطاعة ويكونُ مع الأصحاب اللاتقين بالامتزاج والاختلاط الروحاني. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عظموا العلماء، وخالطوا الفقراء». لكي لا يندم ويحسر إبان النمو ولا يعرض يد التحسر والتغابن ويقول: ﴿يَكُونَلَيْ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].

والحمد لله، فإن ذلك الوجود مليءٌ بالوجود، والذات الشريفة موصوفةٌ ومنعوتةٌ ومبعوتةٌ بهذه الأوصاف الصافية، وقد يُسِطُّ بساطُ العَدْل والكَرَم ورعاية الدين في البسيطة:

كُلُّ بذرة زرعتهَا ستنبِت وتنمو فازرع هذا البَذَر بقدر ما تستطيع

الرسالة التاسعة والثلاثون والرَّابِعَةُ

[إلى إحدى السيدات، دعاء بالخير لها]

الحَرَمُ ذو الحُرمة، وقضَرُ الدين والدولة، مِلْكَةُ الآفاق، الرفيعةُ القدر، الوسيعةُ الصدر، الحليمةُ الكريمةُ، المشتاقةُ إلى لقاء ربِّها، العاليةُ الهمةُ، المفكرةُ في العاقبة، المتقيةُ لله، الراعيةُ للدين، فاطمةُ العَصْرِ، خديجةُ الدَّورَان (*)، مريمُ الزمان - أدامَ اللهُ علوها،

* أي دوران الدهر والزمان [المترجم].

وزاد سموها، فجعلها للخيرات قبلة، وللطاعات كعبة، لأنّها مسجّدُ الروحانيين
وقلعةُ السماوتين، جعلها الله إلى أبد الدهر في أمانٍ من فتك حوادث الزمان - بمحمد
 وآله.

الرسالة الأربعون والرّم

[إلى سعد الدين بك في إجابة رسالته،

وأظهار الشوق إلى لقائه وشكر إحسانه]

[٢٣٧] جعل الخالق تبارك وتعالى - الذي تجري شمسُ الإقبال في سماءِ ﴿وَتِلْكَ

الْأَيَّامُ نُدَّاءُ لَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] بأمره وحُكمه - سيفَ قهرِ أعداءِ

الدين المحمّديّ وإعزازِ ملّةِ أحسنِ المللِ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] قرين^(*) غزواتٍ وغدواتٍ وحزمٍ وعزمٍ وعنانِ

الركابِ المباركِ للأميرِ القائدِ المعظمِ الموقرِ، المظفرِ المنصورِ، المجاهدِ الأصيلِ الجميلِ،

معدنِ السّخاءِ والكرمِ، وليّ الأيادي والنّعمِ، سَعِدِ الدّولة والدينِ، نظامِ الحقِّ واليقينِ،

الغِ قتلغِ بلكا [بالزكية بمعنى: العظيم المبارك العالم] العاليِ الهمةِ، المتقيِ لله، الراعيِ

للدراويشِ، صاحبِ الدينِ، بك - أدامَ الله علوّه - في مشارقِ ومغاربِ ﴿وَعِزُّ مَنْ

* المفعول الثاني للمفعول «جعل» في مفتاح الرسالة [المترجم].

قَشَاءٌ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴿[آل عمران: ٢٦]، على تقدّم الأدوار وتجدد الأطوار.

وصلتِ المشرفةُ الشريفة، والملاطفةُ اللطيفة، إلى هذا الداعي المخلص. فضاغتِ السرورَ والابتهاجَ آلفاً مؤلفة. ويعلم أن الاشتياقَ إلى لقائه المبارك الميمون صادقٌ وغالبٌ، كاشتياق المريض إلى الشفاء، والسّمك إلى الماء، والعاشق إلى اللقاء.

الذّمّن الصّهباءِ والماءِ ذكّره وأحسنُ من يُسرّ تلقاه مُعديمُ

البارئ - تبارك وتعالى - الذي هو الصانعُ والجامعُ ﴿يُحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَحْمِلُهُ عِظَامُهُ﴾ [القيامة: ٣]، إذ الجامعُ للرميم والترفات ومُحييه وناشره وحاشره هو ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [يس: ١٢]، ومُلبسُ خِلعةِ التقديس لأرواح الأوفياء هو، ومُلبسُ لباسِ التدنيس لأرواح الطّغاة هو، من أجل إظهار الفضل والعَدْل «كنتُ كثرًا خفيًا فاحييتُ أن أعرف، قضى أن كلّ ذرة تسعى في الوفاء له يجعلها جَبَلٌ قاف الرحمة، ويجعلُ صاحبَ ذرةِ الخير تلك السُّيْمُرُغُ» (*) المجتازَ للعالم ويوصله إلى جَبَلِ قاف القُرب. وكلُّ من سرق سُمَّ الكفر والتّفاق بمكرٍ خفيّ يعبئه في مداهته البشرية، سيجعلُ الله مرارةَ ذلك السُّمِّ في عاقبة الأمر شوكةً في حلّقه، ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦]؛ لكي يعلم أهلُ الدنيا أنّنا لسنا بغافلين عن ذرةِ الإحسان تلك ولسنا جاهلين تلك القسّة من الطغيان، لكننا أمهلنا لكي يُظهِرَ العبادُ المخلصون كلّ الفنون، ويرتكبَ المغرورون كلّ جورهم. فإنّنا لو كشفنا الغطاءَ لتوقفَ المحسِنون بسبب

* طائرُ خِرَاقِي في الأساطير الفارسيّة، يعيش في جبل خِرَاقِي اسمه «قاف»، ويقابله العنقاء في ثقافتنا العربيّة [المترجم].

السُّرور والشُّكر عن الإحسان، ولتوقّف الطّاغون بسبب المهابة والسياسة عن الإساءة. جعل البارئُ تبارك وتعالى أصدقاءكم وأحباءكم موفّقين في تلك الآخرة وفي هذه الدنيا.

الرسالة الحادية والأربعون والرسالة

[إلى بدر الملة والدين (بدر الدين

كهرتاش) في التوصية بفلان الدين]

[٢٣٨] يَسِّرَ اللهُ وَفِيضَ السَّعَادَةَ الَّتِي هِيَ وراءَ صُورَةِ السَّعَادَةِ الْفَانِيَةِ، وَالْإِقْبَالَ الْبَاقِي وَالْخَالِدَ، لِلْأَمِيرِ الْأَجَلِّ، الْحَسِيبِ النَّسِيبِ، الْعَالِمِ الْعَادِلِ، مُقَدِّمِ الْجِيُوشِ، أَسَدِ الْوَعْيِ، ذِي الشَّرَفَيْنِ، بَذْرِ الْمِلَّةِ وَالْدِّينِ، ضِيَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ . وَكَانَ اللهُ فِي كُلِّ الْمَضَائِقِ وَالتَّوَازِلِ وَالْأَخْطَارِ، حَافِظًا وَنَاصِرًا وَمِيسِّرًا وَمُسَهِّلًا، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

يُيَعِّثُ السَّلَامُ وَالِدَعَاءُ مِنْ فِرْطِ الْوَلَاءِ وَوُفُورِ الْهَوَى، وَالِاشْتِيَاقِ غَالِبٍ، صَدَاقَةُ الْأَبَاءِ قَرَابَةُ الْأَبْنَاءِ. أَنْتُمْ لَنَا ذِكْرَى عَزِيزَةٌ مِنَ الصَّدْرِ الْأَجَلِّ، السَّعِيدِ الشَّهِيدِ - تَغْمَدُهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ. أَبْقَى اللهُ هَذِهِ الذِّكْرَى عَلَى وَحْهِ الْبَسِيطَةِ سَنِينَ لَا يَأْتِي عَلَيْهَا الْحَضَرُ فِي التَّوْفِيقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَنَشْرِ الْحَسَنَاتِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ - آمِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

رَافِعُ الرِّسَالَةِ، فَلَانُ الدِّينِ، قَضَى اللهُ حَاجَتَهُ، شَكَرَ حَضْرَتَكُمْ شُكْرًا كَثِيرًا لِلْأَفْضَالِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَفَضَّلْتُمْ بِهَا فِي شَأْنِهِ. وَهُوَ الْيَوْمَ مُضْطَرٌّ، وَيَوْمُلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَكْرَمِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِالْعَوْنِ وَتَرَحَّمْ فِي الْبَدءِ، أَنْ يَتَفَضَّلَ فِي الْإِنْتِهَاءِ أَيْضًا بِالْمُوَهْبَةِ؛ فَإِنَّ الْإِتْمَامَ

المعروف خيرٌ من ابتدائه.

«الخيرُ يشرعُ فيه كلُّ أحدٍ ولا يُتمه إلاَّ القيوم». فالهلال، برغم أنه جميلٌ ومباركٌ وممتدٌ ولألاءٍ وحسنٌ ومشارٌ إليه بالبنان وهو مبدأ الحساب، عندما يكتملُ ويغدو بذراً كاملاً يكون الواحدُ منه بألفٍ، ويظفرُ برونقٍ عجيب. وإنَّ عملَ الخيرِ والمرحمة عندكم على هذا المثال، في البداية يكون عند الحقِّ تعالى مقدراً وعزيزاً ومشكوراً ومذكوراً، ولكنه عندما يُكْمَلُ ذلك الخيرُ يكونُ كالْبَذَرِ ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الأحقاف: ٢١]، يومَ لا يكونُ نورُ الشمسِ ولا نورُ القمرِ ولا نورُ السَّراجِ، لا يكونُ إلاَّ نورُ العملِ ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ٨ ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَيْنَ الْقَمَرَ ١٠ ﴿[القيامة: ٨-١٠]. ﴿رَبَّنَا أَتَيْمَ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨].

المترقُّ والمرجوُّ أن تُقبلَ هذه الشفاعةُ؛ ليدخرَ ثوابٌ وثناءٌ لا حدَّ لهما، ويكونَ على هذا الداعي مِنَّةٌ عظيمة. دُمْتَ محسناً. آمين، ياربَّ العالمين.

الرسالة الثامنة والأربعون والرمة

[إلى ملك الوزراء (٢) في التوصية بصدر

الدين بن حسام الدين چلبی]

[٢٣٩] يتقبَّلُ السَّلامَ والاحترام. وقد جعلتُ الدَّعاءَ لدولته ورِداً وتبَيَّأتُ لشُكْرِ أياديه وإنعامه، لأنَّ «شُكْرَ النِّعَمِ واجب»، خاصَّةً إنعامه وإكرامه المتلطف بالضعفاء المستمرَّ من دون ملال، الذي هو خالصُ الله تعالى. ولاجرَمَ هو الله. وقلْبُه الصَّافي

كالسما لا يملّ من تواتر الإزعاج وكثرة عَرَضِ الحوائج، ولا يُظهِر أثر الملالّة. جزاه الله أحسنَ ما جزى به مُحسِنًا، وشكَّرَ سَعْيَه، وصانَ إقبالَه، وضاعَفَ دولته، وأحسنَ عاقبَتَه بفضلِه القديم - تعالى وتقدّس ونِعَمَ المسؤولُ والمُلتَمَس. يُعَرِّضُ على رأي القاضي للحاجات الحالّ للمشكلات المزِين للعالم، ملكِ الوزراء، الصّاحبِ الأعظم، مشيّد الخيرات - أعلى الله ذِكْرَه - أحوالُ رافعِ الاحترام والخدمة، قرّة العيون، الابنِ المقبِلِ المتفتّن، صدرِ الدّين - بلغه الله مُناه - ابنِ فخر المشايخ، جُنيد الزمان، أمينِ أسرار العرش، حجة الحقّ على الخلق، إمامِ التّقى، حُسامِ الحقّ والدّين، شمسِ الهدى واليقين، المستغنية فضائله عن هذا التعريف، «جلّ عمرو عن الطّوق» - أدام الله ظلّه وبركته وأنفاسه - الذي هو دائمًا مشغولٌ بالتفريد في الخلوة، وبعُلو همةٍ وتعقّف وإباءٍ امتنعَ عن طلبِ الحظوظ والمناصب، وكان في زاوية قناعةٍ مَنْ قال: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢] ومعتزّ لها أنيسًا للطاعة وجليسا للبراعة بإخلاصٍ، ومنشغلا بالدّعاء للدولة ولم يتحوّل عن ذلك، كما مضت سنةُ مشايخ السّلف - رضي الله عنهم. لكنّ الابنَ العزيزَ صدرَ الدّين الذي هو في صدد طلبِ التحصيل ولا غنى لطالب العلم عن الكفاية، والحمد لله اليوم الصّغيرُ والكبيرُ جميعًا نالوا منالًا وكفايةً في ظلّ إحسان ملكِ الوزراء - ضاعَفَ الله علوّه - لعلّه (*) هو أيضًا يظفر بلطف تلك العناية ويستظلّ. وبرغم أنّ تلك الإقطاعة التي طلبّها قليلةٌ نسبةً إليه، فإنّه عندما يظفر بعناية

* تَمّة قوله: «لكنّ الابن العزيز...» [المترجم].

مَلِكُ الْوُزَرَاءِ وَيَشْرَفُ يَكُونُ ذَلِكَ كَثِيرًا. «قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلٌ». وَإِنَّ عَطَاءَ الْأَكَابِرِ يُطَلَّبُ لِلشَّرَفِ لَا لِلْعَلْفِ. دُمْتَ قَاضِيًا لِلْحَاجَاتِ وَقَاسِمًا لِلْأَرْزَاقِ، مِثْلَ لُطْفِ الْبَارِي وَكَرَمِهِ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الرسالة الثالثة والأربعون والرابعة

[إلى سعد الدين في جواب رسالته
وشكره]

[٢٤٠] رسالة أخرى

الله يُغْلِقُ الْأَمْرَ، وَاللهُ يَفْتَحُ.

أَنْتَظِرُ مِنْ مَقَالِيدِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَظْرَةً وَاحِدَةً وَمِثَّةَ أَلْفِ عُنَايَةٍ، إِذَا يَأْتِي وَقْتُ ذَلِكَ النَّظَرِ.

وَصَلَّتْ مُشْرِفَةُ الْعَزِيزِ الْكَرِيمِ الْإِبْنِ الْمَخْلُصِ، فَخَرِ الْأَمْرَاءِ وَالْخَوَاصِّ، الْحَسِيبِ النَّسِيبِ، أَسَدِ الْوَعْيِ، زَعِيمِ الْجِيُوشِ، الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، سَعْدِ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ. وَمَعْلُومٌ قَرِطُ التَّدِينِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ لَدَى ذَلِكَ الْفَذِّ «ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ». خَلَقَ الْحَقُّ تَعَالَى بِعُنَايَتِهِ الرَّافَةِ وَالرَّحْمَةَ وَرِعَايَةَ الْمَسَاكِينِ فِي ذَاتِكُمْ وَفِي ذَوَاتِ آبَائِكُمْ وَأَجْدَادِكُمْ، وَأَوْدَعَهَا فِيكُمْ. وَإِنَّ عَلَامَةَ السَّعَادَةِ وَالْدَّوْلَةِ فِي الْآخِرَةِ أَنْ يُعْطِيَ الْمَوْلَى لِلْعَبْدِ رَحْمَةً بِالضَّعْفَاءِ، وَالرَّحْمَةُ هِيَ أَنْ يَرَى الذُّنُوبَ الْكَبِيرَةَ مِنَ الْمَجْرَمِينَ صَغِيرَةً، وَيَرَى الْخِدْمَةَ الْقَلِيلَةَ وَالْوَفَاءَ الْقَلِيلَ كَثِيرَيْنِ.

الرسالة الرابعة والأربعون والرمة

[إلى نظام الملك (أحد الوزراء) في التهنئة

بالنصر وهزيمة الطفافة]

يسر الله التوفيقَ إلى الخيرات والحسنات المقبولة ورغبَ بها الخاطرَ الأشرفَ المفكرَ
في الخيرِ العاليِ النظرِ للأميرِ، ملكِ النّوابِ، نظامِ الملكِ، صاحبِ الدولتينِ،
المخصوصِ بخصائصِ الفضلِ والعَدْلِ والإحسانِ - أدام اللهُ علوّه وتقبّلَ حسناته.
ولأنّ الأحوالَ اللّطيفةَ والعَدْلَ ويسُطُ الخيرِ والعِلْمِ وتدبيرَ إصلاحِ الملكِ مقصودٌ بها
راحةُ الدّراویش ودَفْعُ العنتِ عن الضعفاءِ، إذ كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن
رعيّته، فإنّ كلّ سغيٍّ وفكرةٍ ونومٍ في الصحراءِ يقومُ بها الرّاعي من أجلِ الحفاظِ على
الرّعيّة تُقابِلُ عند الله تعالى بطاعاتِ أهلِ الخافقينِ؛ ذلك لأنّ تلكَ الطّاعاتِ ومظاهرَ
الأمانِ يمكنُ القيامُ بها بفضّل سعيه وحراسته ودفعه المتسلّلينِ والطّاعينِ. تقبّلَ اللهُ
تعالى تعبَ أكابرنا وعناءهم في هذا السّفرِ وفي السّعيِ للحفاظِ على الثغورِ والأطرافِ.

[إلى بذر الدّين گهرتاش في التوصية

بناج الدّين]

الرسالة الخامسة والأربعون والرمة

[٢٤١] يقبّلُ الصّدْرُ وابنُ الصّدْرِ الأميرُ الأجلُّ الكبيرُ العالمُ العادلُ العاليُ الهمةُ،

العارفُ بالله، الناظرُ إلى العاقبة، مربّي الفقراءِ، ملاذُ الضّعفاءِ، سيّدُ المستحقّينِ، بذّرُ

الدولة والدين - أدام الله علوه - السلام والتحية من هذا الداعي المخلص والمحِب القديم، فإن «صداقة الآباء قرابة الأبناء»، و«الحُبُّ يُتوارث والبغضُ يُتوارث»، ويعلمُ أن الاشتياقَ غالبٌ وباعثٌ وصادق. يجعل البارئُ تعالى للقاء سببًا سريعًا، إنه مجيب سميع.

الأخبارُ السَّارةُ والسَّيرةُ الحَسَنَةُ وإحياءُ خصال الخير، التي أصليحت بها أسبابُ سعادة الآخرة، و«هو التعظيمُ لأمر الله والشفقةُ على خلق الله»، نسمُها متواترةً خيراتٍ لكم، «والخيرُ لا يخفى»، ﴿إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] - زاد الله توفيقه - فنفرُحُ بحصول ذلك. زادكم الله توفيقًا.

حاملُ التحية، الابنُ العزيز، تاجُ الدين - أعزه الله - من عبيّ تلك الدولة والمتعلّقين بتلك الحضرة. وقد ارتدى رداءَ إحرامِ كعبةِ الكرم والإحسان، وجعلَ الداعيَ وسيلةً إلى ذلك الجنابِ العالي. ويؤمِّلُ أن يُتطلَّعَ له بنظرِ العناية والإحسان، وتربية الفقراء واللطفِ بالضعفاء، التي هي من الأخلاق القديمة والجِليلة الأصلية لذلك العزيز، مثلما يتفضَّل على الصّادرين والواردين الآخرين القاصدين لذلك الجناب؛ ليكون ذلك موجبًا للثواب الجزيل والثناء الجميل. «ارحَمَ من في الأرض يرحمك من في السماء»، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

المقصود من العالم آدم والمقصود من آدم ذلك النفس
المقصود من سوق هذه الدنيا ليس المشاهدة وخذها، ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى يَحْزَنُ تُجِجُكُمْ
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، المقصود هو التجارة ببذل المال والنفس لكي تصل
الأعراض الشريفة من مشتري ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ [التوبة: ١١١] من دون نهاية،
وتكون منة كبيرة على هذا الداعي، وينضم ذلك إلى ضروب الإحسان الماضية، لأن
«إتمام المعروف خير من ابتدائه»، والهلأل وإن كان أنيقاً، إذا تم وكمل وصار بذراً كان
أحسن وأجل. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [الأحقاف: ١٣] زاد الله
أمداد التوفيق عليكم وعلى محبيكم كل يوم - آمين يارب العالمين.

الرسالة السادسة والأربعون والرمة

[إلى شمس الدين التبريزي، دعوة

بمجة له]

أيتها النور في الفؤاد تعال	غاية الجدد والمراد، تعال
أنت تدري حياتنا بيدك	لا تضيق على العباد، تعال
أيتها العشق، أيتها المعشوق	حلل عن الصد والعناد، تعال
يا سليمان، ذي الهداهد لك	فتفضل بالافتقاد، تعال
أيتها السابق الذي سبقت	منك مصدوقه الوداد، تعال
فمن الهجر ضجت الأرواح	أنجز العود يا معاد، تعال

استر العيب، وإبذل المعروفاً هكذا عادة الجواد، تعال
وماذا يكونُ الفارسيّ؟ تعال فإما تعال وإما أنصف، تعال
إن أتيتَ فما أجملها من سعادةٍ ومُرادٍ! وإن لم تأتِ، فما أعجبه من كسادٍ، تعال
يا فَتَحَ العرب، يا قُباذَ العجم فتحتَ قلبي بذكراك، تعال
يا مَنْ داخلي يقولُ لك: تعال ويا مَنْ من وجودك جاء الوجود، تعال
طفئتُ فيكَ البلادَ يا قمرًا بي محيطًا وبالبلادِ، تعال
أنتَ كالشمسِ إذ دنتُ ونأتُ يا قرييًّا على البعادِ، تعال

الرسالة السابعة والأربعون والرمية

[إلى شمس الدين التبريزي،

في المحبة والعشق]

[٢٤٣] يا ظريفَ العالم، سلامٌ عليك إنَّ دائمي وصحتي بيدك
ماذا يكونُ دواءُ علةِ العبدِ، قل قُبلةٌ لورزقتُ من شفيتك
إن لم أصِلْ إلى جنابك بيدي إنما الروحُ والفؤادُ لديك
وإن لم يصلِ إليك خطابٌ من دون حرف فلماذا صار العالمُ مليئًا بليتك؟
النَحْسُ يقولُ لك: بدِّلني والسَّعْدُ يقولُ لك: يأسعدُناك
منك آتي إليك أيضًا بنفِيرٍ أو، المستغاثُ منك وإليك

الرسالة الثامنة والأربعون والمئة

[إلى شمس الدين التبريزي، في المحبة

والعشق]

عاش الصّدُّ العَالِي كان الله حافظًا وكَالِي
[٢٤٤] كُلُّ نَسْبَةٍ سرورٌ لأهل الإقبال جعلَ الله عنده نُقْدَ الوقتِ والحال
جلسه الدَّفْءُ المِلِيءُ بالحلاوة أخلاه الله من النَّدِيمِ البارد
الجانُّ المطلقُ عند باب الغيب جعلها الله عنده مقيدةً كرسوم السَّجَادِ !
عن يمينه ويساره الإقبال جعله الله أيضًا في جنوبه وفي شماله
الولايتانِ المسمَّتانِ الجسمَ والروحَ جعله الله مليكًا وواليًا عليهما
إنَّ شمسًا التبريزي إقبال نُقْدٌ وهو كافي، جعله الله مَالًا لغيره

الرسالة التاسعة والأربعون والمئة

[إلى شمس الدين التبريزي، ألم قلب

العاشق]

أقسِمُ بالله الذي كان في الأزل حيًا وعليًا وقادرًا وقَيُومًا
أشعلَ نوره شموعَ العِشْقِ حتَّى صارت مئة ألفِ سِرٍّ معلومةً
من حُكْمٍ واحدٍ له امتلا العالمُ بالعاشقِ والعِشْقِ والحاكمِ والمحكومِ
في طلُوساتِ شمسِ التبريزي صار كنزُ عجائبه مكتومًا

[٢٤٥] فَإِنَّهُ مِنْ لَحْظَةٍ أَنْ سَافَرْتَ أَبْعَدْنَا عَنْ الْحَلَاوَةِ كَالشَّمْعِ
 نَحْتَرِّقُ كُلَّ لَيْلَةٍ كَالشَّمْعِ مَقْتَرَيْنِ بِنَارِهِ وَمَحْرُومِينَ مِنَ الْعَسَلِ
 وَفِي فِرَاقٍ جَمَالِهِ صَارَ لَنَا جِسْمٌ خَرِبٌ وَالرُّوحُ فِيهِ كَالْيَوْمِ
 فَاجْتَذَبَ ذَلِكَ الْعَيْنَانَ إِلَيْنَا وَأَغْلَظَ الْخَرْطُومَ لِفَيْلِ الْعَيْشِ
 مِنْ دُونَ حَضُورِكَ لَا يَكُونُ السَّمَاعُ حَلَالًا وَقَدْ صَارَ الطَّرَبُ مَرْجُومًا كَالشَّيْطَانِ
 لَمْ يُقَلِّ غَزَلَ وَاحِدٌ مِنْ دُونِكَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ تِلْكَ الْمَشْرِفَةُ الْمَفْهُومَةَ
 وَلَكِنْ بَوَجَدَ سَمَاعٍ رِسَالَتِكَ نُظِّمَ خَمْسُ غَزَلِيَّاتٍ وَسِتُّ
 جَعَلَ اللَّهُ لِيَلْنَا بِكَ صَبْحًا مَشْرِقًا يَا مَنْ بَكَ فَخَرَّ الشَّامُ وَالْأَرَمْنُ وَالرُّومُ

الرسالة النخعون والرم

[إلى صلاح الدين زركوب، في الدعاء له

بالشفاء]

أَتَذَكَّرُ مِلِكَ الْقَلْبِ وَمِلِكَ أَهْلِ الْقَلْبِ، قُطِبَ الْكَوْنَيْنِ، صَلَاحَ الدِّينِ - مَدَّ اللَّهُ
 ظِلَّهُ - الَّذِي يَشْكُو مِنْ تِلْكَ الْمَادَّةِ الَّتِي تَمَكَّنَتْ فِي أَظْفَارِهِ الْمُبَارَكَةِ مَرَاتٍ عَدِيدَةً - عَافَاهُ
 اللَّهُ تَعَالَى، فَفِي مَعَافَاتِهِ مَعَافَاةُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْمَعِينَ.

[٢٤٦] وَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمَرْتُ عَنِي.

أَيُّهَا السَّرُّوُ الْمُبْتَخِرُ، لَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ رِيحُ الْخَرِيفِ

يَا عَيْنَ الْعَالَمِ، لَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ أَعْيُنُ الْحَاسِدِينَ

يَا مَنْ أَنْتَ الرُّوحُ لِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَا وَصَلَ إِلَى رَوْحِكَ إِلَّا الرَّحْمَةُ وَالْأَلَا الرَّاحَةُ

خُبِّرْتُ بِأَنْ مَرَضِي قَدْ مَرَضَا أَسْتَأْهِلُ أَنْ أَكُونَ عَنْهُ عَوَضَا
أَسْأَلُكَ، إِلَهِي، أَنْ يَكُونَ الْمَرَضَا [كَذَا] بَرْدًا وَسَلَامًا وَنَعِيمًا وَرِضَا

أَبْعَدَ اللَّهُ عَنْكَ أَلَمَ الْجَسَدِ، يَا مَنْ أَنْتَ الرَّاحَةُ لِأَرْوَاحِنَا
أَبْعَدَ اللَّهُ عَنْكَ عَيْنَ الْحَسَدِ، يَا مَنْ أَنْتَ عَيْنُنَا الْبَصِيرَةُ
إِنْ صِحَّتْكَ صِحَّةٌ لِرُوحِ الْعَالَمِ، أَيُّهَا الْقَمَرُ
لَتَكُنْ صِحَّةُ جَسْمِكَ، أَيُّهَا الْقَمَرُ، سَيِّئًا لَنَا
أَعْطَى اللَّهُ الْعَافِيَةَ لَجَسْمِكَ، يَا مَنْ جَسْمُكَ لَهُ صِفَةُ الرُّوحِ،
لَا أَنْقَصَ اللَّهُ ظِلَّ لُطْفِكَ مِنْ فَوْقِنَا
نَضَرَّ اللَّهُ رَوْضَةً وَزِدْ خِدْكَ إِلَى الْأَبَدِ
فَلَيْتَهُمَا مَرَعَى لِلْقَلْبِ، وَخَضِرَةٌ وَصَحْرَاءُ لَنَا
جَعَلَ اللَّهُ الْأَلَمَ الَّذِي فِي جَسَدِكَ فِي أَرْوَاحِنَا، لَا كَانَ فِي جَسَدِكَ
لَكِي يَكُونُ ذَلِكَ الْأَلَمُ كَالْعَقْلِ الْمَزِينِ لِأَرْوَاحِنَا

الأشخاص الذين ذكروا في الرسائل

١- اختيار الدين (الإمام):

[٢٤٧] يتحدث الأفلاكي عن هذا الشخص بعبارات: «الملك المصور، الفلك المنور، الولي الخفي، جوهر بحر اللامكان، (١، ص ٣٧٩ و ٥٧٠)، ويجعله بين الأصحاب الكبار (ص ٤٣٧)، وينقل عنه روايات (الصفحات نفسها، والصفحتين ١٤٠-١٤١). ويجعله بلقب «مولانا الإمام» (ص ٣٢٥). اختيار الدين هذا، في آخر اعتلال لمولانا وفي آخر يوم في حياته، كان عند رأسه، حتى إن مولانا قد اتكأ عليه. وقد نُقل عنه أهمُّ الخواطر المرتبطة بآخر لحظات حياة مولانا (ص ٥٨٧-٥٨٩). وقد غَسَلَ مولانا (ص ٥٩١). والدعاء المندرج اليوم بين أدعية المولوية مبني على رؤيا لاختيار الدين (ص ٣٨٠).

ويظهر من رواية اختيار الدين خواطر عن مرحلة صبا سلطان ولد، أنه من المتعلقين بسلطان العلماء، أب مولانا. وفي أثناء الارتحال، في لارنده، كان مرافقاً لسلطان العلماء.

ونجد مولانا في الرسالة الثالثة والستين، التي كُتبت إلى معين الدين پروانه، قد أطلعته على أن الدراهم القليلة المرتبة لاختيار الدين وعمار الدين، المشتغلين بالتَّحصيل العلمي، قد قُطعت، وطلَب المساعدة. ويظهر من هذه الرسالة أنه في الشطر الأول من حياة مولانا، كان اختيار الدين في سني التحصيل والشباب. ويبدو أنه في وقت هجرة سلطان العلماء والد مولانا، كان حدثاً، أو أنه كان يجتاز عنقوان الشباب. وإذا كان محلَّ عناية مولانا واهتمامه، ربّما يكون بين الأشخاص الذين صحبوا سلطان العلماء في الهجرة.

هل عمار الدين شقيق الإمام اختيار الدين ؟ في كتاب «مسامرة الأخبار» ذُكر عمار

الدين الترنجاني (ص ١٤٠). ولما كان هذا الشخص قد عُيِّنَ في إدارة أمور الأوقاف، [٢٤٨] فلا بدَّ أنه كان من العلماء. فهل هو الشخص نفسه الذي ذُكر في الرسالة ؛ ليس في المقدور إظهار رأي قطعي في هذا الشأن.

٢- أخِي گَهَرْتاش:

هذا الشخص لا يمكن أن يكون ذلك المسمى أخِي بذَر الدين الذي ذُكر اسمه في مراسم تشييع رجلٍ من العلية. ذلك لأنَّ بذَر الدين هذا لم يُقَلَّ إنه گَهَرْتاش (مناقب العارفين، ١، ١٧٣).

ونجد مولانا في الرسالة الثامنة والمئة، التي كُتبت إلى فخر الدين صاحبِ العطاء، قد طلبَ تسليمَ خانقاه أخِي گَهَرْتاش إلى الشيخ جمال الدين.

وقد كُتبت الرسالة الحادية والأربعون والمئة إلى «الأمير الأجل الحبيب النسيب العالم العادل، مقدّم الجيوش، أسد الوغى، ذي الشرفين، بذَر الملة والدين...». وفي هذه الرسالة عُرِفَ بذَر الدين بأنه من أحبة والد مولانا ودُعي تذكّراً من «الصّدْر الأجل السعيد الشهيد»، وقد أوصى مولانا أحدَ الأشخاص به، ولكنَّ اسمه لم يُذكر. في الرسالة الخامسة والأربعين والمئة يكتب مولانا: «صداقة الآباء قرابة الأبناء، الحبُّ يُتوارث»، ويطلبُ مساعدةً لشخص اسمه «تاج الدين» قال إنه: «ابن عزيز».

ولا شكَّ في أنَّ بذَر الدين الصّديق الأبويّ هذا هو بذَر الدين گَهَرْتاش (گوهرناش) دزدار الذي هو مربّي السلطان علاء الدين كيُقبّاذ (٦١٦-٦٣٤م هـ/ ١٢١٩-١٢٣٦م). وفي البلاط كان منشغلاً في خدمة التعليم، وله صلةٌ بسُلطان

العلماء، والد مولانا، وبنى له مدرسة، ووقف هذه المدرسة لأولاده (الأفلاكي، ١، ص ٤٣-٤٤). وإذا ما صحت رواية الأفلاكي في شأن خِتان سُليمان ولَد وعلاء الدين چلبی بيد بذر الدين، عُلِمَ أنَّ بذر الدين تعرّف سُليمان ولَد في لارنده (قَرمان)، وربّما كان له أيضًا ارتباطاتٌ في قَرمان (ص ٣٠٣).

كذلك ينقلُ الأفلاكي عن فاطمة خاتون، ابنة صلاح الدين زركوب، التي هي زوجة سُليمان ولَد وأمُّ أولو عارف چلبی، أنّه إثرَ استشهاد شمس رآه سُليمان ولَد ليلاً في المنام وهو يقول: أنا نائمٌ في موضع كذا. فجمع طائفةً من خُلص أصحابه وفي منتصف الليل أخرج جسده من البئر، ودفنه في مدرسة مولانا، إلى جانب باني المدرسة، الأمير بذر الدين گهرتاش (ص ٧٠٠-٧٠١). لكن هذه الرواية تنطوي على إشكالية لا غنى عن رفعها:

لأنَّ بذر الدين گهرتاش كان منحازًا إلى عزّ الدين كيكاوس، نجده بعد أن قرَّعُ الدين كيكاوس في سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠-١٢٦١م إلى إستانبول، في عداد الكبراء الذين ذهبوا من جهة مُعين الدين پروانه إلى ألنجاك نوين، قائد جيش المغول. وقد قُتل هؤلاء الكبراء [٢٤٩] جميعًا. (الأوامر العلانية، طبعة أفست، ص ٦٤٢؛ ابن بي بي، نشرة هوتسما، ص ٢٩٩؛ دائرة المعارف الإسلامية، ذيل مادة كيكاوس الثاني، الجزء ٦٣، ص ٦٤٢-٦٤٥). ومن هذه الوجهة، إذا كان جسدُ بذر الدين قد أُرسِل إلى قُونيَّة، فقد دُفِنَ إلى جانب شمس.

إنَّ گهرتاش، باني الخانقاه، الذي ذُكر في الرسالة الثامنة والمئة، والأمير بذر الدين، الذي وُجِّهَت إليه الرسالتان: الحادية والأربعون والمئة، والخامسة والأربعون

والمنته، لا بد أن يكون عينَ بذْرِ الدِّينِ گهرتاش.

ويظهرُ من قصيدةٍ من خمسة عشر بيتًا لسلطان ولد أن بذر الدِّينِ گهرتاش كان قد وقَّفَ قريةَ «قرا أرسلان» للمولوية، ثم بعد ذلك غَصَبَهَا «نجيب»، وعقَابًا على عمله وقَعَ في الأسر، ونَجَّدَ سُلْطَانٌ وَلَدٌ يطلب إعادة هذه القرية من تاج الدِّينِ معتزَّ (ديوان سُلْطَانِ وَلَدٍ، ص ٢٦٦). ونحسبُ أن «نجيبًا» الذي ذُكِرَ في هذه القصيدة، هو نجيب الدِّينِ مستوفي الذي، بعد اعتلاء ركن الدِّينِ قليج أرسلان سرير السلطنة، قُتِلَ بصحبة جماعة من الكبراء. (مسامرة الأخبار، ص ٤٠ و ٧٢).

٣- أكملُ الدِّينِ (الطبيب):

ليس لدينا اطلاعٌ كافٍ على حياة هذا الشخص، الذي سُمِّيَ «أكملُ الدِّينِ الطبيب»، بسبب عمله في الطبابة. وقد مدَّحَهُ سُلْطَانٌ وَلَدٌ في قصيدةٍ من واحدٍ وأربعين بيتًا. ويتضمَّنُ اثنان وعشرون بيتًا في بداية هذه القصيدة صَنَعَةَ التَّوَشِيحِ، أي إنَّ اسمَ أكمل الدِّينِ مؤيَّد النخجواني يُحْصَلُ عليه من حروف بدايات هذه الأبيات الاثني والعشرين. (الديوان، ص ٢٣٠-٢٣٢). ونحن نعلم أنه كان من أهل نخجوان وكان يُدعى «سلطانَ الأطباء»، و«مَلِكَ الأطباء» (سلاجقة تركية، عثمان توران، ص ١٥١-١٧٥).

ويتبيَّنُ من كتاب «فيه ما فيه» [لمولانا] أنه كان من المرتبطين بمولانا، وكان يذهب لزيارة مولانا دائمًا (ص ٣٠٩).

وقد كتبَ أكملُ الدِّينِ شرحًا على كتاب القانون لابن سينا (مقدمة مناقب العارفين بالتركية، ص ثلاث وستين - أربع وستين).

وينقل سبهاالار عنه فضيلتين (طبعة مدحت بهاري ١١٤-١١٥) وقد جاءت هاتان الفضيلتان عنيهما أيضًا في مناقب العارفين للأفلاكيّ (١، ١٢٢-١٢٣ و ٣٣٧). يكتب سبهاالار قائلًا: عندما كان مولانا مريضًا، ظلّ أكملُ الدين وطيبٌ آخر اسمه غضنفر، ملازمين له (ص ١٥٤ مدحت بهاري). وفي صلاة الجنازة، عندما عرّف المعروف صدر الدين بلقب ملك المشايخ، قال أكملُ الدين: ارعِ الأدب، [٢٥٠] ليس ملكُ المشايخ إلا مولانا (ص ١٥٥-١٥٦).

ويكتب الأفلاكيّ قائلًا إنّ أكملُ الدين كان يشترك في مجالس سماع مولانا (ص ٣٩٩) وكان يجيء لزيارة مولانا (ص ٤٠٤-٤٠٥ و ٤٧٢). ويُستفاد من كتاب الأفلاكيّ أيضًا أنّه كان مهتمًا بابن سينا، لكن علاقته بمولانا لا يمكن مقارنتها بعلاقته الآخر. وتتفق رواية الأفلاكيّ مع ما قيل من أنّه ألف شرحًا على «قانون» ابن سينا (ص ٥٠٠). ويُعلم من هذه الرواية أنّه أيضًا عاش بعد ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م، الذي هو عام وفاة مولانا.

رسالة مولانا الرابعة عشرة جوابٌ لرسالة أكمل الدين.

الرسالة الثالثة والتسعون تتضمّن طلبًا أن يعيّن أكملُ الدين شخصًا اسمه أفصحُ الدين مدرّسًا لمدرسة قرطاي. وأفصحُ الدين هذا، حسب الأفلاكيّ، شخصٌ انضمّ إلى مريدي مولانا عقب رؤيا رآها. وينبغي أن يكون هذا الشخص عينَ أفصح الدين المعيد (١، ص ٢١٠).

الرسالة الثانية والعشرون والمئة أيضًا موجّهة إلى أكمل الدين في شأن إصلاح معيشة ابن مولانا، أمير العالم جلبي، ويذهب أكملُ الدين مرسلًا من مولانا إلى مُعين

الدين پروانه، ويُنهى هذه المهمة.

٤- أميرُ العالمِ چلبی = عالمِ چلبی:

الابنُ الأصغرُ لمولانا جلال الدين. فإنَّ مولانا، بعد وفاة زوجته الأولى جوهر خاتون، تزوج في قونية من كرا خاتون، وولد له من هذه المرأة أميرُ العالمِ چلبی ومليكة خاتون. لا نعرف العام الذي وُلد فيه أميرُ العالمِ، ولكننا نعلم أنه توفي بعد أربع سنوات من وفاة أبيه، أي في اليوم السادس من جمادى الثانية عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م (انظر: المولوية بعد مولانا، ص ٣٥٦ النقش الحجري لمزاره). وإذا ما تذكرنا أنَّ والدته توفيت بعد خمسة عشر عامًا من وفاته، أي في الثالث عشر من رمضان عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م (الكتاب نفسه، والصفحة نفسها)، استطعنا أن نحكم بأنَّه لم يعمر طويلاً.

يروى الأفلاكي أنَّه عندما ولدت كرا خاتون مظفرُ الدين أميرُ العالمِ چلبی (٢)، (٩٩٥) نظمَ مولانا غزلاً مطلعُه هكذا:

تعالوا أيُّها العشاق، فقد جاء ذلك المحبوبُ القمريُّ الوجه

استعدّوا للسرور والابتهاج، فالحيبُ بين الأحضان

استمرَّ مجلسُ السَّماع لسبعة أيام، وجمعت هدايا كثيرة (نفسه، ١، ٤٨٨-٤٨٩). ويكتب الأفلاكي أيضًا قائلاً إنَّ أميرَ العالمِ چلبی عملَ في خدمة الحكومة واشتغل خازناً (١)، [٢٥١] ١٩٩، ٢، ٧٨٩).

وقد دُفنَ مظفرُ الدين أميرُ العالمِ چلبی في القسم الأمامي من ضريح مولانا.

والكتابة العربية على قبره هي:

هذه تربة شمس المشارق المعالي تاجِ المفارق الأعالي مظفر الدين أمير العالم ابن مولانا سلطان المحبوبين، جلال الحق والدين، محمد بن محمد بن الحسين.
القسم الآخر من حجر المزار، الذي يتوضع في أقصى الأسفل ويكمل اللوحة السابقة، على هذا النحو:

الْبَلُخِي، قدس الله سيَرهم، نُقِلَ من دار الغرور إلى دار السرور في السادس من جمادى الأولى سنة ست وسبعين وست مئة، غفر الله لمحبهم (المولوية بعد مولانا، ص ٣٥٦).

وقد كُتبت الرسالة الحادية والثلاثون إلى مُعين الدين پروانه في موضوع مساعدة أمير العالم چلبي.

ويكتب مولانا في هذه الرسالة قائلاً إنّه «كان دائماً في ظلّ العناية والشفقة والرعاية»، ويطلب أن يُعتنى به من جديد، فقد ظهرت في تصرف معاشه معاناة وصعوبة.

الرسالة الثانية عشرة والمئة أرسلت إلى الأمير بهاء الدين، من أجل مساعدة أمير العالم. وقد ذُكر في هذه الرسالة أنّ أمير العالم زار ذلك الأمير وظفر من جنبه بنصيب. وذكّر كذلك أنّ الله قد خلق أمير العالم من أجل عبادته، لكنّه أخيراً واجه صعوبة في العيش.

المخاطب في الرسالة الثامنة عشرة والمئة هو مظفر الدين أمير العالم چلبي. ويتبنّى من الرسالة أنّ أمير العالم چلبي لسبب من الأسباب جادل حُسام الدين

جلبي وأزعجه قليلاً. وقد أكد مولانا منزلة حُسام الدين جلبي العظيمة وفضله عليه هو وعلى أمير العالم، وطلب من عالم جلبي أن لا يُجادل حُسام الدين وأن يكسب مودته، وإلا فإن مولانا سينزعج منه.

على أن الرسالة الرابعة والخمسين، التي كتبت إلى مجد الدين، أهم رسالة تقدم لنا معلومات في شأن حياة أمير العالم جلبي. وفي هذه الرسالة، التي تُعدّ جواباً لرسالة نجد الدين، بُشّر بأن أمير العالم أعرض عن الدنيا ولبس خِرقة الصوفية وحلّ ودخل في زِيّ الدراويش، وبلغ سلامته لمجد الدين. لكن هذه الرسالة، مثلما قلنا قبل، ليست لمولانا نفسه، لأنه مكتوب فيها: «عُرِضَ سلامكم على حضرة مولانا».

[٢٥٢] وهكذا يُستنبط أن أمير العالم جلبي في حياة مولانا، ربّما في أخريات أدوار حياته، ترك الأعمال الحكومية وسلك طريق السالكين لطريق الحق.

٥- أمينُ الدين ميكائيل:

أمينُ الدين ميكائيل، الذي احتلَّ منصبَ الاستيلاء الذي يعني أنه كان يحقق في الأمور المالية، وقد رُقّي في زمان سلطنة عز الدين إلى منصب نيابة السلطنة، وبقي في ذلك المنصب إلى سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م. وعندما تُوج غياثُ الدين كيخسرو ملكاً في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، ظلَّ محتفظاً بمنصبه. وقد وُصف أمينُ الدين بأنه «جبلٌ في الحِلْم والوقار، وعدّ ملجأ الأحرار الخيّرين ومرهم القلوب المكلومة وعلاج أسقام الناس ومُنجد المبتَلين، وأُثني على أخلاقه الطيبة. وقد سعى

هذا الشخصُ في أثناء عصيان القَرَمَانِيَّين إلى أن يمنع الفتنة، ولكنه لم يوفق. وعندما زحفَ بيبرس إلى الأناضول، لم يلتحق به، وانصرف إلى التفكير في العاقبة، وتأمل في نهاية الأمر، واحتفظ بوقاره. وفي عام ٦٧٧هـ/١٢٧٨م، عندما دخل جَمْرِي قُونِيَّة، أَسِر أثناء فراره إلى ثُوقات وخضع للتعذيب، فدَل على مكان أمواله كلَّها، وقُتِل (مسامرة الأخبار، ص ٤٣-٤٤، ٨٩، ٩٧، ١١١-١١٢، ١١٥، ١٢٤؛ ابن بي بي ٤، ص ٣١٠ و ٣٢٥).

وفي كتاب «فيه ما فيه» لمولانا، أثبتت أحاديثه مع مولانا (ص ٤٣ و ٤٧). ويذكر الأفلاكيّ أنه كان يأتي لزيارة مولانا مع كبار القوم (١، ص ١٣٣). وكانت زوجته تدعو مولانا إلى مجالس النساء، وكان مولانا يتحدث معهن ويؤدي السماع، وكانت هذه السيِّدة تضع الوَزْدَ على رأس مولانا (٤٩٠ - ٤٩١). ويروى أن النائب قد التقى شمس الدين التبريزي أيضًا (ص ٧٨٢).

ويصف مولانا، في الرسالة الثامنة عشرة، مخاطبَه بألقاب «مَلِك الأمراء والخواص، مُغيث المظلومين، ينظر بنور الله، النائب...». ونظرًا إلى هذه الأوصاف، لا بد من أن تكون هذه الرسالة قد كُتبت من أجل أمين الدين.

الرسالة الستون أيضًا كُتبت أيضًا إلى أمين الدين ميكائيل. وفي هذه الرسالة ذُكر شخص اسمه جمال الدين، جعله منشغلًا بالعلوم الدينية منذ طفولته وقد دعاه مولانا «ابنه». وفي «مناقب العارفين» ذُكر اسمُ تاج الدين خروس الذي في طفولته [٢٥٣] طلبَ العِلْم في مدرسة قرطاي (ص ٥١٠)، وكذلك اسمُ تاج الدين بن النقيب الذي مدَّحه أولو عارف چلبی في رباعيّة له (٢، ٨٣١)، وكان مُعيدًا في المدرسة الأتابكية

(نفسه، ٨٤٤)، وكان في لاذيق مرافقاً لأولو عارف چلبی (٨٦٧). و تاجُ الدّین الموجودُ في الرّسالة قد يكون أحدَ هذين الشخصين.

الرّسالة الحاديّة والسّتون كُتبت أيضًا إلى النّائب. ويُحتمل أن يكون جمال الدّین الذي جاء اسمُه في هذه الرّسالة وتُحدّث عن ترتيب أمره عَيْنَ جمال الدّین قمريّ [أو جمال الدّین المعید] الذي ذُكر في «مناقب العارفين»، في زمرة العلماء (٢، ٧٨٤).

٦ - بهاء الدّین:

كُتِبَ مولانا رسالته الثانية عشرة إلى شخصٍ يسمّيه «مَلِكُ الأمراء»، ثمّ إنّه، بعد إظهار الاهتمام به، طَلَبَ منه أن يرتب أمرَ شخصٍ اسمُه بهاء الدّین. وهو يرسلُ الرّسالة أيضًا بيد شخصٍ اسمُه بهاء الدّین ويقول: أرجو أن يكونَ محلّ عناية، ويعودُ راضيًا وشاكراً.

ولم نجد في المصادر التاريخية حديثًا عن بهاء الدّین الذي يحتاج أمرُه إلى ترتيب. وبين أسماء بهاء الدّین الموجودة في أعلام مناقب العارفين، هناك شخصان اسمُ كلّ منهما بهاء الدّین، يحتمل أن يكونا مشمولين بهذه التوصية:

أحدُهما بهاء الدّین بحري الذي بسبب نُسْخه أشعارَ مولانا عدا المشويّ، يُسمّى باسم «كاتب الأسرار». وقد ذكر الأفلاكيّ هذا الشخصَ، الذي هو واحدٌ من رواة حكاياته، في أحد عشر موضعًا (انظر: باب الأعلام، ٢، ص ١١٨٤). كذلك يُعلَم من كتاب الأفلاكيّ أنّ هذا الشخص كان يعرف اليونانيّة، وفي الأدوار اللاحقة عُيِّن إمامًا للضريح (١، ص ٢٤٢-٢٤٣، ٤٤٢).

الثاني هو بهاء الدين الخطّاط الذي عمل خادماً في القُريّح في زمان أوّلو عارف جلبي (٢، ص ٥٩٨).

لعلّ بهاء الدين الذي كتَبَ مولانا رسالةً في التوصية به أخذَ هذين الشخصين.

٧ - بهاء الدين ملك السّواحل:

يُستفاد من الألقاب الموجودة في بداية الرسالة الثانية عشرة والمئة «مختصّ الملوك والسلاطين، ملك السّواحل، أمين الرّواحل والمراحل، أنّ هذه الرسالة قد وُجّهت إلى ملك السّواحل.

[٢٥٤] وُلّي بهاء الدين هذه المهمّة بعد جلوس ركن الدين قليج أرسلان على عرش السلطنة. وبعد أن خُتق ركن الدين في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م، في ثورة جُري والقرمانيين، أُعدم في قُونية (مسامرة الأخبار، نشرة عثمان توران، ص ٧٢، ١٢٢؛ ابن بي، نشرة هوتسما، ص ٢٦، ٣٢٤، ٣٢٥-٣٢٦).

ويذكر الأفلاكيّ هذا الشخصَ أيضاً بين الكبراء الذي جاؤوا لزيارة مولانا (١)، ص ١٣٤).

٨ - تاج الدين (القاضي):

الرسالة الثالثة والثلاثون من رسائل مولانا خطّابٌ لهذا الشخص. ويتحدّث الأفلاكيّ عن تاج الدين قلمشاه، الذي تولّى في قُونية منصب القضاء، لكنّ هذا الشخص عاش في زمان أمير عابد جلبي (٧١٩ - ٧٣٩ هـ / ١٣٢٠ - ١٣٣٨ م).

ولأنه كان قاضيًا في قونية لا يمكن أن يكون المخاطب في رسالة مولانا (مناقب العارفين، ٢، ص ٩٨٨).

وفي كتاب «مسامرة الأخبار ومسيرة الأخيار»، ذكر القاضي تاج الدين خويي، الذي كان في زمان غياث الدين كيخسرو الثالث، الذي اعتلى عرش السلطنة في عام ٦٤٤ هـ / ١٢٦٥ - ١٢٦٦ م، قاضيًا في قراحصار (نشرة عثمان توران، ص ٩٠). وفي الكتاب نفسه ذكر القاضي نفسه مرةً أخرى بعبارة: «الشمس من دهشة مجلسه عرقت وهي فوق الفلك الرابع»، (ص ١٢١).

ونظر أن مولانا كتب رسالته إلى تاج الدين خويي. مكتوب في الرسالة أنه قبل هذا، حدثت حُسام الدين چلبی عنكم، وما قلته قطرة من بحر. وبعد ذلك يطلب منه أن يفي بوعد كان قد أعطاه في شأن چلبی.

٩- تاج الدين (معتز):

هو ابن محيي الدين طاهر، قاضي القضاة جلال الدين خوارزمشاه. أنفذه المغول إلى الأناضول من أجل جباية الخراج لأداء ديون السلاطين السلاجقة، ولكن لأن السلطان عز الدين كيكاوس الثاني لم يستقبله استقبالا لائقا وقال له إنه: في طريقكم السلطان ركن الدين لماذا لم تبدؤوا المطالبة به، ذهب تاج الدين بصحبة مبعوثين آخرين إلى ركن الدين قليج أرسلان الرابع. فاستقبل معين الدين پروانه، الذي كان عند ركن الدين، تاج الدين والمبعوثين باحترام. وقد هزم جنود المغول، الذين كانوا قد جاؤوا إلى الأناضول، أتباع عز الدين، وفر عز الدين إلى إستانبول. وعين قليج أرسلان، الذي

[٢٥٥] كان سلطانًا بغير منازع، تاج الدين في إدارة الأمور المالية في قسطنطينية وأنقرة، وأصبح أحد الرجال المقتدرين في أعمال الحكومة أيضًا. ثم بعد فترة، اصطدم بقلبيج أرسلان، فاتَّحد هذا مع مُعين الدين لغزُل تاج الدين. وفي ثورة ولَّد خطير، انحاز إليه. وبرغم أنه اتَّهم في مسألة مجيء الجيش المصري إلى الأناضول، بُرئت ذمُّته من ذلك. وقد صُرح في كتب التاريخ أنه ساد الهدوء والاستقرار في البلاد التي تولَّى تاجُ إدارتها. ويُثنى على إدارته وعدالته. وكان تاجُ الدين أيضًا بين الأمراء الذين رافقوا أباقا في سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م، أثناء مجيئه إلى الأناضول. وقد رافق الخانَ حتَّى أرزنجان وهناك مرض، ثم بعد انصراف أباقا وافته المنية (مسامرة الأخبار، ص ٦٥، ٦٦، ٨٩، ٩٩، ١٠٢-١١٨).

ويذكر ابنُ بي بي أنَّ والد تاج الدين معتزَّ كان من خوارزم (ابن بي بي، طبعة هوتسما، ص ٣٠٢).

وفي مناقب العارفين، يُذكر تاجُ الدين معتزَّ في مناسبات مختلفة. يذهب بصحبة پروانه إلى مجالس مولانا (ج ١، ص ١٠٠)، وهو من جملة الأمراء الذين كانوا يذهبون للقاء مولانا (ص ١٣٣)، ومولانا مهتمَّ به وكان يدعوه «مواطني»، (ص ٢٣٩)، ويريد أن ينشئ «دار العشاق» من أجل محبِّي مولانا، لكنَّ مولانا يرفض ويُنشد غزلًا في هذه المناسبة (كليات شمس، ج ٤، ص ٥٠، الغزل ١٧١٢). وبعدها يبني هذا الشخصُ، بطلب سلطان ولد، عدَّة حُجرات في ظهر المدرسة (مناقب العارفين ص ٢٤١ - ٢٤٢). وبين الفينة والفينة كان يرسل لمولانا بعضَ النقود (٢، ص ٧٥١)، وكان حاضرًا في مراسم تعيين حُسام الدين چلبی شيخًا لخانقاه ضياء الدين (ص ٧٥٤).

كذلك يتبين لنا من كتاب الأفلاكيّ أنّ تاج الدين معتزّ قد أنشأ مدرسةً في قيصرية من أجل شرف الدين المدرّس.

الرسالة الثانية والعشرون من رسائل مولانا مرسلّة إلى تاج الدين معتزّ في شأن طلب مساعدة لنظام الدين، صهر حُسام الدين چلبی. وفي هذه الرسالة يلقبه مولانا بـ «فخر خراسان والعراق».

وفي الرسالة الثامنة والخمسين يسمّيه «الصاحب الأعظم»؛ ولكنه من عبارة «فخر خراسان والعراق» يُعلّم أنّ المخاطب بالرسالة تاج الدين معتزّ. وفي هذه الرسالة نجد مولانا يطلب المساعدة لشخص [٢٥٦] اسمه السيّد شرف الدين.

الرسالة التاسعة والخمسون مرسلّة في شأن طلب المساعدة لنظام الدين، صهر حُسام الدين چلبی. الحكاية الموجودة في آخر الرسالة كأنّها طلب عفو.

الرسالة الخامسة والسبعون طلبُ تفويض خانقاه ضياء الدين وخانقاه آخر (لعله أيضًا موقوف لضياء الدين) إلى حُسام الدين چلبی.

في الرسالة الثامنة والثمانين يُطلب تسليمُ الإمامة والوعظ في مسجدٍ قرا أرسلان، الموقوف لأسرة شمس الدين الخجندی، إلى صدر الدين. ويتحدّث عن صدر الدين بوصفه «الابن العزيز». وهذا الشخص هو ابنُ حُسام الدين چلبی. ابنه، حُسام الدين حسن، مدفون في تربة مولانا. وهو متوفى في التاسع والعشرين من شوال عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢م (عبد الباقي گلبينارلي، المولوية بعد مولانا، ص ٣٥٨).

في الرسالة المئة يُطلب العفو عن شخص اسمه «أخي محمّد». وفي مناقب العارفين يُذكر «أخي محمد ديوانه»، تلميذ الشيخ أسد الدين المتكلّم الذي كان مقيمًا في سيواس

(ج ٢، ص ٦٧٣). عاش هذا الشخصُ إلى زمان أولو عارف چلبی، وكانت تُرتَّب له مجالسُ السماع. كان له صداقةٌ مع أسرة مولانا، وكان مهتمًا بأفراد تلك الأسرة (ص ٨٥٥-٨٥٦ و ٨٦٣). ويحتمل أن يكون «أخي محمد، الشخص نفسه.

الرسالة السابعة بعد المئة طلبُ جلال الدين مساعدةً للعلماء.
وفي الرسالة التاسعة عشرة والمئة يوصي بشخص اسمه شمسُ الدين.
الرسالة السادسة والثلاثون والمئة طلبُ مساعدة لحامل الرسالة.

١٠ - جلال الدين قرطاي:

هذا الشخصُ يوناني الأصل ومن الغلمان الذين أعتقهم علاء الدين كيقيباذ الأول. في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م، إثر وفاة علاء الدين، عينه غياثُ الدين كيخسرو الثاني في منصب الخزانة الخاصة والخدمة في الطشت خانة*. بعد معركة كوسه طاغي ووفاة غياث الدين عمِلَ في إدارة أمور السلطنة بصحبة بدر الدين يوتاش. في عهد عز الدين كيكاوس الثاني وصلَ إلى منصب نائب السلطان وأمن السلطنة المشتركة لعز الدين وأخويه. وإنَّ جلال الدين قرطاي، الذي أخذ فتنة خانات «أوج»، توفي في قيصرية في عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٤ م.

* في زمان السلاجقة، يطلق اسم الطشت خانة على المكان الذي كان السلطان يغسل يديه فيه قبل تناول الطعام وبعده، وكان يُحفظ فيه سيفُ السلطان ولباسه وحذاؤه ولوازمه الأخر. والشخص الذي كان يترى أمور الطشت خانة يسمى الطشت دار. [المحقق الفارسي].

[٢٥٧] ولأنه كان رجلاً متديّناً، كان يوقع تحت الأوامر: «وليّ الله في الأرض،
(مقدمة مناقب العارفين بالتركية، الصفحات من ٦١ إلى ٦٣).

يذكره الأفلاكيّ باللقاب «وليّ السيرة، الطاهر السريرة»، ويكتب قائلاً إنّ مولانا
كان يكنّ له احتراماً كبيراً، وكان يخاطبه بـ «قرطايانا»، ويضيف أنه بعد وفاته أيضاً
ذهب مولانا لزيارة تربته (١، ص ٢١٨).

الرسالة الثالثة والعشرون من رسائل مولانا، مثلما يظهر من العنوان أيضاً،
مكتوبة إلى جلال الدين مستوفي. وفي رسائل مولانا طبعة طهران، أثبتها يوسف
جمشيدى پور وغلامحسين أمين خطأ لقرطاي (طبعة طهران، ٢٨٦).

الرسالتان الثالثة والثمانون والثالثة والعشرون لهما نفس عنوان الرسالة السادسة
والعشرين والمئة. وفي هذه الرسالة، يصف مولانا مخاطبه بأنه «مختار سيد الأمراء،
مفخر الكبراء، عالي الهمم، ملكي الأخلاق، كروبي الأوصاف، معيد الخير
والإنصاف، مختص الملوك والسلطين، ملجأ الضعفاء، جلال الملة والدين...»، ومن
بين هذه الأوصاف والألقاب نرى أن وصف «ملكي الأخلاق وكروبي الأوصاف»
خاصة، لائق بجلال الدين قرطاي.

وقد طلب مولانا في هذه الرسالة أن تدفع بقيّة ثمن البستان الذي اشتراه ورثته
صلاح الدين زركوب.

١١ - جلال الدين مستوفي (الأمير):

تولّى جلال الدين محمود في زمان السلطان غياث الدين كيخسرو منصب

الاستيفاء. وفي عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م، ذهب إلى قيصريّة بصحبة غياث الدّين كيخسرو. وفي تلك الأيّام انتفض ولّدُ خطير. فأُسير في هذا التمرد، ولكنه حرّر بمساعدة جيش المغول. واختير جلال الدّين، الذي كان قد ذهب للقاء حاكم المغول، نائباً للسلطان بطلب من المغول. وقد وصفه المؤرّخون بالصدّق في القول والاستقامة في العمل، وأضافوا أنّ الأمور الماليّة قد ظفرت في زمانه بالتنظيم والترتيب (ابن بي بي، طبعة هوتسما، ص ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٣، ٣٣٤؛ مسامرة الأخبار، ص ٩٧، ١٠٠، ١٠٢).

ذُكِرَ في كتاب الأفلاكيّ اسمُ جلال الدّين محمود، بين أسامي الأشخاص الذين ذهبوا إلى لقاء مولانا (١، ص ١٣٣). وقد جاء في الموضع نفسه أنّ مولانا أيضًا حضر في مجلس الضيافة الذي كان قد أعدّه (ص ٥٦٥).

[٢٥٨] ونعلم أنّه أحدُ الأشخاص الذين كانوا منشغلين بتعلّم الحديث عند صدر الدّين القونويّ، ويظهر من المصدر الذي ينطوي على هذا الخبر أنّ والده كان «أمير الحاج» (مقدّمة رسائل مولانا، بقلم نافذ أوزلوق، ص ١٧، رقم ٦).

الرّسالة الثالثة والعشرون من رسائل مولانا أرسلت إلى جلال الدّين المستوفي، وقد طُلب فيها أن لا يأخذ المال الذي طُلب من نظام الدّين.

وإن كانت الرّسالة السادسة والعشرون والمئة قد كُتبت إلى المستوفي، فقد أثبتت كلمة «فلان» في موضع الاسم الأصليّ. ومن المحتمل أنّ هذا القسم ترك خاليًا في المسوّدة، ثم في الاستنساخ، بعد ذلك، كُتبت كلمة «فلان» في الموضع الخالي. وفي هذه الرّسالة طُلب إزالة مضايقة الأشخاص الذين يضعون العراقيل أمام تسليم زاوية

ضياء الوزير إلى حسام الدين چلبى.

١٢ - جمال الدين:

لم نستطع تعيين الهوية القطعية لهذا الشخص. ومن جهة أنه ذُكر في الرسالة بأوصاف «فخر الأئمة والمعידين»، يبدو أنه كان عالمًا، وكان يُعدّ واحدًا من المدرسين. وفي هذه الرسالة، أبلغ سلام القاضي سراج الدين أيضًا، وكتب أن الفقهاء والدراويش يرغبون في لقائه، وجاء حديث عن الفراق الطويل جدًا.

الرسالتان الرابعة والمئة والخامسة والمئة أيضًا أرسلتا إلى شخص اسمه جمال الدين. وفي الرسالة الرابعة والمئة أيضًا عُرض أمر الاشتياق إلى اللقاء. لكنّه في هذه الرسالة يُبلغ السّلام بطريق المخاطب إلى الوزير ورجاله أيضًا. وفي الرسالة الخامسة والمئة عُرض سلام الإخوان على صاحب الرسالة. ولكن، لأنّه لم يأت في أيّ من الرسالتين حديث صريح عن تدريس جمال الدين، لا يمكن قطعًا قول إنّ الرسالتين الأخيرتين أيضًا قد كتبتا إلى جمال الدين نفسه.

في عهد عز الدين كيكائوس الأول، كان هناك قاضي اسمه جمال الدين قرخ؛ ولكن، من وجهة نظر زمانية، لا يمكن جمال الدين أن يكون هذا الشخص، لأنّه لم يُشر إلى سيادته، وبناءً على ذلك فإنّ هذا الشخص ليس السيّد جمال الدين، ولا يمكن في حال أن يكون جمال الدين الحنّتي وجمال الدين الشكاري. ولا تُقدّر أن يكون جمال الدين المعروف بابن الفلكي، الذي انشغل في [٢٥٩] أنطالية بنسخ كتاب (في شأن هؤلاء الأشخاص ارجع إلى: سلاجقة تركية، ص ٤٥، ٥٦ - ٥٧، ١٤٨).

لا يمكن أن يكون هذا الشخص جمال الدين المستوفي الذي وهو في سنّ المئة

سَجَنَهُ رجالٌ إيرنجين ثويان وعَذَّبُوهُ ونهبوا أمواله، وهو نفسه الذي كان مشهورًا بالشيخ جمال الدين خواجه خاموش (مسامرة الأخبار ص ٣٠٦-٣٠٧).

وفي كتاب الأفلاكيّ، هناك شخصٌ اسمه جمال الدين قمري من أصحاب مولانا. ويكتبُ الأفلاكيّ قائلًا إِنَّ عَزَّ الدِّينَ كَيْكاوس الثاني جاء يومًا زائرًا مولانا، ولم يُعرِ مولانا السلطانَ اهتمامًا كبيرًا. وسأل السلطانُ مولانا أن يعظه. فقال مولانا: أيُّ موعظة نعظُّك بها، قالوا لك: كن راعيًا، فصرتَ ذئبًا؛ عَيْنُوك حافظًا وحاميًا وأنتَ تمدُّ يَدَكَ في السرقة؛ جعلَكَ الرَّحْمَنُ مَلِكًا، وأنتَ تعملُ بكلام الشيطان. فخرج السلطانُ باكيًا من المدرسة، وفي باب المدرسة الذي خرج منه تاب عن أعماله السابقة. ينقلُ الأفلاكيّ هذه الروايةَ عن جمال الدين قمري ويلقبه بـ «خُلَاصَةِ الْأَصْحَابِ، مَظْهَرِ النُّورِ». ولأنه بعد ذِكر اسمه يترحم عليه، يظهر أن الشيخ جمال الدين تُوِّفِيَ قبل وقتٍ طويل من اشتغال الأفلاكيّ في تأليف كتابه، أي عام ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م (١، ٤٤٣ - ٤٤٤).

كذلك يروي الأفلاكيّ عنه نفسه أن الأتابك أرسلاندغمش بنى مدرسةً ضخمة، وشرط في كتاب وَفَّقَهَا أَنَّ الْأَحْنَفَ وَحَدَّهْم ينبغي أن يدرّسوا فيها، وأن لا يكون للشافعية سبيلٌ إليها. فرفض مولانا هذا الشرط وقال: إِنَّ وجوهَ الفائدة المرتبطة بهذا الشرط غير مقبولة. كذلك طَلَبَ مُعِين الدِّين من مولانا أن يعظه، فقدم مولانا الوعظَ له ولأصحابه (نفسه، ٤٤٤ - ٤٤٥).

كذلك يذكرُ الأفلاكيّ أَنَّ شَجَارًا وقع بين سُلطان وَلَدَ وزوجته. ولهذا كَتَبَ مولانا رسالةً لفاطمة خاتون وأرسلها بوساطة جمال الدين قمري. وقد نقلَ الرسالة

أيضًا، وهي الرسالة السادسة والخمسون في هذا الكتاب (٢، ٧٣٤ - ٧٣٦). وهذه الرسالة في طبعة أوزلوق هي الرسالة ذات الرقم ٥٤.

يذكر الأفلاكي جمال الدين قمري في زمرة «رؤساء الأصحاب والعلماء ذوي الألباب»، ويقول إنه عاش في إبان طفولة سلطان ولد.

وقد ألف الأفلاكي كتابه «مناقب العارفين» بين ٧١٨ و ٧٥٤ هـ / ١٣١٨ و ١٣٥٣ م (مقدمة تحسين يازجي، ١، ص ٩). والرسالة التي أرسلت إلى فاطمة خاتون كتبت بعد وفاة صلاح الدين زركوب، أي بعد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

[٢٦٠] وجمال الدين هذا من الأشخاص الذين رأوا عهد طفولة سلطان ولد. ويظهر من مجموع هذه التاليف أن جمال الدين قمري لم يدرك مرحلة خلافة سلطان ولد. وإن يكن أدرك هذه المرحلة فقد توفي بعد مدة قصيرة. ولا يوجد في كتاب الأفلاكي أية رواية عن هذا الشخص في شأن سلطان ولد؛ وتؤيد هذه القضية الفكرة السابقة. ونحن نرى أن مخاطب مولانا هو الشخص نفسه.

وقد طلب مولانا في الرسالة التي كتبها إلى فخر الدين علي صاحب العطاء أن يسلم خانقاه أخيه گهرتاش لهذا الشخص.

١٣ - حاجي أمير:

الرسالة التاسعة والأربعون أرسلت إلى حاجي أمير. وفي «مناقب العارفين» أيضًا قيل عن شخص اسمه حاجي أمير إنه كان من أهالي قونية ومن المحبين الحقيقيين لمولانا ومن أصحاب الثراء. وفي الرسالة لم يُشر إلى عمل المخاطب في التجارة. وقد

وصفه مولانا بـ «حسن العهد ومجاهد». وبناء على ذلك لا يمكن أن يكون المخاطب في هذه الرسالة حاجي أمير المذكور في «مناقب العارفين». وفي مُسامرة الأخبار ذُكر حاجي بابا بين رجال عهد عز الدين كيكاوس الثاني. وهذا الشخص أحد الأشخاص الذين قرؤوا إلى القسطنطينية بصحبة عز الدين. وعندما لجأ ذلك الملك للمرة الثانية والأخيرة إلى القسطنطينية، كان هذا الشخص أيضًا معه (نشرة عثمان توران، ص ٤٢ و ٧٢).

يذكر سلطان ولد أن حاجي أخي أمير يسكن في قيصرية أو أنه انتقل إلى قيصرية في أعقاب اضطراب وآته من محبي مولانا (الديوان، ص ٤٥٣، البيت ٩٤٤٤). ولعله يكون هذا الشخص نفسه.

وقد تحدث مولانا في رسالته عن الفراق والاشتياق إلى اللقاء. ومن هذه الوجهة يمكن افتراض أن هذه الرسالة أرسلت إلى بيزنطة.

١٤ - حسام الدين چلبی:

هو أحب مريدي مولانا إليه وخليفته. عرفه مولانا، بعد وفاة صلاح الدين، لمريديه بآته خليفته. نظم مولانا المثنوي تحقيقاً لرغبته ومن أجله. بعد وفاة مولانا بايعه ابنه سلطان ولد وإلى زمان وفاته رأى فيه الأصحاب مولانا. [٢٦١] توفي حسام الدين چلبی يوم الأربعاء الثاني عشر من شعبان عام ٦٨٣ هـ / ٢٥ - ١٠ - ١٢٨٦ م، وأودع الثرى في مقبرة مولانا (اقرأ سيرته في كتاب مولانا جلال الدين ص ١٩٥ - ٢١٠، وكتاب المولوية بعد مولانا، ص ١٩ - ٢٨).

رسالة مولانا التاسعة والسبعون خطاب له. وفي هذه الرسالة أبرز مولانا علاقته

به ومحبة له وبين اشتياقه للقاءه. كان مولانا يذهب في كل سنة مرة إلى ماء إيلغين الساخن. ولعل هذه الرسالة كُتبت في أثناء هذا السفر والفراق القصير الأمد. الرسالةان الثلاثون والمئة والحادية والثلاثون والمئة أيضًا موجّهتان إلى حسام الدين. في الرسالة الأولى أخبر مولانا عن مرضه، وقد أشار ضمناً إلى أن أحد الحُطّص دعاه وطلب منه أن يحلّ ضيفاً عليه، وبين أنه منتظر اليوم وغداً على أمل أن يذهب إلى هذه الضيافة بصُحبة حسام الدين. وفي النهاية عندما يشدّ ذهاباً إلى الدعوة، وقنع مضطراً بصُحبة خياله. وهذه الرسالة من جهة العمق وأسلوب الكتابة غايةً في الروعة. وفي رسالة أخرى أيضًا بين مولانا ارتباطه به بصورة أخرى.

١٥ - حميد الدين (الشيخ):

الرسالة الثامنة والستون أرسلت إلى معين الدين پروانه بيد هذا الشخص. وهذه الرسالة التي تتضمن سلام حسام الدين چلبی أيضًا يُطلب فيها تسليم خانقاه نُصرت الدين إلى حسام الدين.

ونُصرت الدين هذا ابنُ صاحب العطاء فخر الدين عليّ (انظر: فخر الدين علي صاحب العطاء). وفي زمان عزّ الدين كيكّاوس الثاني، كان قد عُيّن بصُحبة أخيه تاج الدين أميراً على إمارة كوتاهية وآق شهر وتوابعهما. والأخوان كلاهما قُتلا في أواخر عام ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ - ١٢٧٨ م، في فتنة القَرَمانيّين وحكّام «أوج»، (مسامرة الأخبار، ص ٧٤ و١٢٢).

ويذكر الأفلاكيّ أنه كان عند نُصرت الدين الوزير خانقاه في قونية. وقد أثبت في

موضعين أنه قد عُقد في هذا الخانقاه اجتماع للصوفية (٢، ص ٦٤٧ و ٦٩٤).
 كذلك يتبين من كتاب الأفلاكي، نقلًا عن سلطان ولد، أنه كان هناك شيخُ اسمه
 الشيخ حميد الدين كان شديد الارتباط بمولانا. ويقول سلطان ولد إنني قلتُ لوالدي:
 ما دمتَ تحبُّ هذا الشيخَ إلى هذا الحدِّ فلنأخذه معنا إلى قونية. فقال مولانا: يوجد في
 قونية الشيخ صلاح الدين، وأسَدان لا يجتمعان في إقليم واحد (٢، ٧١٤). ولأنه جاء
 حديث [٢٦٢] عن دمشق، يترأى أن لقاء مولانا هذا الشخص حصل بعد شهادة
 شمس، يعني بعد عام ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م، إذ كان قد ذهب إلى دمشق للمرة الأولى أو
 الثانية. وإذا كان الشيخ المعني هو الشخص نفسه وكان قد جاء إلى قونية بعد عام
 ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، أي بعد وفاة صلاح الدين، فإن هذه الرسالة تكون قد أرسلت إلى
 معين الدين پروانه بعد التاريخ المذكور. وفي رأينا أن هذا الرأي صحيح، لأن سلام
 صلاح الدين أيضًا قد أدرج فيها.
 ومن المحتمل أن الشيخ حميدي الذي أدرج اسمه بين مشايخ مسامرة الأخبار هو
 الشخص نفسه (ص ٩١).

١٦ - خواجه جهان:

الرسالة الرابعة والسبعون خطابٌ لخواجه جهان. ومعلوم أن خواجه جهان ليس
 اسمًا خاصًا أو تخلصًا^(*) للشخص، بل هو لقبٌ اشتهر به. وتوجد اليوم، في ضواحي

* التخلص في الشعر الفارسي مصطلح يُراد منه الاسم الشعري للشاعر؛ إذ لكل شاعر اسم شعري يتخلص به،

قونية، قرية اسمها «خواجه جهان»، لأن قبة خواجه جهان موجودة في تلك القرية. ولكن ليس لتلك القبة تاريخ ولا يرى في داخلها ضريح أو صندوق.

يكتب مولانا في هذه الرسالة قائلاً إن خواجه جهان دائماً في إكرام وإحسان، ويذكره موصوفاً بأنه «السُّلْطَانُ الصَّافِي الرُّوح»، فخرُ السلاطين، مهدي آخر الزمان، صاحب طالع عناية الله ونظر الرجال.... وهذه فقط رسالة مسجعة بين رسائل مولانا وكتبه المشورة الأخرى، وهذا النثر مثال محصور في فرد. ومن هذه الرسالة يظهر أن خواجه جهان كان رجلاً عالمًا وأديبًا.

وفي مناقب العارفين للأفلاكي لم يرد اسم خواجه جهان؛ ولكن ذكر شخص ثري وخير اسمه خواجه مجد الدين المراغي كان في مجالس السماع يقدم صناديق مليئة بالألبسة والعمام والأحذية... نثاراً للعارفين والمنشدين (١، ٢٥٧). فهل خواجه جهان هو الشخص نفسه؟

هناك كتاب عنوانه «رغائب المناقب» كتبه أمين دده في عام ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٨ م. وقد قصد من تأليف هذا الكتاب تسجيل مناقب الشيخ صدر الدين، ولكن جمعت فيه، أكثر من أي شخص آخر، مناقب مولانا في رسالة سبها سالار ومناقب العارفين للأفلاكي، التي لها ارتباط بصدر الدين. وفي هذا الكتاب ذكر اسم خواجه جهان. و خواجه جهان هذا شخص ثري جداً وعاش في عهد علاء الدين. وعنده [٢٦٣] ابن واحد: علي جان. اسم أمه أسهمان. وعلي جان مصاب بمرض الصرع.

=

مثل: رودكي، خاقاني، معري [المترجم].

ويُظهر الأطباء عجزًا عن معالجته. فيذهب خواجه جهان إلى الشيخ صدر الدين ليعالجه. فيدعو صدر الدين للطفل ويكتب له تعويذة ويخطبها على عُضد الطفل. فيصحّ الطفل. فيُخلي خواجه جهان منزلًا واسعًا في داخل بستانٍ كان يمتلكه ويعطيه لصدر الدين، إكرامًا له. واليوم فإن المكان الذي يضمّ قبر صدر الدين وخانقاهه هو نفسه منزل خواجه جهان (المخطوطات التركية في جامعة إستانبول، رقم ٤١١١، a٧ - b٨؛ وهذه النسخة التي تنطوي على ٢١٢ ورقة نسخة جديدة. وهناك نسخة قديمة من هذا الكتاب في مكتبة متحف مولانا في قونية).

فقط المخطوطة التي حصلنا عليها في شأن خواجه جهان هي هذه النسخة نفسها. وإذا ما اعتمدنا هذه المخطوطة، استنادًا إلى رسالة مولانا، فإن علاء الدين الذي حكّم من سنة ٦١٦ إلى سنة ٦٣٤ هـ / ١٢١٩ - ١٢٣٦ م، هو علاء الدين كيخسرو الأول.

١٧ - سراج الدين:

دُعي هذا الشخص في الرسالة الثالثة «الإمام الفريد، الأخ الأعزّ، سراج الدين المجاهد الطالب للحق»، وفي الرسالة السابعة عشرة والمئة «الابن العزيز المخلص، العالم الزاهد العابد، العارف، وليّ الله، سراج الدين». والمخاطب بالرسالة، الذي ذُكر في مناقب العارفين بأوصافٍ مختلفة وسُمّي «ملك المدرسين، و «فقيه تلك الناحية»، ينبغي أن يكون سراج الدين التتري (وهذا هو حدّس الأستاذ تحسين يازجي أيضًا، ترجمة مناقب العارفين، المقدمة، ص ٧٢. ورأي يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين خطأ، ص ٢٨٨).

وبرغم أنّ الأفلاكيّ يصفُ سراجَ الدّين المنشدَ للمثنويّ [مثنويخان - بالفارسيّة] بأوصافٍ «الوليّ الخفيّ، العارف الصّمداني، لا يشير إلى تدرّسه (١، ص ١٦٢ - ١٦٣، ٢٢٢، ٥٨٣؛ ج ٢، ٥٩٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٥، ٧٥٢، ٧٦١، ٧٧٣، ٧٩٠، ٨٢٩، ٨٣٢، ٨٨٠).

وسراجُ الدّين التّريّ من المقرّبين عند مولانا. وكان مولانا يذهب إلى حجرته ويتحدّث معه عن شمس. وفي آخر مرّضٍ لمولانا، لم يتعد سراجُ الدّين عن فراشه. فهو من المحبّين للغاية لحضرة مولانا (ج ١، ١٩٠ - ١٩١، ٢٢٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٤٦؛ ج ٢، ٥٩٧، ٦٢٥، ٧٨٤). وكان الأفلاكيّ كلّما ذكره استعمل في شأنه العبارة الدّعائية «أعلى الله درجاته» (ص ٨٢٦). وبناء على ذلك يكون سراجُ الدّين التّريّ قد توفّي قبل عام ٧١٩ هـ / ١٣١٩ - ١٣٢٠ م.

[٢٦٤] وقد أبلغ مولانا في رسالته الثالثة سلامَ سراجِ الدّين إلى المخاطب. ويكتب في الرّسالة السابعة عشرة والمئة أيضًا أنّ سراجِ الدّين كان في صدد أن يكون مدرّسًا في المدرسة الكبيرة أوشيخًا للخانقاه الكبير، ولكنّ غيرة الحقّ شغلته بذاته العلية فقطعته عن الدنيا. ويريد مولانا أن يعيّنهُ مدرّسًا في المدرسة الكبيرة، التي لم يُذكر اسمُها.

١٨ - سراجُ الدّين الأزمويّ (القاضي):

كان القاضي سراجُ الدّين محمود في زمان مولانا أحدَ كُبراء قُوْنِيَّة وعلمائها. وقد جاء في كتاب مسامرة الأخبار أنّه تولّى منصبَ القضاء في قُوْنِيَّة. وفي هذا الكتاب ذُكر

بعبارات «بحر الفضائل، وشمس سماء الشريعة، ومركز محيط الحقيقة والطريقة، ومختطف قصب السبق من علماء العالم في المعقول والمنقول» (طبعة عثمان توران، ص ٩٠ و ١٢١). وفي ثورة جمري، أثار الناس عليه واشترك في محاكمته أيضًا (ابن بي بي، طبع هوتسما، ص ٣٢٩). وتوفي في عام ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م.

ويتحدث سبهاالار عنه في كل مناسبة (ترجمة مدحت بهاري، ص ١٢٠، ١٣٣ - ١٣٤، ١٤٦ - ١٤٧). وبرغم أن مولانا كان قد أوصى بأن يؤم الشيخ صدر الدين الناس في صلاة جنازته، فإنه عندما أغمي عليه صلى في الناس القاضي سراج الدين. وينقل الأفلاكي روايات إضافية في شأنه زيادة على ما نقله من روايات سبهاالار (ج ١، ص ١١٩، ١٦٥ - ١٦٨، ٢٧٤ - ٢٧٥، ٣٠٥ - ٣٠٧، ٣٢٥، ٣٣٩، ٣٧٠ - ٣٧١، ٤١٠ - ٤١١، ٤١٢، ٤٦٤؛ ج ٢، ص ٥٩٤ و ٧٩٢). ويُستفاد من مجموع هذه الروايات، خاصة من الروايات التي يسميها الأفلاكي «الشافعي الثاني»، أن سراج الدين كان في أول أمره في صحبة الشيخ صدر الدين، مخالفًا لمولانا، ولكنه بعد ذلك ارتبط بمولانا ارتباطًا شديدًا. وبرغم أن الأفلاكي لم يثبت أن سراج الدين صلى في الناس في جنازة مولانا، لا بد من أن نقبل رواية سبهاالار من وجهة التقدم الزمني. ويكتب الأفلاكي قائلًا إنه بعد وفاة مولانا، جاء القاضي سراج الدين لزيارة تربة مولانا، ووقف أمام ضريحه وتلا هذين البيتين:

في ذلك اليوم الذي شاكت شوكة الأجل قدمك،

ليت يد الدنيا ضربت رأسي بسيف الهلاك !

[٢٦٥] لثلا تكون عيني في ذلك اليوم رأيت الدنيا من دونك

فها أنذا على رأس تُرَيْتِكَ أنثرُ الترابَ على رأسي

ويكتبُ الأفلاكيّ أيضًا قائلًا إِنَّ القاضي سراج الدين له ابنٌ اسمه القاضي عماد الدين، وقد كان هو وابناه مُريدَيْنِ لحسام الدين چلبی (ج ٢، ٧٦٣ - ٧٦٥).
وأضيفُ أنَّ كَوْنَ الأَرَمَوِيِّ هو القاضي سراج الدين بيّنه الأفلاكيّ على هذا النحو، وذلك أنّه في يومٍ من الأيام سأل حُسام الدين چلبی مولانا: كيف هو مواطننا القاضي سراج الدين؟ - فقال: إنّهُ رجلٌ طيّب، يدور حولَ الحوض، ومتوقّفٌ على رُكْلةٍ واحدة. والمرجوّ أن لا يئأس، بل يجتهد الأملَ (ج ١، ص ٤١١ - ٤١٢).

الرسالة الثانية والثلاثون من رسائل مولانا موجّهةٌ إلى القاضي سراج الدين في شأن ميراث ابنه علاء الدين چلبی. وقد طلبَ سراجُ الدين رأيَ مولانا في شأن طريقة تقسيم الميراث وقد استفسرَ عن عقيدته في هذا الشأن. فخاطب مولانا سراجَ الدين بأن قال له «مولانا» تقديرًا لفضله، وكتبَ إليه قائلًا إنّهُ ليس لديّ رأيٌ في هذا الشأن، أريد فقط حفظَ حقِّ الأيتام. ويُستفاد من ذلك أنّه كان ضيقَ الصدرِ إزاء علاء الدين. ويُشار ضمناً إلى أنّ علاء كان لديه أبناء. كذلك يروي الأفلاكيّ أيضًا أنَّ أولو عارف چلبی، الذي توفّي في الثالث والعشرين من ذي الحجة عام ٧١٩ هـ / ١٣٢٠ م، كان في يومٍ من الأيام يتجادلُ مع شخص اسمه علاء الدين قيرشهری. وكان علاء الدين القريبُ يقولُ لئنّي أيضًا من نسل مولانا فلماذا تراني غريبًا؟ إنّهُ لا معنى لترك الاهتمام بالابن بسبب ذنب الأب. فأجابه چلبی: ليس لك أيّة علاقة بحضرة مولانا، وأنّت من هذه الأسرة في حُكم العضو الميت، وقد قُطِعَ فَرْعُكَ عن تلك الشجرة المباركة. فأجاب علاء الدين: من أنتَ حتّى تعرّفني وتشدّ الترجيحَ عليّ؟ - فقال چلبی: أنا

سيفُ مولانا. فقال علاءُ الدين: لا، أنت سيفُ شوم. فقال چلبی: لا، أنا السيفُ الثالث [سوم - بالفارسية] (ج ٢، ص ٩١٢ - ٩١٣).

علاءُ الدين هذا لا يمكن أن يكون ابنَ مولانا؛ لأنه كما يتبين من حَجَر مزار علاء الدين أيضًا، توفي في أواخر شَوَّال عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م، في حياة أبيه. وقد عدّه تحسین یازجی في فهرست أسامي مناقب العارفين أخا سُلطان وَلَد، وقد أخطأ في ذلك (ج ٢، ص ١١٩٩). ومصدرُ هذا الخطأ أنَّ الأفلاكيَّ سَمَّى علاءَ الدين چلبی، ابنَ مولانا، أيضًا علاءَ الدين قيرشهری (ج ١، ص ٤٤٨). ويبدو أنَّ الشخصَ الذي جادل أولو عارف چلبی هو ابنُ علاء الدين چلبی، بل الاحتمالُ الأصحُّ أنه حفيدُ علاء الدين؛ فالأكثرُ أنَّ الحفيدَ يأخذ اسمَ جدّه. كذلك فلنأنا، نظرًا إلى أنَّ الأفلاكيَّ [٢٦٦] وَصَفَ علاءَ الدين چلبی بأنّه «قيرشهری»، نظرًا أنه قد كان لعلاء الدين ارتباطٌ بـ «قيرشهر»، وهكذا يُعَلَمُ أنَّ أسرته قد ذهبت إلى قيرشهر.

الرسالة السابعة عشرة أيضًا خطابٌ إلى قاضي، وكُتِبَتْ بقصد التوصية بشخص اسمه مجذُ الدين. ولأنَّ مجذُ الدين خُوطِبَ بـ «الابن»، يكون قد كان من المرتبطين بمولانا. وهذا الشخصُ أحدُ مَنْ أسماؤهم «مجدُ الدين» الذين ذُكِرُوا في كتاب الأفلاكي. ولعلَّ مجذُ الدين هذا أخو الشيخ أميره بيك الذي يبدو أنه كان من خلفاء مولانا (ج ٢، ص ٨٩٢ - ٨٩٣)، أو مجذُ الدين المراغي الذي كان من التجار (ج ١، ٢٢٩، ٢٥٦ - ٢٥٧، ٣٧٦، ٥٥٠ - ٥٥٧). ولم يُكتب اسمُ القاضي المخاطَبِ بالرسالة.

الرسالة الثانية والستون تبدأ بعنوان: «أفضى القضاة، أستاذ الأفاضل». ولأنَّ هذه

الألقاب قد أثبتت في الرسالة الثانية والثلاثين وخُوطب المخاطبُ بالرسالة بـ «مولانا»، كما هي الحال في الرسالة السابقة، ندرك على نحو واضح أن هذه الرسالة أيضًا كُتبت إلى القاضي سراج الدين. وقد أوصى مولانا في هذه الرسالة القاضي بشخص اسمه أبو بكر، وطلب إعادة حجراته إليه، وقد أخذت منه ظلمًا. وفي كتاب الأفلاكيّ ذُكر أبو بكر جولقي نيكساري وهو من المهتمين القريبين جدًا بمولانا (ج ٢، ص ٥٩٦). وفي الديوان الكبير [ديوان شمس تبريز لمولانا جلال الدين] أيضًا أثبت اسمُ أبي بكر الرّبابي (مثلًا: كليّات شمس، ج ١، البيت ٩٢٥، والبيت ١٠١٨). ويُحتمل أن يكون أبو بكر أحدَ هذين الشخصين.

وعنوان الرسالة التاسعة والستين، وهو «مفخرُ الصدور»، يُشير في ظننا إلى أن هذه الرسالة أيضًا موجهةٌ إلى القاضي سراج الدين. ولورُئيَت عُنوانات الرسالة السابعة والعشرين والمئة، لأمكن احتمال أن تكون قد وُجّهت إلى القاضي سراج الدين. ولأنّ مولانا لم يستطع الذهاب للقاءه ما نجده قد اعتذر له.

١٩ - سيف الدين (الأمير):

لم نستطع أن نعرف على نحو قاطع المخاطب في الرسالة الحادية والستين، الذي هو الأمير سيف الدين (انظر: فهرست أعلام ابن بي بي، ص ٣٤٢ - ٣٤٣).

٢٠ - سيف الدين حمّاء (أمير العالم):

ليس معلومًا مَنْ هو الشخصُ المخاطَبُ برسالة مولانا الخامسة عشرة. وقد كتب مولانا في رسالته إنّ أبناء الأمير سيف الدّين حمّاء أمير العالم قدّموا طلبًا في شأن صدور عفوٍ عن أبيهم، [٢٦٧] وأنّ مولانا لا يريد أن يؤذي خاطرهم. ولذلك يُطْلَع على طلب أبناء الأمير سيف الدّين. وفي الوقت نفسه يُطْلَع المخاطَبُ برسالته على أنّ حُسام الدّين چلبّي تحمّل نفقةً كبيرة في تعمير حائط بستانه، وهو يطلب المساعدة لحُسام الدّين.

وفي الرّسالة السادسة عشرة، بمناسبة العفو عن الأمير سيف الدّين، يُبلغ مولانا الأمير پروانه شكرَ أبناء ذلك الأمير وأسرته، ويضيف مولانا أنّ خاصّة ذلك الأمير يرغبون في أن يشاهدوا ذلك اللّطفَ الملّكيّ والإحسانَ الذي لا حدود له برأي العين. وبالنظر إلى محتوى هذه الرّسالة ربّما لا يكون هناك خطأ إذا ما قيل إنّ الرّسالة الخامسة عشرة كُتبت أيضًا إلى معين الدّين پروانه.

٢١- شجاع الدّين:

لم نستطع تحديدَ هويّة هذا الشخص، الذي كان فيما يبدو سبّهسالار^(١). فهل هذا الشخصُ، المخاطَبُ في رسالة مولانا العشرين، هو عينُ شجاع الدّين عبد الرّحمن بن القزويني الذي ذُكر في كتاب ابن بي بي (طبعة هوتسما، ص ٢٧، ٢٦٧، ٢٧٧)؟ - أو هو شجاعُ آيتاسي الذي جاء إلى والي قَرمان وكان صاحبَ ركاب السّلطان ركن

الدين؟ (تاريخ آل سلجوق في الأناضول، نشرة فريدون نافذ أوزلوق، الرسم ص ٦٦، الترجمة ص ٤٤).

الرسالة التاسعة والعشرون أيضًا، التي تتضمن طلب مساعدة لنظام الدين صهر صلاح الدين، موجهة إلى هذا الشخص.

وقد عدّ يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين هذا الشخص مؤسسًا لأسرة شعبه لر كوجك، وهو خطأ تام (رسائل مولانا، طبعة طهران، ص ٢٨٢). فالأسرة المذكورة أسسها شجاع الدين خورشيد في عام ٥٩١هـ / ١١٩٤ - ١١٩٥ م (الدول الإسلامية، ص ٢٥٤).

٢٢ - شرف الدين (السيد):

في كتاب الأنلاكي يُذكر السيد شرف الدين، الذي هو من أكابر قونية. كان لديه ولدٌ صاحب جمالٍ وحسن. وكان ذلك الولد متعلقًا جدًا بمولانا، وكان يقول إنني إذا لم أنضمَّ إلى جماعة مريدي مولانا فسأقتل نفسي. وإذا ذاك يرتب السيد شرف الدين مضطرًا مجلس سماع. وبعد السماع يصبح الولد مريد مولانا. الوالد أيضًا، الذي يشاهد عظمة مولانا، ينضمُّ هو نفسه إلى مريدي مولانا (ج ١، ص ١٢٧ - ١٢٨).

عدا ذلك، لدينا سيد شرف الدين آخر مخالف لمولانا (١)، ص ١١٩ و [٢٦٨] ٤٨٣ - ٤٨٤). وهذا الشخص لا يمكن أن يكون شرف الدين المذكور في الرسالة.

والتوضيح الذي جاء في تعليقات يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين في رسائل مولانا، طبعة طهران، ص ٢٨٩ غير مصيب من الوجهة التاريخية.

٢٣- شمس الدين:

ربما يكون شمس الدين گنجي، نائب تاج الدين معتز، الذي في أواخر حياته تخلّى عن الأعمال الحكومية وانتظم في سلك التصوّف. ولكن لأنّه اتهم في فتنة ابن خطير بالمشاركة مع تلك الجماعة والشاميين، فقد استشهد في حدود عام ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م (مسامرة الأخبار، ص ١٠٢ و ١٠٤).

ونظنّ أنّ الرسالة التاسعة والمئة وجّهت إلى هذا الشخص. والظاهر أنّ الرسالة الثالثة والعشرين والمئة خطابٌ له أيضًا.

٢٤- شمس الدين:

الرسالة الثامنة والتسعون خطابٌ لهذا الشخص. ونظنّ أنّه شمس الدين يوتاش بيگلر بيك (انظر: فخر الدين عليّ صاحب العطاء، توضيحات الرسالة الثالثة والثلاثين والمئة، وهذه الرسالة يمكن أن تكون قد وجّهت إلى تاج الدين معتز؛ لأنّه كُتِب في الرسالة سلامٌ له).

٢٥- شهاب الدين:

الرسالة السادسة والعشرون من رسائل مولانا موجّهة إلى مُعين الدين پروانه، وقد طلبَ مولانا فيها أن يُعفى شمس الدين، الذي ذهب إلى سيواس للتجارة، من

دفع الضرية.

ويقول الأفلاكيّ إنّ هذا الشخص هو زوجُ ملكة خاتون ابنة مولانا. ويظهر أيضًا مما كتبه الأفلاكيّ أنّ شهاب الدين، برغم أنّه كان رجلًا غنيًا جدًّا، كانت فيه خِسةٌ في الطبع (ج ١، ص ٣٢٣). كذلك يخبر الأفلاكيّ بأنّ مولانا وأصحابه كانوا يجتمعون في منزل شهاب الدين (١، ص ٤٥٦ - ٤٥٧).

٢٦ - صلاح الدين:

الرسالتان الرابعة والخامسة والستون في خطاب هذا الشخص. في الرسالة الرابعة يُثنى عليه بعبارات «الابن المخلص المضيء القلب، المتفنّن الروحاني، الواسع الصدر، الرفيع القدر، افتخار العلماء و [٢٦٩] العارفين» وبعدّ أيام الفراق في شدتها وكرامتها أطول من السنين، ويطلب مجيئه. في الرسالة الخامسة والستين يمدحه بعبارات «الأخ الأعزّ الأجلّ الأفضّل الأكرم، سيّد الصدور، المحقّق المدقّق، مفخر الأئمة، تاج أهل الصّفة، صاحب الدولتين...». وهكذا يُستنبط أنّ الرسالتين كليهما وُجّهتا إلى شخص واحد إذ إنّ هذا الشخص من إخوانه في الطريق ومن أبناء عقيدته، وبناءً على ذلك هو من الصوفيّة وفي الوقت نفسه من العلماء.

من رواية الأفلاكيّ شخص اسمُه بهاء الدين بحري، ولاتّه ذُكر بلقب «كاتب الأسرار» فلا بدّ تبعًا لذلك أن يكون كاتبَ كلام مولانا وأشعاره. اسمُ ابنه صلاح الدين (١، ٥٩٣). ونرى أنّ مخاطبَ مولانا في الرسالتين المذكورتين لا يمكن أن يكون هذا الشخص لأنّه صغير نسبيًّا. تحدّث الأفلاكيّ أيضًا عن صلاح الدين الملقب وذكره

بصفات «زبدة الفضلاء، ينبوع المعاني، مولانا صلاح الدين». ويقول إنّ مولانا كان يخاطبه بـ «صديقنا الحميم بهاء الدين» ويضيف أنّه في العربية سيويّه الزمان، وكان أستاذ عارف چلبی (١، ٢٢٩). ويذكره بصفة «ملك الأدباء» (ص ٣٥٥ و ٣٥٩). ويصفه مرّة أيضًا بصفة «مالك أزمنة الفضلاء» (ص ٥٦٢). ويقول عنه إنّّه في فنون الحكمة بديع الزمان، ويقول إنّ عارف چلبی عندما كان في سنّ السادسة كان يتعلّم القرآن عند صلاح الدين (ج ٢، ٨٣٧). كذلك ذكره بصفة «أكمل الأصحاب» ويقول إنّّه ذهب برُفقة عارف چلبی إلى ولاية متشا (ص ٨٥١). وصحبَ چلبی أيضًا في السّفر إلى أرضروم (ص ٩١٦).

ونرى أنّ مخاطبَ مولانا هو الشخصُ نفسه. وإذا ما وضعنا في الحسبان أنّ مولانا دعاه «الأخ الأعزّ الأجلّ»، فإنّ هذه العزّة والجلالة بقدر ما يمكن أن تشير إلى رفعة منزلته يمكن أن تدلّ أيضًا على تقدّمه في السنّ. وإذا ما سلّمنا بهذه القضية، فالظاهر أنّه عمّر طويلًا، وكان في أسفار أولو عارف چلبی في سنين متقدّمة جدًّا من سنّي العمر.

ونظرًا إلى أنّ مولانا في الرّسالتين كليهما قد تحدّث عن الفراق وطلب الوصال، يُعلّم أنّ هذا الشخص في زمان مولانا أيضًا كان مهتمًّا بالسّفر.

٢٧- ضياء الدين:

في الرّسالة السابعة، تُحدّث عن موضع اسمُه «خان ضياء» [بالفارسية: كاروانسرای ضیا] (انظر توضيحات فلان الدين). في الرّسالة السادسة والسبعين

طُلب من فخر الدين عليّ صاحب العطاء أن تُسَلِّمَ مشيخةُ الخانقاه الذي انتقل عنه الشيخُ صَدْرُ الدِّين إلى حُسام الدِّين چلبی (راجع: فخر الدِّين عليّ صاحب العطاء). في الرِّسالة السادسة والعشرين والمئة، يبيّن مولانا أنَّ خانقاه [٢٧٠] ضياء الدِّين الوزير سُلِّمَ إلى حُسام الدِّين چلبی، لكنَّ بعضهم كان يريد أن تكون له سلطةٌ عليه، ويكتب مولانا قائلاً إنّه لو كان «المرحوم» ضياء الدِّين يعلم أنَّ الخانقاه الذي بناه كان يجب أن يُسَلِّمَ إلى حُسام الدِّين چلبی، لكان صنَّعه من قريميد ذهبيّ، ويطلب أن يأخذ المخاطبُ أمرًا من الملك وأن يدفع مضايقة الأشخاص المزعجين.

يقول الأفلاكيّ في مناقب العارفين إنّه عندما توفّي شيخُ خانقاه ضياء الدِّين، عُيِّنَ حضرةُ چلبی شيخًا في ذلك الخانقاه (ج ١، ص ٥٥٨). ونقرأ في الكتاب نفسه أنّه في عهد مولانا كان هناك شيخٌ جَمَعَ بين مشيخة خانقاه ضياء الدِّين و خانقاه آخر. وعندما توفّي ذلك الشيخُ، سلّم تاجُ الدِّين معترّ خانقاه ضياء الدِّين إلى حُسام چلبی (ج ٢، ص ٧٥٤). كذلك يتحدّث الكتابُ نفسه عن أنَّ حُسام الدِّين چلبی صار شيخًا في خانقاه ضياء وفي خانقاه لا لا باستقلال تامّ (ص ٧٥٨).

والخلاصة التي يُحصَل عليها من الرِّسائل ومناقب العارفين هي الآتية:

الشيخُ صدر الدِّين كان شيخَ خانقاه ضياء الدِّين، وهو غيرُ الشيخِ صدر الدِّين القونيوبيّ. وقد عُيِّن حُسام الدِّين چلبی بعد وفاة ذلك الشيخ في مشيخة الخانقاه المذكور. يضاف إلى ذلك أنَّ ضياء الدِّين توفّي قبلَ وقتٍ طويل من زمان حُسام الدِّين چلبی وحتى من زمان مولانا نفسه. وبناءً على ذلك، ليس هو ضياء الدِّين بنَ خطير.

ويرى تحسين يازجي احتمالاً أن يكون هذا الوزيرُ ضياء الدِّين قرا أرسلان الذي

كان، في عهد عزّ الدين كيكائوس الأول ٥٠٧ - ٥١٦ هـ / ١١١٠ - ١١١٩ م، أمير الدّواة^(*) (مقدّمة مناقب العارفين بالتركية، ص أربع وثمانين - خمس وثمانين).

٢٨ - ظهير الدّين:

الرّسالة الخامسة كُتبت شفاعَةً لشخصٍ اسمه ظهير الدّين. وهويّةُ المخاطَب بالرّسالة غير معروفة. ونظرًا إلى أنّه أُشير إلى ممارسة المخاطَب الرّياضة الصّوفيّة، يبدو أنّه ليس من الأمراء، ولعلّه من العلماء أو المشايخ، أو واحدًا من المرتبطين بمولانا نفسه. ويظهر هذا الأمرُ أساسًا من مخاطبة المخاطَب بكلمة «الابن».

وقد جاء في مناقب العارفين أنّه في عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ - ١٣٢١ م، إذ استولى تيمور تاش بن چوبان على قُويّة وتوابعها، جعله عددًا من العلماء والقضاة قدوتهم. ومن [٢٧١] بين هؤلاء العلماء جاء اسمُ ظهير الدّين، خطيب قيصريّة، بوصف «المرحوم» أيضًا. ومن هذا الوصف يمكن استنباط أنّ ظهير الدّين كان على قيد الحياة في عام ٧٢٠ هـ وفي أثناء تحرير هذا الجزء من الكتاب وافته المنية. ونظنّ أنّ الشخص الذي توسّط له مولانا هو ظهير الدّين نفسه. ومن المحتمل أن يكون قد عُزل من الخدمة ولذلك راجعَ مولانا.

ولا بدّ أيضًا من تذكّر أنّه في التعليقات على رسائل مولانا، حدّس يوسف

* أمير الدّواة عاملٌ في البلاط كان يحمل الدّواة في الدّيوان الكبير ويكتب الأوراق الخاصّة ويحفظها (حاشية ص ١٢٩٨، المجلّد الثاني من مناقب العارفين، الطّبعة الثانية) - [المحقّق الفارسيّ].

جمشيد پور وغلامحسين أمين أن المراد من ظهير الدين هو ظهير الدين المتوج (الرسائل، طبعة طهران، ٢٩٣ - ٢٩٤). وليس هذا الحدس بصحيح؛ ذلك لأن الشخص الذي جعل مولانا شفاعته في الرسالة عنواناً ليس من الأمراء، ولا يمكن أبداً أن يكون ظهير الدين إيلي پروانه، الذي ذكر في جلوس عز الدين قليج أرسلان على سرير السلطنة (٦٠٠ - ٦٠١ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٠٤ م).

٢٩ - عز الدين (القاضي):

عز الدين القاضي عز الدين القونوي في الوزارة في عام ٦٥٤ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥٦ - ١٢٥٧ م، بعد أن تغلب عز الدين كيكافوس الثاني على إخوته وأصبح السلطان. في عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، جاء بيجو، قائد المغول، إلى الأناضول واقترب من حدود آق سراي. فشجع عز الدين السلطان على مواجهة المغول. وفي المعركة هُزم الجيش السلجوقي. وقُتل عز الدين، وفر السلطان إلى إستانبول (مسامرة الأخبار، ص ٤٠ - ٤٢).

ويذكر الأفلاكي في مناقب العارفين أن عز الدين له أيضاً مسجد في قونية (ص ١٧٧).

وفي الرسالة الحادية والسبعين يعين مولانا صدر الدين وكيلاً في شأن ميراث أخت شخص اسمه فخر الدين وترتيب أمره. وقد يكون فخر الدين هذا فخر الدين السيواسي الذي يذكره الأفلاكي بعبارة «المرحوم» ويجعله من بين كتاب الأسرار (ج ١، ص ٢٣٧ - ٢٣٨؛ ٣١٠ و ٣٢٩). وصدر الدين أيضاً الذي أرسل للوكالة يجب أن

يكون ابنُ حُسام الدين چلبى. وفي مناقب العارفين يُذكر أيضًا فخرُ الدين لالا. وقد كان فخرُ الدين هذا مُربّي أولو عارف چلبى. ويُحتمل أن يكون فخرُ الدين الذي توفيت أخته عينُ فخر الدين هذا.

الرسالة الثالثة والسبعون موجهة إلى فخر الدين، أو إلى القاضي عز الدين. ولأنه في هذه الرسالة [٢٧٢] تُطلب إعادةُ حقِّ فخر الدين، الذي أطلق عليه وصف «الابن العزيز»، ولأن موضوعَ الرسالة أيضًا مشابهٌ لموضوع الرسالة الحادية والسبعين، لا يمكن أن يكون هناك شك في أنها موجهة إلى القاضي عز الدين.

و يقول الأفلاكى إنَّ القاضي عز الدين بنى في قونية مسجدًا لمولانا (ج ١، ص ١٠٣-١٠٤).

٣٠- عز الدين كيكائوس الثاني:

في هامش الرسالة الأولى في نسخة قونية كتب: «رسالة السلطان عز الدين في شأن ابن خرم».

هذه الرسالة موجهة إلى ملكٍ ويسميه مولانا «الابن». ويُفهم ضمناً أن هذه الرسالة كانتها جوابٌ لرسالة السلطان المرسلّة إلى حُسام الدين چلبى. وفي هذه الرسالة يسمّي مولانا نفسه «الأب»، وعلى هذا النحو أيضًا يخبرنا بأنَّ هذا السلطان هو من المتصلين به. وقد أبعد هذا السلطانُ مدّةً عن التاج والعرش، وفي هذا يقول مولانا إنَّ هذا قد حدثَ من أجل أن يُدرك السلطانُ غدرَ الدنيا، وهو ليس أكثرَ من تجربة.

جلس عز الدين كيكائوس في عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م على عرش السلطان بدلاً

من غياث الدين كيخسرو. وفي عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م تقرر أن يشترك مع أخويه ركن الدين قليج أرسلان وعلاء الدين كيقباز. ثم بعد وفاة جلال الدين قرطاي، صمم على أن يمرر السلطنة، ولتأمين ذلك صمم على أن يقاتل المغول. ولكن بسبب وفاته، وقعت الحرب بين عز الدين وركن الدين. ثم بعد هجوم المغول بقيادة بيجو، فر عز الدين من الأناضول إلى أنطالية، ومن هناك لجأ إلى بيزنطة. وفي عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م، أنشأ بمساعدة البيزنطيين، للمرة الثانية، سلطنة مستقلة في قونية. كان عز الدين يحرض الناس على المغول، وابتغاء التخلص من ركن الدين الذي كان له نصيب من مساعدات معين الدين پروانه ذهب في سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ - ١٢٥٩ م إلى هولكو في بغداد، ولكنه لم يوفق في تحقيق استقلال السلطنة. وقد قُسمت الأناضول على قسمين: من قيصرية إلى أنطالية، وهي المنطقة التي مركزها قونية، سُلمت إلى عز الدين؛ وولاية دانشمندية الممتدة من سيواس إلى سينوب وسمسون، قد قُضت أيضًا إلى ركن الدين. بعد هذا التاريخ، ترك عز الدين قونية وانشغل بتمضية الوقت في أنطالية. وفي هذا الوقت جاءت الأخبار بأن المغول مرة أخرى جاؤوا إلى الأناضول؛ ولذلك جاء إلى قونية وأرسل الصاحب فخر الدين إلى المغول. ولكن لأن الصاحب فخر الدين أيضًا انحاز إلى ركن الدين، الذي كان في حماية المغول، فر مرة أخرى في عام [٢٧٣] ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٦١ م، إلى بيزنطة. وهناك أيضًا لم يهدأ وكاتب أمراء الحدود في تلك البلاد في شأن الظفر بحكم بيزنطة، وفي النهاية أُلقي في السجن بأمر حكومة بيزنطة عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ - ١٢٦٤ م. وهناك ضُغط عليه لاعتناق المسيحية، ولكنه رفض، واستطاع في عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م أن يفر من السجن

ويذهب إلى القرم. وأخيرًا توفي هناك عام ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م. وعندما كان مُبْعَدًا في القرم وصلته مساعداتٌ من الصّاحب فخر الدّين (مسامرة الأخبار، ص ٣٦ - ٧٠؛ ابن بي بي، طبعة هوتسما، ص ٢١٣، ٢٥١ - ٣٠٠، ٣٠٤ - ٣٠٦، ٣٢٤، ٣٣٤ - ٣٣٥؛ مقالة عثمان توران في دائرة المعارف الإسلاميّة الجزء ٦٣، ص ٦٤٢ - ٦٤٥).

وُستدَلُّ من هذه الإيضاحات أنّ مولانا كتبَ هذه الرّسالة بعدَ عودة عزّ الدّين من بيزنطة إلى قُونيّة وإنشاء السّلطنة المستقلّة، أي بعد عام ٦٥٥ هـ وبين سنتي ٦٥٥ و ٦٥٩ هـ. ومن وجهة أنّ مولانا قد بجلّه بنوع من السّيادة والملكيّة، يمكن القولُ قطعياً إنّ الرّسالة قد حُرّرت في الفترة بين ٦٥٥ - ٦٥٦ هـ. أمّا في شأن ابن خُرم الذي ذُكر اسمُه في الرّسالة، فليُنظر ما كُتب تحت اسم «نجم الدّين».

وبناءً على ما كتبه الأفلاكيّ في مناقب العارفين، كان عزّ الدّين يُكَنّ الاحترام اللائق لحضرة مولانا (١، ص ٧٩)؛ وكان يذهب لزيارته (ص ٢٥٤)؛ حتّى إنّهُ كان قد دعا مولانا إلى أنطالية ولكنّ الرّسل لم يجدوا مولانا نفسَه في أيام إرسال الرّسالة. وعندما أخبر مولانا بذلك، قال: ليس في وسعي الخروجُ من قُونيّة (٢، ص ١٠٢٠).

وفي كتاب «فيه ما فيه» يقول مولانا: «يجب الدّهَابُ إلى نواحي ثُوقات لأنّ ذلك الإقليم دافئ. وبرغم أنّ أنطالية منطقةٌ دافئة، لكنّ جبهة الناس هناك من الروم. لا يفهمون كلامنا. برغم أنّه بين الروم أيضًا يوجد من يفهمون كلامنا» (فيه ما فيه، ص ٩٧ بتحقيق المرحوم فروزانفر). وفي الكتاب نفسه يتحدّث مولانا أيضًا في إحدى المناسبات عن أنطالية (ص ١١٥). ونظنّ أنّ بين الحديث عن أنطالية ودعوة عزّ الدّين مولانا إلى تلك المدينة يمكن أن تكون هناك مناسبة.

ويمكن احتمال أن تكون الرسالة الثامنة والثلاثون موجهة إلى السلطان عز الدين؛ لآته في هذه الرسالة تُحدث أيضًا عن الفراق وأشير إلى فراق حضرة يوسف لأبيه. وفي هذه الرسالة أيضًا دعا مولانا نفسه «أبا». وهذه الرسالة أيضًا جوابًا لرسالة السلطان. [٢٧٤]. حتى إنه في هذه الرسالة قد أُشير إلى حقيقة أنه غير معلوم لدى خاصّة الحق سبحانه أيضًا من هو العبدُ الخاص، ويسأل الله أن ينور عين السلطان وقلبه. ويُستفاد من مسألة أنه في رسالة سابقة ذُكر حُسامُ الدين چلبی وأشير إلى أنه هو الذي حرّر الرسالة، احتمال أن الرسالة الأخيرة كُتبت قبل الرسالة المذكورة.

وفي الرسالة خاطب مولانا السلطان بـ «افتخار آل داود». ولا نجد هذا التعبير في مكاتبات ذلك العصر. أمّا كُتب تاريخ آل سلجوق المجهولة المؤلف فقد ذكرت سلجوق بن لقمان الذي هو أبو السلاجقة، وقالت إن هؤلاء كانوا أربعة إخوة انحدر منهم أربعة وعشرون من أبناء الإخوة، الذين كان اسم أشهرهم أبا سليمان چغري بيك المسمى داود (رسائل مولانا، طبعة الدكتور فريدون نافذ أوزلوق، ص ٨ من المتن، و ص ٣ من المقدمة). ونجد خليل أدهم في كتابه «الدول الإسلامية»، وفي سلسلة سلاطين السلاجقة، بعد سليمان، ترك بين سنتي ٤٧٩ و ٤٨٥ هـ / ١٠٨٦ و ١٠٩٢ م خاليًا، وفي هذا الفراغ ذُكر داود (طبعة إستانبول، ١٩٢٧ م). ولا شك في أن مولانا عندما وصف السلطان بـ «افتخار آل داود» قصد داود هذا.

ويطلب مولانا في الرسالة التاسعة والثلاثين أن تُغفر ذنوب شمس الدين وابنه نور الدين، وأن يُعاد مرة ثانية إلى الخدمة ويرجو أن تُقبل شفاعته. ولا ندرى ما ذنب هذا الأب وهذا الابن.

ولأن الرسالة السابعة والخمسين تتضمن العنوانات نفسها، ينبغي أن تكون قد كُتبت للسلطان نفسه. وفي هذه الرسالة يكتب مولانا قائلًا إنه دائمًا يسأل القادم والذهاب عن حال السلطان ويتلقى تحيات الملك وشُكره، ويستفسر دائمًا عن وضع السلطان، ويطلب منه أن يُدخل «الابن العزيز» حُسام الدين في خدمته. وإذا كان هذا الشخص هو حُسام الدين چلبی، فإنه يكون ذكره طبعًا بأوصافه اللاتقة به.

وفي مناقب العارفين ذُكر حُسام الدين بن آيينه دار السيواسي ملقبًا بـ «ملك الأدباء» (ج ١، ص ١٤١). وحُسام الدين ولد آيينه دار القونيوبي، الذي وُصف بصفة «السيّد النادر»، ينبغي أن يكون عين حُسام الدين الذي تقدّمت أيضًا إشارة إلى كونه شاعرًا. وقد عاش في زمان أولو عارف چلبی وكان يخاصم الأفلاكيّ (٢، ص ٩٣٠). وبالإضافة إليه، ذُكر اسم الشيخ حُسام الدين بگي، الذي كان من أعيان آماسيه وواحدًا من «كتاب الأسرار»، وكان أيضًا يعيش في زمان أولو عارف چلبی (٢، ص ٨٧٦). وهناك أيضًا حُسام الدين آخر نرى اسمه بين القضاة (ص ٩٧٧). ولأنه جاء حديثًا عن أصدقائه في الرسالة، لا نرى أن حُسام الدين الموجود في الرسالة واحدًا من هؤلاء [٢٧٥] المسمّين حُسام الدين. وبالإضافة إلى من ذكرناهم، ذُكر في كتاب مناقب العارفين حُسام الدين دياغ ملقبًا بـ «الصاحب الرّباني والولي الخفي» (ج ١، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ و ٥٠٧)، وكذلك حُسام الدين إسكندر (٢، ص ٧٨٤). وقد أثبت اسم الشخص الأخير في المخطوطة الأولى لمناقب العارفين، على أنه جمال الدين (ص ١٠٣٢). ويُحتمل أن يكون حُسام الدين الذي ذُكر في الرسالة واحدًا من هذين الشخصين.

الرسالة الثمانون أيضًا، من خلال عنواناتها، موجهة إلى عز الدين كيكائوس. وفي هذه الرسالة أيضًا دعا مولانا نفسه «الأب» ويُن أن الوالي يؤذي أصحاب حُسام الدين وطلب منه رفع هذا الظلم، ويعرض في الرسالة مسألة أن حُسام الدين جلبى بسبب هذا الظلم يريد أن يترك قونية، ويذهب إلى بلاد أخرى.

الرسالة الثانية والتسعون أيضًا خطاب للسلطان. وفي هذه الرسالة اعتذر مولانا عن عدم قدرته على مشاهدة السلطان.

الرسالة الرابعة والتسعون أيضًا موجهة إلى السلطان، ولاته سماء «الابن»، يبدو أنها موجهة إلى السلطان عز الدين كيكائوس الثاني. ويكتب في هذه الرسالة إن أمير الأكادشة في سيواس يُفرط في مطالبة شمس الدين، وهو من التجار، بالضرائب. وليس في مقدورنا أن نبت في هوية شمس الدين هذا. وبين أسماء شمس الدين التي جاءت في مناقب العارفين هناك فقط شمس الدين عطار الذي كان مشغولًا بالتجارة (ج ١، ص ٣٣٣ و ٥٦٧). و أمير الأكادشة كان أمير جامعي الجيش. ومعروف أن كل ولاية فيها مثل هذه التشكيلات (مولانا جلال الدين، حاشية ص ٢٨ - ٢٩).

المخاطب في الرسالة الخامسة والتسعين هو الملك أيضًا. وفي هذه الرسالة بارك للسلطان بالزواج وبعث الرسالة مع صدر الدين بن حُسام الدين جلبى، وفيها طلب مساعدة لصدر الدين.

الرسالة الثانية بعد المئة موجهة أيضًا إلى السلطان. وفي هذه الرسالة أطلع السلطان على أن حُسام الدين جلبى أيضًا منشغل بالدعاء، والجميع منتظرون عودة السلطان.

الرسالة الثالثة بعد المئة جواب رسالة وصلت من السلطان.

٣١- علاء الدين چلبی:

هو الابن الثاني لمولانا جلال الدين الرومي. وهو سلطان ولد من أم واحدة. يقول الأفلاكي: «وُلِدَ سُلْطَانٌ وَلَدَ وَعِلَاءُ الدِّينِ لَتِلْكَ السَّيِّدَةِ (گوهر خاتون) فِي سَنَةِ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ وَ [٢٧٦] سَنَ مِئَةِ (٦٢٣ هـ)» (١، ٢٦). فهل هذا تاريخ ولادة سلطان ولد أو علاء الدين چلبی؟ لم يُشَرَّ إلى أنها توأمان. بل إِنَّ الأفلاكي كَتَبَ قَائِلًا إِنَّ عَلَاءَ الدِّينِ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ سُلْطَانٍ وَلَدَ بَسَنَةِ وَاحِدَةٍ (ص ٣٠٣). فإِذَا عَتَبَرْنَا سَنَةَ ٦٢٣ هـ سَنَةَ وَلَادَةِ سُلْطَانٍ وَلَدَ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَاءُ الدِّينِ وُلِدَ فِي سَنَةِ ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م؛ وَلَاقَتْهُ تَوَفِّي فِي أَوَاخِرِ شَوَّالِ سَنَةِ ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م، فَقَدْ كَانَ عِنْدَ وَفَاتِهِ فِي سَنِّ السَّابِعَةِ وَالْأَرْبَعِينَ أَوِ الثَّامِنَةِ وَالْأَرْبَعِينَ^(*).

وقد روى الأفلاكي أنه لأن لعلاء الدين هذا دخلاً في استشهاد شمس، لم يحضر مولانا جنازته ولم يصل عليه صلاة الجنازة (٢، ص ٦٨٦، ٧٦٦). وعندما ذهب مولانا لزيارة تربة والده، كتب على قبر ابنه علاء الدين البيت الآتي:

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَيَمْنُ يَلُوذُ وَيَسْتَجِيرُ الْمَجْرِمُ

وعندئذٍ أضاف البيت الفارسي الآتي:

* وقع المحقق الفارسي في خطأ في هذا الأمر؛ إذ الراضع أنه كان في سنّ السابعة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين [المترجم العربي].

پس كجا زارد، كجا نالد لثيم گر تو نپذیری بجز نيك ای كريم؟
أي:

ولكن أين ينوح وأين يتحبُّ اللثيم إن كنتَ لا تتقبَّلُ إلا الطيبَ، أيها الكريم؟
وهذا البيتُ موجودٌ في الجزء الثاني من المثنوي (٢ / ٣٣٥). ولأنَّ الجزء الثاني من المثنوي بدأ نظمُه في سنة ٦٦٢ هـ يكون مولانا قد كتب هذا البيتَ على قبر ابنه بعد سنتين من وفاته.

وقد نظمَ سلطانُ وَلَد في مناسبة وفاة أخيه علاء الدين مرثيةً في رباعية واحدة (ديوان سلطان وَلَد، طبعة أوزلوق، ص ٥٧١). وذكر وَلَد في هذه الرباعية بُكَّة دقيقة لوالده وذكرها (مناقب العارفين، ص ٤٤٨). وله رباعية أخرى أيضًا في شأن وفاة علاء الدين (الديوان، ص ٥٧٧).

يصفُ مولانا في الرسالة السابعة ابنه بعبارة «افتخار المدرسين»، ويطلبُ منه أن يأتي إلى المدينة بأسرع ما يمكن ويظلَّ أبناءه وتلاميذه والمتعلِّمين عليه، ويقول إنَّه لم يبقَ أيُّ حقٍّ.

ويبدو أنَّ الرسالة الرابعة والعشرين أيضًا خطابٌ لعلاء الدين چلبی. وفي تلك الرسالة يقول أيضًا إنَّ عليه أن لا يبقى في مكان آخر غير منزله، وأن لا يتبع هواه، ويبيِّن إيداءه لنفسه. وفي هذه الرسالة كذلك يأتي ذكرُ اسم الأمير سيف الدين ويقول إنَّه من أجل ابني رجوتُ رجالَ هذا الأمير وتضرَّعتُ لهم.

ويُرى في تواريخ السلاجقة عددٌ من الأشخاص أسماؤهم سيفُ الدين. فأيُّ منهم سيفُ الدين هذا؟ [٢٧٧] ولماذا ذهب مولانا إليه؟ - وفعلًا هذه القضايا غيرُ

واضحة. وفي «فيه مافيه» يأتي حديثٌ عن شخصٍ اسمه سيفُ الدين فَرُخ، يُحتمل أن يكون هذا الشخص نفسه (فيه ما فيه، ٦٢).

الرسالة السابعة والستون أيضًا ينبغي أن تكون قد كُتبت إلى علاء الدين چلبی. لأنه في هذه الرسالة أيضًا استعملت عبارة «فخر المدرسين». على أن عبارة «محبوب الأوابين» أيضًا جديرة بالدقة. يقول أيضًا: «هكذا ظنَّ أن في تلك الحجرة هذا الأب»، ويعظه. فهل الشخصُ الجالسُ في تلك الحجرة هو شمسٌ؟ - هذا الاحتمال كبيرٌ جدًا. ويضيف أن بعضَ الكلام أيضًا قيلَ شفاهًا للسيد مجد الدين.

أما الرسالة الثانية والثلاثون فقد كُتبت بعد وفاة علاء الدين في شأن ميراثه. وفي هذا المجال لم يوصِ مولانا بأي شيء.

هذه الرسائل جميعًا تشير إلى أن مولانا كان منزعًا جدًا من ابنه هذا.

٣٢ - علمُ الدين قيصر:

هو واحدٌ من أمراء عصر غياث الدين كينخرو الثالث (٦٦٣ - ٦٨٢ هـ / ١٢٦٤ - ١٢٨٢ م). وفي حركة عصيان جُفري، قدّم مساعدةً كبيرة، وهو من الأشخاص الذين أخذوا هذا العصيان (ابن بي بي، طبعة هوتسم، ليدن، ١. ج. بريل، ص ٣٣٣).

ويكتب الأفلاكي قائلًا إنه عندما بُني ضريحُ مولانا، وضِعَ أساسُ الصداقة مع بدر الدين التبريزي المعمار (١، ٣٨٧). كذلك يقول إن الواعظ الذي كان يبالغ في الثناء على مولانا لكمّ في أحد الأيام من غضبه شخصًا منكّرًا منزلة مولانا فقتله، وفرّ إلى قونية ولجأ إلى بيت مولانا. فكتب مولانا رسالةً إلى علمُ الدين قيصر وخلص ذلك

الواعظ (نفسه، ٤٥٩). وكان يرتب مجالس السماع لمولانا في منزله (ص ٤٨٩). سُئل مرةً آيةً كرامةٍ رأيتَ لمولانا؟ - فقال: آيةُ كرامةٍ أعظمُ من أن كلَّ الملل والدول تُحبَّ مولانا (ص ٥١٩)؟ ويضيف الأفلاكيّ القولُ إنه كان له تأثير كبير في بناء ضريح مولانا (٢، ٧٩٢). وكان معيّنُ الدين، بمناسبة افتتاح المدرسة التي بناها في قيصرية من أجل قُطب الدين الشيرازي، قد أرسلَ علّمَ الدين قيصرَ لدعوة سُلطان ولّد إليه (٢، ٨١١-٨١٢).

قُتل في شوال من سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م. ونظّم سُلطان ولّد ثلاث مِدح باسمه، وقد أشار في إحداها إلى أن علّمَ الدين بنى ضريحَ مولانا ومدرسته. ومن الحروف الأولى الاثني عشر من الأبيات الأولى من المِدحة الثالثة، نظفر باسم علّمَ الدين قيصر، الأمرُ الذي يعني أن القصيدة المذكورة من نوع الموشح^(*) (الديوان، طبعة نافذ أوزلوق، ١٩٦١ م، ص ٩ - ١٠، ٨٦، ١٢٥ - ١٢٦). وبالإضافة إلى ذلك [٢٧٨]، يثني عليه سُلطان ولّد في إحدى رباعيّاته (ص ٦٠٦، الرباعيّة ٣٧٥).

وبعد مقتله أيضًا نظمَ سُلطان ولّد ترجيعًا^(**) في مراثيه في ثمانية بنود أو مقاطع، وفيه عرّف علّمَ الدين بأنه من المحيّن الحقيقيّين لحضرة مولانا وإمام أصحاب مولانا (ص ٣٧٦ - ٣٨٠).

الرسالة الحادية والعشرون من رسائل مولانا إجابةً لرسالة علّمَ الدين قيصر.

* الموشح عند الفرس شعرٌ ينشأ من جمع الأحرف الأولى لكلِّ مصراع أو بيت فيه اسمُ شخص أو شيء [المترجم]

** شكلٌ من أشكال الشعر الفارسيّ حيث يتكرّر بيتٌ بعد كلّ مقطع، ولكلِّ مقطع رويٌّ خاصّ [المترجم]

وتتضمنُ هذه الرسالة نصائح أيضًا. الرسالة الرابعة والعشرون والمئة أيضًا خطابٌ له، وقد سَمَّاهُ مولانا فيها «فخر الأولاد».

٣٣- علي النّوّاح:

هذا الرَّجُلُ كان نَوّاحًا، وفي مراسم الحداد كان يُنشد المراثي. ويتبيّن من محتوى الرسالة الخامسة والخمسين أنّ لَقَبَ النّوّاح نُحْلِع عليه بسبب عمله. وليس بين أيدينا إطلاقٌ كبير في شأنه. كذلك فإنّ المقصود من «محمّدنا» الذي ذُكر في هذه الرسالة غيرُ معروف.

٣٤- فاطمة خاتون:

الرسالة السادسة والخمسون رجّعت إلى فاطمة خاتون، ابنة صلاح الدّين زركوب. ويكتب الأفلاكيّ أنّه كان قد برز اختلافٌ بين فاطمة خاتون وزوجها، سلطان ولد. كتبَ مولانا هذه الرسالة وأرسلها بواسطة جمال الدّين قمري إلى فاطمة خاتون، وقد أثبت الأفلاكيّ الرسالة عينها (٢، ص ٧٣٤-٧٣٦).

ومن أنّه يكتب في نهاية الرسالة: «بركتكم، يخلع روحه الطاهر من ذلك العالم مثّة ألف عناية على أهل الأرض»، يُعلّم أنّ الرسالة كُتبت بعد وفاة صلاح الدّين، أي بعد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

٣٥- فخر الخواتين:

الرسالة السادسة والأربعون كُتبت إلى سيّدة لها هذه الألقاب: «سعادة وليّة الإنعام والإكرام، الزّاهدة العابدة، فخر الخواتين وعصمتهنّ، الحسنة الخلق، العالية

الهمة، المفكرة في العاقبة، الباسطة للخير، الطيبة الذكر، سليمة الملوك، ابنة الأمير...». ونحن على علم بأن مولانا مقارنة بالصوفية الآخرين كان يعطي للحياة الاجتماعية للمرأة الأهمية المناسبة، وكان ينحاز إلى حرية المرأة، وكان لديه مريدات كثيرات، بل كانت [٢٧٩] زوجة أمين الدين ميكائيل تعقد مجالس خاصة للسماع من أجل السيدات، وفي تلك المجالس كان يُنشر الورد على مولانا (مناقب العارفين، ١، ٤٩٠ - ٤٩١؛ مولانا جلال الدين، ص ٣٣٧ - ٣٤١). ولدينا معلومات في شأن المرحلة الأولى من حياة المولوية تذهب إلى أنّ هذا الطراز من التسليك قد راج في تلك المرحلة أيضًا. فقد جمعت شرف خاتون، ابنة سلطان ولد، بعض المريدات حولها. وقد عملت العارفة «خوش لقاء»، وهي من خلفاء المولوية، في ثوقات على إشاعة الطريقة المولوية (المولوية بعد مولانا، ص ٢٤٦ - ٢٤٧).

وقد عرف الأفلاكي زوجة غياث الدين كيخسرو الثاني، گرجي خاتون ابنة ملكة گرجي، بأنها من خاصة مريدي مولانا (فهرست الأعلام، ٢، ص ١٢٠٤). وهذه السيدة كان لها يد أيضًا في بناء ضريح مولانا (٢، ٧٩٢). وبالإضافة إليها فإنّ گوماج خاتون ثوقاتي، زوج ركن الدين الرابع، كان لها أيضًا علاقة كبيرة بمولانا (فهرست الأعلام، ص ١٢٠٤).

ونظن أنّ الرسالة المذكورة قد وُجّهت إلى واحدة من هاتين السيدتين. الرسالة الثامنة والعشرون والمئة أيضًا خطابٌ لسيدة كُتبت بمناسبة شفائها، وهي رسالة للسؤال عن مريض. ومن وجهة أنّ الألقاب فيها مشابهة تقريبًا للرسالة السابعة، نظنّ أنها كُتبت للسيدة نفسها.

وعليّنا أن نُضيف هنا هذا الأمر وهو أن گرجي خاتون، التي من المحتمل أنها كانت تريد الهجرة إلى قيصرية بسبب هجوم المغول، لأنها لم تكن تتحمّل فراق مولانا، كلّفت عين الدولة النقّاش بأن يرسم صورةً لمولانا من أجلها (مناقب العارفين، ١، ٤٢٥ - ٤٢٦). وعندما كان سلطانٌ ولّد يريد أن يذكر اسمَ أحدٍ من أحبة مولانا في قيصرية، كان يذكر هذه السيّدة أيضًا (ديوان سلطان ولّد، ص ٤٥٣).

كذلك كُتبت الرسالة التاسعة والثلاثون والمئة إلى سيّدة وُصفت بـ «فاطمة العصر، خديجة الدوران، مريم الزمان». ويُحتمل أن تكون هذه السيّدة، كما يظهر من الرسالة الثانية والثمانين، هي السيّدة نفسها التي كان لها المشيخة في خانقاه، وطلب مولانا في رسالته إخراج الأشخاص الذين كانوا قد دخلوا الخانقاه.

٣٦- فخر الدين أرسلاندغمش (الأمير):

كان فخر الدين أرسلاندغمش بن سوينج في معركة كوسه طاغي حامل العلم لغيّاث الدين كَيخسرو. [٢٨٠] وبعد الهزيمة في تلك المعركة، انتشل فخر الدين السلطان وأنقذه من الهلاك بتغيير هندامه وسَمته. ظلّ الأمير مدّة في وظيفة مسؤول الخيل [مير آخور - بالفارسيّة]. وقد أصلح بين عزّ الدين كَيكاوس الثاني وركن الدين قليج أرسلان الرابع. وعندما كان عزّ الدين متنازعًا مع ركن الدين، ذهب رسولاً إلى ركن الدين، ومرة أخرى ثبّت الصلح بين الأخوين، وحثّ هذين الاثنين على التصالح والمسالمة. وفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م، وبعد معركة عزّ الدين مع المغول، سعى وأجلس ركن الدين الرابع على عرش السلطنة، وكان له في إخماد ثورة خانان أوج

تأثير كبير (انظر في هذا الشأن مقدّمة مناقب العارفين بالتركية، ترجمة تحسين يازجي، ١٩٥٣، م، ٧٦-٧٧؛ مسامرة الأخبار، ص ٦٦-٦٨).

ويقول الأفلاكيّ إنّ فخر الدين أرسلاندغمش بنى في قونية مدرسة الأتابكية، واشتغل شمس الدين المارديني في تلك المدرسة مدرّساً (ج ١، ٣٠٦). ويقول أيضاً إنّ باني المدرسة كان قد شرط أنّ المدرّسين في هذه المدرسة ينبغي أن يُنتخبوا من بين الأحناف فقط، ويضيف أنّ مولانا يقول إنّ الخيرات التي تكون مشروطة بشرط لا تكون خيراً كاملاً (١، ٤٤٤-٤٤٥).

والمرجح أن تكون الرسالة التي تحمل الرقم سبعة وثمانين من رسائل مولانا قد كُتبت أيضاً لهذا الشخص (انظر: ما كُتب تحت «فخر الدين صاحب العطاء»). في الرسالة الثالثة والتسعين ذكر مولانا هذا الشخص. ويطلب منه مولانا أن يعيّن شمس الدين المارديني مدرّساً في مدرسة مُنشأة حديثاً، وأن يسلم مدرسة قرطاي، بعد نقل شمس الدين، لأفصح الدين (انظر: ما كُتب تحت «أكمل الدين الطيب»).

٣٧ - فخر الدين علي (صاحب العطاء):

ذكر فخر الدين علي بن حسين الرومي كثيراً باسم صاحب العطاء. وقد عمل قريباً من خمسين سنة في دولة السلاجقة في خدمات مختلفة. وفي كثير من المدن بنى مدارس وخانات قوافل، وخوانق [جمع خانقاه] وسُبُلًا [مشارب ماء]. وكان اشتغل في عهد عزّ الدين كيكاوس بعمل القضاء، ووصل بعد ذلك إلى منصب نائب

السلطنة. ومن أجل أن يمنع المغول من ابتزاز الأموال التي كانوا يأخذونها من الناس دائماً، وينظم الأعمال المالية، ذهب إلى حاكم المغول، ثم بعد كسب موافقته عاد إلى الأناضول. ومن أجل إيجاد الصلح بين ركن الدين قليج أرسلان وعز الدين كيكاوس، ذهب في سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م، بصحبة كيكاوس، [٢٨١] إلى هولاكو خان، ثم بعد العودة اختير للصدارة. ومرة أخرى من أجل إيجاد الصلح بين هذين السلطانين، ذهب إلى ركن الدين، وأوصله ركن الدين إلى الوزارة. وبعد ذلك بقي فخر الدين صاحب، الذي كان ظفر بلقب صاحب الأعظم، بعد مقتل ركن الدين أيضاً في المنصب نفسه. وإذا كان نهض مدة لمخالفة پروانه، سُجن في قلعة عثمانجوق. وبعد إطلاق سراحه، ذهب إلى حاكم المغول، وأصبح من جديد صاحب الأعظم. في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م أخذ ابنة ركن الدين قليج أرسلان الرابع، التي كانت قد أصبحت خطيبة ولي عهد المغول، بصحبة معين الدين، إلى أرغون خان المغول. وفي العودة صار، في الاضطراب الذي كان أحدثه ابن خطير، مأمور الحدود في البستان. في سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م، سُلِّمت نفقات طعام المغول، الذين كانوا قد ذهبوا إلى أرزنجان للقاء المصريين، لعهد فخر الدين. ولم يقدم الكبراء أية مساعدة مالية، وكانوا يقولون: إنّ الأوامر كلها تُصدّر باسمه، الجيش أيضاً ينبغي عليه أن يتعهده؛ كل إنسان يأكل وخذه، يتقياً وخذه أيضاً. وعلى هذا النحو فإن الأموال التي كان فخر الدين قد جمعها على امتداد خمسين عاماً صرفها جميعاً. في سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م، جاء كيفاتو إلى سيواس ومن هناك بطريق سيواس جاء إلى آق سراي. المحافظة على جنوده أيضاً وقعت على عاتق فخر الدين. وفي النهاية فإن فخر الدين علي، الذي أنهى أيضاً كثيراً

من الأعمال في فتنة جُمري، نُحِّي بيد رقيه مجد الدين، ووصلَ فخرُ الدين القزويني إلى الوزارة. واختار فخرُ الدين علي صاحب العطاء الانزواء في قرية نادر، قريبًا من آق شهر، ثم في سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م توفِّي في المكان نفسه (مقدمة مناقب العارفين بالتركية، ص اثنتين وتسعين - أربع وتسعين؛ مولانا جلال الدين، ص ٥١، ٣٥٠ - ٣٥١، المولوية بعد مولانا، ص ٣، ٥، ٦).

وقد مدحَ سلطان ولَدَ الصاحبَ الأعظم فخر الدين علي في قطعة من واحد وعشرين بيتًا (الديوان، ص ١٨٢ - ١٨٣).

وقد عرَفَت المصادرُ كُلُّها فخرَ الدين علي بآته رجلٌ خيرٌ، محترِفٌ للعدل، وحنون. وقد ذكره الأفلاكيّ في مناسبات مختلفة (ج ١، ص ١٣٠، ١٣٣، ٥٤٩، وج ٢، ص ٨٨٥). وقد ذكره في موضعين بلَقَبَ «أبو الخيرات» (ج ١، ص ١٣٠، ٥٠٢).

وفي الرسالة السادسة والثلاثين من رسائل مولانا يُثنى عليه واصفًا إيَّاه بـ «الأمير الأجل، المتدين الحسن الخُلُق، المتقي لله، المفكر في العاقبة، الراعي للمظلومين»، ويخاطبه بـ «الأخ». ويكتب في الرسالة قائلًا إن جماعة من الأصحاب صاروا بمساعدته فارغي البال من المطالبات والمصادرات، لكنَّ [٢٨٢] خمسة أشخاص أو ستة مايزالون حتَّى الآن يُطلب منهم الإتاوات والخراج، وقد طلبَ أن يُعفى عنهم.

في الرسالة الرابعة والأربعين أيضًا خاطبه بصفات «أب الملوك والسلاطين وملك الوزراء». وفي نظرنا أنَّ هذه الرسالة التي كُتبت في التوصية بـ «الابن» أيضًا خطابٌ لفخر الدين علي. ونظنَّ أنَّ الرسالة الثامنة والأربعين أيضًا خطابٌ له.

في الرسالة الثانية والخمسين أيضًا وُصِفَ المخاطبُ بـ «الأمير الأجل، العالم

العادل، ولي الأيادي والنعم المعظم لأمر الله، المشفق على خلق الله مختص الملوك والسلاطين». ونحسب أن هذه الرسالة أيضًا قد كتبت لفخر الدين صاحب العطاء. وفيها وبخ جماعة ليس لديها اعتقادُ بصلاح الدراويش ثم اشتكى من جماعة أخرى تُظهر نفسها صاحبة الحق. بل إن مولانا هدد بأنه عازمٌ على أن يترك قُوِيَّةً، ويذكر بأن المخاطب بالرسالة لا يسمح بذلك، ويبيِّن هذا المطلب بجمل فيها مرارة وغُصَّة. والظاهر أن الرسالة السادسة والسبعين أيضًا أرسلت إليه. وقد طلبَ مولانا أن يُسلم الخانقاهُ الذي انتقل عنه الشيخ صدرُ الدين إلى حسام الدين چلبی، الذي ساءت ظروفُ حياته.

الرسالة الحادية والثمانون كتبها مولانا في شأن مساعدة مَالِيَّة لَصَدْرِ الدين، ابنِ حسام الدين چلبی، وقد حملها صدرُ الدين نفسه. تُوفي حسام الدين حسن، ابنُ صدر الدين محمد، في شَوال من عام ٧٤٧ هـ / ١٣٤٧ م، ودُفن في مقبرة مولانا (المولوية بعد مولانا، ص ٣٥٨). ويُحتمل أن أباه أيضًا دُفن في المكان نفسه، ولكن لم يُنشأ له ضريح؛ أو أنه دُفن قرب قبر أبيه، وبعد ذلك أُعدَّ مدفنُ حسام الدين، ولكن لم يُهيأ حجرٌ قبرٍ لابنه.

الرسالة السابعة والثمانون في طلب عفو من المطالبات المَالِيَّة عن عدد من الدراويش، وقد جاء فيها أنه إذا لزم الأمرُ يؤخذ أمرٌ من المَلِك في هذا الشأن.

الرسالة التاسعة والثمانون تتضمن الألقاب التي استعملت في فخر الدين علي صاحب العطاء. ومن هذه الوجهة لا شك في أن هذه الرسالة قد كتبت له. أخذ السيدُ زكي من أموال السلطان دكانًا؛ وفي أثناء استئجار هذا الدكان وعد الأصدقاء

بالمساعدة؛ أمّا في مرحلة العمل فقد تركوا السيّد زكيّاً وحيداً. فيطلب مولانا من المخاطب مساعدته. ونتصوّر أنّ السيّد زكيّاً هذا هو الشخص نفسه الذي ذُكر في مناقب العارفين باسم «السيّد زكي القوّال». وفي بستان كرامانا، تُرتّب مُرضعةُ سُُلطان ولَدَ مجلس سماع، [٢٨٣] فيحضر زكي القوّال في هذا المجلس، ويبقى لثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ بصحبة الأصحاب، يُنشد الأشعار (ج ١، ٣٢٠). في يومٍ من الأيام كان العلماء في مجلس مولانا جلال الدّين يتحدّثون عن «فتوحات» ابن عربيّ ويقولون إنّهُ كتابٌ عجيبٌ، ولا يُعرَفُ ما مقصوده من تأليفه. وفي هذه الأثناء يدخل زكي القوّال فيأخذ في إنشاد الأشعار. فيقول مولانا: الآن فتوحاتُ زكيّ أرفع من فتوحات مكّي وينهض للسمع (نفسه، ٤٧٠).

والظاهر أنّ الرّسالة الأربعين باسمه أيضاً؛ ذلك لأنّ العناوين والألقاب متناسبة معه تماماً. ويطلب مولانا في هذه الرّسالة من شخصٍ مجهول بنى مدرسةً أن يعيّن فيها حاملَ الرّسالة الذي لا نعرف هويته أيضاً.

الرّسالة الثامنة والمئة في طلب تسليم خانقاه أخيه گهرتاش إلى الشيخ جمال الدّين (انظر: ما كُتب تحت «جمال الدّين»).

وإذا ما انتبهنا في الرّسالة الثالثة والثلاثين والمئة إلى العنوان «أبو الملوك والسلاطين»، علمنا أنّها وُجّهت إلى صاحب العطاء فخر الدّين في زمان أتابكيتّه، كذلك يُذكر في الرّسالة التي بعدها صراحة.

إنّ شمس الدّين يوتاش الذي ذُكر في هذه الرّسالة هو أميرُ الأمراء [بيگلر بيگ - بالتركية]. تصف المصادرُ التاريخيّة هذا الشخصَ وجمالَ الدّين قرطاي بـ «المتقي

المشفق على الضعفاء». وكان هذا الشخصُ وجلالُ الدين قرطاي أوصلاً عزَّ الدين كيكافوس وركنَ الدين قليج أرسلان وعلاء كيُباد، أبناء غياث الدين كيكسرو في سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م، إلى السلطنة. (مسامرة الأخبار، ص ٣٦-٣٨). وفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م، وأثناء حملة ييجو على الأناضول، استشهد في المعركة (نفسه، ٤٢). وإثر وفاته أيضًا ألغي منصبُ أمير الأمراء (ص ٥٠)؛ ولكن ابن بي بي يقول إنَّ شمس الدين يوتاش لم يُقتل في ذلك التاريخ، وعندما كان ركنُ الدين قليج أرسلان يجلس على العرش، كان هو مشغولاً في قلعة توقات بحماية القلعة (ابن بي بي، ص ٢٩٢). ونقرأ في تاريخ بيبرس أنه قُتل في سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م، في ثورة ابن خطير، مع سَعِيدِ الدين يونس، ابن سعد الدين مستوفي خال معين الدين پروانه، وكبراء آخرين. وقد أرسلت رؤوسهم جميعاً إلى قونية (ترجمة شرف الدين يالت قايا ص ٩ و ٩١).

وقد استعمل مولانا في رسالته عبارة «رحمه الله» بعد اسم شمس الدين يوتاش. وتُشير هذه العبارة على نحو واضح إلى أنَّ الرسالة قد كُتبت بعد وفاته؛ بينما توفي مولانا في سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م. وبناء على ذلك أخطأ تاريخُ بيبرس. والمعلومة التي [٢٨٤] يقدِّمها كتابُ مُسامرة الأخبار ينبغي أن تكون صحيحةً، وينبغي أن يكون مولانا كتبَ هذه الرسالة بعد سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م.

وينصحُ مولانا فخرَ الدين، الذي كان يريد أن يزوج ابنته من ابنة شمس الدين، أن لا يلتفت إلى أقاويل الناس، ذلك لأنَّ كلامهم كلُّه قد نشأ عن الحسد، ويكتب قائلاً: إنني من أجل تحقيق هذا الخبر أرسلُ إلى جنابكم حُسامَ الدين چلبی. ويظهر من هذه الأمور جميعاً أنَّ مولانا يحبُّ يوتاش حُباً جماً.

الرسالة الرابعة والثلاثون والمئة أيضًا خطابٌ له. أما قوامُ الدين الذي عزَّله من الخدمة فيُحتمل أن يكون مشرفَ الملوك قوامُ الدين أشهر بن الحميد (مسامرة الأخبار، ص ٤١). وقد اتهم هذا الشخصُ في فتنة القَرَمَانِيِّين، وقُتِل في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م (نفسه، ص ٧٢). وإذا ما كانت الرسالة خطابًا له، فإنها تشير إلى أنه عُزل مدةً عن الخدمة، ولأنه استعمل في شأنه تعبيرُ «الابن»، يُعلم أنه من أقارب مولانا.

الرسالة الخامسة والثلاثون والمئة أيضًا كُتبت إلى الصاحب فخر الدين وفي زمان كونه أتابكًا^(١). وقد حرَّرت هذه الرسالة في موضوع مصادرة أموال صدر الدين، ابن حُسام الدين چلبی. ويكتب مولانا إلى الصاحب فخر الدين قائلاً إنني من أجل قضاء حاجة صدر الدين جئتُ إليكم شخصيًا، ولكنني لم أجد فرصةً لأن أعرض الأمر عليكم، ويطلب منه مساعدة في هذا الشأن.

الرسالة الثامنة والثلاثون والمئة وُجِّهت إلى فخر الدين علي عندما كان في منصب الصاحب الأعظم، وتتضمَّن دعاءً وثناءً ونصائح.

ونحسب أنَّ الرسالة الثانية والأربعين والمئة كُتبت له أيضًا. وفي هذه الرسالة أيضًا طلبَ إصلاح حال صدر الدين، ابن حُسام الدين چلبی، وأرسل الرسالة معه هو. ونظنَّ أنَّ الرسالة العاشرة أيضًا موجَّهةً إليه (انظر ما كُتِب تحت عنوان: «نجم الدين بن خرم»).

* تعني أتابك بالتركية حرفيًا: السيد الوالد. وتعني كذلك لقبًا يطلق على معلم الأمير أو مربيه في عصر السلاجقة، وقد تعني أيضًا «معلم» عمومًا. وفي عصر السلاجقة أيضًا تعني الوزير، أو رئيس الوزراء. [المترجم العربي].

٣٨- فلان الدين (؟):

لم يُصَرَّح بالمخاطَب في الرسالة السبعين. هذه الرسالة ذات التهديدات الكثيرة والكلمات المزعجة غير معروف لمن كُتبت. ولكن يتبين من مخاطبة المخاطَب بـ «الابن العزيز» ومن تسمية مولانا نفسه «هذا الأب»، أنها يقينًا كُتبت لشخص من أتباع مولانا المرتبطين بطريقه. ويُستخلص من عبارة: «ومهما يكن فإن أخاك أصغر سنًا منك [٢٨٥] ووا أسفاه، كان مآذونًا له أن يحدثك عن حاله» أن المخاطَب بالرسالة له أخٌ أصغرُ غرق هو أيضًا في نزوات الشباب وضروب الجهالة وترك نفسه على قارعة هذا الطريق. وتشير هذه الكلمات بوضوح إلى أن هذه الرسالة كُتبت إلى علاء الدين چلبی أو سلطان ولد. وعلى هذا النحو، كان هذا «الابن العزيز» واحدًا من أبناء طريق مولانا. ويُفهم من متابعة مولانا المسألة بإلحاح كأن هذا المخاطَب كان من الأفراد الذين تربطهم بمولانا علاقة قوية، وكان مولانا قد سمع كلامًا في شأنه أقلقته كثيرًا وطرده النوم عن عينيه.

أو آتينا نقرأ في الرسالة: «البيت الذي كان حسن السمعة ومشارًا إليه بالبنان مثل بيت الله الحرام، قريب من أن يغدو مشهورًا مثل رباط ضياء الدين [كاروانسرای ضياء الدين - بالفارسية]. ويذكر الأفلاكي رباط ضياء الدين هذا باسم «خان ضياء الدين». وكان في ذلك الخان امرأة غاية في الحسن جميلة الثياب اسمها طاووس، وكان لديها أيضًا مهارة في العزف على الزباب. وكان الجميع مهووسين ببربابها وجمالها. وفي يوم من الأيام مضى مولانا إلى ذلك الخان. فدعت طاووس مولانا إلى حجرتها. فقبل مولانا دعوتها، وانشغل بالعبادة إلى وقت صلاة المغرب في حجرة تلك المرأة فأثر وجد مولانا

وحالُه في تلك المرأة.

في اليوم نفسه كان مسؤولُ خزينة السلطان يمرُّ بذلك المكان. ففتن بتلك المرأة واقترن بها. وأصبحت طاووسُ في نهاية المطاف إحدى النساء الفضليات. ويقول الأفلاكيّ إنّه في آخر الأمر صار ذلك الخان المبارك حمّامًا للمسلمين، وهو معروف في هذا الزمان باسم حمام نقشلو (١، ص ٣٧٥-٣٧٦).
وبرغم كلمة «المبارك» التي استعملها الأفلاكيّ، معلومٌ أنّه كان يجري في ذلك الخان الفسق والفجور، مثلما أشار مولانا إلى ذلك.

٣٩- كمال الدين (القاضي):

الرسالة الأربعون كُتبت إلى مولانا كمال الدين في التماس العفو عن تقصير شخصين اسمهما الإمام عماد الدين والإمام مجد الدين، اللذان يُستفاد من تعبير «الوالدان الأعزّان» كبر سنهما. ويظهر من عنوان الرسالة أنّ هذا الشخص كان «المولى العلامة، المحقق الربّاني»، وقد دعا له مولانا بالتوفيق في إصابة فتاويه. ويقول مولانا في الرسالة إنّه مشتاقٌ إلى أن يصل إليه بنفسه، ويريد أن يكون هو حاضرًا للشفاعة. ويضيف أنّه حتّى الآن لم يسلك هذا الطريق، وكلّما ذهب إلى مكانٍ لأجل هذا الأمر لم يستطع أن يُبين ما في ضميره، ولهذا السبب تحدّث عن هذه الخصوصية الروحية له.

وفي مناقب العارفين ذكر القاضي كمال الدين كاي. وهذا الشخص هو قاضي [٢٨٦] القضاة في الأناضول. وقد سمّاه الأفلاكيّ «ملك القضاة والحكام». وعندما كان هذا الشخص قد جاء إلى قونية رغبة جماعة من أصحابه بزيارة مولانا. ولكن لأنّه

كان ذا منصبٍ رفيعٍ لم يُسَرَّ إلى علاقةٍ بهذه الزيارة. وفي النهاية عندما حظي بزيارة مولانا صار هاتماً به، وجَعَلَ وَلَدَيْهِ، صَدْرَ الدِّينِ ومَجْدَ الدِّينِ أتابك، مريدَيْنِ لمولانا. فرتَّبَ مجلسَ سماعٍ ودعا مولانا لحضوره، وانشغل مولانا بالسماع في ذلك المجلس من منتصف النهار إلى منتصف الليل، وأنشدَ هذه الرباعية:

جاء مندفعًا وولَّها وخفيًّا وسريعًا

متنسِّيًا روحه عبيدًا من روضة وزد الصواب

تقدَّم اليومَ على جُملة القضاة في الجُري

في البحثِ عن ماء الحياة قاضي كاب

وبعدئذٍ طلبَ حضورَ كمال الدِّين فقَبَّله على عينه ووجهه، وقال:

إذا لم تعرفني فاسألِ اللَّيالي أسألِ الوجة الأصفر والشفاه الجافة

(مناقب العارفين، ١، ١٧٩، ١٨٣).

وقد نظَّم سلطانُ وَلَدٍ في مدح كمال الدِّين غَزَلَاً من تسعة أبيات وقال إنَّ مولانا

اختاره؛ وبعد ذِكر اسمه أشار إلى حضوره في مجالسه (ديوان سلطان وَلَدٍ، ٩٣ - ٩٤).

إنَّ مجد الدِّين أتابك الذي ذكر الأفلاكيَّ اسمَه وقال إنَّه ابنُ كمال الدِّين، لا يمكن

أن يكون الأتابك مجد الدِّين علي معروف؛ ذلك لأنَّ اسمَ والد هذا الأتابك محمَّد

حسين. وذكره الأفلاكيَّ مرَّةً أخرى بلَقَب «قدوة الخلفاء»، وأضاف أنَّه هَيَّا السُلطنة

للسُلطان علاء الدِّين بن فرامرز بن عزِّ الدِّين كيكافوس الثاني (ج ٢، ٨٤٨ - ٨٤٩).

وبمساعدة كتاب الأفلاكيَّ ظفرنا بمعلومات في شأن مجد الدِّين أتابك هذا. ويكتبُ

الأقسرايي قائلاً إنَّ هذا الشخصَ هو الأتابكُ مجدُّ الدِّين القاضي القره حصارى الذي

كان في عهد علاء الدين ٦٩٨ - ٧٠١ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠١ م، في منصب الأتابك، ولم يكن السلطان أبدًا يتمرد على كلامه. ويضيف أنه في النهاية أُخِذَ بِصُحْبَةِ السُّلْطَانِ إِلَى غَازَانَ خان حاكم المغول. وبعد التعرُّض للجَلْد، نجا السلطان، وتوفيَّ مجْدُ الدِّين أيضًا بعد مدَّةٍ وفاةً طَبِيعِيَّةً (مسامرة الأخبار، ص ٢٧٩ - ٢٨٠؛ ٢٩٠ - ٢٩١؛ المولوية بعد مولانا، ص ٧-٨).

ولأنه جاء في الرِّسالة أنَّ كَلَامَ الشَّخْصَيْنِ، اللَّذَيْنِ طُلِبَ العَفْوُ عَنْهُمَا ونَهَضَ مولانا للشفاعة [٢٨٧] لهما، أي عماد الدين ومجد الدين، سُمِّيَ «إمامًا»، يبدو أنها أيضًا من أهل العِلْم. وفي مناقب العارفين، ذُكِرَ عِمَادُ الدِّينِ القَاضِي وكذلك من العلماء ذُكِرَ عِمَادُ الدِّينِ كَرْدِي، وكلاهما عاشا في زمان أولو عارف چلبِي. ولم يُثَبِّتِ الأَفْلاكيَّ اسْمَ أب أيٍّ منهما، ويُحْتَمَلُ أن يكون عِمَادُ الدِّينِ المذكور في الرِّسالة واحدًا منهما (ج ٢، ٨٧٦، ٩٣١ - ٩٣٢).

كذلك في كتاب الأَفْلاكيَّ، ذُكِرَ مجْدُ الدِّينِ حَافِظُ أَخُو سَعْدِ الدِّينِ خَطِيبِ السِّيَواسِي (ج ٢، ص ٩٣١)، وفي التَّحْرِيرِ الأوَّلِ للأَفْلاكيَّ ذُكِرَ مجْدُ الدِّينِ الفَقِيه (ج ٢، ١٠١٩ - ١٠٢٠). ومن المحتمل أن يكون مجْدُ الدِّينِ الَّذِي صَادَفْنَا اسْمَهُ فِي الرِّسَالَةِ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الشَّخْصَيْنِ.

الرِّسالة السَّابِعَةُ والأَرْبَعُونَ كُتِبَتْ أَيْضًا إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الْقَضَاةِ، وَأُرْسِلَتْ بِوَسَايَةِ شَخْصٍ اسْمُهُ مجْدُ الدِّينِ، الَّذِي أُطْلِقَ عَلَيْهِ وَصْفُ «ابن». وقد كُتِبَ فِي الرِّسَالَةِ أَنَّ حَامِلَ الرِّسَالَةِ اعْتَمَدَا عَلَى لُطْفِ الْقَاضِي وَكَرَمِهِ سَيَتَحَدَّثُ مَعَهُ بِضَعِ كَلِمَاتٍ فِي شَأْنِ الشَّفَاعَةِ. وَنَظَنَّا أَنَّ مجْدَ الدِّينِ هَذَا هُوَ الشَّخْصُ نَفْسُهُ الَّذِي نَصَادَفَ اسْمَهُ فِي الرِّسَالَةِ

التسعين. والمخاطبُ بالرسالة أيضًا هو القاضي كمال الدين نفسه.

٤٠ - مجد الدين (أتابك):

هو مجد الدين علي بن محمد حسين الأرزنجانِي. وقد وُلِدَ هو نفسه في أرزنجان. كان صِهْرَ مُعِينِ الدِّينِ پروانه. ثوَلَى في عهد ركن الدِّينِ قليج أرسلان الرَّابِعِ منصبَ الاستيفاء، أي وزارة المالية. وبعد خَلْعِ الصَّاحِبِ فخر الدِّينِ من الوزارة سُلِّمَ إليه أمرُ الوزارة للمدَّة، ثم بعد أن تصالح فخر الدِّينِ مع المغول وتوَلَّى الوزارة مرَّةً ثانية، وُليَ منصبَ الأتابك، ذلك لأنَّ المنصبَ السابق كان يبدو لمجد الدين منحطًا. كان الأتابك، إضافةً إلى الوزارة، شخصًا معتمدًا وقریبًا من السُّلطان، وكان في الوقت نفسه يعمل في تربية الأمراء. يكتب سبهبسالار قائلًا: إِنَّ السَّيِّدَ بُرهان الدِّينِ محقق الترمذِيَّ كان أتابك مولانا، أي مربيّه. وعلى هذا النحو يبيِّن أنَّ لقب «أتابك»، إضافةً إلى المعنى الخاصِّ، كان يُستعمل أيضًا في معنى عامٍّ آخر (ترجمة مدحت بهاري، ص ١٧ و ١٦٠). ومعلومٌ في تقليد آل عثمان أنهم كانوا يستمّون صدورَهم العظام: «لا لا» [أي مُرَبٍّ أو معلِّم]، وهي عادةٌ بقيت من ذلك الزمان.

وعندما عجز مجد الدين عن أن يُجِمدَ عصيانَ ابنِ خطير (٦٧٥ هـ / ١٢٧٧ م) حُكِمَ عليه بالإعدام، لكنَّ أصدقاءه أنقذوه من الموت بتقديم الهدايا الكثيرة. ثمَّ بعد مقتل [٢٨٨] مُعِينِ الدِّينِ پروانه، وأثناء العودة من مقابلة أباقا خان حاكم المغول، مرضَ في سيواس، ثم في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م، توفِّي في المكان نفسه. كان مجد الدين خطاطًا مُبدِعًا، ولديه اطلاعٌ كامل على أمور المحاسبة، وقد قرَضَ الشَّعْرَ أيضًا

(مقدمة مناقب العارفين بالتركية، ص سبع وسبعين - ثمان وسبعين).

يكتب سبهسالار قائلاً: إِنَّ مَجْدَ الدِّينِ أَتَابَكَ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ مَوْلَانَا، وَبُضِيفَ أَنَّهُ بِنَاءً عَلَى رَغْبَتِهِ حَتَّى مَوْلَانَا عَلَى الْخُلُوةِ.

يقول الأفلاكيّ إِنَّ مَجْدَ الدِّينِ دَعَا مَوْلَانَا إِلَى مَجْلِسِ مُعِينِ الدِّينِ (ص ١١٨)؛ وَذَهَبَ فِي زِيَارَةِ مَوْلَانَا بِصُحْبَةِ فخر الدِّينِ وَمُعِينِ الدِّينِ وَأَمْرَاءِ آخَرِينَ (ص ١٣٤). وَيُرْوَى أَنَّ مَجْدَ الدِّينِ كَانَ حَاضِرًا فِي الْمَجَالِسِ الَّتِي حَضَرَ فِيهَا مَوْلَانَا (ص ٣٠٥). وَالْأَفْلَاكِيُّ أَيْضًا، مِثْلَ سَبْهَسَالَارٍ، يَقُولُ إِنَّ مَجْدَ الدِّينِ بِنَاءً عَلَى طَلْبِهِ أَكْمَلَ الْخُلُوةَ فِي حُجْرَةٍ فِي مَدْرَسَةِ مَوْلَانَا (ص ٣٢٨ - ٣٢٩).

الرَّسَالَةُ الثَّامِنَةُ مِنْ رِسَائِلِ مَوْلَانَا كَتَبَهَا إِلَى مَجْدِ الدِّينِ. وَلَكِنْ لَأَتْنَا نَقْرَأُ فِي الرَّسَالَةِ قَوْلَهُ: أَوْصَلْتُ سَلَامَ ذَلِكَ الْمَخْدُومِ - لَا زَالَ مَخْدُومًا - لِحَضْرَةِ مَوْلَانَا، يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَوْلَانَا لَمْ يَكْتُبْ هَذِهِ الرَّسَالَةَ. هَذِهِ الرَّسَالَةُ، الَّتِي هِيَ مَبَارَكَةٌ بِمَجِيءِ مَجْدِ الدِّينِ إِلَى قُوْنِيَّةَ وَجَوَابَ لِرِسَالَتِهِ، رَبِّمَا تَكُونُ حُرَّتٌ بِتَقْرِيرِ مَوْلَانَا بِيَدِ سُلْطَانٍ وَلَدٍ أَوْ حُسَامِ الدِّينِ جَلْبِي.

الرَّسَالَةُ الثَّاسِعَةُ أَيْضًا مَوْجَّهَةٌ إِلَى هَذَا الشَّخْصِ. هَذِهِ الرَّسَالَةُ الَّتِي تُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ الْعَدَالَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا مَجْدُ الدِّينِ، خَاطِبَتْ مَجْدَ الدِّينِ بِأَنَّهُ «أَصِفُ الزَّمَانَ، نِظَامُ مُلْكِ الْأَوَانِ، وَالصَّاحِبُ الْأَعْظَمِ». وَتَبَعًا لِذَلِكَ تَكُونُ قَدْ كُتِبَتْ فِي زَمَانِ وَزَارَةِ مَجْدِ الدِّينِ. وَلَآنَ وَزَارَتُهُ كَانَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م، يَكُونُ تَارِيخُ الرَّسَالَةِ فِي أَوَاخِرِ حَيَاةِ مَوْلَانَا. وَفِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ طَلَبَ مَوْلَانَا الْمُسَاعَدَةَ لِنِظَامِ الدِّينِ، صِهْرٍ صَلَاحِ الدِّينِ زَرْكُوبِ.

الرسالة العاشرة خطابٌ للصاحب الأعظم. ولأنّ هذه الرسائل تنطوي على نوع من النظام، نعتقد أنّ هذه الرسالة أيضًا كُتبت لمجد الدين.

الرسالة السابعة عشرة أيضًا كتبها إلى مجد الدين، وطلّب منه فيها أن لا يطلب الضرائب من شخصٍ اسمه كمال الدين، بسبب فقره.

الرسالة الرابعة والخمسون كتبها أيضًا إلى مجد الدين. وفي هذه الرسالة التي حرّرها في زمان أتابكية مجد الدين أبلغه سلام الدراویش وأمير العالم چلبی، ابن مولانا، وأضاف أنّ أمير العالم چلبی غسّل يديه من أمور الدنيا، وصار حليق اللحية والشارب والحواجب وانتظم في سلك [٢٨٩] الدراویش. لكنّ هذه الرسالة أيضًا، كالرسالة الثامنة، لم يكتبها مولانا نفسه. لأنّه في هذه الرسالة يرى المرء عبارة: «أوصلت سلامكم إلى حضرة مولانا». ومهما يكن، فقد يكون سلطان ولد أو حُسام الدين چلبی كتب هذه الرسالة. ويُفهم ضمنيًا أنّ هذه الرسالة قد كُتبت لإجابة لرسالة مجد الدين.

الرسالة السادسة والستون أيضًا لا يمكن أن تكون رسالة لمولانا. إذ نقرأ في تضاعيف الرسالة: «إنّ حامل الرسالة بهاء الدين من أقرباء بيت مولانا...». وبهاء الدين هذا ليس سلطان ولد. ولو كان سلطان ولد لما قال: «من أقرباء بيت مولانا»، ولكان قال: «ابن مولانا»، أو استعمل تعبيرًا آخر. ولعل سلطان ولد أو حُسام الدين چلبی كتب هذه الرسالة. وقد جاء عنوان الرسالة هكذا: يصلّ مطلبهم إلى اطلاع الصاحب الأعظم. وتبعًا لذلك حرّرت الرسالة عندما كان مجد الدين مايزال في منصب الأتابكية. أمّا القاب «تاج الأدباء، ذو الفنون، الحسيب والنسيب» فتدلّ على

أنَّ مجد الدّين كان شاعرًا وأديبًا.

الرسالة الحادية والعشرون والمئة كتبها مولانا في إبان وزارة مجد الدّين.

وفي كتاب «فيه ما فيه» يقول مولانا إنَّ مجد الدّين «دائمًا مشغولٌ بالحقِّ واعتقاده غالبٌ عليه» (تصحیح فروزانفر، ص ٢٨). وفي هذا الباب أثبت حديثه مع الأتابك أيضًا (الصفحة نفسها وما بعد).

وقد نظّم سلطانٌ ولّد قصيدةً من ثلاثة وعشرين بيتًا من أجله، يُستخرج من الحروف الأولى للأبيات الاثني عشر في مطلعها، إذ هي من فنّ الموشح^(*)، اسمُ «مجد الدّين عليّ بن محمّد» (الدّيوان، ص ١٤٣).

٤١ - محمّد (أخي):

أوصى مولانا في الرسالة الثامنة والتّسعين شمس الدّين يوتاش بهذا الشخص، وقد طلبَ له المساعدة. الرسالة المئة أيضًا أوصت الصّاحبَ الأعظم تاج الدّين بهذا الشخص نفسه (انظر في شأن هذا الشخص ما كُتب تحت عنوان: «تاج الدّين» (معتز)، وتوضيحات الرسالة المئة).

* نوعٌ من النّظم الشعريّ عند الفرس، ينشأ من جَمْع الأحرف الأولى لكلِّ مصراعٍ أو بيتٍ فيه اسمُ شخصٍ أو شيءٍ.

٤٢ - مُعِين الدِّين پروانه:

الرسائل ذوات الأرقام: ٢، ١٦، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٥١، ٦٣، ٦٨، ٧٢، ٧٨، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٦، ٩٩، ١٠١، [٢٩٠] ١١٤، ١١٦، ١٢٠، ١٣٧، وجهها مولانا إلى مُعِين الدِّين پروانه.

تُستعمل كلمة «پروانه»، فضلاً عن معناها المعروف، في معاني: رسول الخبر، طليعة العسكر، مفتش، أيضاً. ويُقال لأحكام القضاة وأوامر السلاطين پروانه أيضاً. وفي عصر السلاجقة، كان اسمُ پروانه يُطلق على الشخص الذي يضع الأراضي المزروعة من أجل تأمين المعاش في تصرف الطالبين، ويُجري محاسبتها وكذلك يُهيئ الحوالات للعرض.

ظفر مُعِينُ الدِّين سُلَيْمَان بن مهذب الدِّين علي بن مُحَمَّد بمنصب «البروانية»؛ ومن هنا اشتهر بالأمير پروانه، و پروانه. وكلّما ذُكر اسمُ «پروانه» خطر هذا الشخص في البال.

كان مُعِينُ الدِّين سُلَيْمَان من الدِّيلم. وكان والدّه من نواب غياث الدِّين كَيْخسرو الثاني. وكان پروانه قد تزوّج من ابنة غياث الدِّين كَيْخسرو الثاني أيضاً. وبعد هزيمة كوسه طاع ذهب والدّه إلى بيجو حاكم المغول، وقرّر عقد الصّلع معه. وقد اصطدم مُعِينُ الدِّين، وهو على رأس قيادة جيش أرزنجان، بطرمطاي واستفاد من معرفة أبيه الحاكم المغولي بيجو وعلاقته معه فهزم خصمه. ومهد طريق السّلطنة لركن الدِّين قليج أرسلان الرّابع ووصل إلى منصب «البروانية»، وبقي في هذا المنصب بين سنوات ٦٥٨ - ٦٧٥ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٧٦ م. وفي النزاع بين عزّ الدِّين كيكافوس الثاني وركن الدِّين

قليج أرسلان، انحاز إلى ركن الدين، فأطلقت يده في كثير من البلدان التي كانت تحت تصرف عز الدين. سأل هولاكوان يقسم الأناضول بين السلطنتين. وبعد مدة، نحى عز الدين كيكاوس تمامًا عن السلطنة، وأرسل الأمراء المؤيدين له إلى حكام المغول، وقتلوا هناك. وكان بذر الدين گهرتاش، الذي بنى مدرسة لمولانا وخصص لها أوقافًا، بين الأمراء المذكورين. وسعى لستين بمساعدة المغول فاستولى على سينوب، وحصل بعد ذلك على ملكيتها من ركن الدين. وفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م مكّن المغول من قتل ركن الدين أيضًا، وأجلس مكانه غياث الدين كينخرو الثالث، ابنه ذا الستين والنصف أو الثلاث سنوات، وانفرد هو وحده بإدارة أمور المملكة. وسجن الصاحب فخر الدين في قلعة عثمانجوق، بسبب أنه كتب رسالة إلى عز الدين كيكاوس وقدم له مساعدات. وقد اتبع سياسات ثنائية بالانحياز لبيبرس حاكم مصر وللمغول أيضًا. أخبر بيبرس في رسالة بأنه إذا جاء إلى بيره جيک فلن يمتنع عن مساعدته، وسيُتحد معه. الأشخاص الذين شوهوا رسائله المرسلّة أسرهم المغول [٢٩١]؛ ولكن پروانه ادعى أنّ هذه مؤامرةٌ حيكت ضده فقتلَ حملة الرسالة. ومن وجهة أخرى نظم من جديد نعيه وأرسله إلى بيبرس. كان پروانه بين الأفراد الذين حملوا ابنة ركن الدين قليج أرسلان الرابع، التي كانت عروس ابن أباخان، إلى العريس. استاء پروانه من سلوك أولاد خطير. وبرغم أنه أمر بإفنائهم، أعلنوا العصيان قبل أن يقوم بأي إجراء. أخذ پروانه، الذي كان عائدًا من عند أباخان، تلك الفتنة، ومباشرة دعا جيش مصر إلى الأناضول. جاء بيبرس إلى قيصرية وطلب من پروانه أن يارس مهباته باسمه. فرفض پروانه قبول هذا الاقتراح وأخذ في التمهّل ودفع الوقت. ولأن جيش

مصر كان يضاعف التضخم الاقتصادي في الأناضول، توجه پروانه إلى المغول لإخراجهم من المملكة. وبعد ذلك أبدى المغول انزعاجهم وقلقهم من پروانه. ووقعت الرسائل التي كان پروانه قد أرسلها إلى بيبرس في أيدي المغول. فأحضر المغول معين الدين پروانه ووبخوه. فاعترف بأعماله واحدًا واحدًا، وفي النهاية قتله المغول في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م.

ويمدح سلطان ولد معين الدين سليمان في قصيدة من واحد وثلاثين بيتًا بمناسبة المباركة له بالعيد (الديوان، طبعة أوزلوق، ٢٠١ - ٢٠٢). وبالإضافة إلى ذلك، له أيضًا رباعيتان في مدحه (ص ٥٩٣ و ٥٩٩).

في سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م أقام معين الدين علاقات مع بيبرس. وجاء بيبرس في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م إلى الأناضول. ولا شك في أن التلاعب السياسي الثنائي لدى معين الدين ينبغي أن يكون قد حدث في حدود سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م أو قبل هذا التاريخ. ويلوم مولانا جلال الدين لومًا شديدًا، بسبب اتحاده مع التتار ومساعدتهم على إفناء الشاميين والمصريين (فيه ما فيه، ص ٥). ومعلوم تمامًا أن كلمات مولانا هذه كانت في أواخر حياته. وفي «فيه ما فيه» يقول پروانه لمولانا: الأصل هو العمل. وفي إجابة مولانا إياه يذم مولانا نظرته السطحية (فيه ما فيه ص ٧٤). كذلك في هذا الكتاب، يعرف مولانا العبودية لمعين الدين (٢٢٠ من الترجمة التركية). كذلك نرى أن پروانه يذهب لزيارة مولانا، فيتركه مولانا ينتظر لمدة (ص ٣٧ من طبعة المرحوم فروزانفر). وفي مناقب العارفين أيضًا يتحدث عن هذه المسألة باختصار (١، ص ٢٩٠ - ٣٠٠).

[٢٩٢] في كتاب «رسالة سبها سالار في مناقب خداوندگار» الذي ألفه فريدون ابن أحمد سبها سالار قبل سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م، تحدّث عن مُعين الدّين پروانه. ولكن لأنّ مجدّ الدّين، ابن فريدون سبها سالار، أضاف إلى هذا الكتاب سيرة سُلطان ولد وابنه، أولو عارف چلبی، وخليفته وأخيه، شمس الدّين عابد چلبی، وبعض خلفاء المولوية وأكملته بين السنوات ٧٢٠ - ٧٣٩ هـ / ١٣٢٠ - ١٣٣٨ م، [لهذه الأسباب] يمكن المرء أن يجدد الإضافة أُعِمِلت في متن الكتاب أيضًا.

وبناءً على ما كُتِب في هذه الرسالة، رُتِب مُعين الدّين مجلس سماع وحضر مولانا في ذلك المجلس (طبعة طهران، ص ٨٣). كذلك يظهر من الكتاب نفسه أنّه في مجلس سماع السُلطان رُكن الدّين، كان مولانا وپروانه أيضًا بين المدعوين (ص ٨٦). وفي مجلس آخر أعدّه پروانه كان لمولانا حضورٌ (ص ٨٧). ذهب السُلطان ركن الدّين لزيارة شيخ اسمه بُزاغو. فخاطب الشيخ الملك بلفظ «الابن». فعندما سمع مولانا ذلك قال: «إن ظهر له أبّ وشيخ آخر، فنحن أيضًا نختر ابنًا آخر». وعندما سمع السُلطان هذا الكلام، انزعج. وبتمهيد پروانه، رُتِب مجلس سماع وطُلب من مولانا العمل؛ ولكنّ مولانا لم يرقه ما كان من وَضْع الأطعمة في آنية من الذهب والفضّة، فترك المجلس (ص ٨٥). ونُضيف أيضًا أنّ هذه الحادثة أُثبتت أيضًا في مناقب العارفين، إلا أنّ اسم الشيخ ههنا: بابا مرندي.

وفي المجلس قال السُلطان مخاطبًا المشايخ والعلماء: جعلتُ هذا الشيخ أبي؛ فترك

مولانا المجلس (ص ١٤٦ - ١٤٩) ^(١).

في مناقب العارفين نُقلت روايات أكثر في شأن علاقات مولانا بمُعِين الدِّين پروانه: يحضر پروانه في مجالس سماع مولانا (ج ١، ١٨١ - ١٨٢؛ ٢١٥ - ٢١٦)؛ يطلبُ أن يسمع كلامَ مولانا في خلوة (ص ١٦٤ - ١٦٥)؛ يسأل مولانا عن طريقة الذِّكر (ص ٢٥٠)؛ يذهب دائماً لزيارة مولانا (ص ٢٥٥ - ٢٥٦، ٣١٠، ٤١٧، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٥٤، ٤٦٧)؛ ذهبَ في إحدى زيارته بصُحبة الأمراء الكبار للقاء مولانا، تركهم مولانا ينتظرون مدَّة طويلة (ص ٢٥١ - ٢٥٣).

[٢٩٣] كان مولانا أيضاً يقبل دعوات مُعِين الدِّين پروانه ويشرف مجالس السماع التي كان ينظمها (ص ٩٩ - ١٠١، ١١٨، ١٢٢، ١٤٥ - ١٤٦، ١٥٤، ١٥٧ - ١٥٩، ١٨٣، ١٩١، ٢٨١، ٢٩٢، ٣٣٨، ٤٢١، ٤٥٧، ٥٠٣، ٥٤٢؛ ج ٢، ص ٧٦٩).

ولم يكن مولانا يأبى أن يُوِّخ مُعِين الدِّين بالكلام. ففي يومٍ من الأيام، مثلاً، طلبَ مُعِين الدِّين من مولانا أن ينصحه. فأطرق مولانا لبعض الوقت مفكراً ثم رفع رأسه وقال: يا أمير مُعِين الدِّين، سمعتُ أنك قرأت القرآن. قال: نعم. قال: سمعتُ أنك قرأت «جامع الأصول» في الحديث على الشيخ صدر الدِّين. قال: نعم. قال: أنت تقرأ كلامَ الله وتقرأ حديثَ رسول الله، ثم لاتعمل بهما، ماذا ستتعلم مني ومن نصيحتي؟ (ج ١، ص ١٦٥).

وفي مناقب العارفين، وبمناسبة الرسائل التي كتبها مولانا لمعِين الدِّين، تُحدِّث

١- في شأن الشيخ بابا مرندي، انظر: مولانا جلال الدِّين، الترجمة الفارسية، ص ٣٩٢ - ٣٩٥.

أيضاً عن أسباب كتابة الرسائل:

- يكتب مولانا إلى معين الدين في الشفاعة لقاتل. فيكتب معين الدين في الرد على هذه الجملة: هذه القضية ليست كالقضايا الأخرى، إنها حكاية دم. فيقول له مولانا في الإجابة: يقولون للدم إنه ولد عزرائيل، فإذا لم يسفك دمًا ولم يقتل ابن آدم، فماذا يفعل؟ فيدفع معين الدين الدية ويطلق سراح القاتل (ص ١٥٥).

- في يوم من الأيام ابتلي أهل قونية بمصيبة، وابتغاء الخلاص منها تعلقوا بأذيال سلطان ولد سائلين إياه أن يطلب من مولانا كتابة رسالة إلى معين. فكتب مولانا رسالة استجابة لرغبة سلطان ولد. وعندما رأى معين الدين الرسالة قبلها ونفذ مطلب أهل قونية (ص ٢١٧).

- أدين أحد موظفي الحسابات، فاشتكى لمولانا، فكتب مولانا رسالة إلى معين الدين وأرسلها. فقال پروانه: هذا الأمر من اختصاص الديوان. فأجاب مولانا: الديوان في تصرف سليمان، وليس سليمان في تصرف الديوان. فقبل معين الدين (الذي يعلم أن اسمه سليمان) رسالة مولانا وأسقط دين المدين.

- في رواية صلاح الدين الملطي الذي ينبغي وفقاً لألقاب «ملك الأدباء ومولانا»، التي استعملها الأفلاكي في شأنه، أن يكون شاعرًا ومنشئًا وفي الوقت نفسه من العلماء، كان مولانا يكتب يومياً عشر رسائل أو اثنتي عشرة رسالة في التوصية بالمحتاجين، إلى معين پروانه والآخرين (٣٥٥).

- لإنجاز عمل شخص، يقرر مولانا كتابة رسالة. وكان حسام الدين چلبی محرر الرسالة؛ وبعد ذلك تُرسل الرسالة إلى معين الدين پروانه في قيصريّة بيد رسول.

فيسأل الرسول: إذا طلبوا مِنِّي رسالةً شفهيّة، فبماذا أُجيب؟ - فيقول [٢٩٤] مولانا: أغلّق فمّك، ما يمكن أن يقال نُبيّه نحن (ص ٤٠٣ - ٤٠٤).

- كان مولانا حاضراً في مراسم تعزية أحد ثَوَابِ پروانه. وعندما حان وقت الصلاة، طلبوا منه إمامة الصلاة. فقال: أنا إنسانٌ من الأبدال، حيثما أكونُ أجلس وأقوم، وأربابُ التَصَوُّف والتمكّن لائقون للإمامة وأشار إلى الشيخ صدر الدين وقال: «مَنْ صَلَّى خَلْفَ إمام تقيٍّ فكأنّها صَلَّى خَلْفَ نبيٍّ» (ص ٥٤٨).

- في مراسم تشييع مولانا كان مُعيّنُ الدين أحدَ الأشخاص الذين كان يطلبون مَنعَ المسيحيين واليهود من الاشتراك في مراسم التشييع (ص ٥٩٢).

- بعد رحيل مولانا، ذهبت جماعةٌ من العلماء إلى مُعين الدين پروانه لمنع السماع. فتحدّث مُعين الدين مع الشيخ صدر الدين في هذا الشأن. فقال الشيخ: لا تتدخل في هذا الشأن البتّة... (٥٧٨ - ٥٧٩).

- في ليلة العُرس^(*)، التي كان مُعين الدين قد ربّتها بعد وفاة مولانا، في أثناء السماع مرّق ملكُ الأدباء بدرُ الدين يحيى ثيابه عن جسده وقال هذا الرباعي:

أين العينُ التي لم تبَلِّ بالدمع حزناً عليك؟

أو أين الجيبُ الذي لم يشقّ في مأمّتك؟

قسماً بمحيّاك، إنّه فوق البسيطة

* هي اللَّيلةُ التي تُوفّي فيها مولانا جلالُ الدين، وهي ليلةُ السابع عشر من شهر كانون الأوّل. وتسمّيها بهذا الاسم مستوحاةً من كلام لمولانا، وكان يُحنّى بها في بقاع كثيرة من ديار الإسلام [المترجم].

لم يُـوَارَ أَحَدٌ مِثْلَكَ الثَّرَى

(ص ٦٩٥).

- كذلك رَتَبَ مُعِينُ الدِّينِ فِي مَنْزِلِهِ سَمَاعًا؛ وَفِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَنْشَدَ الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ الرَّبَاعِيَةَ الْآتِيَةَ:

مَنْ سَوَاكَ يُخْبِرُ عَنِ الْآيَاتِ الْمَنْزَلَةِ؟

أَوْ مَنْ يَفَرِّقُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْمَعْتَلِّ؟

وَكُلُّ دَقِيقَةٍ وَنَكْتَةٍ تَحْدُثُ فِي طَرِيقِ التَّحْقِيقِ،

أَيُّ كَاشِفِ الْأَسْرَارِ، قُلْ: مَنْ يَحْلُهَا؟

(ص ٦٠١).

- فِي بِنَاءِ ضَرْيَحِ مَوْلَانَا أَيْضًا، كَانَ مُعِينُ الدِّينِ وَزَوْجُهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ قَدَّمُوا مَسَاعِدَاتٍ مَالِيَةً (ص ٧٩٢).

[٢٩٥] تُشِيرُ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ إِلَى أَنَّ مُعِينَ الدِّينِ كَانَ يُظْهِرُ احْتِرَامًا لَائِقًا فِي شَأْنِ مَوْلَانَا، وَكَانَ مَوْلَانَا أَيْضًا يَحِبُّهُ. أَمَّا فِي كِتَابِ «فِيهِ مَا فِيهِ» فَإِنَّا إِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَى لُومِ مَوْلَانَا وَتَوْبِيخِهِ، عَلِمْنَا أَنَّ مَوْلَانَا لَمْ يَكُنْ يَمْتَنِعُ وَفَقًا لِمُقْتَضَى الْحَالِ عَنْ تَوْجِيهِ الْكَلَامِ الْمَرَّ إِلَى مُعِينِ الدِّينِ، وَأَشَرْنَا إِلَى بَعْضٍ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ.

- فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، جَاءَ مُعِينُ الدِّينِ بِصُحْبَةِ الْأَمْراءِ لَزِيَارَةِ مَوْلَانَا، فَامْتَلَأَ صَحْنُ الْمَدْرَسَةِ وَصُفَّتْهَا إِلَى حَدِّ آتِهِ لَمْ يَبْقَ مَكَانٌ لِأَصْحَابِ مَوْلَانَا. وَعِنْدَمَا تَرَكَ هَؤُلَاءِ الْمَجْلِسَ، قَالَ مَوْلَانَا: إِنِّ مَعَارَفْنَا وَأَسْرَارَنَا عَلَى الْحَقِيقَةِ حِصَّةٌ لِلْأَصْحَابِ، فَعَلِينَا أَنْ نَدْعُو لِيَكُونُوا عَامِلِينَ عَلَى ضَبْطِ مَصَالِحِ الْخَلْقِ وَأَعْمَالِهِمْ، وَلَكِي لَا يَزْعَجُوا وَيَضَايِقُوا

في أوقات الدراويش (ج ١، ص ١٣٣ - ١٣٥).

- في يومٍ من الأيام كان مجلسُ سَمَاعٍ في زاوية الشيخ صدر الدين، حيث كان مولانا حاضراً أيضاً. قال أميرُ الحفل، كمالُ الدين، لپروانه إنَّ جمهرة مريدي مولانا من العامة وأصحاب الحِرَف ويقُلُّ التفافُ الفضلاء والعلماء حوله؛ حينها يكون هناك خيَاطٌ وبَزَّازٌ ويقال يقبله مولانا مريداً. فصاح مولانا في وسط السماع: ألم يكن الشيخ أبو بكر البخاري نَسَاجًا، وذلك الكاملُ الآخرُ زَجَاجًا؟ ألم يكن منصورنا حَلَّاجًا؟ أيُّ ضررٍ أدخلته حرفتهم على معرفتهم؟ (ص ١٥١).

- في يومٍ من الأيام قال مُعِينُ الدين پروانه إنَّ مولانا مَلِكٌ لا نظيرَ له، ولستُ أظنَّ أنَّ سُلْطَانًا مثله ظهر على امتداد القرون، ولكن مريديه أناسٌ غير مؤهلين. وصلَ هذا الكلامُ إلى مسمع مولانا. فكتب رسالةً إلى مُعِينِ الدين يقول فيها: لو كان مريدي جَيِّدينَ لَصِرْتُ أنا مريداً لهم (ص ١٢٩).

ونختم هذا الحديثَ المِفْصَلَ بالحكاية الآتية:

في يومٍ من الأيام أخذ بعضُ الأصحاب يتحدثون في حضور مولانا عن عدالة مُعِينِ الدين پروانه وخيراته، إذ بوجوده المملوء بالجلود استفاد الناسُ وشاع أمنٌ عظيمٌ ووفرةٌ وافرةٌ؛ وفي زمانه عاش العلماءُ والمشايخُ والأفاضلُ في المدارس والخوانق مرقهين ومتحدين. فقال مولانا: يقولُ الأصحابُ الحقيقةَ، بل إنَّ الموجودَ أكثرُ مما يتحدثون عنه بمئات المرات. لكنَّ هناك شيئاً آخرَ أيضاً. وهذه الحكايةُ مثلُ حكاية ذلك الدراويش الذي ذهب مع الحُجَّاج لزيارة بيت الله الحرام، فمرضَ جملُهُ في وسط الصحراء. وقد سعوا بكلِّ ما أوتوا من قوة لإنهاضه فلم ينهض. فوضعوا جملَهُ على

جملٍ آخر وتركوه في الصحراء. فتحلقت الوحوش حول ذلك الجمل، لكن أحداً منها لم يتقدم إليه. فاحتار الحجاج متسائلين: لماذا لم تمرّقه الوحوش وامتنعت عن أكله. عاد شخص من القافلة فرأى تعويذة معلقة على رقبة الجمل. وعندما فتح تلك التعويذة وأبعدها، حملت الوحوش على الجمل ومرّفته إزباً إزباً. فاعلموا أن هذه الدنيا مثل ذلك الجمل، والعلماء و [٢٩٦] الأمراء والفقراء وغيرهم مثل قافلة الحجاج تلك؛ ووجودنا مثل التعويذة التي علقت على رقبته. ما دامت التعويذة على رقبته يظلّ فعّالاً وتظلّ قافلة الدنيا تسير بسعادة إلى أن تُحلّ، وفقاً لقوله تعالى: «يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربِّك راضيةً مرضيةً» (الفجر / ٢٧ - ٢٨)، التعويذة من رقبة جمل العالم، عندئذ انظروا كيف يغدو العالم وكيف يفنى السلاطين وأرباب العلم والقلم.

ونحن أيضاً نتابع الأفلاك ونقول:

إنّه لم تكن سنة واحدة قد مضت على وفاة مولانا حتى رحل كل سلاطين الدنيا وأساطين الدين والأكابر والسادة أحدهم بعد الآخر وبقي إقليد الروم يتيماً ومن دون دولة، وانقلب عالي العالم سافلّه... (ج ١، ص ١٠٧ - ١٠٩).

كذلك أصبح معين الدين پروانه مريداً لفخر الدين العراقي، الذي توفي في دمشق في سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٨ م، وبنى له خانقاه في ثوقات (مناقب العارفين ص ٤٠٠، الترجمة التركية لنفحات الأنس ص ٦٧٢). وقد مضى العراقي بعد مقتل پروانه إلى مصر ومن هناك ذهب إلى الشام، وتوفي هناك.

وفي ثوقات، هناك مدرسة لمعين الدين أيضاً (مناقب العارفين، ٥٥٩). ويقول إسماعيل حقي أوزون چارشيلي إنه كان يقال للمدرسة الزرقاء (گوگ مدرسه):

مدرسة پروانه أيضًا (كتيبه ها، ص ٥٦ - ٥٧). والمدرسة التي ذُكرت في مناقب العارفين ينبغي أن تكون المدرسة نفسها. كذلك يتبين من مناقب العارفين أن مُعين الدين كان له مدرسة في قيصريّة عُيّن قطبُ الدين الشيرازي (٧١١ هـ / ١٣١١ م) مدرّسًا فيها. وفي مراسم الافتتاح ألقى سُلطان ولد خطابًا (ج ٢، ص ٨١١ - ٨١٤). ولبروانه في قونية أيضًا خانقاه كان شيخه شخصًا اسمه تاج الدين الأردبيلي (ج ٢، ص ٥٠٣). وفي ثوقات أيضًا أنشأ مُعينُ الدين بيهارستان (عثمان توران، سلاجقة تركية، ص ٥٢).

(في شأن مُعين الدين انظر: الترجمة التركية لمناقب العارفين، المقدمة، ص ٥٥ - ٦١).

الرسالة الثانية شكرٌ باسم صدر الدين، ابنِ حُسام الدين چلبی (انظر ماكتب تحت: «تاج الدين معتز»).

الرسالة الخامسة عشرة طلبُ مساعدة حُسام الدين چلبی الذي تحمل نفقةً لبنائه حائطًا حول بستانه.

[٢٩٧] الرسالة السادسة عشرة رسالة شكرٍ من أبناء أقرباء سيف الدين بسبب العفو عنه.

الرسالة السابعة والعشرون جوابٌ لرسالة پروانه. وفي هذه الرسالة طُلب أن يفي مُعينُ الدين بوعد.

الرسالة الثلاثون كأنها شكرٌ على التحيات. الرسالة الحادية والثلاثون أرسلها مولانا في شأن تأمين معاش ابنه، أمير العالم چلبی. في الرسالة السابعة والثلاثين طُلب

العفو عن شخص. في الرسالة الثانية والأربعين أُخبر بمطالبة المغول ببغُل. في الرسالة الثالثة والأربعين طُلب العفو عن نظام الدين (انظر ماكتب تحت عنوان: «نظام الدين»). الرسالة الحادية والخمسون أرسلت بطريق أحد «أقرباء» مولانا، كريم الدين محمود، الذي وقعت عليه تُهمة، وطلَبَ فيها مولانا من پروانه أن يُعطي الحكمَ بالعفو عن هذا الشخص له هو. وقد رجَّح يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين، في التعليقات، أن يكون هذا الشخصُ كريمَ الدين بكتمر (الرسائل، طبعة طهران، ص ٢٩٦).

يكتب سلطان ولد، في ابتدائاه (= ولذناماه) قائلاً إنه إثر وفاة حُسام الدين چلبی في سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م، جلس كريمُ الدين بكتمر في مقام القطب وظل لسبع سنوات بعد وفاة حُسام الدين چلبی شيخَ العشقين في تربة مولانا، وجعلَه سلطانٌ ولد نفسه شيخَه، ومثَّل في هذه السنوات السبع مولانا والمولوية. أما في شأن حياته فليس فقط لم يُحدِّث عنها مفصلاً، بل ليس لدينا اطلاعٌ مجملٌ عنها أيضاً. كتابة شاهدة قبر كريم الدين، المدفون في تربة مولانا، هكذا:

«هذه التربةُ الشريفةُ لفخرِ الأصحاب العارفين الفائق العاشق الصادق الشيخ كريم الدين بن الحاج بكتمر المولوي رحمة الله عليه في تاريخ شهر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وستائة».

ويُفهم من الكتابة على شاهدة هذا القبر، أن كريم الدين بكتمر كان من أتباع مولانا (المولوية بعد مولانا، ص ٣١ - ٣٣ و ٣٥٥). وههنا علينا أن نتذكَّر أنه لا في كتاب سلطان ولد ولا في كتابة شاهدة قبر كريم الدين، يصرَّح بأن اسم كريم الدين

هو محمود.

وبالإضافة إلى ذلك، علينا أن نذكر أن آق سرايي، مؤلف مسامرة الأخبار ومسايرة الأخبار، كان أيضًا كريم الدين محمودًا.

وكان كريم الدين محمود، الذي أُلّف في سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م «مُسامرة الأخبار» باسم تيمور تاش [٢٩٨] نُؤين وتوفي قبل سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م، قد عُمّر طويلًا. وقد أمضى الشطرَ الأعظمَ من حياته في الأعمال الديوانية، وذهبَ مرّاتٍ عديدة إلى حكام المغول، وعملَ في الشؤون المالية، وفي نظارة الأوقاف، كما عملَ مدّةً في رئاسة مدينة آق سراي (أوزون چارشيلي، مقدّمة لتشكيلات التاريخ العثماني، ١٩٤١ م، ص ٥٥). (اقرأ سيرته في مقدّمة عثمان توران لمسامرة الأخبار، ص ٣٢ - ٤٠).

زار كريم الدين محمود مولانا في مرحلة شبابه وحتى عندما كان يمرّ بسنّ الكمال؛ ثمّ في سنّ كماله أدرك محضّر سلطان ولد وأولو عارف چلبي؛ ثم في الكهولة أدرك عهدَ شمس الدين أمير عابد چلبي. كان له بمولانا ارتباطٌ شديدٌ وودّي. ويمدح مولانا بعبارات: «العاشق الرّبّاني، وصاحب الجذبة الشّبحانية وقطب الزمان» (ص ٩١)، ويقول إنّ صيّت كلامه شاعَ في أقطار العالم (الصفحة نفسها). ويسمّيه «قطب الزمان وفريد العالم» (ص ١١٩). ولأنّ كريم الدين محمودًا تولّى أعمالًا مليئةً بالمسؤولية وعلى قدر كبير من الأهمية، يُحتمل أن يكون قد اتّهم وهو في واحدٍ من هذه الأعمال. ولعلّ كريم الدين محمودًا الذي جاء ذكره في رسالة مولانا هو الشخص نفسه الذي أرسله مولانا بصحبة الرّسالة إلى پروانه.

الرّسالة الثالثة والستون كُتبت في موضوع قَطع مرتّب الفقيهيّن اختيار الدين

وعِماد الدِّين (انظر ما كُتِبَ تحت: «الإمام اختيار الدِّين»).

الرَّسالة الثامنة والسِّتون أُرسلت مع حميد الدِّين. وقد طُلِبَ في الرَّسالة تسليمُ خانقاه نُصرت الدين الوزير لهذا الشخص. وفي هذه الرَّسالة أيضًا أبلغت تحياتُ حُسام الدين (انظر ما كُتِبَ تحت: «حميد الدِّين»).

الرَّسالة الثانية والسِّبعون في موضوع مساعدة السيّد شرف الدِّين. وفي بعض النسخ يكون المخاطبُ بالرَّسالة سَعْدُ الدِّين. ومهما يكن فإنَّ هذا الاختلاف في النسخ ناشئ عن خطأ الكاتب؛ لأنَّ سَعْدَ الدَّولة تولى الوزارة في سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م، وتولى السيّد سَعْدُ الدِّين السَّواجي الوزارة في سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م. الرَّسالة الثامنة والسِّبعون في طلب مساعدة لحسام الدِّين.

الرَّسالة الثانية والثمانون في شأن سُكنى جماعة من المرتبطين بمُعِين الدين پروانه في خانقاه سيّدة، وصُفّت بـ «الأخت العزيزة الزاهدة»، وقد طُلِبَ إزالةُ مضايقتهم للخانقاه.

كان لمولانا، فضلًا عن النساء المتنسبات إلى عائلات مرموقة وعن كرجي خاتون وگوماج خاتون ونساء الأكابر، مريداتٌ كثيراتٌ من بين سيّدات أخريات. وكان لمحمودة خاتون (مناقب العارفين، ١، ٤٤٨) علاقةٌ كبيرة [٢٩٩] بمولانا ولم تكن تنأى عن محضره. فخرُ النساء، التي كانت تخدمُ الأصحاب في بُستان حُسام الدِّين چلبی (ص ٢٨٧ - ٢٨٨، ٤٣٠ - ٤٣١)، وخليفَتُها «خوش لقاء» القُونيوية، التي آثرت الإقامة في توقات وكان لها مريداتٌ كثيرات (٢، ٨٧٣، ٩٢٨ - ٩٢٩)، ونظام خاتون التي أرادت أن تبیع كفَّها من أجل ترتيب مجلسِ سَماع لمولانا وأصحابه (٢)،

(٦٠١)، [هؤلاء النسوة جميعاً] من مجموعة النساء اللاتي ذُكرت أسماؤهن في الكتب واحتلنَ منزلةَ الصدارة. وتشير هذه الرسالةُ إلى أنه إبان حياة مولانا كان من المتسبين إليه سيِّدةٌ مولوية كان لديها خانقاه. ولعله كان هناك سيِّداتٌ أخريات أيضاً غيرها. وقد استمرَّ هذا الفكرُ السامي في طريقة مولانا إلى أواخر القرن العاشر الهجريّ / السادس عشر الميلاديّ (عبد الباقي غلبيتاري، المولوية بعد مولانا، ص ٢٧٨ - ٢٨١).

الرسالة الرابعة والثمانون في طلب المساعدة لشخصٍ وقد أرسلت بواسطة شخص. الرسالة الخامسة والثمانون في طلب المساعدة لابن حسام الدين چلبی. الرسالة السادسة والثمانون تتضمَّن طلبَ مُساعدةٍ لعدد من الدراویش. الرسالة السادسة والتسعون طلبُ مساعدةٍ لنظام الدين، صَهرِ حُسام الدين چلبی، وأُرسلت بواسطته هو. الرسالة التاسعة والتسعون طلبُ وظيفةٍ لشخص اسمه حسامُ الدين. هذا الشخص الذي وصفه مولانا بـ «الابن العزيز»، إذا كان من المتسبين إلى مولانا أيضاً، ليس هو طبعاً حسامَ الدين چلبی. ذلك لأنَّ مولانا كلَّما كان يذكر حُسامَ الدين چلبی كان يُشني عليه باللقابِ وأوصافٍ مثل «جُنيد الوقت، بايزيد الزمان، أمين القلوب...». وبصَرَف النظر عن ذلك، لم يعمل حُسامُ الدين چلبی في الأعمال الديوانية. وبين كبار الأصحاب يمكن أن نصادف حُسامَ الدين إسكندر (٢، ٧٨٤). وبالإضافة إليه، هناك الشَّيخُ حسامُ الدين بگي الذي عاش في زمان أولو عارف چلبی، وكذلك حُسامُ الدين بن آينه دار القونيوي الذي كان قارئاً ماهراً؛ وكذلك ذُكر حُسامُ الدين الدِّبَاغ (ج ٢، ٨٧٦، ٩٣٠؛ ج ١، ٤٢٦ - ٤٢٧ و ٥٠٧). ولعلَّ المراد من حسام الدين أحد هؤلاء الأشخاص.

الرسالة الحادية والمئة توصيةً بشخصٍ اسمه شمسُ الدين. وربما يكونُ هذا الشخصُ الأستاذُ شمسُ الدين (ج ٢، ٨٧٦) أو شمسُ الدين العطار (ج ١، ٣٣٣ و ٥٦٧) الذي جاء له ذكرٌ في مناقب العارفين.

الرسالة السادسة عشرة والمئة في طلب مساعدة لنظام الدين. الرسالة العشرون والمئة توصيةً بشخصٍ اسمه مجدُ الدين مدرّس، وُصف بـ «الابن العزيز». الرسالة السابعة والثلاثون والمئة خطابٌ لبروانه، إذ بارك له مولانا بالعودة من الحرب.

٤٣ - مهذبُ الدين (الأمير):

[٣٠٠] هو مهذبُ الدين الديلمي والدُ مُعين الدين بروانه، الذي كان في زمان غياث الدين كَيخسرو الثاني، ابنِ علاء كَيقُباذ الأول، وزيرًا ونائبًا للسلطان. كان من الأشخاص الذين لم يشاؤوا خوضَ معركة كوسه طاع، وكان يعتقد أن الجيش ينبغي أن يكون في حالة دفاع. وبعد الهزيمة في هذه المعركة انطلق إلى آماسيه واتّحد مع قاضي آماسية وذهب إلى بيجو وأمن المصالحة (ابن بي بي، طبعة هوتسم، ص ٢١٩، ٢٣٨، ٢٤٣-٢٤٨).

الرسالة الثالثة عشرة والمئة خطابٌ لهذا الشخص.

٤٤ - نجمُ الدين (ابن حُرّم):

في الرسالة الأولى يُظهر مولانا سروره من أن السلطان قد جعلَ نجمَ الدين من مقرّبيه، ويصفه بـ «الابن الأعزَّ الأمير قائد الجيش... نجم الدين». وتشير العبارة التي

تُرى في هامش الرسالة، في القسم الأعلى، إلى أن هذه الرسالة أُرسلت إلى السلطان عزّ الدين كيكاوس الثاني، وذُكر نجمُ الدين أيضًا بلقب «ابن خُرم» (انظر ما كُتب تحت: «عزّ الدين كيكاوس الثاني»).

في الرسالة العاشرة أيضًا يذكر هذا الشخصَ باللقاب «الابن العزيز نجم الدين بن خُرم چاوش» ويرجو أن يعفو السلطانُ عن تقصيره بشفاعه الصّاحب الأعظم. ويُعلّم من هذه الرسالة أنّه يضع في اعتباره ما كُتب في أعلى الرسالة الأولى. ولكن مَنْ نجمُ الدين هذا؟ - لا يمكننا إبداء رأي قاطع في هذا الشأن. وفي كتاب ابن بي بي جاء ذِكرُ لـ «الإمام المعظم نجم الدين النخجواني» الذي تولّى الوزارة لمدّة في زمان حكم السلطان عزّ الدين كيكاوس، ثم بعد أن شاهدَ أفولَ الأمور ترك الوزارةَ ويمّم شطرَ حلب (ابن بي بي - طبعة هوتسا، ٢٧٠ - ٢٧١). فهل هو الشخصُ نفسه؟ - لماذا سُمّي باسم ابن خُرم؟

في كتاب «فيه ما فيه» كلامٌ في ذمّ ابن چاوش الذي أطلق لسانه في النيل من صلاح الدين (طبعة فروزانفر، ص ٩٥). ويمكن المرءُ أن يحسب بأن ابن چاوش هو عينُ نجم الدين بن خُرم چاوش (انظر كذلك توضيحات المرحوم فروزانفر، في ص ٣٠٢).

ونظنّ أنّ الرسالة العاشرة كُتبت للصّاحب فخر الدين.

٤٥ - نظامُ الدين:

الرسالة التاسعة عشرة كُتبت في إجابة رسالة واحدٍ من الأمراء، كان قد وعد بأن

يقضي حاجة نظام الدين. [٣٠١] ونعرف شخصين اسم كل منهما نظام الدين. الأول زوج هدية خاتون، ابنة صلاح الدين زركوب؛ والثاني صهر حسام الدين چلبی. أما نظام الدين الذي هو صهر صلاح زركوب فمشهور بنظام الدين الخطاط. وهذا الشخص، الذي لا يُعرف وضعه على الأقل في ابتداء أمره، أمنت تكلفه زواجه بمساعدة الآخرين (مناقب العارفين، ٢، ٧٢٦-٧٢٨).

وقد كتب نظام الدين الخطاط في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م ديوان سلطان ولد (مقدمة ديوان سلطان ولد، ص ٨٨-٨٩).

ويَعُدّه سیهسالار من خلفاء مولانا (ترجمة مدحت بهاري، ص ٢٠٨).

الرسالة التاسعة عشرة طلب مساعدة لنظام الدين، إذ كتبت إلى شخص لقبه «ملك الأمراء»، ونظرًا إلى هذا اللقب ربما يكون معين الدين پروانه؛ لكنه غير معلوم في شأن أي من هذين المسمين نظام الدين. الرسالة الثالثة والعشرون أيضًا، التي كتبت إلى جلال الدين المستوفي، على هذا الغرار.

الرسالتان الثالثة والأربعون والثالثة والخمسون كتبتا إلى پروانه والأمير نور الدين من أجل العفو عن تقصير نظام الدين. الرسالة السابعة والعشرون أيضًا خطاب لپروانه إذ طلب فيها الوفاء بالعهد والعفو عن ذنب شخص. ويُحتمل أن يكون هذا الشخص الذي طلب العفو عنه نظام الدين المذكور. الرسالة الرابعة والأربعون طلب مساعدة لشخص وُصف بـ «الأخ العزيز». ولكن أي واحد من هذين الشخصين هو نظام الدين الذي ذُكر في هذه الرسائل؟ لعلّه نظام الدين ثالث أيضًا. لا يمكن إعطاء رأي قاطع في هذا الشأن.

الرسالة الثانية والعشرون كُتبت من أجل طلب مساعدة لصهر حسام الدين جلبي. الرسالة التاسعة والخمسون أيضًا مثلها؛ ولكن حكاية فضيل في هذه الرسالة أضفت عليها طابع طلب المغفرة. الرسالة الثمانون شكوى من أشخاص ظلموا نظام الدين، صهر حسام الدين. الرسالة الحادية عشرة والمئة أيضًا طلب مساعدة لنظام الدين، صهر حسام الدين، إذ كُتبت إلى پروانه. ويمكن استنباط هذا الأمر من سلام حسام الدين. الرسالة التاسعة والعشرون طلب زيادة حقوق نظام الدين الخطاط، صهر صلاح الدين. ويظهر من هذه الرسالة على نحو ضمني أن نظام الدين كان قد عُيِّن في أعمال الطُّغراء والإنشاء. الرسالة الخامسة والأربعون أيضًا كُتبت إلى أحد الأمراء وطلب فيها مساعدة لنظام الدين، صهر صلاح الدين. [٣٠٢] نذكر هنا أن شخصًا اسمه نظام الدين هاجمه مولانا (مولانا جلال الدين، ص ١١١، الحاشية ٣). ويمكن إقامة علاقة بين هذه الجملة وبين طلب العفو لنظام الدين.

وعلينا أن نتذكر أيضًا أن يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين قد ارتكبا خطأ عظيمًا باعتبارهما هذين الشخصين شخصًا واحدًا (طبعة طهران، ص ٢٩٨ - ٢٩٩).

٤٦ - نور الدين (الأمير):

كان نور الدين ولد جاجا، في عهد رُكن الدين قليج أرسلان الرابع، والي قيز شهر، وكان له هناك مدرسة. مزاره هناك أيضًا (مقدمة مناقب العارفين بالتركية، ص ٦٤).

يروى الأفلاكي أن نور الدين ولد جاجا كان يأتي لزيارة مولانا بصحبة الأمراء

(١، ص ١٣٤) ويسميه «مريدًا مولويًا مُخلصًا» (ص ٤٩٧). ووفقًا للأفلاكي فإن نور الدين كان في البدء مُريدًا لحاجي بكتاش، ثم بعد ذلك انضم إلى مريدي مولانا (ص ٤٩٧ - ٤٩٨).

في كتاب «فيه مافيه» سؤال وَلَد جاجا (في فيه ما فيه كُتب اسمه: جيجه؛ وفي مناقب العارفين: جيجا) أثار حديثًا (فيه ما فيه، المرحوم فروزانفر، ص ٣٢ والتوضيحات ص ٢٦٠).

كتب مولانا الرسالة الخامسة والعشرين لطلب المساعدة لنظام الدين، صهر حُسام الدين چلبی؛ ومثلما يفهم من آخر الرسالة، أرسلها بوساطة نظام الدين إلى نور الدين.

الرسالة الثالثة والخمسون أيضًا كتبت إلى هذا الشخص. وفي هذه الرسالة طلب مولانا العفو عن جرم نظام الدين. وإذا ما وضعنا في الحسبان الرسالة السابقة، علمنا أن نظام الدين المذكور في هذه الرسالة هو أيضًا صهر حُسام الدين. ويُحتمل أن نظام الدين قد تولى لبعض الوقت عملًا في أحد البلاد الواقعة تحت سلطان نور الدين، وقصر في أداء مستلزماته (انظر ما كُتب تحت «نظام الدين»).

٤٧ - وَلَد (سُلطان بهاء الدين محمد)

[٣٠٣] الرسالة الخامسة من رسائل مولانا كتبها لوَلَدَه سلطان وَلَد.

توفي بهاء الدين محمد وَلَد، ابن مولانا جلال الدين محمد، ليلة السبت العاشر من رجب سنة ٧١٢ هـ / ١١ - ١١ - ١٣١٢ م. ويكتب سبها سالار قائلًا: إنه كان عند

وفاته في سنّ السادسة والتسعين (ترجمة مدحت بهاري، ص ٢٠٢). وتبعًا لذلك ينبغي أن يكون سُُلطان وَلَدَ قد وُلِدَ في سنة ٦١٦ هجرية. ويقول الدكتور فريدون نافذ أوزلوق إنّ نظامَ الدّين - زوجَ هدية خاتون (أخت فاطمة خاتون، زوجة سُُلطان وَلَدَ وابنة صلاح الدّين زركوب) - الذي نَسَخَ ديوان سُُلطان وَلَدَ، جعلَ تاريخَ ولادته يومَ الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة ٦٢٣ هـ / ٢٤ - ٤ - ١٢٢٦م. ووفقًا لذلك كانت سنُّ سُُلطان وَلَدَ عند وفاته بحساب السّنة القمرية تسعًا وثمانين سنةً، وبحساب السّنة الميلادية ستًا وثمانين سنةً. وعملُ ولادته هو قَرَمَان (لارنده).

وقد اتّبع سُُلطان وَلَدَ بعد وفاة والده حُسام الدّين چلبی؛ وعلى الحقيقة لم يُفسد نظامَ عهد أبيه. ثمّ بعد رحيل حُسام الدّين چلبی أيضًا برغم أنّه تولى إرشاد أتباع مولانا، جعلَ الشّيخَ كَريمَ الدّين بكتمر أوغلي مرشدَه وظلّ لسبع سنين يتعلّم عليه. وقد توفّي كَريمُ الدّين في ذي الحجة من سنة ٦٩١ هـ / أواخر ١٢٩١م، أو أوائل ١٢٩٢م. وإثر وفاة كَريم الدّين اختار مريدو مولانا جميعًا سُُلطانَ وَلَدَ للقيام بمهمّة الإرشاد.

خدماتُ سُُلطان وَلَدَ عظيمة. فببناء الضّريح جَمَعَ محبّي مولانا في تنظيم، ومنَعَ ضياعَ آثار مولانا، ونَشَرَ فِكرَ مولانا، وأضاء زوايا حياته. وأحبّاء مولانا جميعًا كانوا يعدّونه الوارثَ الصّحيحَ لمولانا وجعلوه تاجًا لرؤوسهم (انظر في شأن حياته وآثاره وأعماله: المولوية بعد مولانا لعبد الباقي گلبينارلي، ص ٢٤ - ٦٤).

كتب مولانا هذه الرّسالة إلى سُُلطان وَلَدَ بقصد رعاية فاطمة خاتون، زوجة سلطان وَلَدَ التي هي ابنة صلاح الدّين زركوب، والتحذير من إيذائها. وإذا ما لاحظنا

طريقةَ البيان بدا لنا أنّ هذه الرسالة كُتبت في الظاهر بعد أمِدٍ قصيرٍ من زواج سلطان ولد. ولعلّه بسبب الكدورة التي أبدّاها سلطان ولد لزوجته كتب مولانا له هذه الرسالة. وقد نقل الأفاكي في مناقب العارفين الرسالة عينها باستثناء المقدمة وقسم من النهاية (ج ٢، ص ٧٣٢ - ٧٣٤).

الرسالة الرابعةُ والستون من رسائل مولانا أيضًا خطابٌ كُتب إلى سلطان ولد وعلاء الدين چلبی، أخيه الأكبر، وقد طلبَ فيها أن يحترما شرف الدين السمرقندي، جدّهما لأُمّهما.

[٣٠٤] الرسالة الحادية والأربعون كُتبت في شأن تسليم التدريس في مدرسةٍ إلى سلطان ولد، الذي لم يكن وضعه الماليّ جيّدًا.

توضيحات لأُمُور جاءت في تضاعيف الرّسائل^(*)

الرّسالة الأولى:

[٣٠٥] قوله في الصفحة ١٠٦، السّطر ١٦: مرّ واحدٌ من كُبراء القوم من باب

المسجد، يشير إلى الحديث الآتي:

«إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فَلْيُعَلِّمه أَنَّهُ يَحِبُّهُ». (الجامع الصغير، ج ١، ص ١٣).

وفي كشف الخفاء رُوي الحديثُ على النحو الآتي: «إذا أحبَّ الرَّجُلُ أخاه فَلْيُخْبِرْهُ

أَنَّهُ يَحِبُّهُ» (كشف الخفاء، ج ١، ص ٧٧).

قوله في الصفحة ١٠٧، السّطر ٦: لأنّ تدفّق هذا الحديث يَحْتَظُنِّي ويَحْتَظِفْ

الرّسالة وكذلك الكاتب... هذه العبارة تُشير إلى أنّ مولانا كان يميل على الأقلّ بعضًا

من الرّسائل.

قوله في الصفحة ١٠٧، السّطر ١٥:

ضروبُ الناسِ عشاقٌ وضروبًا فأكرمهم أشقّهم حييا

* نلّفْتُ نظر القارئ الكريم إلى أنّ أرقام الصفحات والأسطر المشار إليها في هذه التوضيحات هي الموجودة في هذه الترجمة. كما أنّ هذه التوضيحات من صنيع المحقّق الفارسيّ الأستاذ سبّحاني الذي تولّى تحقيق النشرة التي اعتمدناها في الترجمة [المترجم].

بيت لأبي الطيب المتنبي (ولد سنة ٣٠٣ وقُتل سنة ٣٥٤ هـ).

ويقول الأفلاكيّ إنّ مولانا في بداية اتصاله بشمس تبريز كان يطالع ديوان المتنبي في الليالي. وقد منعه شمس الدين من هذه المطالعة. (مناقب العارفين، ج ٢، ص ٦٢٣).

وجاء البيت في ديوان المتنبي على النحو الآتي:

ضروبُ الناسِ عشاقُ ضروبِنا فأعذرهم أشفهُمُ حبيباً
(العرف الطيب، ص ١٩٩).

قوله في الصفحة ١٠٨، السطر ١٣: الحفّه والرّفّه، الظاهر أنّها يعنيان الزينة والزخرفة؛ من «الحفّ» بمعنى إزالة المرأة الشعر من وجهها، و «الرّف» بمعنى الإشراق والتلألؤ. ولعلّ «الرّفّه» يكون قد جاء على طريقة الإتياع، مثلما يقال بالعربية: «وما له حافٌّ ولا رافٌّ»، أي ليس له أحدٌ يُعنى بأمره؛ وجاء في الحديث: «مَنْ حَفَّنَا أَوْ رَفَّنَا فَلْيَقْتَصِدْ»؛ أي إنّ من يخدمنا أو يمدحنا لا ينبغي أن يُفرط. وقد استعمل هذا التعبير في كليات شمس تبريز أيضاً:

خوب چو نبود عروس، خوش نشود زو نفوس

از حفه و از رفه ز اطلس زرينه اي

أي:

عندما لا تكون العروسُ حسناء، تسمتّر منها النفوس من الحفّه والرّفّه ومن الأطلس المذهب. (معجم نوادر اللغات، تحقيق المرحوم فروزانفر، كليات شمس، ج ٧، ص ٢٦١).

الرسالة الثانية:

تعني كلمةُ پروانه: الحاجب، حامل الرسالة، الدليل، المرشد، طليعة الجيش. وفي عصر السلاجقة [٣٠٦] كانت الكلمة تُستعمل معادلةً تقريباً لـ «الوزير».

قوله في الصفحة ١١٠، السطر ٨: «في التأخير آفاتٌ» مثلاً، وهكذا يقول نظامي: البنفسجُ والشقائقُ في مناجاة وكان الفلّكُ يقول: في التأخير آفات (الأمثال والحكم، العلامة دехدا، ص ١١٥٠)

قوله في الصفحة نفسها و السطر نفسه: «الخير لا يؤخر» من الأمثال. والبيتُ الآتي لأوحدِي ترجمةً للمثل:

خَيْرُ تَأْخِيرٍ بِرَنَمِيدَارْدِ خَنَكِ آن كَسِ كِه خَيْرِ دِرِيَا بَدِ
أي:

الخيرُ لا يتحمَّلُ التأخير طوبى لمن يظفرُ بالخير
ويقول مثلاً آخر: خيرُ الخيرِ ما كان عاجله (الأمثال والحكم، ج ٢، ص ٧٩٤).

قوله في الصفحة نفسها و السطر نفسه: «عجلوا بالصلاة... حديثٌ نبويّ. وجاء في صورة: عجلوا الصلاةَ قبلَ الفوت، وعجلوا التوبةَ قبلَ الموت. (أحاديثُ المتنوي، المرحوم فروزانفر، ص ٦٤).

قوله في الصفحة ١١٠، السطر ١١: أستاذك هو العشق...

جاء هذا البيتُ أيضاً في معارف برهان الدّين محقق الترمذيّ (تحقيق المرحوم فروزانفر، ص ٤٦).

قوله في الصفحة ١١١، السطر ٥: «ما وَسِعَنِي أرضي...» حديثٌ نبويّ شريف

جاء على الصورتين الآتيتين: «لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلبُ عبدي المؤمن اللّين الوداع»؛ و «لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلبُ عبدي المؤمن» (أحاديث المثنوي، ص ٢٦).

قوله في الصفحة ١١١، السطر ٨: اطلبِ الدّر من الصّدَف...، بيتٌ من حديقة الحقيقة للشاعر سنائي. وقد جاء في الحديقة على النحو الآتي:

از تقى دين طلب ز رعنا لاف از صدف دُر طلب ز آهوناف
أي:

اطلبِ الدّينَ منَ التّقِيّ، والهذَر منَ الحسَناء،
واطلبِ الدّر من الصّدَف، ونافِجَة المسك من الغزال
(حديقة الحقيقة، تحقيق المرحوم مدرّس رضوي، ص ٤٤٨، البيت ١٨).

الرّسالة الثالثة:

قوله في الصفحة ١١١، السطر ١٥: الله الذي أظهر لنا... بيتٌ شعر استعمل في ثلاثٍ من رسائل مولانا. وقائله مجهول.

قوله في الصفحة ١١٢، السطر ١٠: «طولُ العهد مُنسي» من الأمثال، وقد استعمل أيضًا في هذه الصورة: طولُ العهد يُنسي. وهو مساوٍ للمثل القائل: «مَنْ غَابَ عن العين غابَ عن القلب». (الأمثال والحكم، المجلد ٢، ص ١٠٧٨).

قوله في الصفحة ١١٢، السطر ١٨: «علينا... حوالينا»، كآته مأخوذٌ من قول الرسول الأكرم عليه الصّلاة والسّلام: «حوالينا ولا علينا»، الذي استعمل في صورة

مثّل. (التمثيل والمحاضرة، ٢٢).

قوله في الصفحة ١١٣، السطر ١: إِنَّ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ دَهْرَكُمْ نَفَحَاتٍ ... [٣٠٧]
حديث نبويّ، وثمّاه هكذا: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامٍ دَهْرَكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّه أَنْ
تُصَيِّبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلَا تَشْقُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا» (الجامع الصغير، ج ١، ص ٨٠).

قوله في الصفحة ١١٣، السطر ٥: «لَا تَرْفَعِ عَنِ مَقَامِ الشُّكْرِ قَدَمًا ...

بَيْتٌ مِنْ حَدِيثِ الْحَقِيقَةِ لِسَنَائِي. (حديقة الحقيقة، ص ١١٤، ب ١٥).

قوله في الصفحة نفسها، السطر ٧: «الشُّكَارَى يَسْلَمُونَ» رديف^(*) لواحدة من

غزليات مولانا جلال الدين (كليات شمس، ج ٢، ص ٧، الغزلية ٥٣٣).

قوله في الصفحة نفسها و السطر نفسه: «الشُّكَارَى الَّذِينَ عَدَدُهُمْ أَلْفٌ ... جاء

مضمونه في واحدة من غزليات مولانا مسبوكة في قالب البيت الآتي:

شُّكَارَى حُبِّهِ الْحَقُّ، وَإِنْ كَانُوا أَلْفًا، هُمْ شَخْصٌ وَاحِدٌ

شُّكَارَى الْحُبِّ كُلُّهُمْ ثَنَائِيونَ وَثَلَاثِيونَ

(كليات شمس، ج ١، ص ٢٠٠، الغزلية ٣٣٢).

قوله في الصفحة ١١٤، السطر ١٢: وَكَذْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقِي.. لأبي الحسن عليّ

ابن حمزة الأندلسي، وهو شاعرٌ ضريب من القرن الخامس الهجري. ويروي الباخرزي

من خلال وسيط واحد القطعة الآتية التي أنشدها الشاعر نفسه في سنة ٤٥٠ هجرية

لأبي عامر:

* الكلمة التي تتكرّر في آخر البيت في المصطلح الشعريّ الفارسيّ [المرجم].

لَوَ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ عَلِقْتُ بِبَعْضِ أَذْيَالِ الرِّيحِ
وَكَدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ؟
فَوَاسْفِي عَلَى زَمَنِ تَقْضَى نَعْمَنَا فِيهِ بِالْعَيْشِ الْمَتَّاحِ
(دمية القصر للباخرزي، ج ١، ص ١٨٨).

قوله في الصفحة ١١٥، السطر ١: «الأرواحُ جنودٌ مجتدة»، جزءٌ من حديث نبوي شريف: «الأرواحُ جنودٌ مجتدة؛ فما تعارفَ منها ائتلف وما تناكرَ منها اختلف» (أحاديث المثنوي، ص ٥٢).

قوله في الصفحة ١١٥، السطر ٢: «في الأضلِّ كان واحدًا...» رباعية لمولانا جلال الدين الرومي، تختلف قليلًا عن ضبطها في الديوان (كليات شمس، ج ٨، ص ٢٥٩، الرباعية ١٥٤٠).

قوله في الصفحة ١١٥، السطر ١٦: «هناك فرقٌ بين العشق...»، لم نعر على قائله. قوله في الصفحة ١١٦، السطر ٨: «عندما تظفر بلحظةٍ من حبيب عزيز»، من رباعيات مولانا. (كليات شمس، ج ٨، ص ٢٨٠، الرباعية ١٦٦٧). وهي تُشبه كثيرًا الرباعية الآتية لصدر الحجندي (ت ٥٢٣ هـ):

يك دم زمانه گر مسلم یابی یا نیم دمی باده دمام یابی
مگذار که ضایع شود آن دم زهار زیرا که چنان دمی دگر کم یابی

أي:

إن ظفرت بلحظةٍ واحدةٍ من الزمانِ خالصةً لك

أو ظفرت بنصفِ لحظةٍ من الشرابِ في التو واللحظة

فلا تَضِيعْ تلكَ اللَّحْظَةَ، حذارِ

لأنَّ لحظةً كهذه لن تظفر بها مرةً أخرى

(نزهةُ المجالس، جمال خليل شرواني، تحقيق السيّد الدكتور محمد أمين رياحي،

ص ١٤١).

قوله في الصفحة ١١٦، السّطر ١٣: «كانتظار الرّباء لأمطار السّماء»: «الرّباء» جمع ربوة (بتثنية الرّاء)، الأرض المرتفعة. أي: أنا في الانتظارِ مثل الرّبا في انتظار قطرات الغيث.

قوله في الصفحة ١١٧، السّطر ١: «الجماعةُ رحمةٌ» [٣٠٨] حديثُ نبويّ شريف. جاء هكذا: الجماعةُ رحمةٌ والفرقةُ عذاب (الجامع الصغير، ج ١، ص ١٢١).

قوله في الصفحة ١١٧، السّطر ٣: إذا رششتَ الماءَ على الرأسِ.. يقول مولانا في المتنوي قولاً شبيهاً به:

ترمي الرأسَ بالترابِ فلا ينكسر وتصبُّ الماءَ على الرأسِ فلا ينكسر

وإن كنتَ تريد أن تكسر الرأسَ فعليك أن تمزج الماءَ والترابَ

فإذا ما كسرتَ الرأسَ ذهب ماؤها إلى أصله

وجاء التّراب إلى التّراب يومَ الفصل

(المتنوي، ج ٥، الأبيات ٣٤٢٥-٣٤٢٧).

قوله في الصفحة ١١٧، السّطر ٥: «الرفيقُ ثمَّ الطريق»، حديثُ نبويّ شريف،

تمامه: الجارُ ثمَّ الدّارُ، والرفيقُ قبلَ الطريقِ، والزّادُ قبلَ الرّحيلِ (الجامع الصغير، ج ١،

ص ١٢١).

قوله في الصفحة نفسها، السطر نفسه: الجارُ ثم الدار، يراجع في شأنه التوضيح السابق. كما روي بوصفه من الأمثال (التمثيل، ص ٢٩٧).

الرسالة الرابعة:

قوله في الصفحة ١١٨، السطر ١٥: مثل بائعي الحمير يجارب أحدهم الآخر...، هو البيت السابع من غزلية لمولانا مطلعها:

هيا كن يقظًا، فإنّ في المدينة عددًا من اللصوص

الذين بقوة تدبيرهم يتزعون العمامة من رأس القمر.

(كليات شمس، ج ٢، ص ١٣٣، البيت ٨٠٨٧).

قوله في الصفحة ١١٩، السطر ٣: حدث عن البحر ولا خرج، مثل. يقول

الشاعر:

حدث عن البحرِ ومغني لا خرج وهو مليكننا الذي أحيانا المهج

يقال في سياق الكرم المفرط (فرائد اللآل، ج ١، ص ١٧٢).

أما الثعالب فقد عدّه من أحاديث الرسول الأكرم (التمثيل والمحاضرة،

ص ٢٥٩).

قوله في الصفحة ١١٩، السطر ٥: «سنة الهجر سنة»، يعني أن لحظة الفراق تعادل

في طولها سنة كاملة. وقد جاءت الصورة الكاملة لهذا المثل في الرسالة ٦٦، ص ٢٣٧.

الرسالة الخامسة:

[٣٠٩] قوله في الصفحة ١٢٠، السطر ٣: «أنا أم موسى...» بيت من حديقة

الحقيقة لسنائي (ص ٧٣٦ البيت ١٤).

الرسالة السادسة:

قوله في الصفحة ١٢٠، السطر ١٠: ألم يحذروا مَنْسَخَ الذي يَمْسُخُ العدا... لأي
الطّيب المتنبّي (العرف الطّيب، ص ٤١٧).

قوله في الصفحة ١٢١، السطر ١٣: «فَرُخَ البطّ برغم أنّه...» من حديقة الحقيقة
لسنائي (الحديقة، نشرة المرحوم مدرّس رضوي، ص ١٥٤).

قوله في الصفحة ١٢٢، السطر ٨: «فاطمة بضعة منّي...»، حديث رواه السيوطي
في صورتين: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني»؛ و «فاطمة بضعة منّي يقبضني
ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها، وإنّ الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسبي
وصهري» (الجامع الصغير، ج ٢، ص ٦١). ورويت صورة أخرى له في سفينة البحار،
هكذا: فاطمة بضعة منّي من سرّها فقد سرّني، ومن ساءها فقد ساءني (سفينة البحار،
حاج شيخ عباس قمي، ج ٢، ص ٣٧٤).

قوله في الصفحة ١٢٣، السطر ٢: «ماذا الوداعُ وداعُ...» بيتٌ للمتنبّي، وقد جاء
في الديوان بتحقيق الشيخ ناصيف اليازجي على النحو الآتي:

ماذا الوداعُ وداعُ الواسقِ الكودِ هذا الوداعُ وداعُ الرّوحِ للجسدِ
(العرف الطّيب، ص ٢٢٩).

قوله في الصفحة ١٢٣، السطر ٨: «مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ أورثه الله عِلْمَ ما لم يَعْلَمْ...»،
جاء في كشف الأسرار على هذا النحو: مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ ورثه الله علماً ما يَعْلَمْ [كذا]

(ج ٢، ص ٧٧٥).

الرسالة السابعة:

قوله في الصفحة ١٢٤، السطر ١٨: «من جعلَ الهمومَ همًّا...» حديث نبوي،
تمامه: مَنْ جَعَلَ الهمومَ همًّا واحدًا كفاه الله همَّ دنياه، وَمَنْ تشعبت به الهمومُ لم يبالِ اللهُ
في أي أودية الدنيا هلك (أحاديث المتنوي، ص ١٣٦).

قوله في الصفحة ١٢٥، السطر ١: «حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره...» [٣١٠] حديث نبوي
شريف (الجامع الصغير، ج ١، ١٢٤).

قوله في الصفحة ١٢٥، السطر ٢: «أسيء أنا فتجازيني...»، هذا البيت، وفق
الشائع، هو البيت الثاني من الرباعية الآتية التي نسبت إلى الخيام:

مَنْ ذا الذي لم يذنب في هذه الدنيا، وَمَنْ لم يذنب كيف عاش، قل
أنا أسيء وأنت تجازيني بسوء فما الفرقُ إذَنْ بيني وبينك؟ - قل

(آثار پارسی خیام، محمد عباسی، ص ١٦٥).

لكنه جاء بين رباعيات مولانا جلال الدين أيضًا الرباعية الآتية:

أتيا المعشوق الحبيب، أوجد إنسان غيرك؟ - قل
أعاش إنساناً قطُّ دونها معشوق؟ - قل

أنا أسيء، وأنت تجازيني بسوء

فما الفرقُ إذَنْ بيني وبينك؟ - قل

(كليات شمس، ج ٨، ص ٢٦٦، الرباعية ١٥٧٩).

قوله في الصفحة ١٢٥، السطر ٥: الجماعةُ رحمةٌ (انظر في شأنه توضيح الصفحة ١١٧، السطر ١).

قوله في الصفحة ١٢٥، السطر ١١: «الخلوةُ خيرٌ من جليسِ السوء»، حديثُ نبويٍّ شريف، جاء على هذا النحو: الوحدةُ خيرٌ من جليسِ السوء ... (أحاديث المتنوي، ص ٤١).

قوله في الصفحة ١٢٥، السطر ١٤: «أن تستعبدَ حرًّا واحدًا بإحسانك ...»، استعمل في ثلاثٍ من رسائل مولانا جلال الدين .

الرسالة الثامنة :

قوله في الصفحة ١٢٦، السطر ١٧: «لا أحصي ثناءً عليك ...»، يشير إلى الحديث الآتي: «اللهم، إني أعوذُ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسك» (الجامع الصغير، ج ١، ص ٥٠).

قوله في الصفحة ١٢٦، السطر ١٧: «القليلُ عند الله كثير»، من كلام العظماء، ورؤي في مناقب العارفين على هذا النحو: القليلُ عند الجليل كثير. (مناقب العارفين، ج ١، ص ٣٠٤).

قوله في الصفحة نفسها، السطر ١٨: «وما لا يُدرَكُ كلُّه لا يُتركُ كلُّه ...»، من الأمثال. يقال: الميسورُ لا يُتركُ بالمعسور، أو لا يُسقط بالمعسور. يقول مولانا:

إن شيئاً كلُّه لا يدرَكُ اعلموا أن كلُّه لا يُتركُ

(الأمثال والحكم، الجزء ٣، ص ١٣٩٠).

قوله في الصفحة ١٢٧، السطر ٢: غدا المعشوق مطمئن البال... بيتان من الغزلية التاسعة لمولانا جلال الدين (كليات شمس، ج ١، ص ٥٥).

قوله في الصفحة ١٢٧، السطر ١٧: «وللدخان أنجماً، وللتراب جمال الإنسان...» [٣١١] ربّما يشير الشطر الأول منه إلى مضمون الآيتين الشريفتين الآتيتين:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]

وقد بين مولانا الجملة الثانية في المتنوي على هذا النحو:

يَا مَنْ بَدَلْتَ بِالتَّرَابِ ذَهَبًا وَجَعَلْتَ مِنْ تَرَابٍ آخَرَ أَبَا الْبَشَرِ،
إِنْ فَعَلْتَكَ هُوَ تَبْدِيلُ الْأَعْيَانِ وَالْعَطَاءُ أَمَا فَعَلْنَا فَهُوَ السَّهْوُ وَالنَّسْيَانُ وَالْخَطَاءُ
(المتنوي، الجزء الخامس، البيت ٧٨٠ و ٧٨١).

قوله في الصفحة ١٢٩، السطر ٩: «العبدُ يدبرُ والله يقدرُ»، كأنه يعبر عن مضمون قول الإمام عليّ (ع): «إِذَا حَلَّتْ التَّقَادِيرُ زَلَّتِ التَّدَابِيرُ». ويقول أيضًا: «إِذَا دَخَلَ الْقَدْرُ بَطَلَ الْحَذَرُ (الأمثال والحكم، ص ٩٢).

قوله في الصفحة ١٢٩ السطر ١١: «أَوْ ظَمَانٌ كَالْأَعْرَابِ الَّذِي يَلْقَى دَلْوًا فِي الْبَثْرِ...» هي الأبيات ٤ و ٥ و ٧ من الغزلية ٥٩٩ من غزليات مولانا (انظر: كليات شمس، ج ٢، ص ٤٠). وعبارة «كما قال» التي جاءت قبل الأبيات دليل على أن هذه الرسالة ليست لمولانا.

الرسالة التاسعة:

قوله في الصفحة ١٣١، السطر ٥: «تَعْظِيمُ أَمْرِ اللَّهِ وَطَلَبُ رِضَاءِ اللَّهِ وَالشَّفَقَةُ

على خلق الله...، جاءت هذه العبارةُ أيضًا في المقالة الأولى من كتاب «چهار مقاله» لنظامي عروضي السمرقنديّ. وهي حديثٌ نبويّ، ويَعُدّها محمّد بن حسن الصّغاني من الأحاديث الموضوعة (معارف سُلطان ولّد، تعليقات المرحوم فروزانفر ج ٢، ص ٢٦١). وقد قال السّخاويّ: لا أعلم حديثًا بهذه العبارة. ويُقال إنّ من كلام المشايخ: «مدارُ الأمرِ على شيئين: التعظيمُ لأمر الله والشفقةُ على خلق الله» (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ملّا علي القاري، بيروت، ١٩٧١ م، الصفحات ٢٢٦-٢٢٧).

قوله في الصفحة ١٣١، السطر ٧: «الخلقُ عيالُ الله...» حديثٌ نبويّ، تمامه: «الخلقُ عيالُ الله فأحبُّهم إلى الله أنفعُهم لعياله». (أحاديث المثوي، ص ١٠).

الرّسالة العاشرة:

قوله في الصفحة ١٣٢، السطر ١١: «إنّ لنفسك عليك حقًّا»، أُثبت في كتاب أوراد الأحباب ضمن أحاديث الرّسول (عليه الصّلاة والسّلام). (انظر: أوراد الأحباب وفصوصُ الآداب، للباخرزيّ، تحقيق إيرج أفشار، ج ٢، ص ١٣٧).
قوله في الصفحة ١٣٣، السطر ٤: «داووا مرضاكم بالصدقة...» حديثٌ نبويّ (الجامع الصغير، ج ٢، ص ١١).

الرّسالة الثانية عشرة:

قوله في الصفحة ١٣٥، السطر ٦: «المودّةُ كثرٌ والكنزُ بالإخفاء أولى، وإنّ كانت

المحبة لا تخفي...» [٣١٢] لم نجد مصدر هذه العبارة.

قوله في الصفحة ١٣٥، السطر ٨: «يا حسرة للعاشقين تحمّلوا...» للشيخ شهاب الدين الشهروردي. (تعليقات المرحوم عبد الباقي على الرسائل، ص ٢٨٢).

قوله في الصفحة ١٣٥، السطر ٩: «كيف يخفى العشق وضمير القلب...» ربّما يكون صورة أخرى للرّباعيّة الآتية من رباعيات مولانا جلال الدين:

الروح الذي يكون في خطر بسبب عشقك

ما أكثر ما نظر إليه النائح بسبب جهله

والحاصل أن العين التي تراه لا تعلم

أن له على خده ألف رقيب ومُجبر

(كليات شمس، ج ٢، ص ٣٨، الرّباعيّة ٢٢٢).

قوله في الصفحة ١٣٥، السطر ١٠: «من القلب إلى القلب رَوَونة...» لم نجده في مجمع الأمثال والكتب المشابهة. لكنّ شارح المثنوي الأنقروي أتى في شرحه للمثنوي بهذه العبارة في شأن البيت الآتي:

قال إن قولك شبيهٌ بخبز فيه إبرة وإن بين قلبي وقلبك نافذة

(ترجمة الشرح الكبير للأنقروي، بترجمة عصمت ستارزاده، ج ١، ص ٨٦٧؛

أيضاً: سرّ الناي، ج ١، ص ١٨٠).

قوله في الصفحة ١٣٥، السطر ١٥: «من جمع شمل متفتت جمع الله شمله...»

(انظر في شأنه: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ج ٣، ص ١٨٢).

الرّسالة السادسة عشرة:

قوله في الصفحة ١٤٠، السّطر ١٦: «ارْحَمْ من في الأرض بِرَحْمِكَ من في السّماء...» من آيات التّوراة تُمثّل بها (التمثيل والمحاضرة، ص ١٣). وقد عدّه السيوطيّ من الأحاديث النبويّة (الجامع الصغير، ج ١، ص ٣٢).

قوله في الصفحة ١٤٢، السّطر ١: «ليس على الخرابِ خراجٌ...» من الأمثال.

ويقول مولانا نفسه:

إِنَّ لِلْعَشَاقِ احْتِرَاقًا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

وإنّه لا يفرض على القرية الحرّبة خراجٌ وعُشر

(المنويّ، الثاني / ١٧٦٥).

الرّسالة الثامنة عشرة:

قوله في الصفحة ١٤٢، السّطر ١٣: «ينظرُ بنور الله...» إشارةٌ إلى حديث نبويّ شريف يقول: «اتّقوا فِراسةَ المؤمنِ فإنّه ينظر بنور الله» (أحاديثُ المنويّ، ص ١٤٤).

قوله في الصفحة ١٤٣، السّطر ٣: «خيرُ النّاسِ من ينفعُ النّاسَ...» حديثٌ نبويّ شريفٌ أثبته السيوطيّ على هذا النحو: «خيرُ النّاسِ أنفعُهُم للنّاسِ». (الجامع الصغير، ج ٢، ص ٨).

الرّسالة التاسعة عشرة:

[٣١٣] قوله في الصفحة ١٤٣، السّطر ١٢: «قال اللهُ تعالى لموسى: إذا رأيَني على

بإبك...». لم نظفر بمصدر هذا الحديث.

قوله في الصفحة ١٤٤، السطر ٦: «إنَّهم جواسيسُ القلوب...». بعضهم عدّه حديثاً: فاحذروهم فإنَّهم جواسيسُ القلوب.

وفي شرح كتاب «التعرّف» جاءت هذه الجملة منسوبةً إلى أبي عبد الله الأنطاكي، وعلى هذا النحو: قال أبو عبد الله الأنطاكي: إذا جالسْتُم أهلَ الصّدق فجالسوهم بالصّدق فإنهم جواسيسُ القلوب، يدخلون في أسراركم ويخرجون من همكم (أحاديث المثوري، ص ٥٥).

قوله في الصفحة ١٤٤، السطر ١٤: «الصّلاةُ اتصالٌ بالله من حيث لا يعلمه إلّا الله...» ليس لدينا في شأن هذا القول مصدر.

قوله في الصفحة ١٤٥، السطر ١٠: «اخرج بصفاتي إلى خلقي، من رآك رأي، ومن قصّدك قصّدي...» قولٌ لأبي يزيد البسطامي في معراجهِ، ونقلُ قسماً منه: ثم قال (أي الله تعالى) لي: توخّد بوحدايتي، وتفرد بفردانيتي، وارفع رأسك بتاج كرامتي، وتعزّز بعزّي، وتجبر بجبروتي، واخرج بصفاتي إلى خلقي، أرْهُوتِي في هويتك، من رآك رأي، ومن قصّدك قصّدي.

وفي كتاب مناقب العارفين للأفلاكي رُويت هذه العبارة مرّتين على لسان مولانا. (فيه ما فيه، تعليقات المرحوم فروزانفر، ص ٢٩٣).

قوله في الصفحة ١٤٥، السطر ١٦: «إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه...»

يبدو أنّه من الأمثال نظير: كمالُ البرِّ في إتمامه، أو: الأعمالُ بخواتيمها، أو: إذا كوّنتْ فأنضج. (الأمثال والحكم، ص ١١٧٨).

قوله في الصفحة ١٤٦، السطر ٢: «من كان لديه ضعفٌ في الطبع... مأخوذٌ من خسرو و شيرين، لنظامي (تحقيق وحيد دستگردى، ص ٢٤٧).

قوله في الصفحة ١٤٦، السطر ٨: «عندما يغدو لسانُ الحَسَدِ نَخَاسًا...» من حديقة الحقيقة لسنائي. وقد جاء في الحديقة على هذا النحو:

عندما يغدو لسانُ الحَسَدِ نَخَاسًا لا تجبُ في يوسفَ إلا ذراعًا من الكِرْبَاسِ (*)
(ص ٧١٢، ب ١٤).

قوله في الصفحة ١٤٦، السطر ١٢: «قَبْلَ أن يأخِذَ الأَجَلَ الموهوبَ...» بيتُ شِعْرِ جاء في سبعٍ من رسائل مولانا.

الرسالة الحادية والعشرون:

قوله في الصفحة ١٤٩، السطر ١٨: «بقدر الكَدِ تكتسب المعالي...» جاء أحدُ هذين البيتين في كتاب راحة الصدور (ص ٤٧٠) ونُقِلَ أيضًا في كلیلة ودمنة البهرامشاهية. وقد أورد صلاحُ الدين الصفدي في شَرْحِ لامية العَجَمِ البيتين على النحو الآتي:

يغوصُّ البحرُ مَنْ طلبَ اللَّآلِي وَمَنْ رامَ العُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
ترومُ العزَّ ثُمَّ تنامُ لـيلاً لَقَدْ أَطْمَعْتَ نَفْسَكَ بِالمَحَالِ

[٣١٤] (مذكرات في شأن الأبيات العربية في كلیلة ودمنة البهرامشاهية، الدكتور

مهدوي الدامغاني، مجلة يغما، السنة ١٥، ص (٣٢٣).

قوله في الصفحة ١٥٠، السطر ٦: «الطين الذي أحس منه إبليس بالعار...» بيتان من موضعين مختلفين في حديقة الحقيقة. وقد ضبطا في الحديقة على هذا النحو:

الطين الذي أحس منه إبليس بالعار احتضنته أنت، كأنه الدين (ص ٤٦٦)
ومتى يحمل هم القبله والعناق من يأكل الخس البري ورأسه؟
(ص ٤٦٨)

قوله في الصفحة ١٥٠، السطر ١٣: «الأيام القليلة التي عشتها في هذه الدنيا...» رباعية لمولانا جلال الدين الرومي. ويختلف البيت الأول منها في الرسائل عن الصورة التي جاء عليها في الديوان. والرباعية في الديوان على هذه الصورة:

يا من أنت حي بروح هذا العالم، أخزأك الله، لم أنت حي كذلك؟
لا تكن من دون عشق، لكي لا تكون ميتاً مت بالعشق، لكي تبقى حياً!
(كليات شمس، ج ٨، ص ٢٧١، الرباعية ١٦٠٨).

وفي كتاب «نزهة المجالس» أثبتت الرباعية نفسها على النحو الآتي منسوبة إلى الشيخ أحمد الغزالي:

الأيام القليلة التي عشتها في هذه الدنيا أخزأك الله إن عشتها بالروح فقط
لا تكن من دون عشق، لكي لا تكون ميتاً مت بالعشق، لكي تبقى حياً
(ص ٢٠٩، الرباعية ٧٧٤).

الرسالة الثانية والعشرون:

قوله في الصفحة ١٥٢، السطر ٢: «يسر له اليسرى وجنبه العُسرى» مأخوذ من

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

قوله في الصفحة ١٥٢، السطر ٨: «شكر المنعم واجب...» نقل الراغب الأصفهاني الحديث الآتي القريب منه: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك. (المحاضرات ج ١، ص ٣٧٤).

وقد عدّ المرحوم دехدا في «الأمثال و الحِكم» ذلك تمثيلاً: شكر المنعم جزاء المنعم.

وقد جاء في «شرح التعرّف» قوله: شكر المنعم في العقل واجب. (تحقيق محمد روشن، ج ١، ص ٤٨).

قوله في الصفحة ١٥٣، السطر ١: «يطير كل طائر مع جنسه...» بيت لنظامي الكنجوي. وقد روي المصراع الأول منه في «خسرو وشيرين» لنظامي على هذا النحو: يطير كل جنس مع جنسه... (تحقيق وحيد، ص ٢٠٥).

قوله في الصفحة ١٥٣، السطر ١٠: «المؤمن ينظر بنور الله» انظر في شأنه توضيحات الرسالة الثامنة عشرة.

قوله في الصفحة ١٥٣، السطر ١٦: «إذا سقيتني فإنك تكون قد غرست فيسلك...» [٣١٥] هو البيت الأول من رباعية لمولانا جلال الدين الرومي مع اختلاف قليل. (كليات شمس، ج ٨، ص ٢٧٩، الرباعية ١٦٥٦).

قوله في الصفحة ١٥٤، السطر ٩: «ليس التكهّل في العينين كالكحل...» هو
المصراع الثاني من البيت الآتي لأبي الطيب المتنبي:

لأنّ جِلْمَكَ جِلْمٌ لَا تَكْلِفُهُ ليس التكهّل في العينين كالكحلِ
قوله في الصفحة ١٥٤، السطر ١٥: «أوليائي تحت قبّابي...» حديثٌ قُذِيتِ
(أحاديثُ المثنوي، ص ٥٢).

قوله في الصفحة ١٥٤، السطر ١٨: «مرضتُ فلم تعذني...» إشارة إلى هذا
الحديث: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضتُ فلم تعذني. قال:
ياربّ، كيف أعودك وأنّ ربّ العالمين؟» - قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرضَ فلم
تعذه؟ - أما علمت أنّك لو عدتّه لوجدتني عنده؟ (أحاديثُ المثنوي، ص ٥٧؛ مآخذ
القِصص والتمثيلات، ص ٦٧).

قوله في الصفحة ١٥٥، السطر ٢: «من كان لله كان الله له...» حديثٌ نبويٌّ
شريف. وقد نقله المرحومُ فروزانفر عن كشف الأسرار (أحاديثُ المثنوي، ص ١٩).

الرسالة الثالثة والعشرون:

قوله في الصفحة ١٥٥، السطر ١٤: «يسّر له اليسرى...» انظر في شأنه توضيح
الصفحة ١٥٢، السطر ٢.

قوله في الصفحة ١٥٦، السطر ٦: «المشربُ العذبُ كثيرُ الرّحام...» مصراعٌ بيت
استعمل خمس مرّات على الصّورة نفسها ومرّتين مع مصراعين مختلفين، في رسائل
مولانا. وقائله مجهولٌ.

قوله في الصفحة ١٥٦، السطر ١٣: «ارحَمَ مَنْ في الأرض يرحمك مَنْ في السماء...» انظر في شأنه توضيح الصفحة ١٤٠، السطر ١٦.

قوله في الصفحة ١٥٦، السطر ١٨: «إكرامُ أهلِ الهوى...» بيتٌ استعمل أربع مراتٍ في رسائل مولانا. وقائله مجهول.

قوله في الصفحة ١٥٦، السطر ١٩: «أنا عند المنكسرة قلوبهم فاطلبوني عندهم...» حديثٌ شريفٌ روي في كشف الأسرار على هذا النحو: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي». (كشف الأسرار، ج ٩، ص ٢٨٣).

قوله في الصفحة ١٥٧، السطر ١: «اتقوا فِراسةَ المؤمن...» حديثٌ نبويّ. (الجامع الصغير، ج ١، ص ١١).

قوله في الصفحة ١٥٧، السطر ٣: «ليس قريةٌ وراءَ عبّادان...» مثّل. وقد أثبتَه الميدانيّ ضمنَ الأمثال المتأخرة (مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٥٧). وقد استعمل هذا المثلُّ في الفارسية أيضًا، على غرار ما يقول الشاعرُ منوچهری:

[٣١٦] ليس هناك مكانٌ لعلوّ همته إذ لا قريةٌ أبعدُ من عبّادان

(ديوان منوچهری، ص ١١٢، والتعليقات ص ٢٦٣، كذلك «الأمثال والحكم» للعلامة دهخدا، ج ٣، ١٣٧٥).

قوله في الصفحة ١٥٧، السطر ٣: «فإن تتجاوزَ ذلك الوليّ للإنعام فليس لك سوى اليأس...» يعني: إن تركَ ذلك الرّجلَ الكريم، فستصلُ إلى اليأس (أو إن لم تُغدق عليه فسيأس).

الرسالة الرابعة والعشرون:

قوله في الصفحة ١٥٧، السطر ١٣: «أيها الحبيب، أتكون علاجًا لآلم الآخرين... جزء من رباعية لمولانا:

كيف تكون علاجًا لآلام الآخرين وتكون عاجزًا عندما تصل نوبة إلينا؟
سأصبر حتى تتخلى عن الجميع وتأتي إلينا، وتبقى عندنا كالحلقة على الباب
(كليات شمس، ج ٨، ص ٣١٥، الرباعية ١٨٧٦).

قوله في الصفحة ١٥٧، السطر ١٦: «تألمت، وليس عندك دواء... يشبه كثيرًا قول الشاعر نظامي:

استشرت وليس لديك مؤنس ليس لديك أيضًا قبلة واحدة لعيّا؟
(خسرو وشيرين، ص ١٤٨).

قوله في الصفحة ١٥٨، السطر ٨: «قبل خراب البصرة... مثل، وكأنه يشير إلى خراب البصرة في حدود سنة ٢٥٠ هجرية. وقد استعمل أيضًا في صورة: «بعد خراب البصرة» أيضًا. يقول مولانا:

في ذلك الزمان قبل خراب البصرة لبت البصرة تنجو أيضًا من هذه الهزيمة
(الأمثال والحكم، ج ١، ٤٤٦).

قوله في الصفحة ١٥٨، السطر ٨: «أوليس من أجل حبة، ينظر الطائر الصغير مرة مرة... من حديقة الحقيقة لسناثي. وهو في الحديقة هكذا:
أوليس من أجل حبة ينظر الطائر الصغير مرة مرة

إلى الأمام وإلى الوراء، وإلى اليمين وإلى اليسار؟

(ص ٧٣٩، البيتان ١١ - ١٢).

قوله في الصفحة ١٥٨، السطر ١٣: «وقد سحبَ إلى جوار نفسه...» من حديقة الحقيقة لسناني ويختلف ضبطه عن ضبط الحديقة. فقد جاء في الحديقة هكذا:
مَدَّ مزيلَةً تحت الجِلْدِ وَأَنْتِ تُسَيِّهَا الرُّوحَ تَارَةً وَالْحَبِيبَ تَارَةً أُخْرَى
(ص ٣٥٥، البيت ١٠).

قوله في الصفحة ١٥٩، السطر ٨: «سوف ترى إذا انجلى الغبار...» ذكره الثعالبي في «التمثيل والمحاضرة» من دون اسم القائل (ص ٣٤٥).

الرَّسَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعَشْرُونَ:

[٣١٧] قوله في الصفحة ١٦٠، السطر ١٣: «الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ...» خبرٌ أورده الإمامُ الغزاليُّ في إحياء علوم الدين. (أحاديث المتنوي، ص ١١٢).
قوله في الصفحة ١٦١، السطر ٣: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِبَادًا أَعْجَازًا...» لم نجد عينَ الحديث في المصادر المهمة بالموضوع، لكنّه نُقِلَ في الجامع الصغير الحديث الآتي: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْوَامًا يَخْتَصِمُونَ بِالنَّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ...» (الجامع الصغير، ج ١، ص ٧٨).
وقد أورد مولانا الحديث نفسه في المجالس السبعة أيضًا (بتحقيق محقق هذا الكتاب، ص ٨٨).

الرَّسَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْعَشْرُونَ:

قوله في الصفحة ١٦٣، السطر ١: «وَالْكَرِيمُ إِذَا وَعَدَ وَفَى...» من الأمثال.

(الأمثال والحكم، ص ٢٦٨).

قوله في الصفحة ١٦٣، السطر ١٤: «قال الخواريون لعيسى...» كلامٌ معروفٌ كان محلَّ استفادة مولانا في كتابته «فيه ما فيه» و «المتنوي».

(فيه ما فيه، تعليقات المرحوم فروزانفر، ص ٣٤٥).

الرسالة التاسعة والعشرون:

قوله في الصفحة ١٦٦، السطر ١٧: «الهمّة لأنها تقدّم ضروبَ العناية...» مأخوذٌ من مخزن الأسرار لنظامي (طبعة وحيد، ص ٩٠).

الرسالة الثلاثون:

قوله في الصفحة ١٦٧، السطر ١٥: «إنَّ في هذا الطريق مئة ألفِ إبليس له وجهُ إنسان...» بيتٌ من قصيدة للشاعر سنائي (ديوان سنائي، بتصحيح المرحوم مدرّس رضوي، ص ٦٥٦).

قوله في الصفحة ١٦٧، السطر ١٨: «في هذه العتبة المليئة بالتلبيس...» من حديقة الحقيقة لسنائي. وهو في الحديقة هكذا:

في هذه العتبة المليئة بالتلبيس

يأكلُ إبليسُ الخبزَ بقوله: «لا حول ولا قوّة إلا بالله»

(ص ٦٧٦، البيت ٣).

قوله في الصفحة ١٦٨، السطر ٤: «عندما تكون عيتنا التي تبصرُ الباطنَ فاسدة...» بيتٌ شعرٌ للشاعر نظامي وجاء في طبعة وحيد على النحو الآتي:

عندما تكون عَيْنُنا التي تُبَصِّرُ العِبْرَةَ فاسدةً (خسرو وشيرين، ص ٤٤٣).

الرَّسالة الحادية والثلاثون:

قوله في الصفحة ١٦٨، السطر ١٣: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا سَلَامٌ مَوْدَعٍ...» استعمل هذا البيت ثلاثَ مرَّاتٍ في الرسائل، وقد نُقِلَ بيتٌ شبيهٌ به عن أبي الفوائد وهو من شعراء دُمِيَّةِ الْقَصْرِ [٣١٨] على هذا النحو:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا سَلَامٌ مَوْدَعٍ ولكنَّ سَلَامٌ لَا يَزُولُ عَلَى الْبُعْدِ
(انظر: الدكتور أحمد مهدي الدامغاني، مجلَّةٌ يغيا، السَّنة ١٦، ص ٢٣٠).

قوله في الصفحة ١٦٩، السطر ١٠: «حُفَّتْ...» انظر في شأنه إلى توضيحات الرَّسالة السَّابعة.

الرَّسالة الثانية والثلاثون:

قوله في الصفحة ١٧١، السطر ٢: «الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ...» انظر في شأنه إلى توضيحات الرَّسالة التاسعة.

قوله في الصفحة ١٧١، السطر ٤: «استعينوا على حوائجكم من رحاء أمتي...» لم نجد نصَّ الحديث نفسه، وقد جاء الحديثُ الآتي في كشف الخفاء: «استعينوا على كُلِّ صَنْعَةٍ بِصَالِحِ أَهْلِهَا...» (كشف الخفاء، ص ١٢٢، الحديث ٣٤٠).

الرَّسالة الثالثة والثلاثون:

قوله في الصفحة ١٧٢، السطر ٥: «الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ...» انظر في شأنه إلى

توضيحات الرسالة الثامنة عشرة.

قوله في الصفحة نفسها والسطر ٦: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ مَعَ اللَّهِ...» يعدُّ الصوفيّة هذا القول من الأحاديث النبوية، وقد أورده السيوطي في «اللائح المصنوعة» ج ٢، ص ٢٦٤ مع اختلاف في التعبير على هذا النحو: «مَنْ سَرَهُ أَنْ يَجْلِسَ مَعَ اللَّهِ فليجلس مع أهل التصوّف». ويعدّه من الموضوعات. ويجعل مولانا هذا القول في المثنيّ عنواناً، ويشرّحه شرحاً جيلاً ومبهجاً للروح. (فيه ما فيه، التعليقات، ص ٣٢٠).

قوله في الصفحة ١٧٢، السطر ١١: «كُلُّ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ...» مثّل. وقد قال أديب صابر:

يرجعُ الأضَلُّ إلى الأضَلِّ، والوجودُ إلى العقل.
وهو مثلٌ مضروب. (الأمثال والحكم، ص ١٢٢٧).

الرسالة الخامسة والثلاثون:

قوله في الصفحة ١٧٤، السطر ١٦: «أَنْ تَسْتَعْبِدَ خُزّاً وَاحِداً بِإِحْسَانِكَ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السابعة.

الرسالة السادسة والثلاثون:

قوله في الصفحة ١٧٦، السطر ٨: «إِتِمَامُ الْمَعْرُوفِ خَيْرٌ مِنْ ابْتِدَائِهِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة عشرة.

الرسالة السابعة والثلاثون:

[٣١٩] قوله في الصفحة ١٧٧، السطر ٩: «الأمور مرهونة بأوقاتها...» مثلاً.

يقول سنائي:

هذا المثل معروف في الزمان: الأعمال مرهونة بأوقاتها

(الأمثال والحكم، ج ١، ص ٢٣٥).

قوله في الصفحة ١٧٧، السطر ١٢: «وليس الخبر كالمعينة» حديث نبوي.

(الجامع الصغير، ج ٢، ص ١١٢).

قوله في الصفحة ١٧٨، السطر ٢: «من أحب منكم...» انظر في شأنه إلى توضيح

الرسالة الأولى.

قوله في الصفحة ١٧٨، السطر ١٧: «قال العطار ما عرفه...» تخلص غزل للشيخ

فريد الدين العطار (ديوان العطار، تحقيق تقي تفضلي، انتشارات علمي وفرهنگی،

ص ١٣٥).

الرسالة الثامنة والثلاثون:

قوله في الصفحة ١٨٠، السطر ١٩: «مَنْ غَابَ عن العين، غَابَ عن القلب» مثلاً

استعمل في صور مختلفة. مثلما يقال مثلاً: ينصرف عن القلب كل ماذهب عن العين.

(الأمثال والحكم، ص ١٢٩).

قوله في الصفحة ١٨١، السطر ١٩: «أيها القلب، إلى متى أنت في سجن

الخداع...» مطلع قصيدة لسنائي. (ديوان سنائي، ص ٧٠٤، آخر بيت في الصفحة).

الرسالة التاسعة والثلاثون:

قوله في الصفحة ١٨٥، السطر ٧: «اللهم، اهدِ قومي فإثمهم لا يعلمون» حديث نبوي (أحاديث المثوي، ص ٦٠).

الرسالة الأربعون:

قوله في الصفحة ١٨٦، السطر ١١: «لو اختصرتم من الإحسان زرتكم...» كأنه لأبي العلاء المعري.

قوله في الصفحة ١٨٧، السطر ٤: «إذ قال قائل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني أحب فلاناً. قال: قم وأخبره...» فيه إشارة إلى حديث: «إذا أحبَّ الرجل أخاه فليخبره أنه يحبّه». (كشف الخفاء، ج ١، ص ٧٧، الحديث ١٨٤).

قوله في الصفحة نفسها والسطر ٥: «تكلّموا حتّى تُعرفوا...» حديث نبوي.

(أحاديث المثوي، ص ٥١).

[ص ٣٢٠] قوله في الصفحة ١٨٧، السطر ٧: «وكلّ ميسّر لما خُلِقَ له...» خبر، وقد جاء على الصورة الآتية: «اعملوا فكلّ ميسّر لما خُلِقَ له». (أحاديث المثوي، ص ٧٩).

الرسالة الحادية والأربعون:

قوله في الصفحة ١٨٩، السطر ١: «كاد الفقر أن يكون كفراً» حديث نبوي. (أحاديث المثوي، ص ٤٥).

الرسالة الثانية والأربعون:

قوله في الصفحة ١٨٩، السطر ١٧: «التعاضم عارٌّ عند الدراويش...» هو البيت الأول من رباعية لمولانا. وتماّم الرباعية في كليّات شمس هكذا:

التعاضم عارٌّ عند الدراويش التعاضم عبءٌ في خاطرهم
الفقر المطلق خيرٌ في طريق الحبيب لأنّ التعاضم في طريقه شوكة
(كليّات شمس، ج ٨، ص ٣١١، الرباعية ١٨٥٣).

قوله في الصفحة ١٩٠، السطر ٧: «إكرامُ أهلِ الهوى...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٥٦، السطر ١٨.

الرسالة الثالثة والأربعون:

قوله في الصفحة ١٩١، السطر ٤: «مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ رَوَزَنَةٌ» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية عشرة.

قوله في الصفحة ١٩١، السطر ٥: «إِذَا غُلِّقَتْ جِهَاتُكَ السُّتُ فَلَا تَحْشَ» هو البيت الثاني من الرباعية الآتية لمولانا جلال الدين:

أيُّهَا الْقَلْبُ الْحَاثِرُ، هُنَاكَ طَرِيقٌ مِنَ الرُّوحِ إِلَى الْحَبِيبِ
أيُّهَا الضَّالُّ، هُنَاكَ طَرِيقٌ وَاضِعٌ وَخَفِيٌّ
(كليّات شمس، ج ٨، ص ٦٦، الرباعية ٣٩٣).

قوله في الصفحة ١٩١، السطر ١٢: «يَجْرِي الدَّمُ وَجَرْحُهُ خَفِيٌّ» آخرُ مصراعٍ من الرباعية الآتية لمولانا جلال الدين:

هذا العشق ملكٌ، ورايته غير ظاهرة إنه قرآن الحق، وآيته غير ظاهرة
وكل عاشق يصيبه سهمٌ من هذا الصياد فيلحق الدّم، وجرحه غير ظاهر
(كليات شمس، ج ٨، ص ٤٣، الرباعية ٣٧٠).

قوله في الصفحة ١٩١، السطر ١٤: «ولكن ما لا يدركُ كله لا يُترك كله، انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثامنة.

قوله في الصفحة ١٩١، السطر ١٥: «لا بدّ من ليلٍ دائمٍ وشعاع قمرٍ جميل...» هو البيت الثاني من الرباعية الثانية والعشرين لسَنائي التي تقول:

في محضري تظللُ نُكْرِمُ وتُعزّزُ
أما في غيابي فتظللُ تُطْلِقُ السّهام
[٣٢١] لا بدّ من ليلٍ دائمٍ وشعاع قمر

لكي أحدثك عن ألوان الغم التي أحدثها لي

(ديوان سنائي، ص ١١٧١).

قوله في الصفحة ١٩٢، السطر ١٩: «استمع إلى كلام سنائي ونُصحه واحفظه...» بيتٌ من غزلية لسَنائي، وقد جاء في ديوانه على هذا النحو:

استمع إلى كلامنا من الأصدقاء فإنّ كلام العبد سنائي جديرٌ بالاستماع

(ديوان سنائي، ص ٩٧٠).

الرسالة الخامسة والأربعون:

قوله في الصفحة ١٩٦، السطر ٩: «لا عينٌ رأت...» إشارة إلى الحديث الآتي:
«قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ

على قَلْبِ بَشَرٍ» (أحاديثُ المثنوي، ص ٩٢ - ٩٣).

الرَّسالة السَّابعة والأربعون:

قوله في الصفحة ١٩٨، السطر ١٤: «تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ...» هو المصراعُ الثاني للبيت الآتي لأبي الطيّب المثنبي:

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

(العرف الطيّب، ص ٥٠٩).

قوله في الصفحة ١٩٨، السطر ١٦: «عرفتُ ربِّي بفَسَخِ العزائمِ...» قولٌ لمولٍ المتقين عليّ عليه السلام إذ يقول: «عرفتُ اللهَ سُبْحانَهُ بفَسَخِ العزائمِ وحَلِّ العقودِ ونَقْضِ الهِمَمِ» (أحاديثُ المثنوي، ص ٥٢).

الرَّسالة الثامنة والأربعون:

قوله في الصفحة ٢٠٠، السطر ١: «والشُّكْرُ وسيلةٌ إلى المزيدِ» يشير فيها يبدو إلى قوله تعالى: «لئنْ شكرْتُمْ لأزيدنَّكُمْ» (إبراهيم، الآية ٧).

قوله في الصفحة ٢٠٠، السطر ٣: «تعظيمُ أمرِ الله والشَّفَقَةُ على خَلْقِ الله» انظر في شأنه إلى توضيح الرِّسالة التاسعة.

قوله في الصفحة ٢٠٠، السطر ١٢: «النكاحُ سِتِّي» حديثُ نبويٍّ شريف (كنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٨٦).

قوله في الصفحة ٢٠٠، السطر ١٤: «لو أهدى إليَّ بكُراعٍ لقبلته، حديثٌ للمثنبي

يقول: «لو أهديتُ إليَّ كُرَاعَ لِقَبْلَتُ، ولو دُعيتُ عليه لأَجَبْتُ» (الجامع الصغير، ص ١٠٧).

قوله في الصفحة ٢٠١، السطر ١٥: «المؤمنُ ينظر بنور الله...» [٣٢٢] انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثامنة عشرة.

قوله في الصفحة ٢٠١، السطر ١٧: «والعاقِلُ تكفيه الإشارة»، في الأصل كأنه اشتهر هكذا: «والحرُّ يكفيه (أو تكفيه) الملامة»، وهذا نفسه جزءٌ من المثل المضروب: «العبدُ يُقرِّعُ بالعصا والحرُّ يكفيه الملامة». وبعد ذلك أخذ صورة: «الحرُّ يكفيه الإشارة»، ثم بعد ذلك: «العاقِلُ يكفيه الإشارة». والشكل المنظوم للمثل قولُ يزيد بن مفرّج:

العبدُ يُقرِّعُ بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارة
(تعليقات السيّد الدكتور شفيعي على أسرار التوحيد، ج ٢، ص ٨٠٨).

الرسالة التاسعة والأربعون:

قوله في الصفحة ٢٠٣، السطر ٥: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تُبعثون» يبدو أنه حديثٌ نبويّ (أحاديث المثنويّ، الصفحات ١٧ - ١٨).

قوله في الصفحة ٢٠٣، السطر ١٠: «الجماعةُ رحمةٌ، والفرقةُ عذابٌ» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثالثة.

الرسالة الخمسون:

قوله في الصفحة ٢٠٥، السطر ١٦: «لَوَ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٤، السطر ١٢.

قوله في الصفحة ٢٠٦، السطر ٣: «مَنْ لَدِيهِ غَمٌّ وَيَسْتَطِيعُ التَّحَدُّثَ عَنْهُ» رباعية لمولانا و المصراعُ الأوَّل منها في كَلَيَات شمس على هذه الصورة: من يكون لديه غمٌّ و يستطيعُ التحدُّثُ عنه. (كَلَيَات شمس ج ٨، ص ٧١، الرباعية ٤٢٠).

قوله في الصفحة ٢٠٦، السطر ١٢: «و ظَلُمُ ذَوِي الْقَرْبَى أَشَدُّ مَرَارَةً... بَيْتٌ لَطَرَفَةٌ ابن العبد البُكْرِي (٥٤٣ - ٥٦٩ م) وهو أحدُ شعراء المملكات. وقد جاء في شرح المملكات للمرحوم الأستاذ أحمد ترجاني زاده على صورة: «و ظَلُمُ ذَوِي الْقَرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً...» (شرح المملكات السبع، المرحوم الأستاذ أحمد ترجاني زاده، مطبعة شفق، تبريز ١٣٤٨ هـ ص ٧٨)؛ وقد نسبَ الشعالي في التمثيل والمحاضرة إلى عدي بن زيد (التمثيل ص ٥٣).

قوله في الصفحة ٢٠٦، السطر ١٧: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ...» رُويت صورةٌ أقصر لهذا الحديث في أصول الكافي (ج ١، ص ١٠ وما بعد) عن الإمام محمد الباقر (ع). وقد أثبت مولانا في أوَّل المجلس السابع أيضًا تكملةً هذا الحديث من قولٍ للمحسن البصري (المجالس السبعة، تصحيح محقق هذا الكتاب، ص ١١٤).

الرسالة الحادية والخمسون:

قوله في الصفحة ٢٠٧، السطر ١١: «بَلْبَانُ وَ سُتْقَرُ: بَلْبَانُ أَوْ بِالَابَانُ مِنَ اللُّغَاتِ

البلغارية، وهو في تلك اللغة يعني «الدب». أما «سُنُقَر» فهو اسم الشاهين بالتركية (قاموس تركي). [٣٢٣] وقد كان هذان في اللغة التركية اسمي أفراد من الذكور كانوا عادة من الفقراء يعملون غلمانًا. وهذان الاسمان مثل أرسلان وآغوش اللذين ذكرهما سعدي في گلستان (الباب السابع).

قوله في الصفحة ٢٠٧، السطر ١٣: «الأعمال بالنيات...» حديث نبوي شريف. وقد عدّه العجلوني من أقوال عمر بن الخطاب ويقول: «إنما الأعمال بالنيات عدّ على جهة العموم من كلام عمر. (كشَفُ الحفاء، ج ١، ص ١٤٧). وعدّه الثعالبي من الأمثال، وقد جرى على لسان الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم (التعميل، ص ٢٧). قوله في الصفحة ٢٠٨، السطر ٢: «لَوْ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٤، السطر ١٢.

قوله في الصفحة ٢٠٨، السطر ٤: «خيرُ الناسِ من ينفعُ الناسَ» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثامنة عشرة.

قوله في الصفحة نفسها والسطر نفسه: «سيدُ القوم خادِمُهُم» حديث نبوي. وقد رواه السيوطي بهذه الصورة: «سيدُ القوم في السّفر خادِمُهُم، فمن سبقَهُم بخدمة لم يسبقوه بعمل إلا الشهادة» (الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٩).

قوله في الصفحة ٢٠٨، السطر ٥: «عَدْلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستين سنة» حديث نبوي شريف، وقد رُوي بصورة: «عَدْلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنة» (نهج الفصاحة، ص ٤١٠).

قوله في الصفحة نفسها والسطر نفسه: «العَدْلُ وَضْعُ الشَّيْءِ في موضعه»، يبدو أنه

من أقوال مولى المتقين عليّ أمير المؤمنين (ع). عندما سُئِلَ أمير المؤمنين عن العَدْل والجود والفرق بينهما، قال: «العَدْلُ يضع الأمور مواضعها، والجودُ يُخرجها عن جَهِتها... (سفينة البحار، ج ٢، ص ١٦٦).

قوله في الصفحة ٢٠٨، السطر ١٣: «نَحَتَ العَلَمُ» يشير إلى أنّه في القديم كان الشخصُ الذي يلحق به ظلمٌ يرتدي ثوبًا ملوّنًا، أو من جنسٍ مخصوص، ويذهبُ إلى أسفل عَلمٍ وإشارة كانوا ينصبونها للدلالة على هؤلاء الجماعة. ويحدث أحيانًا أن يرتدي ملتمسو العَدْل والإنصاف لباسًا من ورق. وفي هذا يقول حافظ:

فَدَعْنِي أَغْسِلْ رِدَائِي الرِّقِّيَّ بِدُمُوعِي الدَّامِيَةِ

فلم ينصفني الفَلَكُ بهدايتي إلى أسفلِ العَلَمِ

(سياستنامه، بتحقيق المرحوم عباس إقبال، حاشية ص ١٠).

قوله في الصفحة ٢٠٨، السطر ١٥: «المشربُ العذبُ كثيرُ الرّحام...» مصراعٌ بيت استعمل خمس مرّاتٍ في الرسائل، وهو مَثَلٌ تشبيهيّ استعمل في شأن الماء (التمثيلُ والمحاضرة، الثعالبي، ص ٢٥٦).

الرّسالة الثانية والخمسون:

قوله في الصفحة ٢٠٩، السطر ١٠: «المعظّمُ لأمرِ الله»، انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السطر ٥.

الرسالة الثالثة والخمسون:

[٣٢٤] قوله في الصفحة ٢١١، السطر ٥: «من كَظَمَ الغيظَ ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً» في الشرح الفارسي «شهاب الأخبار» جاء على الصورة الآتية: «مَنْ كَظَمَ غيظاً وهو يقدرُ على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً» (الشرح الفارسي للكلمات القصار للنبي الخاتم، ص ١٧٦).

قوله في الصفحة ٢١١، السطر ٩: «أعدى عدوك نفسك...» حديث نبوي شريف (كنوز الحقائق، ج ١، ص ٤٠). وعدّه بعضهم من كلام المشايخ (تعليقات منطق الطير، الدكتور گوهرين، ص ٣٧١).

قوله في الصفحة ٢١٢، السطر ٣: «سُئِلَ عيسى عليه السلام: ما أشدُّ الأشياء...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السابعة والعشرين (قال الحواريون لعيسى). قوله في الصفحة ٢١٢، السطر ٧: «قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَجَلَ الْمُوْهَبَ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة عشرة.

قوله في الصفحة ٢١٢، السطر ١٢: «لَا يُمْكِنُ حَرْقُ الْبَسَاطِ مِنْ أَجْلِ بُرْغُوْثٍ...» جاء شبيهه في حديقه سنائي:

لَا يَبِيعُ شَخْصٌ صَدِيقَهُ بِخَطَا وَاحِدٍ

وَمِنْ أَجْلِ بُرْغُوْثٍ لَا يُمْكِنُ حَرْقُ الْبَسَاطِ

(الحديقة، ص ٤٨١، البيت ١٠).

قوله في الصفحة ٢١٢، السطر ١٤: «ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السادسة عشرة.

قوله في الصفحة نفسها والسطر نفسه: «ارْحَمْ من دَوْنِكَ يَرْحَمُكَ من هو فوقَّكَ»
 يبدو أنه صورة أخرى للحديث السابق (أحاديث المثنوي، ص ٧).
 قوله في الصفحة ٢١٢، السطر ١٥: «تقصير» لفظ استعمله مولانا في المثنوي أيضًا
 على الصورة نفسها، إذ قال:

فلو آتاك أخرجتني من السَّجْنِ وأقْصَيْتَنِي
 لَكُنْتُ قَدْ مِتُّ مِنَ التَّقْصِيرِ وَالْكَدِّ
 يقول المرحوم فروزانفر في تعليقاته على خلاصة المثنوي في شأن هذه الكلمة:
 كلمة «تقصير» شاهد آخر على أن مولانا يستعمل هذه الكلمة بمعنى «العجز»
 (ص ٢٥٣).

الرسالة الرابعة والخمسون:

قوله في الصفحة ٢١٣، السطر ١٥: «لولاكَ لما خلقتُ الأفلاك» يكتب المرحوم
 فروزانفر قائلاً إنه جاء في «شرح التعرف» في الجزء الثاني ص ٤٦ على النحو الآتي:
 «لولا محمَّد (ص) ما خلقتُ الدُّنيا والآخرة، ولا السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، ولا العرشَ ولا
 الكرسيَّ، ولا اللَّوْحَ ولا الْقَلَمَ، ولا الجنةَ ولا النَّارَ، ولولا محمَّد ما خلقتُكَ يا آدم».
 (أحاديث المثنوي، ص ١٧٢).

قوله في الصفحة ٢١٥، السطر ١٢: «السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ في بطنِ أمِّه» [٣٢٥] حديث
 نبوي شريف (الجامع الصغير، ج ٢، ص ٣١).

الرسالة الخامسة والخمسون:

قوله في الصفحة ٢١٦، السطر ٦: «لَوْ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الخمسين. ومن هذه الرسالة يظهر أن مولانا له اطلاع على اللغة الرومية (اليونانية).

قوله في الصفحة ٢١٧، السطر ٤: رَقَّ الزَّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخُمْرُ... يبدو أنه للصاحب ابن عباد، وهو من مشاهير الأدباء ووزير مؤيد الدولة وفخر الدولة الديلمي (قاموس الأعلام، شمس الدين سامي، ج ٤، ص ٢٩١١).

قوله في الصفحة ٢١٧، السطر ٦: «فَمَنْ يَرُهُ فِي مَنْزِلٍ فَكَأَنَّمَا...» بيت جاء أيضًا في «فيه ما فيه» (ص ٧٦).

قوله في الصفحة ٢١٧، السطر ٧: «شُكْرُ الْمَنِّعِمْ وَاجِبٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٥٢، السطر ٨.

الرسالة السادسة والخمسون:

قوله في الصفحة ٢١٨، السطر ٧: «الْبَحْرُ لَا يَنْجُسُ مَائُهُ مِنْ فَمِ الْكَلْبِ...» من الأمثال. يقول مولانا:

فمَتَى يَصِيرُ الْبَحْرُ نَجِسًا مِنْ فَمِ كَلْبٍ وَمَتَى تَغِيْبُ الشَّمْسُ مِنْ نَفْخَةِ ؟
(الأمثال والحكم، ص ٨٠٢).

الرسالة السابعة والخمسون:

قوله في الصفحة ٢٢٠، السطر ١٣: «كَلَامُ الْمُلُوكِ مُلُوكُ الْكَلَامِ، مَثَلٌ. (الأمثال

والْحِكْم، ص ١٢٢٤).

قوله في الصفحة نفسها والسّطر نفسه: «لا تزال أمتي بخير ما أتاهم العلم...»
نقل العجلونيّ تحت حديث: «البركة مع أكابرهم» هذا الحديث عن أبي نُعيم: «لا يزال
الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوا العلم عن أصاغرهم هلكوا».
(كشف الخفاء، ج ١، ص ٢٨٤-٢٨٥).

الرّسالة الثامنة والخمسون:

قوله في الصفحة ٢٢٢، السّطر ١٤: «والمشرب العذب كثير الزّحام... استعمل
هذا المصراع في صورة: المشرب العذب... خمس مرات في رسائل مولانا.

الرّسالة التاسعة والخمسون:

قوله في الصفحة ٢٢٤، السّطر ١٣: «فَضِيل بن عِيَاض»، يشير إلى العارف الشهير
الذي وُلِد في سمرقند بين سنتي ١٠١ و ١٠٥ هـ، وتوفي في مكّة في سنة ١٨٧ هـ.
سمع الحديث من الإمام جعفر الصادق (ع). و جاءت ماثوراته في كُتب الصّوفيّة
كتذكرة الأولياء و حلية الأولياء.

[٣٢٦] قوله في الصّفحة ٢٢٥، السّطر ١: «والعاقل يكفيه الإشارة...» انظر في

شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة والأربعين.

الرّسالة الستون:

قوله في الصفحة ٢٢٥، السّطر ٨: «لا عين رأت...» انظر في شأنه إلى توضيح

الرسالة الخامسة والأربعين.

قوله في الصفحة ٢٢٦، السطر ٣: «تعظيمُ أمرِ الله والشفقةُ على خلقِ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السطر ٥.

قوله في الصفحة ٢٢٦، السطر ١٠: «الحريصُ محروم...» عدّ المرحومُ دهمخدا هذا القولَ جزءًا من حديث هو: «الحريصُ محرومٌ، ومع حرمانه مذموم»، (الأمثال والحكم، ص ٢٤٢).

قوله في الصفحة ٢٢٦، السطر ١٥: «لا بدّ من ليلٍ دائمٍ و شعاع قمر جميل...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثالثة والأربعين.

قوله في الصفحة ٢٢٧، السطر ٧: «وكلّ ميسرٍ لما خُلِقَ له...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٨٧، السطر ٧.

قوله في الصفحة ٢٢٧، السطر ١٣: «ابليستان». كانت ابليستان (آرايسوس) الواقعة شرق فيصريّة إحدى القلاع الحدوديّة في زمان الرومان، وقد ذُكرت أيضًا في فتوحات الأمير تيمور أيضًا (بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٥).

قوله في الصفحة ٢٢٨، السطر ٧: «الدنيا جيفةٌ و طُلابها كلاب...» مفادُ رواية نُسبت إلى عليّ بن الحسين عليه السلام مع تفاوت طفيف (أحاديث المشنوي، ص ٢١٦).

قوله في الصفحة ٢٢٨، السطر ١٠: «لولا الخبزُ لما عُبدَ الرَّبُّ...» رُوي ما هو قريبٌ منه عن رسول الله (ص) بهذه العبارة: «اللهم، باركْ لنا في الخبزِ ولا تفرِّق بيننا وبينه، فلولوا الخبزُ ما صُمنا ولا صلينا ولا أدبنا فرائض ربنا». (سفينة البحار، ج ١،

ص ٣٧٤). وقد روي مثلاً على النحو الآتي: «لولا الخبز لما عُبد الله، و«لولا الرغيف لما عُبد اللطيف» (التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧٨).

قوله في الصفحة ٢٢٨، السطر ١٠: «نفسك مطيئك فارفق بها...» عدّه الأنقروبي حديثاً في تفسير البيت الآتي:

أيضاً على نيّة أنّ الجسد هو المركب وما اعتاده هو الأصوب له
(فاتح الأبيات، ج ٥، بالتركية، ص ٤٢).

وقد أورد الثعالبي في الأمثال التي جمعها في موضوع النفس المثل الآتي:
النفس مطيّة إن كلّفت فوق طاقتها أقامت بصاحبها. (التمثيل والمحاضرة، ص ٣٠٧).

الرسالة الحادية والستون:

[٣٢٧] قوله في الصفحة ٢٢٩، السطر ١٩: «الحزم سوء الظن» من الكلمات
القصار للنبي الخاتم (الشرح الفارسي للكلمات القصار، ص ١٠).
قوله في الصفحة ٢٣٠، السطر ٤: «الكلام الذي لا يأتي من رأسٍ مفكّر...» من
خسرو وشيرين لنظامي (طبع وحيد، ص ٣٠).

الرسالة الثانية والستون:

قوله في الصفحة ٢٣٢، السطر ١١: «من يأت عملاً صالحاً لله في جوف الليل
ألبسه الله منه رداءً يُعرف به...» مضمون حديث شريف له شبهة بالآية الكريمة:

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

الرسالة الخامسة والستون:

قوله في الصفحة ٢٣٥، السطر ١١: «أَنْتَ نَفْسُكَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَكُونُ مَنْقَبُضًا وَمَغْتَنًّا...» يشبه تمامًا البيت الآتي الذي هو مطلع غزلية لمولانا:

عندما تبعثُ إليّ قليلاً من الغمِّ أَكُونُ حَزِينًا وَمَنْقَبُضًا
وعندما تصبِّ الغمِّ عليّ أَكُونُ خَجَلًا مِنْ لُطْفِ الغمِّ
(كليات شمس، ج ٣، ص ٢٠١).

قوله في الصفحة ٢٣٦، السطر ٥: «هوى ناقتي خَلْفِي وَقَدَّامِي الهوى...» بيت من قصيدة طولها أربعة وثمانون بيتاً لغروة بن حزام وهو من متيمي شعراء العرب (فيه ما فيه، تعليقات المرحوم فروزانفر، ص ٢٥٠).

قوله في الصفحة ٢٣٦، السطر ١٣: «واحدٌ من الألف...» انظر في شأنه إلى توضيح: «واحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عني»، في ص ٥٦٥، السطر ٩.

قوله في الصفحة ٢٣٦، السطر ١٤: «عندي جُمْلٌ من اشتياق وفصول...» من رباعيات مولانا جلال الدين. (كليات شمس، ج ٨، ص ١٨٦، الرباعية ١١٠١).

قوله في الصفحة ٢٣٧، السطر ٦: «گنگر، يُرادُ بها مدينةٌ من مدن الرُّوم واقعة على بعد خمسين ميلاً من قسطنطينية (قسطنطينية)، ويسمّيها التُّركُ: كانقري. وقد ضبطها كُتّاب الأحداث العربُ هكذا: خنجره (بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٨). ورسمها في كتب الجغرافية العثمانية هكذا «كنغري»، وتُنطق اليوم Cankiri.

الرسالة السادسة والستون:

قوله في الصفحة ٢٣٧، السطر ١٣: «سَنَةُ الْوَصْلِ سَنَةٌ، وَسَنَةُ الْهَجْرِ سَنَةٌ» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٩، السطر ٥.

قوله في الصفحة ٢٣٨، السطر ١٤: «رُوحُهُ رُوحِي وَرُوحِي رُوحُهُ...» لمولانا جلال الدين الرومي (كَلَيَاتِ شَمْس، ج ٥، ص ٧، الْغَزَلِيَّة ٢١٢٧).

[٣٢٨] قوله في الصفحة ٢٣٩، السطر ١: «تَعْظِيمُ أَمْرِ اللَّهِ وَالشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الستين.

الرسالة السابعة والستون:

قوله في الصفحة ٢٤٠، السطر ١٤: يعرف بَلَحْنُ قوله... قرأ بعضهم «بلحن» قوله، هكذا: «بلخي لولده»، وجعلوا ذلك شبيهاً بتوقيع مولانا.

الرسالة الثامنة والستون:

قوله في الصفحة ٢٤١، السطر ١٤: «الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرَّحَامِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والخمسين.

قوله في الصفحة ٢٤١، السطر ١٦: «قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتِدِ لِمَ تَشَقُّنِي؟» - قال: انظر إلى مَنْ يَدَقُّنِي، مَثَلٌ مِنَ الْأَمْثَالِ، وقد أورده مولانا أيضًا في المثنوي. (طبعة نيكلسون، الكتاب الخامس، ص ١٠٨).

قوله في الصفحة ٢٤٢، السطر ٣: «كَمَا تَدِينُ تُدَانُ...» من الأحاديث النبوية.

(أحاديث المثنوي، ص ١٧٦).

قوله في الصفحة ٢٤٢، السطر ٨: «والصوفي أولى بخزقته»، نُسب هذا الكلام في صيغة: «الفقيه أولى بخزقته» إلى أبي سعيد بن أبي الخير. ويقول السيد الدكتور شفيعي كدكني إنه لم يُعثر على هذا القول في المتون التي دُوّنت قبل أبي سعيد، أمّا في الأدوار اللاحقة فقد شاع كثيرًا وجاء في صورة: «الصوفي أولى بخزقته، واليتيم أخرى بخزقته». (تعليقات أسرار التوحيد، ج ٢، ص ٨١٣).

الرسالة السبعون:

قوله في الصفحة ٢٤٥، السطر ٤: «لا يخلون رجلٌ بامرأة...» حديث لرسول الله (ص) روي في الشرح الفارسي «شهاب الأخبار» على هذه الصورة: «لا يخلون رجلٌ بامرأة فإن ثالثهما الشيطان» (الشرح الفارسي للكلمات القصار، ص ٣٥٢).

قوله في الصفحة ٢٤٦، السطر ١١: «خان ضياء»، جاء اسمُ هذا الخان [كاروان سرل بالفارسية] في مناقب العارفين للأفلاكي هكذا: «خان ضياء الدين الوزير». ويبدو أنه كان محلًّا للهو حيث كانت سيّدة اسمها طاووس تعزف فيه على الصنج. (ج ١، ص ٣٧٥).

قوله في الصفحة ٢٤٧، السطر ٤: «تكون الدنيا مسرورة عندما تذيب العاقل المرارة...». لنظامي الكنجوي (خسرو وشيرين، طبعة وحيد، ص ١٨٠).

الرسالة الحادية والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٤٨، السطر ٣: «خيالك في عيني وإسْمُك في فمي...» منسوبٌ إلى حسين بن منصور الخلاج الذي هو من أكابر الصوفية، والمقتول سنة ٣٠٩ هـ. (فيه ما فيه، التعليقات، ص ٢٧٠).

[٣٢٩] قوله في الصفحة ٢٤٨، السطر ٤: «أنا وأنت جعلتِ الإنسانَ اثنين...» بيتان منفصلان لسنائي (حديقة الحقيقة، ص ١١٤، البيت ٥، و ص ٤٤٤، البيت ١٧).
قوله في الصفحة ٢٤٨، السطر ١٠: «أيتها الأرواحُ الطاهرة في أكوام التراب...» بيتان من ترجيع بند (*) لسنائي مطلقه:

أيها القومُ، احذروا دارَ الحوادثِ هذه... (ديوان سنائي، ص ٧٧٦-٧٧٧).
قوله في الصفحة ٢٤٨، السطر ١٤: «لا بدَّ من ليلٍ دائمٍ وشُعاعٍ قمرٍ منير...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثالثة والأربعين.

قوله في الصفحة ٢٤٨، السطر ١٦: «عندي جُمْلٌ من اشتياقٍ وفصول...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الخامسة والستين.

قوله في الصفحة ٢٤٩، السطر ٥: «العاقلُ تكفيه الإشارةُ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثامنة والأربعين.

قوله في الصفحة ٢٥٠، السطر ٨: «عَدْلُ ساعةٍ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والخمسين.

* شكْلٌ فارسيٌّ يتكرّر فيه يَتّ بعينه بعد كلِّ مقطع، ولكنّ مقطع فيه رويّ خاصّ [الترجم].

قوله في الصفحة ٢٥٠، السطر ١٣: «إكرامُ أهلِ الهوى من الكرم...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثالثة والعشرين.

الرسالة الثانية والسبعون:

قوله في الصفحة ٢٥٢، السطر ١٦: «الخلقُ عيالُ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة.

الرسالة الثالثة والسبعون:

قوله في الصفحة ٢٥٣، السطر ١٧: «الدنيا أسحرُ من هاروت وماروت...» حديثُ نبويٍّ رُوي بصيغة: احذروا الدنيا فإنها أسحرُ من هاروت وماروت. (أحاديث المتنبي، ص ١٣٧).

قوله في الصفحة ٢٥٤، السطر ٦: «إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السادسة والثلاثين.

قوله في الصفحة ٢٥٤، السطر ١١: «ليس التكحل في العينين كالكحل...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية والعشرين.

الرسالة الرابعة والسبعون:

قوله في الصفحة ٢٥٦، السطر ٢: «إنَّ الله لا ينظرُ إلى صُوركم...» حديثُ نبويٍّ وكما له هكذا: «إنَّ الله تعالى لا ينظرُ إلى صُوركم وأموالكم ولكن إنَّما ينظر إلى قلوبكم

وأعمالكم». وقد أشار مولانا في المتنويّ إلى مضمون هذا الحديث وقال:

نحنُ لا ننظرُ إلى الخارج والقال بل ننظرُ إلى الباطن والحال
[٣٣٠] (فيه ما فيه، التعليقات، ص ٣٣٨).

الرّسالة الخامسة والسبعون:

قوله في الصفحة ٢٥٧، السّطر ١١: «الإسلامُ بدأ...» حديثُ نبويّ شريف: «بدأ الإسلامُ غريباً وسيعودُ كما بدأ غريباً فطوبى للغُرباء». (أحاديث المتنويّ، ص ١٥٨).
قوله في الصفحة ٢٥٨، السّطر ٤: «وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيب...» مصراعُ البيت الآتي من شعر امرئ القيس:

أجارَتنّا، إنّ المزارَ قريبُ ولّني مقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ
أجارَتنّا، إنّنا غريبانِ ههنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ
(الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص ٦٣).

قوله في الصفحة ٢٥٨، السّطر ١٤: «أستاذُكَ هو العشقُ فعندما تصل إليه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية.

قوله في الصفحة ٢٥٩، السّطر ٣: «وَصَلَ الْقَلَمُ إلى هنا فانكسر رأسه...» لخاقاني الشّرواني. وتأمّ البيت هكذا:

كان خاقاني يكتبُ القِصصَ وعندما وَصَلَ القَلَمُ إلى هنا انكسر رأسه
(ديوان خاقاني، تصحيح ضياء الدّين سجّادي، ص ٥٥٩).

وقد عدّه المرحوم دهمخدا من الأمثال، وأثبت مصراعَه الثاني هكذا: وَصَلَ الكلامُ

إلى هنا وتوقف. (الأمثال والحكم، ج ٢، ص ١١٦٤).

الرسالة السادسة والسبعون:

قوله في الصفحة ٢٦٠، السطر ١٧: «في هذا الطريق، يكون الذباب كالطاووس في العمل... مصراع من غزلية لسنائي الغزنوي. وعمام البيت هكذا:
حتى إذا كنت جميلاً لا تنظر إلى القبيح باحتقار
فإنه في هذا الملك الذباب في العمل كالطاووس
(ديوان سنائي، ص ٣٠٧).

الرسالة الثامنة والسبعون:

قوله في الصفحة ٢٦٤، السطر ٣: «فليس التزاوُر بقرب المكان... [٣٣١] يبدو أنه من الأمثال.
قوله في الصفحة ٢٦٤، السطر ١٠: «من يولد من نسبٍ عالٍ... لنظامي الكنجوي (لبلى والمجنون، طبعة وحيد، ص ٢٦).
قوله في الصفحة ٢٦٤، السطر ١٤: «علامة قبول الخيرات إعادتها... لم نجد هذه العبارة في مكان آخر.
قوله في الصفحة ٢٦٤، السطر ١٥: «لا زال منوراً ومطلعاً على الأشياء كما هي...»
العبارة الأخيرة منه تُشير إلى الحديث الشريف الآتي: «اللهم، أرني الأشياء كما هي».
(أحاديث المثري، ص ٤٥).

الرسالة التاسعة والسبعون:

قولُه في الصفحة ٢٦٥، السطر ٤: «الوزدُ ضاحكٌ، فإن هو لم يضحكُ فماذا يفعلُ؟» مطلعُ غزَلٍ لمولانا جلال الدين الرومي. (كَلَيَات شمس، ج ٢، ص ١٦٦، البيت ٨٧٢٠).

الرسالة الثانية والثمانون:

قولُه في الصفحة ٢٦٩، السطر ١٥: المعظّمُ لأمر الله... انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الستين.

قولُه في الصفحة ٢٧٠، السطر ٤: «أظهرُ من الشمس...» مَثَلٌ رُوي بصيغة: «أشهرُ من الشمس» (التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢٦).

الرسالة الرابعة والثمانون:

قولُه في الصفحة ٢٧٤، السطر ٢: «روحُه روحي وروحي روحُه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السادسة والستين.

قولُه في الصفحة ٢٧٤، السطر ٤: «أنا روحٌ واحدٌ في آلاف الأجساد...» هو البيت الأولُ من رُبَاعِيَّةٍ لمولانا، والبيتُ الثاني هكذا:

جعلتُ نفسي شخصًا آخرَ تكلفًا لكي يُسرَّ ذلك الآخرُ قائلًا إنِّي أنا

(كَلَيَات شمس، ج ٨، ص ٢٠٩، الرُبَاعِيَّة ١٢٣٨).

قولُه في الصفحة ٢٧٤، السطر ٧: «أرنا الأشياءَ كما هي» عدّه المرحوم فروزانفر من

الأحاديث النبوية وكتب يقول: «لم أظفر بهذا الحديث بهذه العبارة حتى الآن في كتب الحديث» (أحاديث المتنوي، ص ٤٥).

الرسالة السادسة والثمانون:

[٣٣٢] قوله في الصفحة ٢٧٦، السطر ١٥: «لماذا أشعل المصباح أمام الريح الصرصر؟» لسنائي وهو في حقيقته على النحو الآتي:
لماذا أشعل المصباح أمام الريح الصرصر؟
وكيف أخطب القباء أمام الأسد؟
(ص ٤١٦، ب ١٨).

الرسالة السابعة والثمانون:

قوله في الصفحة ٢٧٨، السطر ١٥: «آه المريض من يسمعها؟ - المريض هو المصراع الثاني لمطلع غزلية لمولانا، ومصراعه الأول هو هذا:
من يزحم الحبيب؟ - الحبيب أيضا
(كليات شمس، ج ٣، ص ٤٨).

قوله في الصفحة ٢٧٨، السطر ١٩: «في عهد عمر رضي الله عنه...» أشار مولانا إلى هذه الواقعة التاريخية في آخر الجزء الأول من المتنوي من البيت ٣٧٠٧ إلى ٣٧٢٠ (الجزء الأول / الصفحات ٢٢٨-٢٢٩).

الرسالة الثامنة والثمانون:

قوله في الصفحة ٢٧٩، السطر ١٤: «والشكرُ قَيْدُ النِّعمِ الحاصلة وصَيْدُ النِّعمِ
الآجلة» لعله يكون من الأمثال، نظيرُ:
إِنَّ شُكْرَ النِّعمَةِ يَزِيدُ نِعْمَتَكَ وكَفَرَ النِّعمَةِ يَخْرِجُهَا مِنْ يَدِكَ
لمولانا (الأمثال والحِكَم، ج ٢، ص ١٠٢٦ وما بعد).

الرسالة التاسعة والثمانون:

قوله في الصفحة ٢٨٢، السطر ٦: «من قاسَ جدواك يوماً...» مقابلُ عربيٍّ لبيّتين
من قطعة من ثمانية أبيات لمولانا جلال الدين الرومي (كَلِمَات شمس، ج ٧، ص
٣٠٨).

قوله في الصفحة ٢٨٢، السطر ٩: «لكي تُصَبِّحَ أَهْلًا لِلْمَدْح، امدُخْ أَهْلَ المعنى...»
لسنائي الغزنوي. وقد جاء في ديوانه على الصُّورة الآتية:
لكي تصبح أَهْلًا لِلْمَدْح، امدُخْ أَهْلَ المعنى
ولكي تصبح عَيْنَ الإكرام، أكرمْ أَرْبابَ العِلْمِ
(ديوان سنائي، ص ٣٠٤).

الرسالة الحادية والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٨٤، السطر ٢: «المالُ غادٍ ورائحٌ...» لعله مَثَلٌ، وقد قال أديب
صابر في المضمون نفسه:

المال والملك اللذان يذهبان لا يعتمد عليهما العاقل
(الأمثال والحكم، ص ١٢٩٢).

وأقرب مضمون إليه هو المصراع الثاني من البيت الآتي لسعدي:

[٣٣٣] لا بد من أن تكون خصالاً مستحسنة وجميلة

أن الجاه والمال يميثان حيناً ويذهبان حيناً آخر

(بوستان، بتحقيق المرحوم فروغي، ص ١٧٥).

قوله في الصفحة ٢٨٤، السطر ٨: «الحلُّق عيال الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة.

قوله في الصفحة ٢٨٤، السطر ١٠: «قَبْلَ أن يأخذَ الأجلُ الموهوبَ...»، انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة عشرة.

قوله في الصفحة ٢٨٤، السطر ١٣: «إذا كنتَ الآنَ في هذا الوقت ههنا تتأذى وتتألم...» لسنائي، وقد جاء في الديوان في الصورة الآتية:
إن كان لك اليومَ في هذه الدار روحٌ تأذى وتألم

فما أجلَ رأسَ المالِ والربحِ اللذين سترهما من هذا الأذى والألم

فأكرم هذا الضيفَ العلويَ لكي

تراه مُضيفاً عندما تخرج من هذا الفلك

(ديوان سنائي، ص ٧٠٦).

قوله في الصفحة ٢٨٤، السطر ١٧: «أن تستعبدَ حرّاً واحداً بإحسانك...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السابعة.

قوله في الصفحة ٢٨٥، السطر ٣: «أحرّم الكلامَ مع الناس...» بيتٌ من غزلية

لمولانا (كليات شمس، ج ٤، ص ٥٧، الغزلية ١٧٢٤).

الرسالة الثانية والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٨٥، السطر ١٤: «آناء اللّيل وأطراف النهار...» مأخوذ من:

﴿وَمِنْ مَّآثِيَ اللَّيْلِ فَسَيِّحٌ وَأَطْرَافُ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْهَنُ﴾ [طه: ١٣٠].

قوله في الصفحة ٢٨٦، السطر ١١: «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن...» انظر في

شأنه إلى توضيح الرسالة السابعة والأربعين.

قوله في الصفحة ٢٨٦، السطر ١٢: «يقلّبها كيف يشاء» هو آخر جملة من حديث

للرسول الأكرم (ص) رُوي على أنحاء مختلفة. وقد جاء في كنوز الحقائق على الصورة الآتية: «إنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلّبها كيف يشاء». (ج ١، ص ٨٧).

قوله في الصفحة ٢٨٦، السطر ١٣: «ليس في الدّار غيرُ الله دياراً...» كأن أصله

كلام لأبي العباس القصار: «ليس في الدارين إلا ربّي». (تعليقات مرموزات اسدي بتحقيق السيّد الدكتور شفيعي كدكني، ص ١٤٧).

قوله في الصفحة ٢٨٦، السطر ١٤: «لا تسأل عن الأحوال، فهذا خطأ منك...»

بيّت من الرّباعيّة الآتية لمولانا جلال الدّين:

يسألونني قائلين: لماذا هذا الهمُّ كلّهُ ؟

وهذا الصّباحُ والتّأوّه وهذا الوجهُ الأصفر، لماذا ؟

قلتُ: لا تقلِّ مثل هذا، فإنّه عمل خاطئ

انظر إلى وجهه الشبيه بالقمر وينحلّ المشكّل

(كليات شمس، ج ٢، ص ٢٥، الرباعية ١٤٦).

[٣٣٤] قوله في الصفحة ٢٨٦، السطر ١٧: «مثلما قال غلامٌ لسيّده...» جاءت هذه الحكاية في الجزء الثالث من المثنوي بعنوان: «حكاية الأمير وغلّامه الذي كان مُغرماً بالصلاة...» (نشرة نيكلسون، الجزء الثالث، ص ١٧٤ وبعد ذلك أورد مولانا قصّة الطّاس والختمام في الجزء الثالث (البيت ٣٠٥٥ وبعد).

قوله في الصفحة ٢٨٧، السطر ٥: «الشكاية من الخلق شكاية من الخالق» من كلام مولانا الكبير (بهاء الدين ولد)، وقد أوردّه مولانا جلال الدين في «فيه ما فيه» أيضًا. (فيه ما فيه، تحقيق المرحوم فروزانفر، ص ٢٣٢).

قوله في الصفحة ٢٨٧، السطر ٧: «كلّ مَنْ علّموه أسرار الكلام...» من مثنوي مولانا، وقد جاء في المثنوي على الصّورة الآتية:

وكلّ من قاموا بتعليمه أسرار الأمور،

ختموا على فيه، وخاطوه على ما فيه

(نشرة نيكلسون، الجزء الخامس / ٢٢٤٠).

الرّسالة الثالثة والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٨٩، السطر ٨: «المشربُ العذب كثيرُ الرّحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والخمسين.

الرّسالة الرابعة والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٩٠، السطر ٨: «امير اكدشان»، كان الأكادشة أناسًا من أهل

الديوان أو الجيش إذ كان الرئيس أو الأمير يتخذهم لترتيب الأمور المرتبطة بهما. ومن أجل التوضيح انظر إلى حاشية ص ٢٩ من كتاب «مولانا جلال الدين» للمرحوم عبد الباقي گلیناری، ترجمة محقق هذا الكتاب.

الرسالة الخامسة والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٩١، السطر ١٦: «الحمد لله على فضله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثامنة.

قوله في الصفحة ٢٩٢، السطر ٩: «رضيت بما قسم الله لي...» جاء هذان البيتان أيضًا في معارف السيد برهان الدين محقق الترمذي. (معارف السيد برهان الدين، تحقيق المرحوم فروزانفر، ص ٩٨).

قوله في الصفحة ٢٩٢، السطر ١١: «قال الله تعالى: أنا عند ظنّ...» جاء شبيهه الحديث الآتي في الجامع الصغير للسيوطي: «إنّ الله تعالى يقول: أنا عند ظنّ عبدي بي، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر» (الجامع الصغير، ج ١، ص ٦٥).

قوله في الصفحة ٢٩٣، السطر ٢: «ولكن رأيت السيف من بعد شخذه...» استعمل هذا البيت أربع مرّات في رسائل مولانا.

قوله في الصفحة ٢٩٣، السطر ٥: «والشمس لا تخفى بكل مكان...» [٣٣٥] أثبت في فرائد الأدب [عما يشبهه] المثل الآتي: شعاع الشمس لا يخفى، ونور الحق لا يُطفأ.

قوله في الصفحة ٢٩٣، السطر ٦: «الدالّ على الخير كفاعله...» من كلام الرسول

الأكرم (ص) استعمل على سبيل التمثيل (التمثيل، ص ٢٣).

الرسالة السادسة والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٩٤، السطر ٦: «ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا...» قائله عدي

ابن الرقاق. وتماؤه هكذا:

فلو قبل مبكاهها بكيت صباية بسعدى، شفيئ النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاهها، فقلت: الفضل للمتقدم

(مقامات الحريري، طبعة مؤسسة رواق، ١٣٦٤ هـ ص ١٣).

وقد نقل مولانا هذه الأبيات في مقدمة الجزء الرابع من المثنوي أيضاً.

قوله في الصفحة ٢٩٤، السطر ٩: «خير الناس من ينفع الناس» انظر في شأنه إلى

توضيح الرسالة الثامنة عشرة.

قوله في الصفحة ٢٩٤، السطر ١٥: «من نحن دينه نحن بلاؤه، ومن رق دينه رق

بلاؤه» ليس لدي مرجع في شأن هذه العبارة العربية، التي يبدو أنها حديث، في المآل

الأخير، وقد أثبتتها في فهرس الأمثال. ومفهوم هذه العبارة يشبه مفهوم الآية الشريفة

الآية: ﴿لَتَجْلِبُوا فِي أَثْمَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْمًا كَثِيرًا وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ الْأُمُورِ ﴿﴾ [آل عمران: ١٨٦].

الرسالة السابعة والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٩٥، السطر ٨: «اطلبوا الخوائج من السُّمحاء...» حديثٌ نبويٌّ تامُّه: «اطلبوا الخوائج إلى ذوي الرَّحمة من أمتي تُرزقوا وتُتَجَعوا؛ فإنَّ الله تعالى يقول: رحمتي في ذوي الرَّحمة من عبادي، ولا تطلبوا الخوائج عند القاسية قلوبهم فلا تُرزقوا ولا تُتَجَعوا فإنَّ الله تعالى يقول: سخطي فيهم». (الجامع الصغير، ج ١، ص ٣٦).

قوله في الصفحة ٢٩٦، السطر ٨: «إذا جاء اللصُّ حاملاً السَّراج...» هو المصراعُ الثاني لبيت من قصيدة معروفة لسَنائي مطلعُها:

لا تجعلُ في الجسم والروح منزلاً؛ لأنَّ هذا دونُ وذلك فوقَ...

والمصراع الأول هكذا:

إذا تعلَّمتَ العِلْمَ فاخشَ عندئذٍ الحرصَ...

(ديوان سنائي، ص ٥٥).

[٣٣٦] قوله في الصفحة ٢٩٦، السطر ٩: «طينِ الجسد...» فيه إشارةٌ إلى الآيات التي تصرَّح بخلق الإنسان من طين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢؛ السجدة، الآية ٧، وآياتٌ أخرى].

قوله في الصفحة ٢٩٦، السطر ١٠: «فمن غلبَ عقله شهوته فهو أعلى من الملائكة...» من كلام حضرة عليّ (ع)، وقد رُوي في «وسائل الشيعة عن حضرة الصادق (ع)» (فيه ما فيه، تعليقات المرحوم فروزانفر، ص ٢٩٢).

وقد أورده الثعالبي من دون ذكر اسم القائل على النحو الآتي:

«رَكَّبَ اللهُ تعالى الملائكة من عقلٍ بلا شهوة، وركَّبَ البهائم من شهوة بلا عقل،

وركب ابن آدم من كليهما ؛ فمن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم». (التمثيل والمحاضرة، ص ١٧٢).

قوله في الصفحة ٢٩٦، السطر ١٦: «وأيُّ نعيم لا يكدره الدهرُ...» لمسلم بن الوليد الأنصاري (صريع الغواني) المتوفى سنة ٢٠٨ هـ:

فبتنا على رُغمِ الحسودِ وبيننا حديثُ كطيِّبِ المسكِ شيبَ به الخمرُ
فلَمَّا أضاء الصُّبحُ فرَّقَ بيننا وأيُّ نعيمٍ لا يكدره الدهرُ
هذا التوضيح كتبه لي متلفاً الصديق العالم السيد الدكتور علي أصغر حلبى.

الرسالة الثامنة والتسعون:

قوله في الصفحة ٢٩٧، السطر ١٤: «المشفقُ عل خلق الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السطر ٥.

قوله في الصفحة ٢٩٨، السطر ١٩: «ولكن رأيتُ السيفَ من بعد شحذه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الخامسة والتسعين.

قوله في الصفحة ٢٩٩، السطر ٣: «إن سقيتَ الغرسةَ، فأنتَ الذي غرسَها...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية والعشرين.

قوله في الصفحة ٢٩٩، السطر ٥: «إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السادسة والثلاثين.

الرسالة التاسعة والتسعون:

قوله في الصفحة ٣٠٠، السطر ٥: «المؤمنون كَنَفْسٍ واحدة...» ذكر المرحوم

أن بعضهم عدّه حديثاً (أحاديث المثوي، ص ٤٣).

قوله في الصفحة ٣٠٠، السطر ١٦: «أُنِعِمَ عَلَيَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ...» من رباعيات مولانا

جلال الدين الرومي، وقد رُوي في كَلَيَاتِ شمس على النحو الآتي:

أرني وجهك، اعمل عملاً من أعمال الإنسانية

لكي أفخرَ بأني رأيتُ السعادة

أيها المعشوق والحبيب، ماذا يُنقصك

أن يغدو إنسانٌ مسروراً برويتك ؟

[٣٣٧] (كَلَيَاتِ شمس، ج ٨، ص ٣٣٠، الرباعية ١٩٦٧).

قوله في الصفحة ٣٠١، السطر ٣: «الْحَلَقْتُ عِيَالُ اللَّهِ...» انظر في شأنه إلى توضيح

الرسالة التاسعة.

قوله في الصفحة ٣٠١، السطر ١٢: «إكرامُ أهلِ الهوى من الكرم...» انظر في شأنه

إلى توضيح الرسالة الثالثة والعشرين.

الرسالة المئة:

قوله في الصفحة ٣٠٢، السطر ١٥: «من القلبِ إلى القلبِ رَوَزنَةُ» انظر في شأنه إلى

توضيح الرسالة الثانية عشرة.

قوله في الصفحة نفسها والسطر نفسه: «القلوبُ تتشاهدُ»، الظاهرُ أنه مثلٌ، نظيرُ

قولهم: «القلب يهدي إلى القلب» و«من القلبِ إلى القلبِ رَوْزَنَةٌ»، لكنّه في مخطوطة «فيه ما فيه» التي امتلكها المرحوم فروزانفر التي كُتبت في سنة ٨٨٨ هـ أُضيف: «قال رسول الله (ص)... وقد كتب المرحوم فروزانفر قائلاً إنّهُ حتى الآن لم أصادف مثلاً هذا الحديث. (فيه ما فيه، ص ٢٧٠).

قوله في الصفحة ٣٠٤، السطر ٩: «أُثِيها السّاقِي، من تلك الخمرة التي أعطيتنيها...» من رباعيّات مولانا جلال الدين (كَلَيّات شمس، ج ٨، ص ٢٨٥، الرباعيّة ١٦٩٣).

قوله في الصفحة ٣٠٥، السطر ١: «أن تستعبدَ حُرّاً واحداً بإحسانك...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السابعة.

الرسالة الحادية والثمة:

قوله في الصفحة ٣٠٦، السطر ٧: «الصَّبْرُ لا يقدر على الصمود أمامَ العشق...» نقل المرحوم فروزانفر في «مصادر قصص المثوي وتمثيلاته»، هذا البيت على الصورة الآتية من مقالات شمس تبريزي:

الصَّبْرُ لا يقدرُ على الصمود أمامَ العِشْقِ الصَّبْرُ لا يقدر على أن يكون مُعِينَا

(مصادر قصص المثوي وتمثيلاته، ص ٢١٧).

قوله في الصفحة ٣٠٦، السطر ١٢: «أعرفُ أنا أنّه لا يأتي خطأ منك...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السادسة.

الرسالة الثانية والمئة:

قوله في الصفحة ٣٠٧، السطر ٦: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا سَلَامٌ مَوْدَع...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والثلاثين.

الرسالة الثالثة والمئة:

[٣٣٨] قوله في الصفحة ٣٠٩، السطر ٨: «الله الذي أظهرَ لنا طريقَ المهجران...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثالثة.

قوله في الصفحة ٣٠٩، السطر ١٣: «بالله الذي مُلْكُهُ من العظمة...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الخامسة والستين.

قوله في الصفحة ٣١٠، السطر ٢: «لَوْ أَنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْكُمْ...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٤، السطر ١٢.

قوله في الصفحة ٣١٠، السطر ٥: «إِنْ قَدَرْتُ، آتَيْهَا الصَّبَا، فَمُرِّي لَيْلًا بِنَاحِيَتِهِ...»، له شبهة بهذه الأبيات لمولانا في المتنوي:

— قال: أَيْلِقُ أَنْ أُسَلِّمَ الرُّوحَ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَأَمُوتَ هُنَا مَفْتَرَقًا عَنْكُمْ؟

— وهل يجوز أن أكون أسيرَ هذا القيد الثقيل، وأنتم حينًا فوق المروج وحينًا على الأشجار؟

— أهكذا يكون وفاءُ الأصدقاء؟ — أنا في هذا الحبس، وأنتم في روضة الورد؟
(المتنوي، الجزء الأول، الأبيات ١٥٥٥ — ١٥٥٧).

قوله في الصفحة ٣١٠، السطر ١١: «وَمِنْ طَوْلِ التَّفَكَّرِ كُلِّ يَوْمٍ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السابعة والخمسين.

قوله في الصفحة ٣١١، السطر ١: «إِنْ بَقِيتُ حَيًّا خِطْتُ...» أثبتته المرحوم دهبدا في «الأمثال والحكم» لسعدي (الأمثال والحكم، ج ١، ص ١٣٠)؛ لكن هذا البيت لا يُعثر عليه في كليات سعدي بتصحيح المرحوم محمد علي فروغي، ولا في المتن الكامل لديوان سعدي بتصحيح السيد مظاهر مصفاً. ويعتقد السيد الدكتور شفيعي حقاً أنه إذا سلّم بأن هذا البيت لسعدي، فإن هذه الرسالة لن تكون لمولانا.

قوله في الصفحة ٣١١، السطر ٧: «تَعَالَى، تَعَالَى، إِلَى مَتَى سَوْءُ الطَّبِيعِ هَذَا؟...» لسنانني الغزنوي. وقد جاء في ديوانه على الصورة الآتية:

وفي النهاية، اخجل، إلى متى سوء الطبع هذا؟

عندما تكون أنت أنا، وأنا أنت، إلى متى أنا وأنت؟

(ديوان سنانني، ص ١٠٢٠).

قوله في الصفحة ٣١١، السطر ١٠: «أَنَا وَأَنْتَ جَعَلْتِ الْإِنْسَانَ اثْنَيْنِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والسبعين.

قوله في الصفحة ٣١٢، السطر ١: «وَلَوْ صَارَتْ بِحَارُ الْعَالَمِ مِدَادًا وَأَشْجَارُ...» نرى من الترجمة للآية الكريمة: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَاءً بِيْثِلَةٍ﴾ [الكهف: ١٠٩].

قوله في الصفحة ٣١٢، السطر ٤: «أَيُّهَا الْقَلْبُ، لَنْ تَغْدُو خَاسِرًا فِي الْعَشَقِ...» من رباعيات مولانا جلال الدين، مع اختلاف طفيف مع ضبط الديوان (كليات شمس، ج ٨، ص ١٠٦، الرباعية ٦٢٢).

قوله في الصفحة ٣١٣، السطر ٣: «أَحْرَمَ الْكَلَامَ مَعَ النَّاسِ...» [٣٣٩] انظر في

شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والتسعين.

الرسالة الرابعة والمئة:

قوله في الصفحة ٣١٤، السطر ٢: «و من القلوبِ إلى القلوبِ رَوَزَنَةٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية عشرة.

قوله في الصفحة ٣١٥، السطر ٥: «التي كان الحقُّ تعالى قد وعده بأن يُظهرها ويحفظها...» ناظرٌ إلى الآية الآتية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قوله في الصفحة ٣١٥، السطر ١٦: «أحرَّمُ الكلامَ مع النَّاسِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والتسعين.

الرسالة الخامسة والمئة:

قوله في الصفحة ٣١٨، السطر ١: «ذلك المكانُ الذي كان فيه المعشوقُ مع الأحبة...» لأمير الشعراء معزّي النيسابوريّ (كنج سخن، السيّد الدكتور صفاء ج ١، ص ٢٣٧).

الرسالة السادسة والمئة:

قوله في الصفحة ٣١٩، السطر ٢: «حدّث عن البحر ولا حَرَجَ...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٩، السطر ٣.

قوله في الصفحة ٣١٩، السطر ٤: «الإناء يترشح بما فيه» مثل.
 قوله في الصفحة ٣٢٠، السطر ٧: «خيمة التّرك» كتب المرحوم عبد الباقي في
 حاشية ترجمته للرسائل يقول: إنّ لفظ «التّرك»، كما يظهر من كلمة «خرگاه»، استعمل
 بمعنى: غجريّ وفقر، وليس له علاقة بالتّرك (ترجمة الرسائل، حاشية الصفحة
 ١٦١).

الرسالة السابعة والمئة:

قوله في الصفحة ٣٢١، السطر ٦: «إنّ لله عبادًا أعبادًا...» انظر في شأنه إلى توضيح
 الصفحة ١٦١، السطر ٣.

قوله في الصفحة ٣٢١، السطر ٨: «الخلق عيال الله...» انظر في شأنه إلى توضيح
 الرسالة التاسعة.

[٣٤٠] قوله في الصفحة ٣٢٢، السطر ٥: «المشرب العذب كثير الزّحام...» انظر
 في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والخمسين.

قوله في الصفحة ٣٢٢، السطر ١٤: «الدّنيا مزرعة الآخرة» انظر في شأنه إلى
 توضيح الرسالة الخامسة والعشرين.

قوله في الصفحة ٣٢٢، السطر ١٧: «ولكن رأيت السيف من بعد شحذِهِ...» انظر
 في شأنه إلى توضيح الرسالة الخامسة والتسعين.

الرسالة التاسعة والمئة:

قوله في الصفحة ٣٢٥، السطر ٤: «سَلَامٌ عليكم، لا سَلَامٌ مودَع...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والثلاثين.

قوله في الصفحة ٣٢٥، السطر ٩: «شكْرُ المنعم واجبٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية والعشرين.

الرسالة الثانية عشرة والمئة:

قوله في الصفحة ٣٢٩، السطر ١٠: «المعظَّمُ لأمرِ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السطر ٥.

قوله في الصفحة ٣٢٩، السطر ١٥: «الدنيا ساعة...» حديث نبوي: «الدنيا ساعةٌ فاجعلْها طاعة» (أحاديث المشوي، ص ١٣).

قوله في الصفحة ٣٣١، السطر ٣: «كُلُّ شيءٍ يرجع إلى أصله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٧٢، السطر ١١.

الرسالة الثالثة عشرة والمئة:

قوله في الصفحة ٣٣٢، السطر ٥: «والخريصُ محروم...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الستين.

قوله في الصفحة ٣٣٢، السطر ١٦: «الخلقُ عيالٌ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة.

الرسالة الخامسة عشرة والمئة:

قوله في الصفحة ٣٣٥، السطر ١٣: «لا تظنّ أنني أراك قليلاً...» هو البيت الأول من الرباعية الآتية لمولانا جلال الدين:

لا تظنّ أنّني أراك قليلاً

أراك في كلّ لحظة، ولكن من دون إزعاج العين
ولا يدرك الوهم، ولا تحيط الصفة

بأنواع السرور التي أراها في غمك
(كليات شمس، ج ٨، ص ٢١٢، الرباعية ١٢٥٨).

الرسالة الثامنة عشرة والمئة:

[٣٤١] قوله في الصفحة ٣٤٠، السطر ٤: «جعل الله رأسك أخضر وشفتك

ضاحكة...» من رباعيات مولانا:

جعل الله رأسك أخضر وشفتك ضاحكة على الدوام

وجعل أرواح العاشقين وقلوبهم مسرورة بك
وكل من يـراك ولا يُسرّر

أذلّه الله، ونكد حظّه، وأبقاه حائرًا

(كليات شمس، ج ٨، ص ٧٤، الرباعية ٤٣٦).

قوله في الصفحة ٣٤٠، السطر ١٢: «والقول الأمين مع اليمين» ينبغي أن يكون

عبارة فقهية. مثلما أورد العلامة الحلي، في «تبصرة المتعلمين» في باب الإقرار، الجملة

الآتية: «... فالقول قول الغريم مع اليمين...» (التبصرة، طبعة الإسلامية، ج ٢، ص ٤٣٠-٤٣١).

قوله في الصفحة ٣٤١، السطر ١٤: «رضيتُ بها قسم الله لي...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الخامسة والتسعين.

قوله في الصفحة ٣٤١، السطر ١٧: «كلُّ شدة عليك هي من غرورك...» لسنائي الغزنوي (ديوان سنائي، ص ١٩٠).

الرسالة التاسعة عشرة والمئة:

قوله في الصفحة ٣٤٣، السطر ٤: «المشربُ العذب كثيرُ الزحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والخمسين.

قوله في الصفحة ٣٤٣، السطر ٦: «الرجوعُ إلى الحق خيرٌ من التهادي في الباطل، من كلام عمر بن الخطاب في رسالة كتبها إلى عبد الله بن قيس في آداب القضاء. (كشف الخفاء، ج ١، ص ٤٢٣، الحديث ١٣٥٦). وقد جعله الثعالبي من الأمثال. (التمثيل والمحاضرة، ص ٣٦٧).

قوله في الصفحة ٣٤٣، السطر ١٣: «إن كان لا يرجوك إلّا محسنٌ...» حسب قول فخر الدين المعلم إن مولانا في يوم من الأيام إذ ذهب لزيارة قبر والده مرّ في طريق عودته بقبر ابنه علاء الدين چلبی وكتب هذا البيت على القبر المصنوع من الجصّ. (مناقب العارفين، ج ١، ص ٥٢٣).

الرسالة العشرون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٤٥، السطر ٦: «كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ يَنْقَطِعُ إِلَّا نَسَبِي وَسَبَبِي»
حديث شريف - أثبتته السيوطي على هذا النحو: «كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِلَّا نَسَبِي وَصَهْرِي». (الجامع الصغير، ج ٣، ص ٧٩).

قوله في الصفحة ٣٤٥، السطر ١٣: «العَاقِلُ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ، وَحَفْنَةُ تَكْفِي
لَتَعْرِيفِ الْبَيْدَرِ...» [٣٤٢] الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْهُ مَثَلٌ مَشْهُورٌ وَقَدْ جَاءَ فِي اللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ
عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ: ذَلِكَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَهْلِ الْإِشَارَةِ يَعْلَمُ الْبَشَارَةَ، فَإِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ فَإِنَّ
إِشَارَةً وَاحِدَةً تَكْفِيكَ. الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْهُ أَيْضًا مَثَلٌ يَسَاوِي: «الْحَفْنَةُ مَثَلٌ لِحِمْلِ الْحِمَارِ،
أَوْ الْقَلِيلُ دَلِيلٌ عَلَى الْكَثِيرِ». وقد استعمل مولانا المثل الثاني في المقدمة الثرية للجزء
الأول من المتنوي أيضًا.

قوله في الصفحة ٣٤٥، السطر ١٦: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ» انظر في شأنه إلى
توضيح الرسالة الثالثة والعشرين.

الرسالة الحادية والعشرون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٤٦، السطر ١١: «تَعْظِيمُ أَمْرِ اللَّهِ...» انظر في شأنه إلى توضيح
الصفحة ١٣١، السطر ٥.

قوله في الصفحة ٣٤٦، السطر ١٢: «وَالْحُبُّ لِلَّهِ وَالبَغْضُ لِلَّهِ...» إشارة إلى
الحديث الشريف: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى الْحَبِّ لِلَّهِ وَالبَغْضِ فِي اللَّهِ» (الجامع الصغير، ج ١،
ص ١١).

قوله في الصفحة ٣٤٧، السطر ٢: «المشرب العذب كثير الزحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والخمسين.

قوله في الصفحة ٣٤٧، السطر ١٧: «شتان بين محمد وجدندل...» نرجح أن يكون ضبط النسخة الأساسية صحيحًا. ولعل فيه إشارة إلى مضمون آيات من قيل: ﴿بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]؛ ﴿إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَينَا لِشَاعِرٍ مَّخْتُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]؛ و﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَتِّصُ بِهِ رَبَّ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] إذ كان الكفار يقيسون الكلام الإلهي، الذي وصل من لسان رسول الله إلى الناس، بشعر جدندل.

قوله في الصفحة ٣٤٧، السطر ١٩: «إذا أحببت عبدًا كنت له سمعًا...» قسم من حديث نبوي شريف (الجامع الصغير، ج ١، ص ٥٩).

قوله في الصفحة ٣٤٨، السطر ٢: «المؤمن ينظر بنور الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثامنة عشرة.

الرسالة الثانية والعشرون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٤٨، السطر ١٥: «كل من يذكرنا بالخير...» استعمل هذا البيت في الصفحة ٢٠١ من كتاب «فيه ما فيه» أيضًا.

قوله في الصفحة ٣٤٨، السطر ١٦: «من جاء بالحسنة...» حديث قدسي. وقد نقله المرحوم عبد الباقي، في تعليقاته على رسائل مولانا، من «التحفة السنية في الأحاديث النبوية»، طبعة حيدر آباد، ١٣٢٣ هـ، ص ١٣ (تعليقات الرسائل،

بالتركية، ص ٢٨٠).

قوله في الصفحة ٣٤٩، السطر ٣: «المشرب العذب كثير الزحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ٢٠٨، السطر ١٥.

قوله في الصفحة ٣٤٩، السطر ١٠: «وما لا يدرك كله لا يترك كله» [٣٤٣] انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثالثة والأربعين.

قوله في الصفحة ٣٤٩، السطر ١٤: «الحلقت عيال الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة.

قوله في الصفحة ٣٤٩، السطر ١٥: «لم يكن فريدون المبارك ملكاً» من شاهنامه حكيم طوس الألمي (الشاهنامه، بروخيم، ج ١، ص ٦١، الأبيات ٥٣٢ - ٥٣٣).

قوله في الصفحة ٣٤٩، السطر ١٧: «السخاء شجرة في الجنة» حديث نبوي شريف (الجامع الصغير، ج ٢، ص ٣١).

قوله في الصفحة ٣٥٠، السطر ٣: «ولكن رأيت السيف من بعد شحذه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الخامسة والتسعين.

قوله في الصفحة ٣٥٠، السطر ٤: «في الحركات بركات...» مثل، ويقول الفرس في هذا المعنى: «منك الحركة، ومن الله البركة» (فيه ما فيه، التعليقات، ص ٣٤٢).

الرسالة الثالثة والعشرون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٥٢، السطر ١: «الدنيا مزرعة الآخرة» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الخامسة والعشرين.

الرسالة الرابعة والعشرون والمئة:

قولُه في الصفحة ٣٥٣، السطر ٢: «قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَجَلَ الْمَوْهَبَ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة عشرة.

قولُه في الصفحة ٣٥٣، السطر ٧: «فِي الدُّنْيَا حَسَنَاءُ فَاتِنَةٌ وَنَحْنُ مَتَفَرِّغُونَ...» من شعر سنائي، والبيتان الأول والثاني في الديوان فيها تقديم وتأخير (ديوان سنائي، ص ١٩٦-١٩٧).

الرسالة الخامسة والعشرون والمئة:

قولُه في الصفحة ٣٥٤، السطر ٤: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثامنة عشرة.

قولُه في الصفحة ٣٥٤، السطر ٨: «سُوبَاشِي» كانت هذه الكلمة تُستعمل في البدء بمعنى «أمير الماء»، ثم بعد ذلك أُطلقت بطريق التعميم على الأفراد الذين يتولون ضبطَ أمور الدولة، بمعنى شِخْنه، ويبدو أنها ينبغي أن تُكتب بالصاد (القاموس التركي، مادة سوباشي).

قولُه في الصفحة ٣٥٥، السطر ١: «يَقُولُ الْمَالُ كُنْتُ فَانِيًا فَأَبْقَيْتَنِي وَكُنْتُ ضَائِعًا فَأَدَيْتَنِي» نقلت هذه العبارة العربية من كتب الأخلاق.

الرسالة الثامنة والعشرون والمئة:

[٣٤٤] قولُه في الصفحة ٣٥٨، السطر ١٥: «جَنُتُ بِالْخِلَاقِ إِلَى الْوُجُودِ...»

إشارة إلى حديث «يقول الله عز وجل: إِنَّمَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَرْبِحُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لَأَرْبِحَ عَلَيْهِمْ» (أحاديث المتنوي، ص ٥٨).

الرسالة التاسعة والعشرون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٦٠، السطر ٢: «لو أَنَّ مَحْوَلِ الْعِبَادِ لَيْسَ اللَّهُ...» لأوحد الذين أنوري (ديوان أنوري، تحقيق المرحوم سعيد نفيسي، مطلع القصيدة، ص ٢٧).
قوله في الصفحة ٣٦١، السطر ١١: «أَحْرَمُ الْكَلَامِ مَعَ النَّاسِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والتسعين.

قوله في الصفحة ٣٦١، السطر ١٣: «مَا وَسَّعَنِي سَمَائِي وَلَا أَرْضِي» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية.

قوله في الصفحة ٣٦٢، السطر ١١: «وَلَمْ تَرَهُ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ أُذُنٌ...» إشارة إلى الحديث: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

قوله في الصفحة ٣٦٢، السطر ١٣: «وَصَلَ الْقَلَمُ إِلَى هُنَا وَانْكَسَرَ رَأْسُهُ...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ٢٥٩، السطر ٣.

قوله في الصفحة ٣٦٣، السطر ٤: «مَنْ الْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ رَوَازِي...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية عشرة.

الرسالة الثلاثون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٦٥، السطر ٣: «لَا صَلَاةَ إِلَّا بِحُضُورِ الْقَلْبِ...» يطابق

مضمونه الحديث الذي روي في إحياء علوم الدين (ج ١، ص ١١٠) على النحو الآتي:
«لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه» (أحاديث المثنوي، ص ٥).

قوله في الصفحة ٣٦٥، السطر ١١: «إنه فضلٌ غداً مباركاً مثل وضل الحبيب...»
واحدة من رباعيات مولانا، كاملها هكذا:

إنه فضلٌ مباركٌ مثل وضل الحبيب ومن موت الجسد أضاء مصباح القلب
ومن ضحكة البرق بكى السحاب ومن بكاء للسحاب ضحك البستان
(كليات شمس، ج ٨، ص ٢٠٧، الرباعية ١٦٠٤).

قوله في الصفحة ٣٦٥، السطر ١٤: «شكر المنعم واجب» انظر في شأنه إلى توضيح
الرسالة الثانية والعشرين.

الرسالة الحادية والثلاثون والمئة:

[٣٤٥] قوله في الصفحة ٣٦٦، السطر ١٧: «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن...»
انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السابعة والأربعين.

الرسالة الثانية والثلاثون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٦٩، السطر ١٠: «ما أجل ما قال الأذكىاء...» من حذيفة
سنائي؛ وهو فيها هكذا:
ما أجل ما قال الأذكىاء:

الطريقُ للمنزل والأصحابُ للطريق

(ص ٤٨١، البيت ٨).

الرّسالة الثالثة والثلاثون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٧١، السّطر ١: «انگوریته» هي مدينة أنقرة، من أكبر مدن الأناضول، وهي اليوم عاصمة تركية (قاموس الأعلام، ج ١، ص ٤٤٠).
قوله في الصفحة ٣٧١، السّطر ٤: «والأصلُ لا يخطئ»، كأنه مثلٌ، يشير إليه البيت الآتي للشاعر منوچهری:

الأصلُ العظيمُ في الأصل لم يخطئ البتّة

ولم يجعل دولا بَ الفلّك أحدًا مَلِكًا، هكذا جزافًا

(الأمثال والحكم، ج ١، ص ١٨).

قوله في الصفحة ٣٧٢، السّطر ٣: «الخیرُ لا يؤخّر...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٠، السّطر ٨.
قوله في الصفحة نفسها والسّطر نفسه: «في التأخیر آفاتٌ»، ترجمةٌ لمثلٍ عربيٍّ يقول:
«في التأخیر آفات». وانظر إلى توضيح الرّسالة الثانية.

الرّسالة الرابعة والثلاثون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٧٤، السّطر ٦: «عَدْلُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ يُغْنِي النَّاسَ عَنِ الْخِصْبِ»،
قلت في مَدْحِ الْعَدْلِ أمثالٌ كثيرة، بعضها يمكن البحث عنه في الأمثال والحكم
للمرحوم دهمخدا.

الرسالة الخامسة والثلاثون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٧٧، السطر ٣: «أحرّم الكلام مع الناس...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والتسعين.

قوله في الصفحة ٣٧٧، السطر ٤: «من أحب شيئاً أكثر ذكره» [٣٤٦] حديث شريف. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره» (الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٤١).

الرسالة السادسة والثلاثون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٧٨، السطر ٩: «من جعل الهموم...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السابعة.

قوله في الصفحة ٣٧٨، السطر ١١: «المشرب العذب كثير الزحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والخمسين.

قوله في الصفحة ٣٧٩، السطر ٣: «ما الحيل والتدابير التي لم يقم بها ذلك الوقح؟» لسنائي الغزنوي. والبيت الثاني في الديوان على النحو الآتي:
لا عِلْمَ لي بذلك الذي لا أقرُّ من فحّه فليس ثمة ظمآن يقرُّ من ماء الحياة
(ديوان سنائي، ص ٨٥٥).

قوله في الصفحة ٣٧٩، السطر ٧: «بنيان مرصوص» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤]،

قوله في الصفحة ٣٧٩، السطر ١٥: «لُقْمَةٌ بِلُقْمَةٍ» حكاية ذلك تمامًا جاءت في أسرار التوحيد: «قال شيخنا: عن ثابتٍ أنَّ امرأةً كانت تأكلُ طعامًا، فأناها سائلٌ فسأل ولم يبقَ معها من طعامها غيرُ لُقْمَةٍ فأطعمتها السائل. فأناها الأسدُ وأخذ صبيًا لها فذهب به فإذا هي برجلٍ قد أقبلَ إلى الأسد حتى انتهى إليه فأخذ بلحيته ففلقها حتى استخرج الصبي من فيه فسلمه إلى أمه فقال لها: لُقْمَةٌ بِلُقْمَةٍ» (أسرارُ التوحيد، بتحقيق وتعليق السيّد الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني، ج ١، ص ٢٦٣).

الرسالة السابعة والثلاثون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٨٠، السطر ١٧: «يسافرُ الرّجالُ في الآفاق، مثل القلب...» بيتٌ من ترجيع بند لمولانا جلال الدين مع اختلاف طفيف (كَلَيَاتِ شمس، ج ٧، ص ١١٤، الترجيع ١٣).

قوله في الصفحة ٣٨١، السطر ٥: «جُزْ يا مؤمنُ، حديثُ نبويّ: «إنَّ المؤمنَ إذا وضعَ قدمه على الصراطِ تقولُ النارُ: جُزْ يا مؤمنُ، فقد أطفأ نورُك ناري (أحاديث المثنوي، ص ٥٣).

قوله في الصفحة ٣٨١، السطر ٦: «إنَّ جَسَدَكَ ونَارَكَ معك ؛ فانظر في أعماقك...» لسنائي الغزنوي (الديوان، ص ٧٠٨).

قوله في الصفحة ٣٨١، السطر ١٦: «الملّكُ الذي اضطربَ صار من الشؤم شيطانًا...» هو البيت الثاني من غزلية لمولانا جلال الدين. (كَلَيَاتِ شمس، ج ١، ص ٥٥، الغزلية ٨٢).

الرسالة الأربعون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٨٥، السطر ٩: «كنتُ كثرًا مخفيًا...» [٣٤٧] حديثٌ نبويّ شريف (أحاديث المثنوي، ص ٢٩).

الرسالة الحادية والأربعون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٨٦، السطر ١٢: «صداقةُ الآباء، قرابةُ الأبناء...» مثلُ جاء بالعبارة الآتية: «الودُّ والعداوةُ يتوارثان». (التمثيل، ص ٢٤).

قوله في الصفحة ٣٨٦، السطر ١٨: «إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة التاسعة عشرة.

الرسالة الثانية والأربعون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٨٧، السطر ١٦: «شكرُ المنعمِ واجبٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية والعشرين.

قوله في الصفحة ٣٨٨، السطر ٨: «جَلَّ عمرو عن الطَّوق» مثلُ، وصورته القديمة هذه: «شَبَّ عمرو عن الطَّوق». والمرادُ من عمرو، عمرو بن عديّ، ابنُ أختِ جَدِيمة ابن الأبرش، الذي ضاع وهو صغيرٌ فقبل إنَّ الجَنَّ سرقته. وقد عُثِر عليه بعد ذلك، فأرادت أمُّه أن تلبسه الطَّوق الذي كان يلبسه وهو صغير. لكنَّ جَدِيمة (خال عمرو) قال: إنَّه الآن شابٌّ ولا حاجةَ به إلى الطَّوق، «شَبَّ عمرو عن الطَّوق»، وصار ذلك القولُ مثلاً. (آفرينش وتاريخ، ج ٣، ص ١٧٣؛ البدء والتاريخ، ج ٣، ص ١٩٨،

التنبية والإشراف، ص ١٥٨).

قوله في الصفحة ٣٨٩، السطر ١: «قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلٌ» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٢٦، السطر ١٧.

الرسالة الثالثة والأربعون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٨٩، السطر ١٣: «ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة السادسة عشرة.

الرسالة الرابعة والأربعون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٩٠، السطر ٨: «كُلُّكُمْ رَاغٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...» حديث نبوي. (أحاديث المتنبي، ص ٩٩).

الرسالة الخامسة والأربعون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٩١، السطر ٢: «صِدَاقَةُ الْأَبَاءِ، قَرَابَةُ الْأَبْنَاءِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الحادية والأربعين والمئة.

قوله في الصفحة نفسها و السطر نفسه: «الْحُبُّ يُتَوَارَثُ...» [٣٤٨] هو في الظاهر إشارة إلى الحديث: «مَوَدَّةُ الْأَبَاءِ قَرَابَةُ الْأَبْنَاءِ». وقد قيل: «الْحُبُّ وَالْبَغْضُ يُتَوَارَثَانِ». (الأمثال والحكم، العلامة دهمخدا، ص ٢٤١).

قوله في الصفحة ٣٩١، السطر ٦: «هُوَ التَّعْظِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ...» انظر في شأنه إلى

توضيح الصفحة ١٣١، السطر ٥.

قوله في الصفحة ٣٩١، السطر ١٧: «ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ...» انظر في شأنه إلى

توضيح الرسالة السادسة عشرة.

قوله في الصفحة ٣٩٢، السطر ٦: «إِتِّمَامُ الْمَعْرُوفِ خَيْرٌ...» انظر في شأنه إلى

توضيح الصفحة ١٤٥، السطر ١٦.

الرسالة الخمسون والمئة:

قوله في الصفحة ٣٩٥، السطر ١٥: «وَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمَرَ عَنِّي...» مأخوذ من

مقصورة ابن دُرَيْد:

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمَرَ عَنِّي

(أحاديث الثنوي، ص ١٨٤).

مترجمُ هذا الكتاب:

- الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب، من مواليد محافظة الرقة في سورية عام

١٩٥٠م.

- يحمل الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق منذ عام ١٩٨٤م، في

تخصّص البلاغة والنقد.

- أمضى في التدريس الجامعي ما يزيد على ربع قرن، وقد درّس في جامعات حلب

والبعث (في سورية) والجبل الغربي (في ليبيا) وجامعة الإمارات العربية المتحدة

وجامعة قطر.

- عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية من جامعة حلب منذ عام ١٩٨٦، ورئيس

هذا القسم في عام ١٩٨٩م، وبين عامي ٢٠٠٠-٢٠٠٢م، ورئيس قسم اللغة العربية من

جامعة قطر بين عامي ٢٠٠٥-٢٠٠٧م.

- نال الجائزة العالمية للباحث المتميز في الدراسات الإيرانية من رئاسة الجمهورية

الإسلامية في إيران لعام ٢٠٠٣م، كما نال الجائزة العالمية لكتاب السنة في إيران لترجمته

رُبَاعِيَّات مولانا جلال الدين الرومي من الفارسية إلى العربية، وهي جائزة مرموقة تقدّمها

أيضاً رئاسة الجمهورية الإيرانية، وذلك في عام ٢٠٠٦م.

- له عددٌ من المؤلفات التي تُدرّس في عدد من الجامعات العربية ومن ذلك: المفصّل في

علوم البلاغة العربية، والتفكير النقديّ عند العرب، وموسيقا الشعر العربيّ. ومن كتبه المهمة

الأخرى: تأثير الحكم الفارسيّة في الأدب العربيّ، والعاطفة والإبداع الشعريّ، وجماليّات

الشعر النبطي.

- ترجم عن الإنكليزية الكتب الآتية: الخيال الرمزيّ، اللغة والمسؤولية، الرومانسية

الأوربية بأقلام أعلامها، قضايا النقد، لغة الشعراء، طبيعة الشعر، نظرية الأدب في القرن العشرين، يد الشعر (خمسة شعراء متصوفة من فارس)، جلال الدين الرومي والتصوف، الشمس المتصرة (دراسة آثار الشاعر الإسلامي الكبير مولانا جلال الدين الرومي)، أبعاد صوفية للإسلام، وأن محمدًا رسول الله؛ وهذه الثلاثة الأخيرة من عيون مؤلفات المستشرق الألمانية الكبيرة أنياري شيمل.

- يهتم اهتمامًا خاصًا بآثار شاعر الصوفية الأكبر مولانا جلال الدين الرومي، وقد ترجم من آثاره المدونة بالفارسية الكتب الآتية: كتاب فيه ما فيه، المجالس السبعة، رباعيات مولانا الرومي، غنارات من ديوان شمس تبريز، من بلخ إلى قونية (سيرة حياة الرومي)، رسائل مولانا الرومي.

- ترجم أخيرًا عن الإنكليزية كتابين مهمين للمستشرق الياباني الأستاذ توشييهيكو إيزوتسو، وهما: بين الله والإنسان في القرآن - دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم (صدر عن دار الملتقى في حلب عام ٢٠٠٧م)، والمفاهيم الأخلاقية - الدينية في القرآن. ويستشعر المترجم دائمًا القانونين الإلهيين اللذين يقولان:

- «وما أوتيتم من العلم إلا قليل».

- «وما بكم من نعمة فمن الله».

MASTER JALAL AL DEEN AL RUMI'S LETTERS

Rasā'il Mawlānā Jalāl al-Dīn al-Rūmī

rev.: Tawfiq H. Subhani

tr.: Prof. Dr. 'Īsā 'Alī al-'Ākūb

يجمع هذا الكتاب بين دفتيه خمسين ومئة رسالة أو مكتوب، كتبها مولانا جلال الدين الرومي العارف والشاعر الإسلامي الكبير الذي ازدان بمنجزه الفكري والفني جيد الثقافة الإسلامية على امتداد القرون. هذا العارف الذي قال عنه عبد الرحمن جامي: "لم يكن نبياً، ولكنه أوتي كتاباً؛ مشيراً بذلك إلى مثنويّه الشهير.

ينطوي هذا الكتاب على أربع مقدمات مهمة، صنعها باحثان تركيان بارزان، ودارس إيراني معروف، ومترجم الكتاب إلى العربية. تقدم الرسائل الموجودة فيه صورة رائعة لألق الشاعر المسلم وعبقريته في تربية جيل من السلاطين والوزراء وقادة الجيش والقضاة والعلماء ورجال الدولة.

تضيء الرسائل فيه جانباً مهماً من حياة محررها وسلوكه العملي الذي يجسد فضائل ذلك المبدأ النبوي السامي القائل: "الخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله" يضيف طعماً مختلفاً إلى مائدة الثقافة الإسلامية، ويقدم لونا من الخبرة الروحية والمعرفة الإيمانية المتعددة الأبعاد، التي يعاني الإنسان المعاصر من آثار إهمالها والازورار عنها معاناة شديدة.

